Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



الصُّلَيْحِيُّون

وَالْحَرَكَة الْفَاطِمِيَّة فى اليَمَن

(من سنة ٢٦٨ هـ إلى سنة ٦٢٦ هـ)

تأليف

حُسَين بن فيض الله الهَمْدَانِي

اليَعْبُرِى الحَرَازِى

بالاشتراك مع

الدكتور حَسَن سُلَيمان محمود الجُهَنِى

المدرس الأول فى المواد الاجتماعية بالخرطوم الثانوية المصرية

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى بالفجالة

القاهرة

A. R. BULLOCK,
ISLAMIC BOOKS
62 KELBURNE RD., OXFORD, U.K.

سلسلة البحوث اليمنية رقم ١

المعهد الهمذاني للدراسات الإسلامية

(أنشأها سيدى محمد على الهمدانى اليعبرى فى سنة ١٣٠٥ هـ)

المدير : الدكتور حسين الهمدانى

893.717
H1753

19426H

مطبعة الرسالة
٣ شارع حمودة المقاول — عابدين
القاهرة

تصـــــدير

بقلم الأستاذ مصطفى السقا

أستاذ الأدب الأندلسى بكلية الأدب بجامعة القاهرة

هذه صفَحات رائعة مشرِقة من تاريخ الحركة الفاطمية فى اليمن ، وتاريخ دولة من أعظم دولها أثرا ، وأبقاها ذكرا ، وهى دولة « الصُّلَيْحِيِّين » ، الذين لبست اليمن على أيديهم حُلّة قشيبة من المجد لا تُبليها الأيام ، إذِ انتظمت مخاليفَها وَحْدَةٌ جامعة ، خَفَق عليها علم العدْل والامْن والسلام ، حِقبة من الزمان ، وخاصة فى عهد مؤسسها علىّ بن محمد الصُّلَيحِىّ ، وعهد السيدة الحرة اروى بنت أحمد الصليحية ، اللذين يذكر لهما اليمن حتى وقتنا هذا أطيب الذكريات .

كان حكم الصُّلَيحيين فى اليمن طِرازاً جديداً من الحكم ، وأول ما يتميز به من سِمات : القصدُ إلى وحدة الشعوب اليمنية ، وجمعها تحت راية سياسية واحدة ، تظِلُّهم بالسلام والعمل لإسعاد البلاد ، لا يبغِى بعض على بعض ، ولا يجفو صاحب اعتقاد أو مذهب دينىّ أخاه فى الوطن ؛ فقد أطلق الصُّلَيحيون لأصحاب المذاهب الدينية : من سنية وزيدية وفاطمية ، حرية الاعتقاد والعمل ، فكان ذلك أقوى دِعامة قامت عليها تلك الدولة الجديدة .

وإذ كانت دولة الصُّلَيْحيين فاطمية الشعائر ، أخذوا فى إعلان شرائعهم وشعائرهم للناس ، ليظهروا حقيقتها ، وأنها لا تختلف فى الواقع عن المذاهب الأخرى الموجودة ، كما يتضح من الباب التاسع من أبواب هذا الكتاب ، وليقولوا للناس : إن التشيع الفاطمىّ ، ليس كما صوره كثير من أعدائه ، من السياسيين المغرضين ، والفقهاء المأجورين ، وإنما هو صفحة نقية من اجتهاد أهل

SEP 28 1962

بيت النبيّ ، وبلائهم فى إقامة دولة سياسية إسلامية ، لاستخلاص حقهم فى الخلافة ، الذى اغتصبه العباسيون وغيرهم من أيديهم ، مع احتفاظهم بما ورثوه عن آبائهم من أحكام فى الدين ، وفتاوى فى القضاء ، لا تُخرِج المستمسك بها عن جملة المسلمين . فأما الاعتقاد فى الله ، والإيمان بالنبوات و برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالكتاب المنزَّل عليه ، فليس بينهم و بين جميع المسلمين فى ذلك أدنى خلاف ، وإن اختلفوا فى تأويل بعض الآى ، استنادا إلى ما ورثوه عن آبائهم الأوّلين ، من توجيه مأثور .

وليس الفاطميون وحدهم الذين انفردوا بالتأويل لبعض الآيات التى تحتمل التأويل ، فالاختلاف فى تفسير آى القرآن وتأويلها ، ظاهر فى كتب المفسرين الاوّلين ، الذين سبقوا الإمامَ محمد بن جرير الطبرىّ ، وكان تفسيره الجامع مَحْكمة علمية ، للترجيح بين مذاهبهم . وخلاصة هذا كله أن المذهب الشيعىّ الفاطمىّ الرسمىّ ، مذهب صحيح ، خالص من الابتداع ، بعيد عن الزندقة والإلحاد وتعطيل الشريعة ، وغير ذلك من الاتهامات التى وصفه بها المغرضون .

وإذا كان بعض فرق الفاطمية ، كالنِّزارية والدُّروز والقرامطة وغيرهم ، قد غلا فى مذهبه ، وابتدع أموراً ليست فى أصل المذهب ، حتى سَوَّغ لأعداء الفاطميين أن يرميَهم جميعاً بالزيغ والضلال ، فليس ذلك ذنب المذهب الفاطمىّ الرسمىّ ، فى أصوله النقية التى احتفظت بها دَعوة الصُّلَيحيين ، وإنما إثمه على الذين ابتدعوا ذلك من زعماء تلك الفرق الغالية ، المنسوبة إلى جملة المذهب الفاطمىّ ؛ وإثمه كذلك على الكتاب الذين يأخذون المطيعَ بجريرة العاصى ، ويُعَممون الحكم على الأمور ، حين يقتضيهم الواجب التخصيص .

وليس التستر والكتمان الذى تميَّز به المذهب الفاطمىّ فى ماضيه ، إلا أثرا من آثار الاضطهاد والظلم ، الذى استُقْبلت به الدعوة الشيعية عامة والفاطمية خاصة ، وهو ضرب من التَّقِيَّة أمام حَمَلات السياسيين والفقهاء فى كل قطر

وأرض ، مما اضطر أصحاب التشيُّع الفاطمىّ إلى كتمان أحوالهم وأخبارهم جملة وتفصيلا عن عامة الناس ، فلم يبوحوا بشىء منها إلا لمن أراد الدخول فى المذهب ، بعد الاحتياط والحذر الشديد . ولما استقر حكم اليمن فى أيدى دعاة الفاطميين من آل الصُّليحىّ اليمنيين ، جهروا بمذهبهم اعتقاداً وعملا ، واستفاد الناس من هذا الجهر فوائد تاريخية عظيمة ، إذ بدت لهم صفحة هذا التشيع بريئة نقية مما ابتدعه المبتدعون ، وغلا فيه الغالون ، فتقرر فى الأذهان أنه لا فرق بين المذهب الفاطمىّ الأصيل ، وغيره من مذاهب التشيع المعتدل ، الخالى من الغلو والابتداع والانحراف ، إلا فى شىء من الفروع والأحكام ، لا فى أصل الاعتقاد بالله ، والإيمان برسالة محمد ، وبالقرآن الكريم .

وكان من آثار الجهر بالعقيدة الفاطيمة الأصلية ، أن خفقت راية الاتحاد على أهل اليمن ، وأظلتهم حكومة واحدة قوية الدعائم ، تنشر الحبّ والعدل ، والثقافة والحضارة ، بين أهل الوطن الواحد بالقسطاس المستقيم .

* * *

هذا بعض ما تركته فى نفسى قراءة هذا السفر النفيس فى تاريخ دولة الصُّليحيين ، وتاريخ الدعوة الفاطمية فى اليمن . وقد ترك فى نفسى آثارا أخرى كثيرة ، لا يتسع لها هذا التصدير الموجز ، ولكنى أقول فى غير مصانعة ولا إسراف : إن هذا الكتاب قد غير رأيى فى أشياء كثيرة ، وبدد من نفسى أوهاماً علقت بها مما قرأته عن المذهب الفاطمىّ خاصة ، ومذاهب التشيع عامة ، فى مصادر غير موثوق بمعرفة أصحابها لحقائق المذهب ، وتاريخه الصحيح .

والصورة المحقَّقة التى رسمها هذا الكتاب بمنهجه ومادته لدولة الصُّليحيين وتاريخ الدعوة الفاطمية فى اليمن ، صورة علمية جديرة بالتقدير ، لا تزيُّد فيها ولا مُدَاجاة ، ولا غش ولا تدليس ، وإنما هى إثبات حقائق تاريخية تستند إلى منهج تاريخىّ علمىّ دقيق ، لا يُثْبت ولا ينفى شيئاً ، إلا بالدليل المُقْنع ، والحجة

الدامغة، التي لا تقوم لها الشبهات، ولا تثبت أمامها الأوهام. والمسلمون فى مسيس الحاجة إلى أن يدرسوا تاريخهم السياسىّ والاجتماعىّ والعقلىّ، فى ضوء هذا المنهج العلمىّ المستقيم، وهم إذا استمروا على ذلك، واصلون ولا ريب إلى تغيير كثير من الآراء والأحكام المقررة، التى صدرت عن أصحاب الأهواء والأغراض، مما امتلأت به أسفار التاريخ.

* * *

تتجلى فى صفحات هذا السِّفر النفيس شخصية مؤلفه الدكتور حسين الهمدانىّ، وما أتيح له من فرصة يندُر أن تُتاح لغيره من المَعْنِيِّين بشئون اليمن، كما يتجلى روحه الإنسانى العالى، ورغبته الوثيقة فى إنهاض بلاده.

فالدكتور الهمدانىّ قد استفاد من ثقافته الواسعة، وخبرته الواعية، هذا الأسلوب التحقيقىّ، الذى جعله دعامة لتأليفه تاريخ الصليحيين، فكل صفحة من الكتاب تشهد لمؤلفه الفاضل أن له إلماماً واسعاً بتاريخ بلاده، وبمصادره الأصيلة، وأنه ثقة وحجة فى استنطاق النصوص، واستخبار الآثار، عما تنطوى عليه من حقائق، تمتاز بالصدق والبعد عن التزيد والغلوّ، والتشيع الذى تورط فيه كثير ممن كتبوا التاريخ. وجملة الأمر أن الدكتور الهمدانىّ رسم لمشروعه خِطة محكمة، أعانته عليها ثقافته الواسعة، وشىء آخر يكاد ينفرد به دون غيره، ممن يعرضون لتاريخ اليمن أو تاريخ الدعوة الفاطمية فيه، ذلك هو النصوص التاريخية والوثائق التى استحوذ عليها، ولا يوجد لها نظير إلا عند قلة قليلة من العلماء فى اليمن وفى مصر وغيرها من البلاد، وبعضها مما لا يعرفه أحد غيره، لأنه من تُراث آبائه وأجداده، من يعابر همدان، فأكثر المستندات والسجلات والوثائق التى يستشهد بها، كانت ملكا خاصاً لجده سَيِّدى محمد على اليعبرىّ الهمدانىّ، وقد آلت من بعده إلى أبنائه وأحفاده، وورث الدكتور حسين الهمدانىّ منها كنزاً من كنوز المعرفة الخاصة بتاريخ الصليحيين. وكان من حسن التوفيق أن أُعِدَّ

الدكتور حسين الهمدانىّ هذا الإعداد العلمىّ الخاصّ ، لينتفع بتراث آبائه ، وبما تحت يده من ذخائر علمية نفيسة ، وليكون كشف الستار عن تاريخ اليمن الحقيقى فى القرون الرابع والخامس والسادس على يديه . وبعض هذه الوثائق التاريخية قد نقل إلى الهند ، حيث توجد طائفة كبيرة من أتباع الدعوة فى مقاطعة غجرات ، ولكن كثيرا منها لايزال باقيا عند أولى الدعوة باليمن ، أو فى مصر فى مكتبة الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصرى فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهو ينشر كثيرا من هذه الوثائق ، ويفيد منها فوائد عظيمة فى أعماله وتآليفه الكثيرة . وللأستاذ الدكتور حسن سليمان محمود فى ميدان هذا البحث آراء حسنة ونشاط مشكور فى بحثه الذى قدمه للحصول على الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهو بهذه المشاركة يعد من كتاب التاريخ الذين يعملون فى الحقل اليمنىّ ، لإبراز حقائقه ، وإزالة الرمال عن كنوزه ونفائسه .

* * *

والدكتور الهمدانىّ حين يشيع هذا الكتاب بين الصفوة من العلماء فى الشرق والغرب ، يهدف إلى أمور :

الأول : إثبات حقيقة تاريخية عن الحركة الفاطمية فى اليمن إثباتا علميا خالصا ، وهذه الحقيقة كانت غامضة لما يكتنفها من شكوك ، بسبب قلة المصادر الأصيلة فى أيدى العلماء .

والثانى : أنه أراد أن يحفز هم الكتاب إلى كتابة تاريخ اليمن فى عصوره المتتابعة على أساس علمى سليم ، ونهج مستقيم ، تتجنب فيه العصبيات الدينية والقبلية ؛ لأنه لا يوجد بين أيدى اليمنيين حتى اليوم ، تاريخ محرّر لدولهم السياسية القديمة والمتوسطة والحديثة ، على هذا النحو الدقيق ، وهم فى مسيس الحاجة إلى مثله ، كما فعل المؤلف فى إبراز الصورة الحقيقية لتاريخ الصليحيين والحركة

الفاطمية ، حُبًّا فى تقرير الحقيقة لذاتها ، دون أن يكون له غرض شخصىّ أو طائفىّ من هذا البحث .

والثالث : رغبته الشديدة فى إيقاظ اليمن ، وطنه الذى استأثر حبه بقلبه وملك عليه نواحىَ نفسه ، لتنبعث الحياة الجديدة فى أوصاله ، وليساير ركب الحضارة العالمية ، فلا يوصف بالتخلف ، وليكون قوة يعول عليها فى بناء المجتمع الإسلامى الحديث .

والرابع : أن يعمل أهل اليمن أجمعون ، على جمع الشمل والتعاون ، واتجاه الجميع لغاية واحدة ، على إسعاد الوطن ، وتخليصه من الخلافات المذهبية ، التى تعوق المجتمع اليمنىّ من الأخذ بأسباب التقدم والعزة والكرامة .

واليمنيون اليوم جديرون أن يقتدوا بأسلافهم العظام ، الذين شيدوا مجد اليمن القديم . فلو تتبعنا تاريخ اليمن منذ أقدم العصور ، لوجدنا أن الشعب اليمنىّ قبل الإسلام كان من أعظم الشعوب بأسا ، وأعرقها فى الحضارة وتأسيس الممالك الضخمة ، والمدائن العظيمة ، مثل سبأ ومعين ومأرب وصنعاء ، وإليهم ينسب سد مأرب ، وإرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد .

وقد كانت شجاعة اليمنيين هى الدّعامة التى ارتكز عليها الإسلام عند ظهوره ، فهم الذين آوَوُا النبىّ ونصروه فى حروبه وغزواته ، حتى ثبت دين الله فى الأرض . وكان اليمنيون أكثر مادة الجيوش التى افتتح بها العرب ملك كسرَى وقَيْصَر ، فى فارس والعراق والشام ومصر وإفريقية والأندلس . وظهر كثير من رجالات اليمن فى تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية ، وفى الإدارة والحكم والقضاء فى العصور المختلفة ، وبعضهم ممن له شهرة عالميةَ عند أهل الشرق والغرب اليوم ، كالخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى (ت٢٤٦) أعظم علماء العربية على الإطلاق ، والكندىّ (ت ١٧٥) فيلسوف العرب ، والحسن بن أحمد الهمدانى (ت ٣٣٤) صاحب الإكليل وصفة جزيرة العرب ، ونَشْوان

ابن سعيد الحميرى (ت ٤٧٣) صاحب الموسوعات الضخمة فى اللغة والأدب ، وابن خلدون (ت ٨٠٨) صاحب التاريخ والمقدمة ومبتدع علمى الاجتماع وفلسفة التاريخ . ومن المتأخرين من نوابغهم السيد محمد مرتضى الزَّبيدى (ت ١٢٠٦) صاحب تاج العروس ، أكبر معاجم اللغة ، وأعظمها شأنا . وقد أنجبت اليمن أكبر شعراء العربية على الإطلاق ، امرأ القيس الكندى ، والمتنبىَ الجُعفى ، وأبا العلاء المَعَرىّ التنوخىّ . وفى عصرنا هذا ينتسب إلى اليمن أساتذة أجلاء نالوا حظا كبيرا من الثقافة الغربية فى شتى نواحيها ، وهم الحجة الناطقة بأن هذا الشعب اليمنى لا يزال محتفظا بكثير من الصفات الممتازة القوية ، التى ميزت نابغيه فى الماضى ، من الذكاء ، وسعة العقل ، والميل إلى الابتكار والاستقصاء ، فى كل ما يتناولونه من عمل مادىّ أو فكرىّ . وفى الشرق القريب والبعيد جاليات من اليمنيين والحضارمة ، ركبوا البحار ، ومارسوا الأسفار والأخطار ، ونجحوا فى ميادين المال والاقتصاد ، نجاحا يُؤْذِن بحظوظهم القوية من الذكاء ، والشجاعة ، والثقة بالنفس فى كثير من بقاع الأرض .

لكن بلاد اليمن اليوم — وإن لم تحرمْ حظَّها الكبير من ذكاء أبنائها ، وحسن استعدادهم للنبوغ فى شتى الميادين ، كما نبغ أسلافهم العبقريُّون — لا تزال تعيش فى الماضى ، أكثرَ مما تعيش فى الحاضر ، مع أنها لا ينقصها عن بلوغ شأو الأمم الكبيرة والدول العظيمة ، إلا أن تخلع عن منكبيها كل قديم بال من أساليب الحياة ، وتستبدل به الجديد القشيب ، الذى يلائم العصر وأممه الحيّة ، وهى لو فعلت هذا ، لبلغت فى الزمن القريب ، الشأوَ البعيد ، وليس مطلب من مطالب الحياة الحديثة ببعيد على من بَنَوا العَرِم ، وشيدوا مأْرِب وإرَم . والله الموفق ، وهو المستعان ؟

جامعة القاهرة : أغسطس ١٩٥٥ — مصطفى السقا

رموز واصطلاحات

اتعاظ	اتعاظ الحنفا للمقريزى .
افتتاح	افتتاح الدعوة للقاضى النعمان .
إكليل	الإكليل لأبى محمد الحسن الهمدانى .
أنباء/دار	أنباء الزمن . مخطوط بدار الكتب المصرية .
أنباء/ماضى	أنباء الزمن . تحقيق عبد الله ماضى .
إيفانو	Guide to Ismaili Literature
بغيـة	بغية المستفيد لابن الديبع .
البلدان	معجم البلدان لياقوت الحموى .
ت	توفى .
ج	جلد أو جزء .
حور	الحور العين لنشوان الحميرى .
د	ديوان .
ر	رسالة.
رسائل القمى	مجموع الرسائل لحسين بن على بن القمر .
السجلات	مجموع السجلات المستنصرية .
سلوك/كاى	السلوك للجندى . مختصر كاى (Kay) .
ص	صفحة .
صح	الصحاح للجوهرى.
صفة	صفة جزيرة العرب لأبى محمد الهمدانى .
طبرى	تأريخ الأمم والرسل والملوك للطبرى .
عبر	العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون .
عبر/كاى	العبر لابن خلدون . مختصر كاى .

(ن)

عقود	العقود اللؤلؤية للخزرجى .
عمارة/كاى	تاريخ اليمن لعمارة . مختصر كاى .
عيون	عيون الأخبار لإدريس عماد الدين القرشى .
فهرست إسماعيل	فهرست كتب الدعوة لإسماعيل بن عبد الرسول .
ق	القاموس المحيط للفيروزابادى .
قرة	قرة العيون لابن الديبع .
كشف	كشف أسرار الباطنية للحامدى .
كفاية	الكفاية والإعلام للخزرجى .
ل	لسان العرب لابن منظور .
مقتطف	المقتطف فى تاريخ اليمن للجرافى .
م . م . ه .	مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
نزهة	نزهة الأفكار لإدريس عماد الدين القرشى .
نفسه	المرجع نفسه .

BSOS	Bulletin of the School of Oriental Studies, London.
EI	Encyclopoedia of Islam.
JA	Journal Asiatique.
JAOS	Journal of the American Oriental Society.
JRAS	Journal of the Royal Asiatic Society of Gt. Britain.
JRCAS	Journal of the Royal Central Asian Society, London.
IC	Islamic Culture, Hyderabad (Dn.).

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنه العون ، وبه الحول والقوة ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ، فى صلاة وتسليم على محمد وصحبه وعترته الطاهرين .

وبعد ، فإن التاريخ مدرسة الدهر ، يعلمنا مالم نكن نعلم ، وهو كما قال ابن خلدون فى مقدمته : « فى ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق . . . يؤدّى إلينا شأن الخليقة كيف تقلّبت بها الأحوال ، واتّسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض ، حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال . وفى باطنه نظرة وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، وجدير بأن يعدّ فى علومها وخليق » . ففى التاريخ عبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن افتكر . لذلك رأينا أن نهتدى بعبر التاريخ ، لتنير الطريق للحاضر وللأجيال القادمة . وهذه عبر مطوية يقدمها هذا البحث فى صحائف موجزة من سفر يتناول دورا هامّا من حياة اليمنيين ، الذين كانوا ومازالون يدينون بالولاء للأئمة الفاطميين .

ونظراً إلى أن الحركة الفاطمية حركة عالمية ، كان الغرض منها قلب النظام السياسىّ المسيطر على العالم الإسلامى ، فقد اتجهت أنظار الفاطميين إلى الأقطار الإسلامية النائية ، وكانوا يعملون على تحقيق هذا الهدف السياسىّ ، لبلوغ أوج الزعامة فى العالم الإسلامىّ .

وكانت بلاد اليمن محطّ أنظارهم وقبلة آمالهم . وسترى فى هذا الكتاب ما نذكره خاصا باهتمام الفاطميين ببلاد اليمن فى القرن الثالث ، وأنهم كانوا يريدون إقامة دولتهم فى تلك البلاد ، ولكن لأسباب نبيّنها ، اتجهوا إلى بلاد المغرب . ومع ذلك ظلّت بلاد اليمن موالية للفاطميين ، ولم تنقطع دعوتهم فيها حتى وصلت إلى القمة فى عهد الدولة الصُّلَيحية . وبقيت هذه الحركة إلى يومنا هذا فى اليمن وغيرها .

وهذا الجانب من تاريخ الحركة الفاطمية فى اليمن ، لم يُدرس درسا وافيا ،

بل كل ما وجدنا عنها من معلومات ، إنما جاءت فى كتب التاريخ العامّة على شكل فقرات مبعثرة هزيلة ، تحتاج إلى البسط والتوسّع[١] .

ولحسن الحظ وجدنا فى مكتبة جدنا المقدس العلامة الشيخ محمد على الهمدانىّ اليَعْبرىّ مجموعة من المخطوطات والوثائق ساعدتنا على كشف غموض هذا الموضوع . وبفضل المادّة التاريخية التى استقيناها من هذه المصادر ، تمكنا من تأليف تاريخ هذه الحركة ، وبخاصة من عهد الدولة الصُّليحية وعلاقتها بمركزها الرئيسىّ بالقاهرة .

وعلى هَدْى ماقرأنا ، قررنا أن يكون نظرنا لهذا الموضوع ، كما سترون ، نظرة خالصة مجردة ، لا تصدر عن عاطفة ولا هوى . بل كان رائدنا دائما الإنصاف والتحقيق ، فى حدود المصادر التى بين أيدينا . وكنا نريد أن نكون أكثر دقة فى هذا الموضوع ، لو أن إخواننا فى اليمن والهند قد تفضلوا بتزويدنا ببعض المراجع الهامة ، التى تأكد لدينا وجودها هنالك ، وحاولنا الاتصال بهم للحصول عليها خدمة للعلم ، ولكن ذهبت محاولاتنا أدراج الرياح ؛ لذلك اكتفينا بما كان لدينا من مراجع مخطوطة بالمكتبة الحمدية الهمدانية ، وأخرى مطبوعة ومخطوطة بدار الكتب المصرية وغيرها من خزائن الكتب .

ويلاحظ المشتغلون بدراسة اليمن أن كثيرا من المسائل التى تتعلق بتاريخ هذه البلاد يكتنفها الغموض ، ومردّ ذلك إلى قلة المعلومات عنها ، واضطراب مصادر

---

(١) يسمى الفاطميون أنفسهم باسم « أهل الدعوة » أو « المسلمين المؤمنين » ودعوتهم بـ « دعوة الحق » و « الدعوة الهادية » . وهم لايعترفون بالأسماء والألقاب التى نسبت إليهم ، مثل الفاطمية والإسماعيلية والباطنية والسبعية وغيرها ، ولا توجد هذه الألقاب فى كتبهم . وقد نسب إلى نفسه الشيخ أبوحاتم الرازى — وهو من كبار علماء الدعوة — فى كتاب الزينة ، كلمة أهل السنة والجماعة . وقال المؤيد فى الدين ، باب أبواب الإمام المستنصر (د المؤيد ٨٨):

يا سائلا تسألنى عنى اعلم بأنى رجل سنى
أحب أصحاب نبى الهدى دينى على حبهم مبنى

وقد أطلقت كلمة الفاطمية على أهل الدعوة عامة فى هذا البحث ، لولائهم الأئمة الخلفاء الفاطميين ، كما تطلق كلمة الزيدية على أتباع الإمام زيد بن على رحمة الله عليه .

التاريخ وبلبلتها، وأحيانا إلى تناقض المؤرخين أو الكتاب فى سرد الحوادث . ولا يقتصر هذا على أحوال اليمن فى العصور الحديثة ، بل تبدو الحالة أكثر غموضا إذا كان موضوع البحث يتعلق بالقرون الوسطى والغابرة . وذلك كما نعتقد يرجع لعدة أسباب ، منها : تمزيق البلاد إلى دويلات صغيرة متنافسة ، وانشغالها بالحروب المتتالية ، ثم انهيارها بهلاك منشئيها وأصحابها ؛ ولأن اليمن لم تتحد تحت راية حكومة قوية مستقلة ، إلا مدة وجيزة من الزمن ، أو فى جزء أو منطقة منها . وقد دأب المؤرخون لهذه الدويلات ، على أن يصوّروا منافسيهم فى الحكم والعقيدة بأبشع صورة ، وكانت المنافسات تأخذ فى تلك العصور صبغة دينية ، وينشأ عن ذلك حزازات ومنافرات ، تؤدى إلى تأليب جماعات المسلمين بعضهم على بعض ، وإلى تمجيد أصحاب المقالات ، ثم إلى كتمان أمورهم وكتبهم ، والتزام التقية والتستر من أن تقع أسرارهم وكتبهم فى أيدى المنافسين الأقوياء . ثم لم تدوّن تواريخ بعض هذه الدويلات، التى عاشت لمدة قصيرة وفى منطقة ضيقة ، وأهمل ذكر أحوالها وأصحابها ، ماعدا أسماءهم وماجاء ضمن الكلام عن بعض الحوادث والحروب ، مثل اليعافر وسلاطين هَمْدان فى صنعاء ، كأنهم لم يكونوا، أوليس لهم أهمية تستدعى ذكراً وافيا ؛ فلذلك نعتقد أن من المناسب أن تدرس حِقبة من تاريخ اليمن، أو دولة من دول هذه البلاد على حدة ، قبل تدوين التاريخ الشامل .

وقد اقتصرنا فى هذا الكتاب على بحث تاريخ الصُّليحيين فى اليمن ، لأننا نعتبر هذا العهد من تاريخ اليمن حلقة مهمة . فإن بلاد اليمن جميعها جبالها وسهولها ، سادت عليها دولة قوية ، امتد نفوذها إلى حضرموت وعدن فى الجنوب ، والحجاز فى الشمال ، وهذا ما لم يحدث فى الجاهلية ولا الإسلام، كما حكاه القاضى عمارة اليمنى . ثم إن هذه الدولة نشأت نتيجة لتيارات قوية كانت تسود فى العالم الإسلامى خلال تلك القرون ، واستطاعت أن تكتسح من أمامها كل الدويلات القائمة فى اليمن . وبطبيعة الحال يجب أن نذكر ببعض التفصيل تاريخ الحوادث التى أدت إلى ظهور الملك على بن محمد الصُّليحى فى أفق اليمن، وتاريخ الدولة الفاطمية الأولى التى أنشأها منصور اليمن ، والحركة الفاطمية التى مهدت سبيله إلى الحكم ، وأن نذكر أيضا

تاريخ المنظمة التى أوجدها الصليحى ومن بعده السيدة الملكة الحرة الصليحية أروى بنت أحمد ، والتى احتفظت بثروة عظيمة فى الأدب الفاطمىّ ، والتى بقيت إلى يومنا هذا فى اليمن وفى غير اليمن ، بعد انقراض الدولة الصليحية . وقد وقفنا عن تسجيل تاريخ الدعوة عند ظهور دولة آل رسول ، لأن منظمة الدعوة دخلت فى مرحلة جديدة فى علاقاتها بهذه الدولة اليمنية العظيمة ، وتأييدها وتعضيدها . ونرجو أن تظهر عاجلا أو آجلا دراسة تاريخ المنظمة وفروعها إلى أيامنا هذه .

وقد اعتمدنا فى هذا البحث على مؤلفات الداعى إدريس عماد الدين القرشىّ المتوفى سنة ٨٧٢ . وقد ورد ذكر كثير من الأحداث التى صاحبت هذه الحركة فى الأجزاء الخامس والسادس والسابع من كتاب عيون الأخبار[١] ، وفى الجزء الأول والثانى من كتاب نزهة الأفكار[٢] . وهذا الكتاب هو الوحيد الذى يبين بصورة واضحة تاريخ الدعوة الفاطمية فى اليمن متصلا من أيام منصور اليمن

---

(١) والجزء الخامس يصف الحوادث التى أدت إلى قيام الخلافة الفاطمية فى شمال إفريقية وينتهى حتى آخر حكم المنصور بالله . والسادس يعطينا فيه المؤلف صورة واضحة عن حكم الخلفاء : المعز لدين الله ، والعزيز بالله ، والحاكم بأمر الله ، والظاهر لإعزاز دين الله ، والمستنصر بالله . والسابع يصف لنا حكم المستنصر بالله وقيام الدولة الصليحية باليمن على يدى على بن محمد الصليحى ، كما يصف لنا حكم الملكة العظيمة أروى بنت أحمد فى بلاد اليمن ، ويصف كذلك حكم الخليفة المستعلى بالله وقيام النزارية وحكم الخليفة الآمر بالله ووصيته بأن يتولى الأمامة من بعده ابنه الطيب وقيام الدعوة له فى اليمن تحت رياسة الداعى المطلق الذؤيب بن موسى الوادعى . وهذا الكتاب مهم جدا بالنسبة لبحثنا ، فهو الأساس الذى اعتمدنا عليه وبه اهتدينا . ونظن أن إدريس بدأ فى تأليفه بعد أن انتهى من تأليف كتاب زهر المعانى (انتهى منه سنة ٨٣٨) وكذلك انتهى من كتاب العيون قبل أن يبدأ فى تأليف كتاب النزهة . ورد ذكر الكتاب فى الفهرست للشيخ إسماعيل ص ٩٦ — ١٠٤ ؛ موجود فى م . م . هـ .

(٢) فهرست إسماعيل ص ١٠٤ — ١٠٥ ؛ موجود فى م . هـ . يبدأ الكتاب بمقال عن الدور الذى لعبه الهمدانيون فى الحركة العلوية ببلاد اليمن من أيام على بن أبى طالب . ويقرر إدريس فيه أن الدعوة العلوية لم تتلاش نهائيا من بلاد اليمن . فى الجزء الأول ذكر إدريس الحوادث من أيام قيام الدعوة على يد الداعى الذؤيب بن موسى ، حتى أيام جده عبد الله . وفى الجزء الثانى استمر فى ذكر الحوادث التى جاءت فى الشطر الأخير من حياة الداعى عبد الله . وقد ساق الحوادث فيه حتى سنة ٨٩٣ .

حتى أيام إدريس عماد الدين ، وهما من مؤلفات إدريس[١] . ولذلك جعلنا مؤلفاته أساسا لبحثنا ، واعتمدنا عليها كثيرا على الرغم من تأخره ، إلا أن معلوماته كانت مستقاة من روايات منقولة ومن اتصالاته الشخصية بالرواة ، ومن أصول معاصرة لعهد الصليحيين وما سبقه من العهود فى تاريخ الدعوة فى اليمن . ولا غرو ، فإن المؤلف كان وارثا لتقاليد الدعوة من عدة قرون ، محتفظا بكتبها ، وإن كانت كتاباته لا تخلو فى بعض الأحيان من المحاباة والتحيز ، ومن الحب المفرط والكراهية الشديدة ، مما يترتب عليه أحيانا طمس الحقيقة ، وتحريف الوقائع ، وحذف بعض الحوادث . وقد تبينا هذا من مقارنتنا لبعض الأحداث التى ورد ذكرها فى المصادر الأخرى . وعلى الرغم من ميوله السياسية أو الدينية ، يرى الباحث أن المؤلف ألمَّ إلماماً كبيرا بتاريخ الدعوة اليمنية ، وكانت له معرفة واسعة بحوادثها وتواريخها . ولعل ذلك يرجع إلى ظروفه التى مكنته من الاطلاع على كثير من الروايات المنقولة إليه ، والوثائق المحفوظة بجبال حراز المنيعة المحروسة . ولا يقتصر حكمنا على مؤلفات إدريس عماد الدين على مجرَّد قيمتها التاريخية ، بل يزيدنا تقدير لها أنه كان الوحيد الذى أرَّخ لهذه الهيئة تأريخا مبنيا على مشاهداته الخاصة ، واشتراكه الفعلى فى حوادث أيامه ، كما كان له ولأسرته وأسلافه قسط كبير فى حفظ كيان الدعوة وصياغة تاريخها .

ويمكننا أن نعتبر الجزء الأول من كتاب افتتاح الدعوة الزاهرة[٢] تأليف القاضى النعمان المتوفى سنة ٣٦٣ قاضى قضاة مصر أيام المعز لدين الله مرجعا مفيدا

---

(١) وله أيضا كتاب روضة الأخبار ، وهو يختلف فى الاسم عن نزهة الأفكار . إلا أنه تكملة له فى حوادثه . فهو يبدأ من سنة ٨٥٤ ويستمر فى ذكر الحوادث حتى سنة ٨٧٠ . ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع لتاريخ اليمن تحت حكم الطاهريين ، لأن إدريس كان حليفا لهم . والكتاب أيضا مصدر هام لتاريخ حياة إدريس ، والدور الذى لعبه كرئيس للدعوة الطيبية فى بلاد اليمن . ومنه مخطوط مؤرخ بتاريخ سنة ٩٩١ محفوظ بمكتبة جامعة ليدن ، ومنه صورة شمسية بمكتبة حسين الهمدانى .

(٢) فهرست إسماعيل ٨٦ ؛ م. م. ه .

لأنه أعطانا صورة للاحداث والظروف التى أدت إلى وصول أبى القاسم منصور اليمن سنة ٢٦٨ وإنشاء دولة موالية لبنى فاطمة فى بلاد اليمن .

وتعتبر مجموعة السجلات المستنصرية[١] من أهم المصادر وأثمن الوثائق لثبت تاريخ الدولة الصليحية ، وعلاقاتها بالخلافة الفاطمية بمصر . وقد وجدنا هذه المجموعة من الرسائل التى وجهها الخليفة المستنصر بالله إلى السلاطين الصليحيين باليمن . وقد حفظها أهل الدعوة فى حراز مركز الدعوة باليمن طوال هذه القرون ، كما حفظوا كثيرا من التراث العلمى الفاطمى ، الذى ضاع بمرور الزمن ، أو أباده أعداؤها فى مصر وغيرها من البلاد .

وكذلك وجدنا نسخة خطية من مجموعة أخرى من الوثائق المعاصرة ، وهى مجموعة الرسائل[٢] للشاعر المنشئ الحسين بن على القِمّى اليمانى ، رئيس ديوان الإنشاء فى عهد الصليحيين . وبعض هذه الرسائل كتبها القمى بلسان السلاطين الصليحيين موجّهة إلى الفاطميين بمصر . وقد استطعنا بفضل هذه الوثائق أن نقرر مصير الأمور وتواريخ بعض الحوادث التى اختلفت فيها المصادر تقريرا نهائيا .

وكذلك رجعنا إلى عدة مصادر تاريخية منها المخطوط ومنها المطبوع فى هذا البحث ، ونحن نذكر أهم هذه المصادر التى أخذنا عنها فى دراسة موضوعنا .

ولا ريب أن كتاب السلوك الذى ألفه أبو عبد الله بهاء الدين بن يوسف بن يعقوب المعروف بالبهاء الجَنَدى المتوفى سنة ٧٣٢ يتضمن معلومات مفيدة عن الفترة التى أعقبت وفاة منصور اليمن مباشرة .

---

(١) مخطوط هذه الرسائل محفوظ الآن بمكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بلندن . انظر مقال حسين الهمدانى فى B . S . O . S . 1934 . وقد نشر أخيرا صديقنا الفاضل الدكتور عبد المنعم ماجد « السجلات المستنصرية » من النسخة المحفوظة بلندن المشار إليها ، وبذلك قدم خدمة جليلة للعلم والتاريخ . وقد نقلنا فى الملاحق السجلات التى أوردها إدريس عماد الدين فى الجزء السادس والسابع من كتاب عيون الأخبار ، والتى لم ترد فى مجموعة السجلات لأنها تكملة لما ورد فى المجموعة . ومن المؤسف أن المخطوط المحفوظ بلندن حديث العهد ومليء بالأخطاء كما أشار إليه المحقق . فنرجو أن نهتدى إلى نسخ أخرى فى اليمن ، وبالخصوص فى مكتبات حراز ، حتى نستطيع أن نقارن بين هذه المخطوطات ، وأن نكملها بالسجلات التى وردت فى العيون .

(٢) وقد اعتمدنا على نسخة خطية منها بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

ويعتبر كتاب تاريخ اليمن للفقيه الشاعر نجم الدين عمارة بن أبى الحسن على الحكمى اليمنى المشهور بعمارة اليمنى، المتوفى سنة ٥٦٩ ، من أقدم المراجع لتاريخ الصليحيين وأهمها وأكثرها فائدة . وعمارة كما هو واضح من الجزء السابع من كتاب عيون الأخبار مرجع هام اعتمد عليه إدريس عماد الدين[١] فى سرد الحوادث عن الصليحيين . وقد نشر كاى (Henry C. Kay) كتابى عمارة والجندى يليهما كتاب العبر لابن خلدون . واستفدنا من مجموعة الكتب هذه ومن تعليقات كاى وتحقيقاته الثمينة .

ويلاحظ أن كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للفقيه محمد بن مالك الحمادى اليمانى المتوفى فى أواسط القرن الخامس الهجرى — بالرغم من أنه أعلن الحرب على الصليحيين ، وتعصّب تعصبا دينيا شديدا — من المراجع المعاصرة التى اعتمدنا عليها فى تحقيق بعض الحوادث ، وبخاصة عند كلامنا عن حالة بلاد اليمن قبيل الصليحيين من الناحية الدينية ، كما أشرنا إليه فى بيان قيام على بن محمد الصليحى بثورته فى جبل مسار سنة ٤٣٩ .

وكذلك استفدنا من كتاب أنباء الزمن فى أخبار اليمن ليحيى بن الحسين ابن القاسم، المتوفى فى الشطر الأول من القرن الحادى عشر ، فى ثبت بعض الحوادث إلا أنه يظهر كان، كابن الديبع الزبيدى المتوفى سنة ٩٤٤ فى كتابيه قرة العيون وبغية المستفيد ، يعتمد على ما سجله عمارة اليمنى .

ولا يفوتنا أن نذكر أن لكتاب الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها فى الإسلام لأبى الحسن على بن الحسن الخزرجى المتوفى سنة ٨١٢ أهمية خاصة فى بحثنا ، فقد جاء فى الباب الثامن منه بعض المعلومات التى تؤيد تفاصيل أوردناها فى معالجة موضوعنا .

وكانت هذه الكتب بمثابة أضواء تنير لنا طريق البحث عن تاريخ الدولة

---

(١) ومن المصادر التى أخذ عنها إدريس وذكرها فى السبع السابع من العيون : كتاب المفيد لجياش ، وسيرة المكرم، وملوك اليمن لعمارة اليمنى ، وكنز الأخبار للشريف إدريس عماد الدين، والدول المنقطعة . راجع أيضاً كاى المقدمة ١٢ .

الصليحية والدعوة الفاطمية باليمن ، واستفدنا أيضا من كتب أخرى نوردها فى آخر الكتاب ، ونشير إليها عند الضرورة فى مواضعها .

ونضع أمامك أيها القارىء هذا الكتاب، لتعرف شيئا عن تاريخ الدولة الصليحية، وكانت من ألمع الدول فى تاريخ اليمن ، وعن منظمة الدعوة التى أنشأها الصليحيون ، وعن الثروة العلمية التى تركتها هذه الدعوة ، لأننا نرى أن الصليحيين وأهل الدعوة اليمنيين مظلومون فى سفر التاريخ . وإذا كان هذا الظلم أوجدته الخلافات المذهبية فى عصور كان المؤرّخون يعملون غالبا لما يرضى نزواتهم وميولهم حينئذ ، فإننا نرى ونحن فى القرن العشرين أنه من الواجب أن نميط اللثام عن حقيقة هذه الحركة ، وأن ندرس تاريخها كما يُدرّس تاريخ الحركات التقدّمية الأخرى ، التى قامت بها المعتزلة والمتصوّفة إن صحّ لنا هذا التعبير .

وإذا كنا قد اعتبرنا أن التاريخ فيه دروس تعلمنا محاسن الشعوب ومساويها ، وأن نحتفظ بالثمين منها ، ونترك الغثّ ، وإذا كنا قد رأينا أن هذه الخلافات المذهبية قد أدّت إلى تأخر شعب من الشعوب وعاقته عن التقدّم ، بل رجعت به القهقرى ، فجلعته متخلفا عن غيره ، أليس من العقل أن ينسى هذا الشعب تلك الأحقاد ، وأن يترك الدين للديّان ، ويعمل الجميع على تدعيم الوحدة القومية فى البلاد ، ويعيشوا متكافئين لرفع شأن الأوطان والمجتمع ؟ وإنك أيها القارىء سترى فى هذا الكتاب أن اليمنيين عاشوا طوال هذه القرون فى حروب أهلية مضنية ، سبّبتها الخلافات المذهبية أو القبلية ، التى لم تكسب البلاد منها إلا الغرم والخراب والتقهقر والانحطاط . فتخلفت اليمن تبعا لذلك عن ركب الحضارة ، واضطر أولو الدعوة الفاطمية التى نحن بصدد الكلام عنها فى هذا الكتاب أن يعتصموا بالمعاقل والحصون والجبال للدفاع عن كيانهم وبقائهم . وكان أهل الدعوة يلاقون أشد المعارضة وأنكد الاضطهاد ، وكانت أملاكهم وأموالهم تنهب ، ودماؤهم تسفك ، ومنازلهم ومساجدهم ومقابرهم تهدم ، وخزائن كتبهم تسلب ، وأولادهم وأفلاذ أكبادهم ترهن ، وحرماتهم تهتك ؛ فضعف أمرهم ، وافترقت كلمتهم ، واغتربت جماعات منهم عن الأوطان اليمنية . وكان هذا الكفاح مريرا شاقا ، أدّى إلى

ضياع الكثير من المواهب الظاهرة والمكتومة من الشعب .

وخدمة للوطن ، وحرصا على مصالح المواطنين ، وتمشياً مع الصالح العام ، يجب أن يسدل الستار قوياً على الماضى بآلامه ، وتنسى الحزازات الفردية والطائفية والإقليمية ، لأننا فى عصور تتقدم بسرعة ، ولا يكون هذا التقدم محققاً لشعب من الشعوب إلا إذا تعاضد كل المواطنين فى بناء صرح هذا الوطن ، وفى رفع شأن الأمة اليمنية .

وهذا الكتاب هو نتيجة دراسات لسنين طويلة قدمناه للقرّاء لما فيه من الفائدة . فإذا وجدوا فيه شيئا من الخير ، فهذا يرجع إلى ما بأيدينا من المراجع . وإذا كان فيه شىء من الخطأ ، فمرجعه إلى قصورنا وقلة بضاعتنا وقصر باعنا .

لايتناول هذا البحث عقائد الدعوة الفاطمية ، بل هو مجرّد محاولة لتسجيل الحوادث التاريخية من الناحية السياسية ، غير أن الدعوة قبل أن تصبح دولة فى اليمن كانت منظمة دينية أساسها وهدفها العقيدة . فلذلك اضطررنا أن نتحدث عن نشاط الدعاة فى مضمار العقيدة والدين . وقد عالج بعض العلماء المعاصرين موضوع العقائد بنشر نصوص كتب المؤلفين الفاطميين ، ونخصّ بالذكر ما قام به الأستاذان محمد كامل حسين والمستشرق شتروطمان بمجهود مشكور فى هذا الصدد .

وإننا راعينا أن نتبع الطريقة التاريخية بدون تحيّز إلى أى فئة كانت على عهد الصليحيين باليمن ، وإن كان قد يضطرنا الحال إلى نقل عبارات بعض المؤلفين بنصها ، وقد لا نخلو من بعض التحامل بطبيعة الميول والنزعات الدينية والسياسية فى تلك الأزمان . فنرجو من القارىء ألاّ يفهم أن ذلك كان بدافع من الميل إلى مذهب دينى أو سياسى ، وقد لاحظنا تجنّب ما فيه ذلك حسب الطاقة ، حرصا على جمع كلمة اليمنيين .

وإننا نعتبر أن هذا البحث لايخلو من الجفاف ، ومن سرد الحوادث ، وذكر الأسماء مجردا عن التحليل والتعليق . وذلك يرجع أحيانا إلى عدم توافر المصادر ، وأحيانا إلى عدم وجود الأبحاث السابقة ، أو القضايا المسلّمة ، وأحيانا إلى حرصنا

على ألاَّ يتكلم إلا المصدر وحده بدون تعليق . ونكون لكم أيها القرّاء من الشاكرين لو تفضّلتم بإفادتنا عمّا عنّ لكم من نقد بنائىّ لهذا الكتاب .

وبعد ، فإننا نرجو أن ننوّه هنا عن بحث أخينا الفاضل الدكتور حسن سليمان محمود الجهنى ، الذى تقدم به لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة القاهرة ، فى موضوع تاريخ الصليحيين وعلاقاتهم بمصر . وقد ضمن هذا الكتاب معظم ما ورد فى البحث من تحقيقاته ونظرياته الثمينة . وقد خدم زميلنا وصديقنا الدكتور حسن سليمان محمود بذلك ناحية مجهولة من تاريخ العلاقات فى القرن الخامس فى عهدى الصليحيين والفاطميين خدمة بارعة . وإننا نرى لزاماً علينا أن نشير إلى قسطه الوافر فى هذا البحث ، بفضل اهتمامه ونشاطه وتفانيه فى خدمة تاريخ مصر واليمن .

وقد استقينا معلومات كثيرة من رسالة ولدنا العليم عباس الهمدانى ، التى قدمها لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة لندن ، كما هو واضح فى هذا الكتاب ، تستحق منّا أن نذكر تقديرنا وشكرنا على تحقيقاته وإن اختلفنا معه فى بعض آرائه .

هذا . ونرجو أن نقدم هاهنا وافر شكرنا إلى جميع الذين يرجع إليهم الفضل فى مساعدتنا على إخراج هذا الكتاب ، ونخص بالذكر منهم السيد على المؤيد وزير اليمن السابق بمصر ، الذى تفضل بقراءة أصول الكتاب ، وزوّدنا بمعلومات مفيدة عن الحوادث التاريخية ، وتحديد بعض الأماكن والبلدان باليمن ، كما نقدم خالص شكرنا للاستاذ العلام مصطفى السقا ، الذى تفضل مشكورا بإبداء ملاحظاته اللغوية والنحوية عند قراءة ملازم الطبع وتصحيحها .

وقد طلبنا من الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين مقالا وافياً ضافياً عن « عقائد الدعوة الفاطمية » ، وقد تفضل بموافاتنا بآرائه الثمينة عن عقائد الدعوة ، وبعض المسائل التاريخية ، وقد ذكرناها فى مواضعها المناسبة من الكتاب . فله منا جزيل شكرنا .

ونحن لا نستطيع أن نوفي الأستاذ المنعام المفضال عمر الدسوقيّ واجب شكرنا ، لاحتضانه هذا الكتاب فى مطبعة الرسالة العامرة ، حتى ظهر بهذا المظهر .

وفى أثناء استعدادنا لتقديم أصول الكتاب إلى المطبعة ، زار القاهرة المعزّية ، شيخنا العلامة القاضى محمد الحجْرىّ ، وقد عرضنا عليه أصول هذا الكتاب ، فأبدى لنا بعض الملاحظات الثمينة ، وساعدنا فى تحقيق كثير من المواضع والأماكن التى وردت فى هذا البحث ، فنشكره لتفضله بإعارتنا بعض وقته خدمة للعلم .

ونشكر أيضا جميع الإخوان الذين ساعدونا بإعارة كتبهم وملاحظاتهم العلمية فى حلّ المشكلات التى اعترتنا من حين إلى حين فى هذا البحث .

وفقنا الله لخدمة العلم والتاريخ ، والله ولى التوفيق ؟

المعهد الهمدانى للدراسات الإسلامية
القاهرة فى ١ أغسطس ١٩٥٥

حسين الهمدانى

البَابُ الأوَل

حركة الشيعة فى اليمن قبل ظهور منصور اليمن

نشاط اليمنيين الأحرار فى العصر الأول

أثبت التاريخ أن اليمنيين ، سواء أكانوا فى داخل وطنهم أم فى خارجه ، هم مثال للنشاط والإخلاص . ولهذا لما ظهر الإسلام قبلوا دعوته ، وآمنوا به عن صدق وإيمان ، وأصبح فى قلوبهم عقيدة راسخة ثابتة متصلبة ، فتكيَّفوا بكيفيته ، وتلوَّنوا بلونه . فذهبوا ينشرونه فى مشارق الأرض ومغاربها ، حتى قامت بمساهمتهم أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ .

ويعتبر ماحدث فى أيام الخليفة عثمان من أهم الأحداث التى فرقت بين المسلمين ، وقسمتهم إلى معسكرات . وكان من الطبيعىّ ـ بعد أن آثر اليمنيون الإسلام على أنفسهم ووطنهم ، وتناسوا معه العصبية الجاهلية ـ أن يشتركوا فى تلك الأحداث ، وأن تجترفهم التيّارات المتضادة ، وتنحرف بهم أعاصير السياسة ، فذهب من ذهب منهم مع الإمام على ، وهم الكثير ، وانضم منهم فريق آخر إلى معاوية ، وتعصَّب كل فريق لصاحبه .

ظل الأمر كذلك فى داخل اليمن . ثم لم نعرف بعدُ على وجه الصحة أنهم ، أى اليمنيين ، كانوا يؤمنون بمذهب معين ، أو ينتمون إلى نِحْلة قائمة . وربما كان السبب فى ذلك ، النزعة اليمنية ، التى تدعو دائما إلى حرية الرأى واستقلال الفكر . ونرى أن هذا الأمر دام إلى القرن الثالث والرابع ، برغم دخول الحركات الشيعية والسنّية وانتشارها واستقرارها فى اليمن . فقد ثبت أن سلاطين آل حاتم الهمدانيين وملوك آل يعفر ، بقُوا أحرارا ، غير مقيدين بمذهب من المذاهب . ويعتبر أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى صاحب الإكليل ، ونَشْوان الحميرى من الأمثلة البارزة للدلالة على ذلك .

لقب الشيعة

فقد تغلغلت المذاهب فى اليمن ، ورسخت أقدامها ، وبخاصة الحركات الشيعية . فما الأسباب التى أدّت إلى رواج هـذه الفـكرة ؟ وما العوامل التى ساعدت على نموّها وانتشارها ؟

سنحاول أن نعالج هذا الموضوع ونجيب عن هذا السؤال فيما يلى :

بدأ أنصار على بن أبى طالب يتكوّنون فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم من شيعته ومحبيه . والشيعة ، كما قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازىّ[١] : « هو لقب لقوم كانوا قد ألِفُوا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلّم وعُرِفوا به، وهم : سلمان الفارسىّ ، وأبو ذر الغِفَارىّ ، والمقداد بن الأسود ، وعمّار بن ياسر وغيرهم ، وكان يقال لهم شيعة على . وقال فيهم النبى صلى الله عليه وسلّم : الجنّة تشتاق إلى أربعة : سلمان ، وأبى ذر ، والمقداد ، وعمّار » . وقال نشوان الحميرىّ :[٢] وإنما سمّيت الشيعة شيعة لمشايعتهم علىّ بن أبى طالب .

سفارة الإمام على إلى اليمن

ومن ذلك نرى أنّ عليًا كان له مريدون ومحبّون من الصحابة فى عهد الرسول صلعم . ولم يقتصر وجود هؤلاء على المدينة وحدها ، بل أخذ عددهم يزداد كلّما اتسعت رقعة الإسلام ، وزاد عدد المسلمين وبخاصة فى بلاد اليمن ، لأنها حظيت بإرسال علىّ إليها فى عهد الرسول . وزار أمير المؤمنين عليه السلام اليمن ثلاث مرات ، وفى المرة الأخيرة وصل إلى عدن أبْيَن . وذكر ابن هشام[٣] أنه صلعم قد بعث سنة تسع (عام الوفود) بعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى أهل نجران ، ليجمع صدقتهم ، ويقدم عليهم بجزية . وقال ابن كثير مامعناه إن

---

(١) كتاب الزينة ٢١٩ .

(٢) حور ١٧٨ .

(٣) ابن هشام : سيرة ٩٦٥ .

النبي صلعم أرسل عليًا إلى اليمن قبل حجة الوداع - أي في نهاية سنة ١٠ . فقدم عليّ إلى صنعاء ، وصلى برجالها ، وجمع قبائل همدان ، وقرأ عليهم كتاب النبي صلعم ، فأسلمت همدان جميعها في يوم واحد . ولما وصل الخبر إلى النبي صلعم خرّ ساجدا ، ثم رفع رأسه فقال : «السلام على همدان ، السلام على همدان» . وقال عليّ في ذلك : بعثني رسول الله صلعم وأنا حديث السنّ ، فقلت : تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء . قال صلعم : إن الله سيهدي لسانك ، ويثبّت قدمك . قال عليّ : فما شككت في قضاء بين اثنين[١] . وقبل أن يعود على من اليمن عمّر مسجدا بصنعاء عرف باسمه[٢] . وذكر ابن الدّيبع[٣] أن عليا دخل عدن أبين ، وخطب على منبرها خطبة بليغة ، وذلك قبل رجوعه إلى المدينة .

ومما لا شك فيه أن هذه الاتصالات الشخصية باليمن قد تركت أثرا في نفوس الناس هناك . ذلك الأثر هو حبّ عليّ وآل بيت النبيّ ؛ بقي هذا الحب يزداد مابقيت الأيام ، حتى إن الإمام الفاطمي المستور الحسين بن أحمد[٤] ، حين أرسل أبا القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفيّ[٥] داعيا إلى اليمن ، أمره أن ينزل عدن لاعة ، لأن بها بعض من يدين بدعوته ، ولأن الله عزّ وجلّ

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٥ / ١٠٤ — ١٠٥ .

(٢) أنباء / دار ٨ .

(٣) قرة ٥ . لم نعثر على هذه الرواية في المصادر التي تحت أيدينا .

(٤) أبو المهدي عبد الله بن الحسين ، ويدعى الحسين المقتدى أحيانا (إدريس : زهر المعاني ٦٣) وهو الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وقد اختلفت المصادر اختلافا شديداً في أسماء أجداد المهدي عبد الله . وذلك يرجع إلى الستار الذي فرضه الأئمة المستورون على أنفسهم وإلى اختيارهم أسماء غير أسمائهم الحقيقية كما رواه الشيخ جعفر ابن منصور اليمن في كتابه المسمى بالفرائض وحدود الدين (انظر الباب التاسع في فصل عن مؤلفات جعفر بن منصور اليمن) .

(٥) كذا ورد اسمه في افتتاح (٣ — ٤) . وفي الحور ١٩٧ جاء : أبو القاسم أبو الحسن ابن أفرج بن حوشب بن زادان الكوفي . واشتهر باسم منصور اليمن ، بعد أن فتح هو وعلي بن الفضل الجيشاني اليمن .

قسم لليمانية ألاّ يتم أمر فى هذه الشريعة إلا بنصرهم[١]، فوصل إليها حيث وجد كثيرين ممن يدينون بالولاء لعلى وآل بيته[٢] .

كثر عدد المحبين لعلىّ فى اليمن بعد هـذه الزيارة . وأخذ هؤلاء يعملون على اكتساب الأنصار المحبين لعلىّ ويرون أن عليا وحده أهل للخلافة ، وأولى الناس بمقام رسول الله بعده ، وأحقهم بالإمامة والقيام بالأمر فى أمتـه[٣] ، وأن الخلفاء الذين سبقوه قد انتزعوا حق الإمامة منه . ويدل امتناع بعض الصحابة عن مبايعة أبى بكر بالخلافة[٤] على أنّ الأمة قد آذنت بالانقسام إلى معسكرين من المسلمين ، ولـكن السياسة الرشيدة التى نهجها أبو بكر وعمر قد ساعدت على كبح جماح هذا الانقسام إلى حدٍّ كبير ، إلا أن التشيُّع ظلّ منتشرا فى بلاد اليمن وغيرها ، وتجلّت مظاهره فيها فى مواقف كثيرة .

رحلة ابن سبأ إلى مصر والفتنة الكبرى

فلمّا رحل عبد الله بن سبأ الصنعانى[٥] إلى مصر بعد أن طاف بالـكوفة والبصرة والشام ، التف حوله المسلمون هناك ، لأنه حمل على سياسة الخليفة عثمان التى كانت مثاراً للسخط فى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت ، ونادى بحب على لأنه أولى من غيره بالخلافة ؛ فانضم إليه فى مصر عدد كبير ، كان فى مقدمتهم محمد بن أبى بكر ، وقد ساعد انضمامه على نجاح ابن سبأ فى دعوته لعلىّ بن أبى طالب .

ولا نـكون مخطئين إذا قلنـا إن سبب رواج دعوة ابن سبأ فى مصر يرجع إلى وجود عدد كبير من اليمنيين ، الذين جاءوا مصر من أيّام الفتح الإسلامى واستقرّوا فيها[٦] . وأنّ هؤلاء اليمنيين كانوا ممن يحبون عليّا وآل بيته .

---

(١) جزء ١٩٨ . (٢) انظر الباب الثانى من هذا الـكتاب (٣) جزء ١٥٤ .

(٤) كالعباس عم النبى وطلحة والزبير الذين اتحدوا مع على بن أبى طالب .

(٥) كان هذا يهوديا من أهل صنعاء ، دخل فى الإسلام فى سنة ٢٩ فى خلافة عثمان ، وكان من أقوى العوامل لإثارة الناس على عثمان (طبرى ١ / ٢٨٥٩) .

(٦) كان معظم جيش الفتح الذى اعتمد عليه عمرو بن العاص فى فتح مصر من اليمنيين . فكان فيه جند من عك وغافق (ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٥٦) ثم لحق بهم جماعة من =

ومما يدل على مبلغ تحمّسهم لدعوته أن الخليفة عثمان عند ما أرسل عمّار بن ياسر (١) إلى مصر، ليصلح بينه وبين محمد بن أبي حُذيفة، استطاع الثائرون على عثمان استمالة عمار إلى رأيهم . وإنّ انضمام هذا الصحابيّ الجليل إلى صفوف الناقمين على عثمان ليدلّ على مبلغ السخط الذى أثارته سياسة الضعف التى سار عليها هذا الخليفة .

من هذا نرى أن ابن سبأ قد نجح فى خُطّته ، وهى تأليب العالم الإسلامى ضد عثمان . وتنفيذا لهذه الخطة كاتب ابن أبى حذيفة أهل البصرة والكوفة ، ودعاهم إلى الذهاب إلى المدينة . وخرج كل وفد فى ستمائة رجل ، حتى وصلوا إلى خارجها . وجاء فى الوفد المصرى من اليمنيين : عبد الرحمن بن عديس العلوىّ ، وكنانة بن بشر التجيبىّ ، وسودان بن أبى رومان الأصبحىّ ، ودرع بن يشكر بن أبرهة . ويقول الكندىّ : إن هؤلاء هم الذين قتلوا عثمان، وبايعوا عليا، وعادوا إلى مصر (٢).

وعلى الرغم من أن اليمنيين ، كما يبدو ، لم يلعبوا دورا إيجابيا فى هذه الفتنة ، إلا أن الحقيقة الملموسة توحى بأن اليمنيين كان لهم القسط الأكبر فيها . فإن العلاقة بين ابن سبأ الصنعانى وبين المجيبين لدعوته فى الأمصار المختلفة ، وبخاصة مصر ، تدل دلالة واضحة على أن اليمنية كانت لهم اليد الفعّالة فى قتل الخليفة عثمان ؛ وذلك بسبب حبهم وولائهم لعلىّ وآل بيته .

لهم وراشد (المصدر نفسه ٥٨) . وأن الذى يرجع إليه الفضل فى اقتحام حصن الفرما هو سميفع بن وعلة السبئى (السيوطى : حسن المحاضرة ١/٧٦) . وأن اليمنيين أبلوا بلاء حسناً عند حصار حصن بابليون (فتوح مصر ٦٢) . ولم ينقطع وصول اليمنية إلى مصر ، بل ظلوا يفدون إليها فى مدة طويلة . ففى خلافة معاوية بن أبى سفيان كان بالإسكندرية سبعة وعشرون ألفاً من العرب الذين كانوا بالشام ، وهم يمنية وبعض الأزد، ثم جاءهم جماعة من لخم (المقريزى : البيان والإعراب ٣٥) وسكن بصعيد مصر جماعة من أولاد ربيعة (نفسه ٤٨) وسكنت جهينة أسيوط وما بعدها (نفسه ٣٦) . (ملخص من محاضرة الدكتور محمد كامل حسين التى ألقاها فى جمعية الاتحاد اليمنى بالقاهرة) .

(١) كان عمار من سبق على أيام الرسول ، وكان من الأربعة الذين بشرهم الرسول بالجنة وكان تقيا ورعا . قال النبى : اقتدوا بالذين من بعدى : أبى بكر وعمر ، واهتدوا بهدى عمار (الإصابة ٤/١٢٢٠) (٢) الكندى : الولاة والقضاة ١٧

جهاد همدان مع الإمام على

ومما ساعد على انتشار التشيّع فى اليمن جهاد همدان مع سيدنا على بن أبى طالب فى حروبه . ويعتبر ما قاله أمير المؤمنين نفسه دليلا واضحا على ذلك . فقد قال أيام صفّين : « يامعشر همدان ! أنتم درعى ورُمحى ، والله لو كنت بوّابا على باب جَنّة لأدخلتكم قبل جميع الناس ، وما نصرتم إلا الله تعالى ، وما أحببتم غيره » . فقال سعيد بن قيس وزياد بن كعب: « أحبنا الله وإياك ، ونصرنا الله وإياك ، وقاتلنا معك من ليس مثلك ، فارم بنا حيث شئت »[١] .

فهذا القول هو من غير شكّ شهادة طيبة من الإمام لهمدان ؛ ولا عجب ، فقد كانوا جُلّ أنصاره وخيرة رجاله الذين ضحّوا بأنفسهم فى سبيل نصرته مدفوعين بعامل حبهم لله وحبهم لعلىّ ، وكرههم للظلم والظالمين . وليس أدل على حب الإمام لهم وحسن تقديره لجهودهم من هذه القصيدة التى مدحهم بها وقد جاء فيها[٢] :

ولما رأيت الخيل تُقرع بالقنا ... فوارسها حمر النحور دوامى

ونادى ابن هند ذا الكلاع ويحْصُب ... وكندة مَعْ لخم وحىّ جذام

تيمّمت همدانَ الذين هُمُ هُمُ ... إذا ناب أمرٌ جُنّتى ورسامى

وناديتُ فيهم دعوة ، فأجابنى ... فوارس من همدان غير لئام

فوارس ليسوا فى الحروب بعزّل ... غداة الوغى من شاكر وشبام

ومن أرحب الشمّ المطاعين بالقنا ... ونَهْمٍ وأحياءِ السَّبيع[٣] ويام

ووادعة الأبطال يخشى مصالها ... بكلّ رقيق الشفرتين حسام

ومن كل حىّ قد أتانى فوارس ... كرام لدى الهيجا وأىّ كرام

جزى الله همدان الجنان فإنهم ... سمام العِدا فى يوم كل سمام

---

(١) نزهة ١/٩ ؛ راجع أيضا إكليل ١٠/٤٦ — ٥٠

(٢) نزهه ١/٩ — ١٠ وهى قصيدة طويلة كلها مدح وتعداد لمآثر همدان وبلائها فى حروب الإمام على .

(٣) قبيلة موجودة إلى الآن فى حاشد .

رجال يحبّو النبيَّ ورهطه ... لهم سالفٌ في الدين غير أثام
هم نصرونا والسيوف كأنها ... حريق تلظّى في هشيم تمام
فلو كنت بوّابا على باب جنّة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

مالك الأشتر النخعي

ويعتبر مالك الأشتر النخعي اليماني[1] من الأمثلة البارزة التي لعبت دورا هامّاً في حروب عليّ وأبلت بلاء حسنا معه في موقعتي الجمل وصفّين . ويدل موقفه من التحكيم على مقدار إخلاصه وتفانيه في الحصول على النصر . فقد قال الأشتر عندما رفع جند معاوية المصاحف ووافق جند العراق على التحكيم :

« يا أهل العراق ! يا أهل الذُّلّ والوهن ! أحين ظنّ القوم أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنّة من أنزلت عليه ، فامهلوني فقد طمعت في النصر ... وأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون أم أنتم الآن محقون ؟ » .

قالوا : « دعنا منهم يا أشتر » . قال : « خُدعتم فانخدعتم » . واستمر يحثهم ، ولكن بدون جدوى[2] .

---

(١) قال ابن حزم (أنساب العرب ٣٨٩) : إبراهيم بن الأشتر واسمه مالك وهو من بني مالك بن النخع بن عامر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ومنهم عمرو بن زرارة النخعي أول من خلع ولاءه لعثمان بالكوفه » . وليس إبراهيم اسمه مالك كما قال ابن حزم ، بل إبراهيم ابن لمالك الأشتر . واشترك إبراهيم بن مالك مع المختار في حروبه وقتل عبيد الله بن زياد .

وقد اعتبر المبرد (الكامل ٢٦٦ — ٢٦٧) النخع من قبائل مضر حينما قال : النخع وتثقيف إخوان من إياد ، وإياد بن نزار بن معد بن عدنان . ونسب المبرد إلى أخت الأشتر أبياتا تبكي فيها أخاها ، وهي :

وبعد الأشتر النخعي ترجو ... مكاثرة وتقطع بطن واد
وتصحب مذحجا بأخاء صدق ... وإن ننسب فنحن ذرى إياد
ثقيف عمنا وأبو أبينا ... وإخوتنا نزار أولو السداد

قال النويري (نهاية الأرب ٣٠٢) مامعناه: النخع بن عمرو القبيلة المشهورة من عمرو ابن علة بن جلد بن مذحج اه . وهذه القبيلة موجودة إلى الآن في أبين شرقي عدن .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٧٣/٢ .

البراء الهمدانى

وقد كان البراء بن وفيد العذرىّ الهمدانىّ[١] من الأمثلة الواضحة التى تدل على حب اليمنيين لإظهار كلمة الحق ، وإغاثة المظلومين والضعفاء . فقد حارب هذا مع معاوية فى موقعة صفّين ، مما يدل على أن بعض اليمنيين قد انضم لمعاوية كما انضم البعض الآخر لعلى[٢] ، ولكن البراء نقم على معاوية منعه للفرات من أصحاب على لما سبق عليه بصفين ، فقام إلى معاوية ، فقال : «سبحان الله العظيم ، حين سبقتموهم إلى الفرات تمنعونهم الماء ، وإن فيهم العبد والأجير والأمة ومن لاذنب له ؛ هذا والله أول الجور ، لقد بصرت المرتاب ، وشجعت الجبان ، وحملت من لايريد قتالك على كتفيك » . فقال معاوية لعمرو بن العاص : «اكفنى صديقك الهمدانى ، لايفسد علىّ عسكرى » . فقام إليه عمرو ، فأغلظ له . فأنشأ البراء يقول :

لعمرُ أبى معاوية بن حرب ... وعمرو ما لأيّهما وفاءُ
سوى طعن يحارُ القِيل فيه ... وضرب حين تَبتاع الدماءُ
فلستُ بتابعٍ دينَ ابن هند ... طوال الدهر ما أرسى حِراء

(١) يقول محب الدين الخطيب : إن البراء هذا ليس له ذكر فى كتب التراجم المتداولة فى أيدى أهل السنة والشيعة ، مع أن ما وصفه به المؤلف (صاحب الإكليل) من الدهاء والزهد ، وما ذكره له من خبر وشعر ، وكونه من قتلى صفين ، كان يقتضى ألا يغفل ذكره فى الكتب المشهورة ولا سيما كتب الشيعة (إكليل ١٠ / ٦٣ هامش(٢)) .

(٢) جاء فى الطبرى (٣/٣٣٠٠) : إن الأشتر زحف يوماً (فى أثناء موقعة صفين) فاستقبله معاوية بعك والأشعريين . فقال الأشتر لمذحج : اكفونا عكا ؛ ووقف فى همدان وقال لكندة : اكفونى الأشعريين . فاقتتلوا اقتتالا كثيرا ، وأخذ يخرج إلى قومه فيقول : إنما هم عك فاحملوا عليهم . فيحثون عن الركب ويرتجزون :

ياويل أم مذحج من عك ... هاتيك أم مذحج تبكى

فنرى اليمنية فى جيشى معاوية وعلى ، مما يدل على أن خلاف على ومعاوية لم يكن مبنيا على العصبية الإقليمية . وكان المسلمون يختارون أحد الفريقين على حسب ميولهم الشخصية أو مبادئهم الدينية . فنجد المضريين والقحطانيين فى كلا المعسكرين بصرف النظر عن يمنيتهم أومضريتهم ، ولكن الأغلبية من اليمانية ، وبالخصوص المتحمسون منهم ، كانوا ينتمون إلى حزب على ، لأسباب سبق أن بيناها . فلا ريب أن اليمن صارت بعد هذا معقلا منيعا للتشيع ، وأرضا خصبة لزرع بذور الحركات الشيعية كما سنرى فيما بعد .

فقد ذهب العتاب ، فلا عتاب وقد ذهب الولاء ، فلا ولاءُ

وقولى فى حوادث كل أمر على عمرو وصاحبه العفاء

ألا لله درُّك يا بن هند لقد ذهب الحياء ، فلا حياء

أتحمون الفرات على رجال وفى أيديهم الأسل الظماء

وفى الأعناق أسياف حداد كأنّ القوم عندكم نساء

أترجو أن يجاوركم علىّ بلا ماء وللأحزاب ماء

ثم وطئ لماجنّه الليل فى متن فرسه ، فلحق بعلى ، فقاتل معه حتى قتل[1].

ونرى أن البراء قد عزّ عليه أن يرى بنى جلدته ، بل وبنى عمومته يشتركون فى تأييد الباطل والظلم والغدر ، فدفعته الحمية أن يلتحق بعلى .

سعيد بن قيس الهمدانى

وكان سعيد بن قيس[2] خاصّا[3] بعلى بن أبى طالب وصاحب همدان بالعراق ، وهو أحد فُرسان العرب المعدودين ، وأحد الدهاة الخمسة وهم : معاوية وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وسعيد بن قيس ، ومن الأجواد والذيابين[4] . وقد كان جالسا يوما عند على بن أبى طالب ؛ فلما أن قام قال على : هذا والله كما قال القائل :

مَن قَوْلُهُ قول ، ومن فعله فعل ، ومن نائله نائل[5]

---

(١) إكليل ١٠/٦٤ — ٦٥

(٢) سعيد بن قيس بن زيد الهمدانى ، ولهم بقية هم السعديون ببيت زود (صفة ١٩٠) من ظاهر همدان ، وقد قال فيه حارثة بن بدر أشعارا كثيرة (إكليل ١٠/٤٦ — ٤٩)

(٣) قال محب الدين الخطيب : هذه الصفة لم يطلقها المسلمون إلا على النبى (ص) وإخوانه من الأنبياء ، ولعلها من عمل المؤلف ليغطى بذلك مايؤاخذه به العدنانيون من الإفراط فى العصبية القحطانية (نفسه ١٠/٤٦ هامش (١))

(٤) نفسه ١٠/٤٦

(٥) نفسه ١٠/٤٦

وسعيد هذا الذى قتل عمر بن الحُصين السَّكُونىّ[١] فى بعض أيام صفين ، كما قتل المشمرح فارس ذى رُعَين[٢] مبارزة ، وفى ذلك يقول شعرا :

لقد فجعت بفارسها السَّكُون ... كما فجعت بفارسها رُعَين

غداة أتى أبا حسن عليّا ... ووسط النقع مِرْداة طحون

فأطعنه وقلت له : خُذَنْها ... مسوّمة يخف لها القطين[٣]

ومآثر همدان كثيرة ومواقفها الحميدة من على وآل بيته عديدة ، أجملها صاحب النزهة فى قوله :

وهم جاهدوا أعداء آل محمّد ... وهم نصروا آل النبىّ الأطائب

وهم نصروا المنصور[٤] فى كل وقعة ... وحاطوا عداه من جميع الجوانب

محنة شيعة علىّ فى ولاية بُسر بن أرطاة

وقبل أن ينتهى النزاع بين على ومعاوية أرسل معاوية من قبله بُسْر بن أرطاة العمرى والياً على اليمن سنة أربعين[٥] ، وسيَّر معه ثلاثة آلاف جندىّ ، وأمره معاوية بأن يقتل شيعة علىّ هناك . فلمَّا كان قريباً من صنعاء ، وعلم به عبيد الله ابن العباس والى الإمام علىّ على بلاد اليمن[٦] ، جمع عبيد الله هذا أهل صنعاء وخطب فيهم وحرَّضهم على القتال . فلمَّا يئس من نصرتهم استخلف عمرو

---

(١) قد تكفل هذا لمعاوية أن يفتك على غرة بعلى . فحين كان على فى شغل بقتال القوم والصولة عليهم حمل السكونى على أمير المؤمنين من خلفه ، ولكن سعيد بن قيس قصم ظهره بالرمح قبل أن يقوم بعمله (نزهة ١/١٠) .

(٢) وكانت ذو رعين اليمنية تحارب مع معاوية فى صفين .

(٣) نزهة ١/١٠ — ١١ .

(٤) يريد بذلك منصور اليمن أبا القاسم (نفس المرجع ١/١١ — ١٢) .

(٥) يقال له بشر أيضا ؛ ذكر صاحب الإكليل ٦٦ أن اسمه بسر .

(٦) كان يعلى بن منبه واليا على صنعاء ، وعبد الله بن ربيعة على الجند ، وذلك فى أيام عثمان . فلما جاء على خلعهما وولى عبيد الله بن العباس على صنعاء وأعمالها ، وسعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى على الجند (الطبرى حوادث سنة ٣٤ ص ٣٠٥٧) .

ابن أبى أراكة الثقفىّ على عمله وسار حتّى بلغ الكوفة يريد عليّا ، وترك ولدين صغيرين له عند أمّ سعيد . فلمّا قدم بسر صنعاء استدعى الولدين فقتلهما ، وقيل ذبحهما بيده ، ثم قتل عمرو بن أبى أراكة ، ثم قتل اثنين وسبعين رجلا كانوا قد تشفّعوا فى الطفلين . وكان قتل هؤلاء جميعا على باب المصرع[١] ، فدفن الولدان حيث قتلا ، وبنى عليهما مسجد ، وهو مشهور هناك باسم مسجد الشهيدين[٢] .

وكان بسر هذا أوّل جبّار دخل صنعاء اليمن فى الإسلام ، فعسف بأهلها وعاث فى الأرض فساداً . ولمّا بلغ أمير المؤمنين عليّا هذا الخبر ، جهز ألفى فارس من الكوفة ، ومثلها من البصرة ، وسيّرها بقيادة حارثة بن قدامة السعدىّ ، وأمره بدخول اليمن ومتابعة بسر حيث كان ومؤاخذته على ما ارتكب من الفساد . ولمّا وصل حارثة اليمن هرب بسر وتفرّق أصحابه ، ولكنّه بعد أن ترك جماعة من أتباعه لزمهم حارثة ونكل بهم ، ثم عاد إلى مكة ، وهناك سمع بوفاة أمير المؤمنين ، فأخذ البيعة من أهل اليمن والحجاز لمن بايع له أصحاب على[٣] .

نستخلص من هذه الحوادث أن الصراع بدأ بالفعل بين المعسكرين من المسلمين : شيعة علىّ وأنصار الأمويّين ، وأخذت ضحايا هذا الصراع تتوالى على حساب المسلمين . وأخذ كل فريق يرى أن الحق بجانبه ، ويستميت فى الدفاع عن عقيدته ، كما نستنتج أن وجود مسجد الشهيدين تحت أنظار أبناء اليمن الموالين لعلىّ يعتبر من العوامل الفعّاله التى ساعدت على تكتلهم وتربصهم بعمّال بنى أميّة كلّما أتيحت لهم الفرصة . ولما تولّى معاوية الخلافة دأب على اتباع سياسة سبّ على وأهل بيته على المنابر ، ممّا أثار حنق الشيعة عليه ، وسبّب ذلك اضطرابات كثيرة فى البلاد الإسلامية ، وبخاصة الكوفة التى أرسل أهلها إلى الحسين بن على يدعونه إليهم ، فأجابهم إلى ذلك[٤] .

---

(١) باب المصرع ذكره الهمدانى فى إكليل ٦٦ ؛ صفة ٢٤٣ .
(٢) أنباء/دار ١٣ .
(٣) أنباء/دار ١٣ .
(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ٣/ ٣ — ٤ .

ثورة التوّابين

وكانت فاجعة كربلاء الأليمة لمقتل الحسين بن علي في عهد يزيد بن معاوية. وكان لمقتله أثر بعيد في إذكاء نار التحمُّس في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم، فصاحوا صيحة واحدة: الأخذ بثأر الحسين! وغدا العداء بين الأمويين والعلويين شديد الخطر. ولم يسكت الشيعة عن دم الحسين، بل تحرّكوا بالكوفة سنة ٦٥ في عهد الخليفة الأموي مروان بن الحكم، وتابوا عن تقصيرهم في حق الحسين، فسُمُّوا التوّابين، وحزموا أمرهم، وقادهم سليمان بن صُرَد لمحاربة عبيد الله ابن زياد، ولكنهم هزموا في موقعة عين الوردة وقتل قائدهم[١].

ثورة المختار وقائده إبراهيم بن مالك الأشتر

وما لبثوا أن انضووا بعد ذلك تحت لواء المختار بن أبي عبيد[٢] الذي طرد عامل الكوفة من قبل ابن الزبير، وأرسل بعد ذلك جيشاً بقيادة إبراهيم ابن مالك الأشتر النخعي لقتال ابن زياد والأخذ بثأر الحسين بعد أن عجز التوّابون عن ذلك. فسار إبراهيم هذا حتى لقي ابن زياد ومن معه من أهل انشام على نهر الخازن[٣]، فدارت الدائرة على ابن زياد، وقتل هو وكثير من أهل الشام.

«فكان بلاؤهم بالمختار وقائده إبراهيم بن الأشتر عدلا لا رحمة فيه ولا نحسب قسوة بالآثمين سلمت من اللوم أو بلغت من العذر ما بلغته قسوة المختار»[٤]. وكان من أثر انتصار ابن الأشتر على ابن زياد أن ازداد تعلق الشيعة بالمختار، والتفّ حوله كثير منهم.

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٤/٧٢ — ٧٩.

(٢) ظهر في ميدان السياسة سنة ٦٦، وتقلب في كثير من الأحزاب، فانضم إلى الشيعة، واستغل ثورة التوابين على بني أمية، واستولى على الكوفة، ونال من بني أمية ولكنه قتل سنة ٦٧ بالقرب من الكوفة (طبري ٢/٦٧١؛ حور ١٨٢).

(٣) هو نهر يصب في الدجلة ما بين الزاب الأعلى والموصل.

(٤) عباس العقاد: أبو الشهداء ١٦٣.

عمر بن عبد العزيز بأمر بمنع سبّ علىّ

ولما تولّى الخلافة عمر بن عبد العزيز سنة تسع وتسعين أقرّ ولاية وهب بن منبّه على بلاد اليمن ، وأمره بالامتناع عن لعن أمير المؤمنين علىّ فى جميع الآفاق[1] ، ووصل الأمر بذلك إلى صنعاء ، فخطب الخطيب بجامعها ، وتلا قوله تعالى : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى الآية ، بدلا عن اللعن ، فقام إليه ابن محفوظ ، وقال : « قطعت السُّنة ، والله لأنهضنّ إلى الشام ، فإن وجدت عمر عازما على قطع السُّنة ، لأضرمنّ عليه الشام ناراً » . فخرج ابن محفوظ من صنعاء ، فلحقه أهلها فى الموضع المسمّى بالمنجل ، فرجموه بالحجارة حتى غمروه وغمروا بغلته ، وهو يرجم بالحجارة إلى الآن[2] .

وإنا نرى من جهة أن عمل الخليفة عمر بن عبد العزيز يدلّ على أنه صادف هوًى فى نفوس أهل اليمن ، فعبروا عن ذلك بقتلهم لابن محفوظ ، ورجموا مكان قتله بالحجارة ، ومن جهة أخرى نرى أن هذا العمل ليس بغريب على هذا الخليفة الذى اشتهر بالصلاح والتقوى . ولاعجب فقد سار عمر سيرة أبيه عبد العزيز فى مصر ، فقد أثر عنه أنّه كان إذا وصل إلى ذكر أمير المؤمنين على عليه السلام تتعتع . فلما قال له ابنه عمر : لِمَ فعلت ذلك ؟ قال : يابنىّ اعلم أن العوامّ لو عرفوا من على بن أبى طالب ما نعرفه نحن لتفرّقوا عنّا إلى ولده . فلما تولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة قطع السبّ وجعل مكانه الآية المذكورة .

استتار الشيعة فى العهد بين الأموى والعباسى

ظلّ التشيّع مستترا فى بلاد اليمن ، واستمر المتشيعون فى ولائهم لعلىّ وبيته مهما وقع من ضغط الولاة من بنى أميّة وبنى العبّاس . وبقيت هذه الطائفة تعمل فى الخفاء والظهور كلّما ساعدتها الظروف طوال هذه المدة .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٢/١٢٦٧ — ١٦٨ .
(٢) الفخرى : الآداب السلطانية ١١٧ .

ومما يدلّ على بقاء هـذه الطائفة فى بعض جهات اليمن وعلى وجه خاص فى منطقة عدن لاعة قول السيّـد الحميرىّ حيث قال[١] للإباضية تعريفا لنفسه :

إن تسأليني بقومى تسألى رجـــلا ... فى ذروة العزّ من أحيـاء ذى يمن
حولى بهـــا ذو كلاع فى منازلها ... وذو رُعَيْن وهمـدان وذو يَزَن
والأزْد أزد عُمانَ الأكرمون إذا ... عُدَّت مآثرهم فى ســـالف الزمن
بانت كريمتهـم عـنّى فدارهُمُ ... دارى ، وفى الرحب من أوطانهم وطنى
لى منزلان بلَحْجٍ منزلٌ وسـط ... منها ، ولى منزل للعزّ فى عدن[٢]
ثم الولاء الذى أرجو النجـاة به ... من كَبَّة النار للهادى أبى الحسن

ولعل انتشار التشيع والمتشيعين سـرّا وعلانية فى بلاد اليمن كان من أهمّ الأسباب التى دعت الإمام المستور الحسين بن أحمد إلى إرسال أبى القاسم منصور اليمن إلى تلك النواحى من اليمن سنة ثمان وستين ومئتين كما سبق أن ذكرنا ، كما كانت من أهمّ الأسباب التى حملت بعض قبائل اليمن إلى دعوة الإمام الهادى[٣] سنة ثمانين ومئتين للوصول إليهم . فى ذلك يقول صاحب الأنباء[٤] : «وأقـرّ له الناس بالطاعة إذ كان خروجه باستدعائهم ، فلبث مـدّة يسيرة حتّى ظهر له منهم الخلاف لأوامره . . . فانقلب راجعاً إلى الحجاز . ولمّـا ارتبكت بلاد اليمن بسبب الفتن والقحط عاد اليمنيون وتضرّعوا له ، فرجع فى صفر سنة ٢٨٤ ؛ وإن سبب رجوعه أن بنى فطيمة من خولان صعدة خرجوا إلى الهادى إلى الرّسّ من أرض الحجاز لاستدعائه للخروج » .

---

(١) الأصبهانى : الأغانى ٨/٧ .
(٢) المقصود هنا عدن لاعة .
(٣) ورد نسبه فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٨ على الوجه الآتى :
يحى بن الحسين بن القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . ويقول نشوان (حور ١٩٦) : ولقبه الهادى إلى الحق ، ولد هذا الإمام سنة ٢٤٥ وتوفى سنة ٢٩٧ ، وكان عالما جليلا وخطب له بمكة سبع سنين ؛ راجع اتعاظ ١٢ .
(٤) أنباء / ماضى ٨ .

وإنا نرى أن سبب رجوعه إلى اليمن بالإضافة إلى ما قاله صاحب الأنباء هو رغبة اليمنيّين فى أن يتولّى أمر دينهم ودنياهم أحد الأئمة من أهل البيت ، ونظن أن الذى شجّعه على قبول دعوة اليمنيين نجاح سفارة منصور اليمن وتأسيسه فى اليمن دولة موالية للأئمة الفاطميين . ولما كان الإمام الهادى ينتمى إلى بيت النبى وجد أهل اليمن فيه كلّ مايرجونه من أمن ، فدعوه إلى بلادهم ، وولّوه عليهم ، فاستقرّ فى صعدة وبقيت سلالته فى اليمن إلى يومنا هذا ؛ كما استطاع منصور اليمن أن يحرز نجاحاً باهرا بفضل دعوته إلى الأئمة من نسل فاطمة الزهراء .

وكذلك بدأت فى أواخر القرن الثالث المنافسة بين الدعوتين الشيعيتين الفاطمية والزيدية اللتين ارتبكتا فى صراع دموىّ بل فى حرب إبادة للقبض على ناصية الحكم طوال القرون التالية ، بالرغم من أنهما كانتا تهدفان إلى تأسيس دولة موالية لأهل بيت النبى .

نجد اليمن مستودع التشيع

من هذا العرض التاريخى الموجز يمكننا أن نقرّر أن نجد اليمن صار حصنا من حصون الشيعة بل مستودعا من مستودعاتها ، لأن أهله برهنوا فى مواقف عديدة على حبهم لعلىّ وبنيه . ويعتبر انتشار التشيّع فى تلك البلاد بالإضافة إلى ضعف الحكام ووَهَن الرِّباط الذى كان يربطها بالعبّاسيين من أهمّ العوامل التى هيّأت الظروف إلى نجاح سفارة الفاطميين فى بلاد اليمن . وهذا ما سنعالجه فى الباب التالى .

الباب الثانى

الدولة الفاطمية الأولى فى عهد منصور اليمن

(٢٦٨ - ٣٠٣)

الحالة السياسية والدينية عند ظهور منصور اليمن

كانت اليمن تابعة للدولة العبّاسية ، وكان الولاة يتعاقبون عليها من قبلهم ، واتخذوا صنعاء حاضرة لهم ، ولكن الأمور فيها لم تكن مستقرّة استقرارا تاما ، لأن السلاطين والأمراء اليمنيين كانوا يتنافسون لتولّى الحكم من قبل خلفاء بنى العباس . كذلك كانت الأمور فى جزيرة العرب بصفة عامة غير مستقرّة بسبب الثورات التى قام بها العلويّون فى بلاد الحجاز واليمن ، وبسبب ظهور القرامطة فى بلاد البحرين وبسط سلطانهم على اليمامة وعمان ، وبسبب نشاط دعاة الفاطميين فى نشر دعوتهم لقلب النظام الموجود فى العالم الإسلامىّ .

وكان لهذه الأحداث أثر غير مرضىٍّ فى الجزيرة بأسرها ، فصارت فى شبه عزلة كما تأخرت ماديا وعلميا . ولم تكن ببلاد اليمن بصفة خاصة وحدة سياسية ، تجمع شمل الولايات التى نهكتها المنافسات الداخلية والاختلافات المذهبية ، تحت لواء واحد ، وتقود الجميع نحو هدف واحد . وكانت الولايات فى هذه البلاد شبه مستقلة عن الدولة العباسية إداريا وسياسيا لضعف الخليفة عن حربها ، ولكنها لم تستطع الاستقلال عنه دينيا ، لأنّ الولاة كانوا لا يستغنون عن بيعة الخليفة

لتثبيت سلطانهم[١]. فكان بنو زياد[٢] فى زبيد ، وبنو يَعفُر[٣] فى صنعاء يعترفون بالسيادة لبنى العباس ؛ ثم دخل بنو يعفر تحت سيادة بنى زياد حيث استمرّ الحكم فى دولتهم ، حتى خلع أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم (٢٨٩ — ٢٩١) طاعة العباسيين ، وحلت فى عهده عوامل الاضطراب التى أدّت إلى عدم الاستقرار وفقدان الوحدة السياسية ، ومن أهمها ظهور الإمام الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم الرسّى سنة ثمانين ومئتين حيث نزل صعدة لنشر دعوة الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، واتّبعه عدد غير قليل من القبائل التى كانت تميل إلى التشيُّع . فصارت الزيدية من يوم ظهوره من أهم العناصر فى حياة اليمنيين . وهكذا أصبح فى بلاد اليمن بعد ظهور منصور اليمن فى سنة ٢٦٨ أربع ولايات ، وهى الدولة الزيادية فى زبيد ، ودولة بنى يعفر فى صنعاء ، ودولة بنى الرسّ فى صعدة ، والدولة الفاطمية تحت قيادتى أبى القاسم منصور اليمن وعلى بن الفضل الجيشانى .

وقد أدّى هذا الاضطراب السياسىّ إلى كثرة النزاع بين الولايات ، بل بين زعماء كل ولاية ، مما زاد الطين بلة ، ومهّد لقيام الدعوة الفاطمية[٤] التى ظهرت فى اليمن سنة ٢٦٨ على يد أبى القاسم (منصور اليمن) وزميله على بن الفضل .

ونتيجة لظهور هذه الدعوة واستيلاء الداعيين فيما بعد على معظم بلاد اليمن ، بالإضافة إلى ما قام به أتباع الأئمة الزيدية من الحروب ، اضطربت الأطراف على أبى الجيش ، وخرج زعماء البلاد كل فى جهته ، ولم يسع أبا الجيش أمام هذه الاضطرابات إلا مهادنتهم واعترافه بما تحت أيديهم خضوعا لسياسة الأمر الواقع .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٩/٢١٣ .

(٢) من ولد عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان ، وقد ولى محمد بن زياد اليمن من قبل الخليفة المأمون العباسى سنة ٢٠٣ (تاريخ ابن المجاور ١/ورقة ٥٢) .

(٣) قامت دولتهم فى اليمن فى آخر عهد المتوكل ، وكان جدهم عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالى نائبا عن جعفر بن سليمان بن على الهاشمى الذى كان والياً للخليفة المعتصم على نجد اليمن ، ولما توفى عبد الرحيم خلفه ابنه يعفر وهو رأس الدولة وباعث استقلالها سنة ٢٤٧ ، واستمر أعقابه فى صنعاء حتى سنة ٢٨٧ وهو من أولاد التبابعة من حمير ، كما حكاه عمارة / كاى ٤ .

(٤) أنباء/دار : ٢ .

ولم يكن بُعْد بلاد اليمن عن بغداد حاضرة الدولة العباسية بأقل أهمية من العوامل السابقة ، لأن جماعات الشيعة كانت تلجأ فى نشر دعوتها ومبادئها إلى الاستتار والبعد بقدر الإمكان عن أعداء الدعوة ، باتخاذ الأقطار البعيدة مزرعة لإنضاج هذه المبادىء . وقد وجد دعاة الفاطميين فى بُعد اليمن عن مركز الخلافة فى بغداد وسيلة لتنفيذ مشروعاتهم ، حتى يمكن القول بأن هذا البعد بالإضافة إلى وعورة الطريق وطبيعة بلاد اليمن الجغرافية المعقّدة ، كانت من أهم الأسباب التى حالت بين خلفاء العباسيين وبين توجيه الجيوش إلى اليمن لانقاذها من دعاة الفاطميين. واكتفى الخلفاء بأن يعهدوا إلى ولاتهم من جهة ، وتكليف زعماء البلاد من جهة أخرى القضاء على هذا التيّار الجارف — تيّار الدعوة الفاطمية . ولكن ضعف الولاة وتنازعهم الدائم مع زعماء البلاد المتنافرين كان من أهم العوامل التى ساعدت على انتشار الدعوة الفاطمية فيها . لهذا حق لابن الفضل اليمانى أن يقول عند ما عرض عليه الإمام الفاطمى الحسين بن أحمد أبو المهدى عبد الله أن يقوم ببثّ الدعوة باليمن : « والله إن الفرصة ممكنة فى اليمن ، وإن الذى تدعون إليه جائز هنا لك ، وناموسنا يمشى عليهم . وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام وقلّة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية »[1] .

فى هذا الجوّ السياسىّ المضطرب وفى هذه البلبلة الدينية ظهر أبو القاسم منصور اليمن فى بلاد اليمن فتمكّن فى فترة وجيزة من أن ينشئ دولة موالية للخليفة الإمام المهدى عبد الله بن الحسين .

سفارة الفاطميين فى بلاد اليمن

كان لدعاة الفاطميين الأقدمين خبرة ودراية باختيار الرجال ، واتخذوا مواعيد الزيارة بالكوفة حيث قبر الإمام الشهيد الحسين بن على وسيلة لبثّ مبادئهم

---

(١) ولعل ما أشار إليه الحامدى فى الكشف ٢٢ بخصوص ضعف الأحلام فى اليمنية على لسان على بن الفضل الجيشانى القحطانى البحت يكون بعيدا عن الصواب مع علمنا بافتخار ابن الفضل بقحطانيته وتعصبه لبنى جلدته .

وعقائدهم ، ودليلا على مقدار إخلاص أهل الدعوة إلى صاحب المقام .

وكان الأئمة والدعاة الأقدمون يبذلون كل جهدهم فى تحويل أكبر عدد من الرجال النافعين للدعوة إلى مبادئهم ، خصوصا من كانوا يلمسون فيهم نبوغاً ، فقد ظفروا بأبى القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفى هناك وهو من ولد عقيل بن أبى طالب ، وكان من أهل بيت علم وتشيُّع ، قرأ القرآن وطلب الحديث والفقه[١] ، وكان يدين بمذهب الإمامية الاثنا عشرية ، وتمكّن الإمام الحسين بن أحمد من تحويله إلى مذهبه ؛ ويقول أبو القاسم : «وكان الإمام يخصّنى ويقرّبنى ويرمز بقرب الأمر ودنوّ العصر »[٢] ، فقال له : « يا أبا القاسم ! البيت يمانى والركن يمانى والدين يمانى والكعبة يمانية ، ولن يقوم هذا الدين ويظهر إلا من قبل اليمن . . يا أبا القاسم ! هل لك فى غُربة فى الله ؟». قلتُ : «يامولاى ! الأمر إليك ، فما أمرتنى به أمتثلته» . قال : «اصبر ، كأنى برجل قد أقبل إلينا من اليمن ، وما لليمن إلا أنت» . فقلتُ : « أستعين بالله على ما يرضيك » .[٣]

من هذا نرى أن أبا القاسم قد أصبح مهيّئاً للأمر الذى أراده الإمام ، وأصبح موضع ثقته ، وأمله الذى يرجوه ، ونرى أيضاً أن الإمام كان على علم بوصول علىّ بن الفضل الجدنى الخنفرى الجيشانى[٤] ، بطريق رئيس الدعوة فى اليمن من قبل هذا الإمام ، فى الوقت الذى كان فيه ابن الفضل لا يعرف شيئا عن الإمام المستور حسين ابن احمد ولا عن دعوته .

وصل على بن الفضل إلى الكوفة سنة سبع وستين ومئتين بعد أن أدّى

---

(١) افتتاح ٣ . وينسب إليه رسالة الرشد والهداية نشرها محمد كامل حسين بمجلة Collectanea ج ١ (١٩٤٨) ص ١٨٥ وما بعدها .

(٢) نفسه ٩ ؛ عيون ٥/٤٠ . (٣) افتتاح ٩ .

(٤) جدن من ذى جدن . وجيشان مدينة باليمن . وفى قرة ١٣ قال : إنه ولد خنفر بن سبأ الأصغر . كان فى أول أمره لاشهرة له . وقد تعلم أصول الدعوة فى الكوفة ، ثم رجع إلى اليمن . وقال القاضى النعمان (افتتاح ٩) : وكان ابن الفضل شابا جميلا من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار . ويقال له أبو الحسن على بن الفضل . خرج حاجا من جيشان فى جماعة من أهلها .

فريضة الحجّ فى مكة ، وأخذ يبكى عند قبر الإمام الحسين بن على وينتحب ويعدّد مناقبه ويذكر فضله[١] ، مما جعل الفاطميين ودعاتهم يحرصون على استمالته إلى دعوتهم .

وبالرغم من اختلاف المؤرخين فى الشخص الذى عهد لأبى القاسم وابن الفضل بالسفر إلى بلاد اليمن ويمكننا أن نقرر هنا اعتمادا على ما قاله القاضى النعمان[٢] ، أن الإمام الحسين بن أحمد هو الذى قام بهذا الأمر لأن الإمام بعد أن أخذ المواثيق على أبى القاسم ووصل ابن الفضل عنده قال: « ... ياأبا القاسم ! هذا الذى كنا ننتظره . فكيف رأيك فى الذى عرضته عليك من أهل اليمن ؟» فامتثل أبو القاسم لأوامر الإمام التى قال له فيها : « ... إلى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تعز دولتنا ، ومنها تفترق دعاتنا »[٣] . ثم أمره بالاستتار والاعتماد على التأويل، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق أغراضه ، وأن يقول بقرب ظهور المهدىّ.[٤] ثم قال له : « واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شىء باطن ، وإن ورد عليك ما لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره»[٥]؛ كما أوصاه بعلى بن الفضل خيرا فقال له : « هو شابّ قريب عهد بالأمر ، فانظر كيف تسوس أمره ».[٦] ثم توجّه إلى على بن الفضل فقال له: « إن هذا الرجل الذى نبعث به معك بحر علم ،

---

(١) افتتاح ١٠ .

(٢) نفسه / ١٢ ؛ ولكن إدريس (عيون ٥/١١٩) يروى عن صاحب سيرة الإمام المهدى أن الإمام الحسين قبل أن يتوفى استكفل أخاه أبا على الحكيم وهو محمد بن أحمد المكنى بسعيد الخير إلى ابنه المهدى وكان عم الإمام المهدى . وهو الذى أنفذ أبا القاسم إلى اليمن بعد وفاة الإمام الحسين بن أحمد. ويحتمل أن يكون الإمام حسين هو الذى أخذ المواثيق على أبى القاسم وزميله ، ولكنه توفى قبل أن يسافر السفيران إلى بلاد اليمن ، ومهما يكن من أمر فإن السفارة قد أرسلت إلى اليمن فى شخصى أبى القاسم وابن الفضل .

(٣) افتتاح ١٢ .

(٤) Quatremere : Memoires J. A. 1836 ص ١٨٤ .

(٥) افتتاح ١٣ .

(٦) نفسه ١٤ .

فانظر كيف تصحبه »[١]. ثم قال : « الله بصاحبك ، وقرّه واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، إنه أعرف منك وإنك إن خالفته لم ترشد »[٢] . ثم قال لهما : « أبعثكما إلى اليمن ، تدعوان إلى ولدى هذا ، فسيكون له ولذريته عزّ وسلطان ، وإن الله عزّ وجلّ قسم لليمانيين ألّا يتمّ أمر فى هذه الشريعة إلا بنصرهم »[٣].

سير السفيرين إلى اليمن

خرج السفيران من الكوفة إلى القادسيّة فى نهاية سنة سبع وستين ومئتين ويقول أبو القاسم « ولما ودّعت الأهل والأحبة متشوقاً إلى إقطاع الغربة توجهت ، فلما خرجت من القادسية أوجست خيفة . فسمعت حاديا يقول :

ياحادِىَ العيسِ مليحَ الزَّجْرِ بَشِّرْ مطاياكَ بضوء الفجر[٤]

فسررت واستحسنت ذلك الفأل لما سمعته ، ووافيت مكة فى حين قدوم الحجاج من اليمن[٥] . وبعد أن أدّى مناسك الحج تابع مع زميله السير جنوبا حتى وصلا إلى غلافقة فى أول سنة ٢٦٨ وكانت فى هذا الوقت بندرا لمدينة زبيد على ساحل البحر الأحمر . ثم افترق الداعيان بعد ان اتفقا على أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف أحواله ، فاتجه أبو القاسم إلى مدينة الجَنَد ، وكانت غايته عدن لاعة[٦] ، لأنها كما يقول الإمام الحسين لأبى القاسم « أقوى لأمرك وأمضى لناموسك »[٧]. وقد وصل إليها عن طريق بعض تجار هذه المدينة من بنى موسى ، تقابل معهم فى عدن أبين . ولما وصل لاعة أخبره من بها من أهل الدعوة أن الداعى أحمد بن عبد الله بن خليع كان قائما بالدعوة ، ولكن الأمير ابن

(١) افتتاح ١٤ .
(٢) كشف ٢٣ .
(٣) إدريس : زهر المعانى ٦٥ .
(٤) افتتاح ١٤ ؛ عيون ٣٥/٥ .
(٥) افتتاح ١٤ ؛ عيون ٣٥/٥ .
(٦) وجاء فى العيون ٣١/٥ — ٣٣ : أخذ أبو القاسم يتنقل من مخلاف بنى طريف من ناحية صعدة إلى الظاهر ، ثم وصل إلى تقيل عجيب ثم دخل صنعاء ، وخرج منها حتى وصل إلى الجند ، وكانت غايته عدن لاعة .
(٧) افتتاح ١٢ ؛ كشف ٢٤ .

يعفر قبض عليه ، وتوفى الداعى فى السجن منذ عهد قريب ، فنزل أبو القاسم فى دار من دور ابن خليع ، وتزوّج ابنته[١] ، وتقلّد مقاليد الدعوة هناك .

أما على بن الفضل فقد اتجه إلى بلاد يافع الجبلية ، بالقرب من الجَنَد .

نشاط منصور اليمن الحربى

نهج السفيران منهجا واحدا فى نشر نفوذهما فى بلاد اليمن ، وقد اتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ . فأظهر كل منهما الزهد والتقشف والصلاح ابتغاء الوصول إلى غايته[٢] ، وعملا بوصية الإمام الحسين بن أحمد إليهما[٣] ، كما تظاهر كل منهما بالتفقة فى الدين والتضلع فى المذاهب السنية ، وكانا يأمران بالمعروف ، وينهيان عن المنكر . فمال إليهما كثير من أهل اليمن ، وأقبلوا عليهما من كلّ فجّ ؛ وبخاصة بعد أن أظهرا دعوتهما علنا فى سنة سبعين ومئتين ، بعد أن قام كل منهما بدعوته سرّا لمدة سنتين . فأصبح لكل منهما جماعة كبيرة ، تخلص له الإخلاص كله . وبعد أن قوى حزب كل منهما فى جهته عمل على الحصول على الأموال ، لتنفيذ أغراضه ، وللدفاع عن أتباعه . وكانت الزكاة هى السبيل المستقيم الذى يتفق وأمور الدين . فأمر أبو القاسم من جهته أتباعه بجمعها ، واستعمل عليها منهم ثقات وعدولا ، يقبضون أعشارهم (أعشار أموالهم) على ما يوجبه الفقة[٤] .

ولما هوجم أبو القاسم ، وقتل بعض أصحابه ، أشار عليه بعض مشايخ الدعوة بالاتحاد ، وتدبير الدفاع عن كيانهم ، كما سيأتى ذكره . وقال صاحب العيون[٥] : «إن أبا القاسم طلب من أتباعه ألف دينار ، فأعانه بها خمسة منهم . فاستعد بها ، وصعد عبر محرم ، وسكن به ، وأسكن معه خمسين رجلا من وجوه أهل دعوته» . وبينما ترى أبا القاسم يقوم بتنفيذ هذه الخطة إذا بابن الفضل يسلك نفس

---

(١) افتتاح ١٧ ، ١٢ ؛ عيون ٥/٣٨ .
(٢) أنباء / دار ٢٠ .
(٣) افتتاح ١٣ ؛ انظر ص ٣١ .
(٤) كشف ٢٥ .
(٥) عيون ٥/٤١ ؛ قرة ورقة ١٢ .

الطريق ، فيأمر أتباعه المخلصين ببناء حصن فوق جبلهم ، ويتم له ذلك فى جهة سرو يافع[١] . ونحن نرى أنه كان لبناء هذه الحصون غرضان : فالغرض الأول الظاهر هو حفظ أموال الزكاة ؛ ولكن الغرض الحقيقى هو اتخاذها قواعد ارتكاز يبسط منها الدعاة نفوذهم السياسىّ والمذهبىّ .

وقد ساعدهم على هذا النجاح المستمر الظروف المحيطة . وقد قتل محمد بن يعفر فى سنة سبعين ومئتين ، واختلف أهل بيته فيما بينهم . تلا ذلك خطوة عملية جديدة ، وهو دور الحرب ، وتكوين الدولة المنشودة — دولة المهدى . فأبو القاسم لم يصعد عبر محرم إلا عند ماهجم عليه إسحاق بن طريف بجيش جرّار ، فقتل من أتباعه اثنى عشر رجلا . يقول إدريس[٢] : « فضاق الأمر على أصحابه . فاجتمع إليه المشايخ من أهل الدعوة ، وسألوه حسن النظر والتدبير لهم . فعرفهم أن ذلك لا يكون إلا بحصن يلجئون إليه ويمتنعون فيه ، فعرضوا عليه حصون البلد ، فاختار منها عبر محرم » ، واحتله كما سبق أن ذكرناه .

ولا بد أن يكون أبو القاسم قد اتفق مع بنى المَرْجى سلاطين همدان ، أصحاب هذه البلاد ، على استعمال بعض الأماكن والحصون فى بلادهم ، لأن هذا الاحتلال يبعد أن يكون قد حصل قهرا ، لأنه يتنافى مع ما كان يدعو إليه من عدم التعدى على حقوق الغير ، كما أن قوته لم تكن قد نظّمت تنظيما كافيا ، وأن أصحاب هذه الجهات لم يخرجوا عليه فى يوم من الأيام .

ومهما يكن من شىء ، فقد احتل أبو القاسم عبر محرم ، ثم جمع جمعا من أتباعه ، واستولى على جبل الجميمة ، ثم هاجم بيت رَيْب (وهو رأس مَسْوَر) ثلاث مرات ، حتى استولى عليه . فأثار ذلك حنق رؤساء الدويلات ، وأشعلوا نار الحرب فى وجهه ، ولكنها كانت حربا همجية ، كان مآلها الفشل فى الوقت الذى كان أبو القاسم وأتباعه يحاربون تنفيذا لمبدئهم ونصرة لإقامة دولة أهل بيت النبىّ .

---

(١) كشف ٢٨ .

(٢) عيون ٥/٤٠ .

وكانت هناك رأس مفكرة تقودهم من نصر إلى نصر . ففى سنة سبعين ومئتين امتد نفوذه كثيرا ، فتسمّى « المنصور باليمن »[١] . واستولى على جبل مَسْور من أعمال صنعاء اليمن ، باتفاق عمله مع مأمور الحوالى بجبل مسْور . فدخل الحصن الواقع بمسور ، ومعه ثلاثة آلاف رجل ، وحصنه ودربه ، وبنى فيه دارا للهجرة ليلجأ إليها أتباعه . وأصبح هذا الجبل القاعدة الحربية التى كانت تسير منها الحملات إلى الجهات المجاورة .

فاستولى على جميع مخاليف المغرب : مغرب اليمن ؛ فأخذ بلاد عِيَان وبنى شاور[٢] وحملان ، ثم استولى على ذُخار[٣] وملك شِبام حمير[٤] وجبلها كوكبان . وما زال يحوز المعاقل ويملك مدن اليمن الجلائل ، وأقبل الناس إليه طوعا وكرها ؛ فدخل كثير من بنى يعفر وملوك حمير فى الدعوة طائعين وكارهين ، وقويت فى أرض اليمن دعوته وعلت كلمته[٥] . وكان هذا النصر سببا فى أن استعمل الداعى الطبول والرايات ، وكان يقول : « والله ماأخذت هذا الأمر بمالى ولا بكثرة رجالى ؛ وإنما أنا داعى الهدى الذى بشر به النبىّ محمد صلى الله عليه وسلم » . فانتقل إليه الناس بأموالهم وأولادهم ، ودخلوا فى بيعته ومذهبه[٦] . ولم يقف نشاط أبى القاسم الحربىّ عند هذا الحد ، بل أرسل جيشا قويا لمساعدة علىّ بن الفضل سنة تسع وتسعين ومئتين حين أحيط به فى مخاليف البيض[٧] فى تهامة . وكان من أثر هذه المساعدة أن عاد ابن الفضل سالما إلى بلاده .

فتوح على بن الفضل

أما عن اتساع نفوذ علىّ بن الفضل ، فقد هجم بجيشه على بلاد ابن أبى العلاء سلطان لحج وأبين ، بحجة أن فى ذلك جهادا لأهل المعاصى ؛ ووجد أتباعه أن فى هذا العمل فرصة لجمع الثروة ، فاندفعوا فى صفوفه لتحقيق أغراضهم .

---

(١) افتتاح ٣ ؛ قرة ورقة ١٢ .
(٢) تسمى الآن كحلان تاج الدين .
(٣) تسمى الآن ضلع كوكبان .
(٤) وهو شبام كوكبان .
(٥) عيون ٥/٤١ — ٤٢ .
(٦) قره ورقة ١٢ .
(٧) وفى رواية : البياض .

ثم أن ابن الفضل استغل وجود نزاع بين ابن أبى العلاء وبين كاتبه جعفر ابن إبراهيم المناخى[١] حاكم أبين لسيده . واتفق ابن الفضل وجعفر على قتال ابن أبى العلاء واقتسام الغنائم مناصفة . ودارت الحرب فى خنفر[٢] وكان النصر فى النهاية للحليفين ، وغنم ابن الفضل من خزائن ابن أبى العلاء سبعين بدرة[٣] . وكان من أثر هذا النصر أن دخل فى طاعته قبائل مذحج وغيرها ، كما كان هذا النصر خطوة لاشتباكه مع حليفه بالأمس . ذلك لأن على بن الفضل بعد أن اقتسم الغنائم فى حضور العساكر والقبائل ، وسلّم أحد الشطرين منها إلى سفير المناخى ، قال يخاطب الجمع : «إن جعفرا أرسل إلىّ لما بينى وبينه من العهد بقسيمة ماغنمت ، وقد أحضرتكم شهوداً على تسليمه إليه ، لأنى لا رغبة لى فى المال ، إنما أنا قمت لنصرة الإسلام» . ثم قال للسفير : « انصرف إلى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد لحربى » . وأرسل معه كتابا إلى المناخى قال فيه : «بلغنى ماأنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموال الناس بغير حق ؛ وأنا قمت لأردّ الحق لأهله ، وإن أردت إتمام ما بينى وبينك ، فردّ الظلامات إلى أهلها ، وادفع لأهل دلال دية ماقطعت من أيديهم[٤] . وذلك أن المناخى كان قد قطع أيدى ثلاث مئة رجل من أهل دلال[٥] على حجر بالمذيخرة . وقد يكون ابن الفضل اتخذ هذه الحادثة وسيلة لمحاربة المناخى ، أو يكون على حق فيما ادّعاه من انتصار للحق . ومهما يكن من شىء فإن الحرب دارت بين الفريقين . فأظهر ابن الفضل دراية حربية ومعرفة فائقة بأساليب الحرب ، لأنه على الرغم من هزيمته أول الأمر عاد ليلا وهزم عدوه شر هزيمة ، ودخل المذيخرة سنة أربع وتسعين ومئتين ، ثم دخل حصن التعكر ، وتتبع جعفر المناخى حتى قتله فى وادى نخلة سنة ٢٩٤ . فقوى بذلك مركز ابن الفضل

---

(١) يقول يحيى بن الحسين (أنباء/دار ٢٠) : وهو الذى ينسب إليه مخلاف جعفر ، وقد ملك جعفر هذا خمسين سنة كما ملك أبوه إبراهيم ثلاثين سنة ؛ راجع صفة ١٠٠ ؛ ولكن ابن الديبع (بغية ورقه ٩) يقول : إن مخلاف جعفر ينسب إلى جعفر مولى ابن زياد ؛ كذا ورد فى تاريخ ابن المجاور ١/ورقة ٥٤ . وهو الآن معروف بالعدين والحبيش .

(٢) صفة ٥٣ ، مدينة فى أبين . (٣) البدرة بها عشرة آلاف درهم (قرة ورقه ١٢) .

(٤) كشف ٢٩ (٥) دلال بلدة فى بعدان من أعمال إب .

كثيرا . فاتجه بأتباعه إلى بلاد يَحْصُب[١] ، فدخل مَنْسَكَت[٢] وأحرقها ، ثم هجم على صنعاء ، ودخلها لأول مرّة من ناحية الشهابيين[٣] ، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومئتين[٤] . وقد حاول أسعد بن أبى يعفر مرارا استرجاع صنعاء ، وبقيت المدنية مكان تجاذب ، حتى استقر له الأمر فيها سنة تسع وتسعين ومئتين[٥] . ولم يقف طموح ابن الفضل عند هذا الحد ، بل استمر فى فتوحاته ، حتى دان له معظم تهامة بعد ان استولى على زبيد ، وقتل واليها المظفر بن حاج ، الذى فقدت بغداد بقتله أكبر ممثل لها فى اليمن .

نفذ المهدى بمنصور اليمن

استمر السفيران يعملان فى أول الأمر لهدف واحد ، وهو بناء دولة المهدى ، حتى أصبح الجزء الأكبر من اليمن خاضعا لنفوذها . وتمكن منصور اليمن ، كما يقول برنارد لويس[٦] ، «عن طريق الدعوة ، ولأول مرة ، من تكوين دولة إسماعيلية فى اليمن . وسر الإمام كثيرا عندما وردت إليه الهدايا من اليمن ، وقال لابنه : « هذه أول ثمرة أيامك ، وبركة دولتك » ، وتمثل بقول الشاعر :

الله أعطاك التى لا فَوْقَها وكم أرادوا مَنْعها وعُوْقها

---

(١) نشوان : شمس العلوم ٤٩ ، ٩٣ ؛ والآن تعرف باسم يحصب العليا ويحصب السفلى . وهى قرية من ظفار حمير ، وفيها آثار الحميريين . والقرية معروفة بكرم أهلها ، ولا يزال يسكنها جماعة من آل الصليحى .

(٢) وهى مدينة السخطيين (صفه ٥٥) .

(٣) ينسبون إلى شهاب بن عاقل بن قضاعة (شمس العلوم ٥٨) .

(٤) أنباء/ماضى ٤٤ — ٤٥ . (٥) سلوك / كاى ١٤٥ ؛ ولقد اختلف المؤرخون فى أمر استيلاء ابن الفضل على صنعاء . فقال صاحب الأنباء/ماضى ٤٤ إن هذا الاستيلاء تم سنة ٢٩٣ . وقال الجندى (سلوك/كاى ١٤٥): إن ابن الفضل استولى على صنعاء سنة ٢٩٩ . ونرى أن ليس هناك تناقض فى هذا لأن ابن الفضل دخل صنعاء سنة ٢٩٣ ، ولكن لم يستقر أمره نهائياً فيها إلا بعد سنة ٢٩٩ .

(٦) B. Lewis : Orgins of Ismailism س ٩٥ .

عنك ، ويأبى الله إلا سَوْقها إليك حتى طوّقوك ، طوقها[١]

ولثقة رؤساء الدعوة بأبى القاسم لقبوه بالمنصور ، وشبهوه بفجر الدعوة الذى مهد لشمسها بالظهور ، فقالوا فيه : « كان أبو القاسم بمثابة الفجر المتنفس ، وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة ، وأنار حنادس الظلمة »[٢] .

ويدلنا على مبلغ ثقتهم به أنهم كلفوه إرسال الدعاة إلى الجهات المختلفة ، لأنه ليس من المعقول أن يقوم أبو القاسم من تلقاء نفسه بهذا الأمر . فبعث ابن أخيه الهيثم داعيا إلى السند حيث استجاب إليه الكثير من أهلها[٣] ، وأرسل أبا محمد عبد الله بن العباس داعيا إلى مصر[٤] ، ووزع الدعاة فى سائر البلدان باليمن ، وإلى اليمامة والبحرين[٥] ، والسند والهند ، ومصر والمغرب[٦] . ولما أرسل الإمام داعيه أبا عبد الله الشيعى الصنعانى[٧] إلى منصور اليمن ، قال له : « امتثل سيرته ، وانظر إلى مخارج أعماله ، ومجارى أفعاله ، فاحتذها ، وامتثلها ، فاعمل عليها »[٨] . فأقام عنده يشهد مجالسه ، ويخرج معه فى غزواته ، لايفارقه ، حتى بعثه إلى أرض المغرب[٩] ، وأرسل معه ابن أبى الملاحف الذى مالبث أن عاد لمرض والدته ، فسير مكانه إبراهيم بن إسحق الزبيدى[١٠] . وكان أبو القاسم قد أرسل الداعيين الحلوانى وأبا سفيان إلى بلاد المغرب من قبل . وكان هؤلاء الدعاة ، كما يقول العينى[١١] ، يدعون إلى محمد الحبيب والد عبيد الله ، وكان يسمى الهادى[١٢] ، وكان بسلمية . ولما علم أبو القاسم بوفاتهما (أى الحلوانى وأبى سفيان)

(١) افتتاح ١٨ .
(٢) الخطاب : غاية المواليد ٤٨ ، ٤٩ .
(٣) افتتاح ١٨ ؛ عيون ٥/٣٨ .
(٤) عيون ٥/٣٨ .
(٥) وجه أبو القاسم نظره إلى اليمامة ، وذلك بسبب قيام دولة بنى الأخيضر العلوية (ابن حزم : أنساب العرب ٤١) ، واعتقد أن أهلها سيرحبون بالدعوة الفاطمية ، لذلك بعث إليها الدعاة لنشر الدعوة الفاطمية (القلقشندى : صبح الأعشى ١/١١٩ — ١٢) .
(٦) افتتاح ١٩ .
(٧) واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ، وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة (افتتاح ٣٢).
(٨) افتتاح ٣٢ ؛ المنصورى : زبدة الفكرة ٥/١٥٤ .
(٩) افتتاح ٣٢ ؛ الخطاب : غاية المواليد ٤٩ ؛ عيون ٥/٤٢ .
(١٠) عيون ٥/٥١ .
(١١) عقد الجمان ١٣/١٥٣ .
(١٢) انظر الباب الأول ، ص ١٤ ، هامش رقم ٤ .

قال لأبى عبد الله الشيعى : « إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلوانىّ وأبوسفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر ، فإنهما موطاة ممهدة لك »[١] .

وكان المنصور دعامة من دعائم الفاطميين ، بل كان «ملكا مسددا»، كما وصفه الجندىّ[٢]، أوقل : إن تأسيس الدولة الفاطمية قام على أكتافه ، ثم خلق من اليمن مستودعاً من مستودعات الدعوة الفاطمية .

سبب امتناع المهدى عن قصد اليمن

لهذا كله استقر رأى الإمام على أن تكون هجرته إلى اليمن ، ويقول جعفر الحاجب[٣]، وكان فى صحبة المهدىّ حين فراره من سلمية : « وأمرنا المهدىّ بأخذ أهبة السفر والخروج معه ، وأظهر لنا أنه يريد اليمن » . ويؤكد القاضى النعمان المغربىّ[٤] أن المهدىّ لما وصل إلى مصر كان يأمل أن يقصد اليمن، وأن الذين صحبوه كانوا جميعا على هذا الاعتقاد ، وأن الداعى منصور اليمن أكد لليمنيين أن المهدى سيظهر فى بلادهم . ولم يثنه عن عزمه إلاّ انحراف على بن الفضل الجدَنىّ عن الدعوة الفاطمية[٥] . من ذلك نرى أن الإمام كان يرغب فى الذهاب إلى اليمن رغبة أكيدة ، ولكن ما قاله ابن الأثير[٦] من أنه لما شاع خبره عند الناس أيام المكتفى العباسى (٢٨٩ — ٢٩٥) فهرب هو وولده أبو القاسم نزار ، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب» ، وما قاله الجَنَدى[٧] من أن الإمام لما بلغه نجاح أبى القاسم فى نشر دعوة المهدىّ فى اليمن قال : « هذه دولتك قد قامت لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب » ، يبعد عن الحقيقة ، لأنه من المحتمل أن يكون السبب الذى دفع الإمام لتغيير رأيه يرجع إلى ما بلغه من أبى القاسم من أخبار انحراف على بن الفضل — لا الاستقلال علناً — عن الدعوة الفاطمية .

---

(١) المنصورى : زبدة الفكرة ٥/١٥٤ .
(٢) سلوك / كاى ١٤٣ .
(٣) سيرة جعفر الحاجب ١١٠ ؛ عيون ٥/١٢٨ .
(٤) افتتاح ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٥) نفسه ١٣٨ ؛ كشف ٢٣ ؛ اتعاظ ٦٩ .
(٦) الكامل ٨/١٢ .
(٧) سلوك / كاى ١٤٢ .

وإننا نعتقد أن أبا القاسم بصفته رئيس الدعوة فى اليمن كان دائم الاتصال بالإمام ، وأنه كان يبعث له بتقارير عن أحوال الدعوة والمستجيبين من حين إلى حين . ولا بد من أنه أخبر الإمام بما وجد فى ابن الفضل من إهمال فى أداء واجباته ، وميله إلى الاستقلال ، وعدم امتثاله لأوامره (أبى القاسم). وحدث هذا الانحراف عن جادة الدعوة قبل وصول الإمام إلى مصر ، مما جعله لا يرحب كثيراً بفكرة إقامة الدولة الفاطمية المنشودة فى اليمن . ومن المحتمل أن يكون المهدى قد غير وجهة نظره بعد وصوله إلى مصر ، لأنه يعلم أن العباسيين كانوا جادين فى طلبه ، وأنهم أرسلوا عيونهم إلى كل الجهات التى يحتمل أن يكون المهدى قد هرب إليها ، وبخاصة إلى اليمن التى فشا خبر احتمال ذهاب المهدى إليها ، كما لا يبعد أن يكون ما جاء فى رواية سيرة جعفر الحاجب[١] عن الداعى ابن العباس ، له الأثر فى امتناع المهدىّ عن قصد اليمن ، فقد قال ابن العباس للنوشرىّ[٢] عامل العباسيين على مصر حين سأله عن حقيقة المهدىّ المختفى عنده : « أما الرجل النازل علىّ فوالله لا وصل إليه شىء إلا ما يصل إلىّ ، لأنه رجل هاشمىّ شريف ، تاجر من وجوه التجار ، معروف بالفضل والعلم واليسار ، والذى أتى الرسول فى طلبه قد أعطيت خبره أنه توجه إلى اليمن قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة » . أما ما قاله الحامدىّ[٣] والقاضى النعمان[٤] والمقريزىّ[٥] من أنه لم يثنه عن عزمه فى الذهاب إلى اليمن إلا خروج ابن الفضل ، فإننا نقول : إن ابن الفضل مال إلى الاستقـــلال قبل قيام الإمام برحلته ، ولـكن خروجه كان بعد فرار فيروز[٦] إلى اليمن . فقوى فى ابن الفضل هذه

---

(١) سيرة جعفر الحاجب ١١٣ ؛ عيون ٥/١٢٧ .

(٢) عيسى النوشرى ، أول وال ولى على مصر من قبل العباسيين بعد زوال الدولة الطولونية ، وكانت مدة ولايته عليها خمس سنين وشهرين ونصف (٢٩٢ — ٢٩٧) (الـكندى : الولاة ٢٥٨ — ٢٦٧ ؛ المقريزى : خطط ٢/١٢٤ — ١٢٥ ؛ اتعاظ ٣١ هامش رقم ٢) .

(٣) كشف ٢٣ . (٤) افتتاح ١٣٨ . (٥) اتعاظ ٦٩ .

(٦) وهو داعى دعاة المهدى وباب أبوابه ، وقد أحزنه مسير المهدى إلى المغرب ، فقال الإمام : عجبت لرجلين من شيعتنا : أحدهما تغمه مفارقتنا ، والآخر تغمه صحبتنا ! وذلك أن الداعى أبا على المقيم بمصر رغب فى الذهاب مع الإمام ، ولـكن الإمام طلب منه البقاء فى مصر إلى أن يتهيأ قدومه (عيون ٥/ ١٢٨ — ١٢٩) .

النزعة الاستقلالية ، وفى ذلك يقول إدريس : [١] «إن فيروز أحزنه مسير الإمام إلى الغرب ، واستبعد المسافة فتخلف بمصر ؛ ثم سار إلى اليمن ، فوصل إلى داعى اليمن أبى القاسم ، الذى أحسن لقاءه وأكرم مثواه لما كان يعرف له من القرب من الأئمة ...، ثم أن فيروزا أراد أن يضله ويغويه فوجد نيته فى ولاء الأئمة قوية . . . فلما لم يجد منه حيلة توجه إلى على بن الفضل ، فوجد منه مراده ، واستفزهما الشيطان ، وصارا من أهل الطغيان والضلال ، وخرجا من جملة أهل الإيمان ؛ فظفر منصور اليمن بفيروز فقتله ، وحارب على بن الفضل » . ولسنا نشك فى أن هذا حدث بعد وصول المهدىّ إلى بلاد المغرب ، ويدل على ذلك ما قاله جعفر الحاجب : [٢] «خرج المهدى من مصر ، وخالفه فيروز قبل خروجه منها ، ومضى إلى اليمن » .

انتقاض على ابن الفضل

أما عن علاقة على بن الفضل بالفاطميين فإنه لما استقر باليمن ، ظل على ولائه للإمام مدة ، أظهر فيها التقشف والورع ؛ ويدلنا على ذلك ما قاله الحامدى : [٣] «أخذ بالنسك والعبادة ، فكان نهاره صائماً وليله قائماً ؛ فأنسوا إليه وأحبّوه ، ثم إنهم قلدوه أمرهم ، وجعلوا حكمهم إليه ؛ فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل [٤] ويسكن بينهم ، فقال : لا أفعل هذا ، ولست أسكن بين قوم جهال ضلال ، إلا أن يعطونى العهود والمواثيق ألا يشربوا الخمر ؛ ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصى بأجمعهم » . فحلفوا له على الطاعة ، وأن لا يخالفوه بما أمر ، فوعدهم خيرا . [٥] من هذا نرى أن ابن الفضل ظل مدة فى بلاد اليمن على ولائه للفاطميين . وهذه المدة لا تقل عن عشرين سنة إذا علمنا أنه وصل إليها سنة ٢٦٨ ، وأن خروجه علنا لم يكن إلا بعد أن استولى على المذيخرة سنة ٢٩٤ ، فأعجبته وأظهر بها مذهبه ، وجعلها مقر ملكه . واتهم المؤرخون أن ابن الفضل أحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات [٦] ، كما أظهر المجوسية وكفر

---

(١) عيون ٥/١٢٩ . (٢) سيرة جعفر الحاجب ١١٥ . (٣) كشف ٢٩ .
(٤) سرو يافع وهو ناحية باليمن أرضها جبلية منيعة (كشف ٢٨) .
(٥) سلوك / كاى ١٤٣ . (٦) سلوك / كاى ١٤٣ — ١٤٤ .

عما جاء به من عند الله عز وجل[١] ، وكان إذا خاطب نوابه استهل كتبه بعبارة : « من باسط الأرض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، على بن الفضل »[٢] .

ويروى أنه لما دخل الجند خطب شاعره على منبرها ، فقال :

خذى الدفّ ، يا هذه ! والعبى ... وغنى هزاريك[٣] ، ثم اطربى

تولى نبيّ بنى هاشم ... وهذا نبيّ بنى يعرب

لكل نبي مضى شرعة ... وهذى شرائع هذا النبى

فقد حطّ عنّا فروض الصلاة ... وحط الصيام ، ولم يتعب

ولا تطلبى السعى عند الصفا ... ولا زورة القبر فى يثرب

وهى قصيدة طويلة[٤] تدور حول محرمات الشريعة والاستهانة بها .

وإننا نرى أن هذه القصيدة نسبت إلى شاعر من شعراء ابن الفضل ، وقد يجوز أن قالها شاعر من الخطابية ، كما حكاه نشوان . ولا تفيدنا المصادر التى تحت أيدينا عن حياة ابن الفضل وأمور مملكته إلا أنه استقل من الدعوة الفاطمية ، وخرج عن الدين الحنيف . وبالرغم من أنه كان شخصية بارزة ، وقائدا بارعا ، وحاكما ناجحا ، ووطنيا متحمسا ، فخورا بقحطانيته ، بالغ المؤرخون فى انتسابهم إليه إحلال المحارم وارتكاب الفواحش ، ولم يأتوا بأدلة تثبت اتهاماتهم ، إلا أن الحمادى[٥] — ألدّ أعداء الدعوة — لم يستطع أن يطمس الحقائق عن سياسته البارعة فى السلم والحرب ، وعن شهامته وإقدامه ، وإيفائه العهود والمواثيق ، وحمايته المظلومين ، ونصرته لمبادئ

---

(١) أرندونك Het Opkomst ص٣٠٢ نقلا عن سيرة الهادى لعلى بن محمد بن عبد الله العباسى العلوى (مخطوط بالمتحف البريطانى رقم Or. 3901) ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق التاريخية نظرا لأن مؤلفه كان معاصرا للهادى يحيى بن الحسين . وقد أخذنا بعض هذه المعلومات من أرندونك مقدمة (ص ١١ ، ١٢) .

(٢) سلوك / كاى ١٤٨ .

(٣) الهزار : العندليب .

(٤) جاء بعضها فى كشف ٣١ ؛ سلوك / كاى ١٤٤ ؛ وقال نشوان الحميرى (حور ١٩٩) : وغالب الظن أن قائل هذه الأبيات من الخطابية . وهذا يدل على اختلاف الرأى فيمن قال هذه الأبيات . ويرجح نشوان أن الشاعر كان من الخطابية ، ثم نسبت الأبيات إلى شاعر من شعراء على بن الفضل .

(٥) كشف ٢٩ .

الإسلام . ولم يستطع أبو القاسم منصور اليمن أن يعزله ويطرده عن الدعوة ، وهو يعلم علم اليقين ميول ابن الفضل الاستقلالية ، بل ساعده فى حروبه ، وهنأه على انتصاراته، إلى أن أعلن ابن الفضل نفسه ثورته وخروجه عن الدعوة . ولا نتصور أن المجتمع اليمنى يقبل رياسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة بل أكثر ، لو كان ارتكب فى أواخر عهده ، مانسب إليه من الفواحش طوال هذه المدة . وقد يجوز أنه بالغ فى يمنيته ، وتطرف فى قحطانيته حتى تعدى حدود الإسلام ، كما فعل أبو محمد الحسن ابن أحمد الهمدانى بعده بقليل . فلذلك قيل أنه لما عاد إلى المذيخرة عاصمة ملكه ، ورأى أنه أضحى سيد اليمن ، عمل على التخلص من جميع المذاهب وقيودها ، فنادى بقطع الحج ، وقال : « حجّوا إلى الحَرْف ، واعتمروا إلى الثلاث » . (والثلاث حصن قريب من الحَرْف) .

براءة الدعوة مما قام به ابن الفضل

فإن ابن الفضل بعد هذا ، فى رأى الدعوة[1] ، « قد نكث عهده ، واستهواه الشيطان وأضله ، ففارق الدعوة وخرج من الملة . . وافترى على الله وعلى أوليائه ، مقتديا بالمضلين من قبله ، فكانوا له شر أسوة ، واستمال الجُهّال ، فكانوا له من الأنصار والأتباع ، فارتكب المحارم، ومال إلى الإباحات ،أو كفر بعد إيمانه ، وباء بلعنة الله » .

ولا يمكننا أن ننسب ما قام به ابن الفضل إلى زميله منصور اليمن ، الذى ظل على ولائه للفاطميين حتى وفاته ، وكان دائم الاتصال بهم فى جميع المناسبات ، فظل متمسكا بالدعوة ، ولكن نسب ما قام ابن الفضل فى أواخر عهده إلى الدعوة ، وهى بريئة منه كما قال الداعى إدريس[2] : « وعجبا لمن ينسب إلى أهل الدعوة من أتباع الأئمة أفعاله ، وهم إلى الله وإلى أوليائه منه براء ، ولا يفعلون مايفعل ، ولا يرون ما يرى ، قائمون بالأعمال الشرعية من الطهارات والصوم، مؤتون الزكاة، حاجون بيت الله الحرام ، متولون محمدا صلى الله عليه وسلم وعليا وصيه والأئمة من

(١) عيون ٥/٤٣ .

(٢) نفسه ٥/٤٤ — ٤٥

ذريته عليهم السلام ، مجاهدون فى سبيل الله، مجتهدون ، موفون فى أعمالهم وأقوالهم ، مجانبون لما حرمت الشريعة الغراء ، ملازمون لما فرض نبى الله محمد خير البرية . . ، وهم إلى الله بريئون من ابن الفضل فى دائم الأحقاب والسنين، يلعنونه مع اللاعنين؛ والدين الذى ندين به هو العمل بما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرضه على المسلمين من الفرائض ، ولا نستحل شيئاً مما حرمه الله . . . ونحن أكثر الناس بحمد الله قياماً بفرائض الإسلام... حلالنا من كتاب الله وحرامنا ، لا نأتى ببدعة» هذا ما قاله الداعى إدريس رئيس الدعوة فى أيامه ، فهو من غير شك دليل واضح على أن دعوة اليمن تعتبر ابن الفضل خارجا على الإسلام . وليس من العدل أن يتهم المؤرخون[1] طائفة كبيرة من المسلمين بالخروج على الإسلام ، لأن فردا شاذّا قد مال إلى التطرف فى ظروف سياسية خاصة أو قد يكون حاد عن سواء السبيل .

ظل ابن الفضل السياسى ينافق منصور اليمن ويخادعه، ويقول له: «إنما أنا سيف من أسيافك»، والمنصور يهابه ويخافه على نفسه، لما يرى من شهامته وإقدامه[2]. وتمشيا مع هذه السياسة أظهر المنصور فرحه ، لما فتح ابن الفضل صنعاء سنة تسع وتسعين ومئتين ، واجتمعا وتشاورا فى فتوحهما . وكان المنصور حذرا ، وكان يرى أن وقف الحرب فيه مصلحة كبيرة لهما ، لأن نفوذهما فى البلاد التى فتحت لم يكن قد ثبت . وكان يخاف أن يدخل فى حرب جديدة فتكون النتيجة خروج البلاد التى فتحت من تحت أيديهم . فقال لصاحبه : « قد ملكنا اليمن بأسره ، ولم يبق لنا إلا القليل ، فعليك بالتأنى و الوقوف بصنعاء سنة وأنا بشبام ، فيصلح كل واحد ما استفتح ، وبعد ذلك يكون لنا نظر ، فإنك إن خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا ماملكنا»[3]. ولكن ابن الفضل حارب مخاليف البياض بتهامة ، وكاد

---

(١) لا نتوقع العدل والإنصاف من أمثال ابن مالك الحمادى لأن كلامه عن هذه الطائفة موتور من أوله إلى آخره ؛ والدليل على ذلك أنه يتهم أبا القاسم منصور اليمن ومن بعده الصليحى بارتكاب الفواحش وإحلال ماحرم الله . ومع هذا، فقد وجدنا بعض المعلومات المفيدة التى استقيناها من حديثه الموتور . وأما الجندى فرجعه ابن مالك ويفوق أستاذه أحيانا فى عدائه الشديد .

(٢) كشف ٣٢ .

يقع لقمة سائغة فى أيدى أعدائه ، لولا ماقدمه منصور اليمن له من مساعدة كما سبق أن ذكرنا ذلك .

الصراع بين أبى القاسم وابن الفضل

ولما تمكن نفوذ ابن الفضل وأضحى سيد اليمن أعرب عما يجيش فى نفسه من رغبة ملحة فى تكوين دولة يمنية مستقلة عن العباسيين والفاطميين، كما فعل أبو سعيد الجنّابى[١] الذى كون دولة مستقلة بالبحرين ، وكتب إلى أبى القاسم منصور اليمن قائلا: «إن لى بأبى سعيد الجنابى أسوة ، وأنت إن لم تنزل إلىّ وتدخل فى طاعتى ، نابذتك الحرب»[٢] . فكتب إليه منصور اليمن يعاتبه ، ويذكره بالعهود والمواثيق التى أخذها عليه رؤساؤه ، كما ذكره أيضا بخطر التفكك ، كيلا يتلاشى أمر الدعوة باليمن ؛ وقال فى كتابه : « كيف تخلع طاعة من لم ترخيرا إلا ببركة الدعاء إليه ، وقد أعطينا من العهود ما قد علمته »[٣] . لكن ابن الفضل أجابه بقوله: « إنما هذه الدنيا شاة ، ومن ظفر بها افترسها »[٤] .وتابع منصور اليمن الرسل إلى ابن الفضل يعظه ويذكره وينهاه ، ولكن هذا ما لبث أن تمادى فى إنكاره ، وتناهى فى إصراره[٥] . وكان معنى ذلك بدء الصراع بين الداعيين فى اليمن ، أو بعبارة أخرى بدء الصراع بين أهل الدعوة أنفسهم، الموالين للفاطميين والخارجين عليهم ، كما كان معنى ذلك أن يستعد أبو القاسم، لتحصّن بلاده ولا سيما جبل مسور، وعوّل على أن يلاقى الصدمة وحده ، لأن الخليفة المهدى لم يكن قادرا فى هذه الأثناء على إرسال أى مساعدة ، وقامت الحرب بين الداعيين سنة تسع وتسعين ومئتين .

فاستولى منصور اليمن على شبام حمير ، وحاصر مدينة الظّلمة حيث كان ابن الفضل وأتباعه ، وقطع الميرة عنهم حتى أصابهم الجوع الشديد ، فأكلوا لحم

---

(١) كان ظهوره سنة ٢٨٦ ، وقتل سنة ٣٠١ (ابن الاثير : الكامل ٨/٦٣) . والجنابى نسبة إلى جنابة ، وهى بلدة على الخليج الفارسى (ياقوت : البلدان) .

(٢) سلوك/ كاى ١٤٦. (٣) أنباء/ ماضى ٥٤ .

(٤) كشف : ٣٣. (٥) عيون ٥/٤٧ .

الحمير والجلود ، وأخذ يتبعهم من مكان إلى مكان ، كما رواه الداعى إدريس[١] . وكان بينهما بعد ذلك وقائع كثيرة وقتال شديد فى أيام كثيرة ، وحمى المنصور المغرب من ابن الفضل بفضل هذه الحروب .

ثم قوى أمر ابن الفضل وملك صنعاء[٢] ، فتمكن هذا فى النهاية من محاصرة المنصور ثمانية أشهر حتى ملّ المقام . فلما علم بذلك المنصور طلب الصلح ، فقال ابن الفضل : «لست أبرح ، وقد علم أهل اليمن قصدى لمحاصرته ، إلا أن يرسل إلىّ بعض ولده ، فيكون ذلك لى مخرجا عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل فى طاعتى » . فأرسل إليه ولده ، ودفعه بالتى هى أحسن . فرجع ابن الفضل إلى المذيخرة ، وأقام عنده ولد المنصور سنة ، ثم ردّه إلى أبيه . هذا مارواه الحمادى[٣] ، وأيده فى ذلك الجندى[٤] ببعض الاختلاف .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا الصلح لم يقض على النزاع بين الطرفين ، بل زادت هوّة الخلاف اتساعا بين أتباع الدعوة فى اليمن ، ومن ثم أصبح الجميع هدفا لهجمات المنافسين فى الحكم .

موت علي بن الفضل

من ذلك نستطيع أن نقول أن ابن الفضل إنما خرج عن طاعة منصور اليمن مدفوعا بتأثير داعى الدعاة فيروز ، ثم بميله هو إلى الرياسة والزعامة ليستقل باليمن ، ولكنه لم يتمكن من التغلب على أعدائه والانفراد بالزعامة . وبذلك لم تتحقق مطامعه ، بل أخفق فى تكوين دولة ثابتة الأركان . وظل كذلك حتى « أمر المهدىّ رجلين من أهل دعوته وممن فى حضرته ، حتى وصلا مدينة صنعاء ، ودخل أحدهما على ابن الفضل مدّعيا بأنه طبيب ، فقصده وسمّه ، وخرج من عنده ، وبادر بالهرب هو وصاحبه ، ومات ابن الفضل[٥] » . هذه رواية الداعى إدريس ، ولكن الحمادى قال[٦] : « إن سبب موت ابن الفضل أن رجلا من أهل بغداد يقال إنه شريف

---

(١) عيون ٥/٤٧ .
(٢) نفسه ٥/٤٨ .
(٣) كشف ٣٥ — ٣٦ .
(٤) سلوك/ كاى ١٤٦ .
(٥) عيون ٥/٤٩ .
(٦) كشف ٣٦ — ٣٧ .

وصل إلى الأمير أسعد أبى بن يعفر . وقال للأمير : «تعاهدنى وأعاهدك أنى إذا قتلت هذا القرمطى كنت معك شريكا فيما يصل إليك» ، فعاهده على ذلك ، وكان طبيبا حاذقا ؛ فخرج إلى المذيخرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطى يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطىّ ، بالحذق بالطب وفتح العروق ، وقالوا : إن مثلك لا يستغنى أن يكون فى حضرتك مثله . ثم إنه احتاج إلى إخراج الدم ، فأمره أن يفصده . فعمد إلى السم فجعله على شعر رأسه . فدخل على القرمطى فسلم عليه . فأمره أن ينزع ثيابه ويلبس غيرها . ثم أخرج المبضع ثم مصّه وعلى ابن الفضل ينظر إليه . ثم مسحه برأسه فتعلق به من السم حاجته . ثم قصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ومضى هاربا . فلما أحسّ عدوّ الله بالموت أمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد ، فلحقوا به دون نقيل صيد[1] بإزاء قينان[2] فقتلوه» . وقد كرر هذه الرواية الجندى ، وزاد فيها فقال : « إن وفاته كانت ليلة الخميس منتصف ربيع الآخر سنة ٣٠٣ »[3] . فنستدلّ من الروايتين أن كلا من الفاطميين والعباسيين ينسبون إلى أنفسهم فضل إبادة ابن الفضل ودولته .

وعلى الرغم من أن المصادر التى فى أيدينا قد أجمعت على أن ابن الفضل اغتيل سنة ٣٠٣[4] ، وأن وفاة منصور اليمن كانت سنة ٣٠٢[5] ، إلا أننا نستبعد صحة هذه التواريخ ؛ وقد يكون العكس أصحّ ، لأن ابن الفضل ، كما سبق أن ذكرنا ، كانت قوته ظاهرة وسلطته كبيرة ، وأن وفاة منصور قبله ، واختلاف أهل بيته وأتباعه فيما بينهم ، كان فيه فرصة كبيرة لابن الفضل أن يستولى على كل ما كان تحت يد منصور ؛ ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، مما يجعلنا نشك فى أن تكون وفاة منصور اليمن حدثت قبل وفاة على بن الفضل ، ويبرهن على إمكان

---

(١) معروف الآن باسم نقيل سماره .

(٢) تقع بوادى السحول .

(٣) سلوك / كاى ١٤٩ .

(٤) كشف ٣٦ ؛ سلوك / كاى ١٤٩ ؛ أنباء / ماضى ٦٢ .

(٥) كشف ٢٨ ؛ سلوك / كاى ١٥٠ .

ما ذهبنا إليه ما قاله صاحب العيون[١] من أن « الداعى أبى القاسم استقر أمره بعد قتل هذا اللعين » .

انتهاء الدولة الفاطمية الأولى باليمن

ومهما يكن من شىء ، فإن ابن الفضل قد حفر قبره بيده، بسبب ثورته على رئيسه أبى القاسم. وقال الحامدى[٢]: «فبعد موته تولى بعده ابنه الفأفأ . فزحف الحوالى بالعسكر لحرب القرامطة ، فدخل التعكر ، ثم تقدم إلى جبل التومار ... ثم نصب المنجنيقات على المذيخرة فهدمها سنة ٣٠٤ ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى ، وسبى بنات القرمطىّ وكن ثلاثا ، واصطفى أسعد منهن واحدة ، (اسمها معاذة)[٣]، وهبها لابن أخيه قحطان ، فولدت له عبدالله» وعبدالله بن قحطان هذا قام بالدعوة الفاطمية كما سنذكر فى الباب التالى . وظل أبو حسان أسعد بن أبى يعفر يتتبع أنصار ابن الفضل فى كل البلاد ، ويقتلهم حيثما وجدوا ، ثم رجع إلى صنعاء ، وفى ذلك قال نشوان الحميرى[٤]: «فلما مات على بن الفضل خرج الأمير أسعد بن أبى يعفر الحوالى من صنعاء فى رجب سنة ثلاث وثلاث مئة ، وحارب القرامطة ودخل المذيخرة سنة ٣٠٤ ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأخذ أموالا يقصر عنها الوصف ، وسبى نساء ابن الفضل ، فوهب ابنته لابن أخيه قحطان ابن عبد الله بن يعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان أمير اليمن ، وأخذ ولدين لعلى بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة معه إلى صنعاء ، وأمر بهم فذبحوا جميعا ، وطرحت أبدانهم فى بئر فى الجبانة ، وأخذت رءوسهم فبقرت ، ووجهه بها فى أربعة صناديق إلى مكة ، فنصبت هنالك أيام الموسم » .

وأمّا منصور اليمن فبقى إلى آخر حياته أمينا فى مهمته ، وأنه ظل على ولائه للفاطميين. ومما لاشك فيه أن حركة ابن الفضل قد أثرت كثيرا على أتباع الدعوة، فأضعفت مركزها ونفوذها ، واضطر المنصور إزاء ذلك إلى الالتجاء إلى مسور وغيرها من الأماكن الحصينة البعيدة عن العدوّ إلى التستر وكتمان أمره حتى وافته المنية ، بعد أن قدم دليلا آخر على صدق إخلاصه وولائه للإمام الفاطمى ، فترك إليه أمر الدعوة باليمن كما سيأتى ذكره فى الباب التالى .

---

(١) عيون ٥/٥٠ .
(٢) كشف ٣٨ .
(٣) الزيادة من سلوك/ كاى ١٤٩ — ١٥٠ .
(٤) حور ٢٠٠ .

الباب الثالث

الدعاة بعد منصور اليمن حتى ظهور الصليحى

(٣٠٣ - ٤٣٩)

وصية منصور اليمن لابنه الحسن وخصيصه الشاورى

كانت ثورة ابن الفضل على الدعوة من أهم العوامل التى أدت إلى ضعف الحركة الفاطمية فى بلاد اليمن ، لأن أعداء الدعوة انتهزوا هذه الفرصة وحملوا على كل أنصار الدعوة حملة شعواء ؛ وزاد الحالة تعقدا خروج الحسن بن أبى القاسم منصور اليمن على الدعوة ، لأن سياسة الخليفة المهدى الفاطمى فى اليمن كانت ترمى إلى توجيه الدعوة باليمن لمركز الدولة الفاطمية القوىّ ، ولم تعترف بوراثة الملك لبيت أبى القاسم ، الذى أخلص مؤسسه للمهدى وللأئمة من قبله إخلاصا جعله موضع إعجاب الجميع . وقد دلل أبو القاسم على ولائه فى كثير من المناسبات سبق أن ذكرناها . وقبيل وفاته ضرب مثلا آخر على هذا الولاء ؛ ذلك أنه لم يعين أحدا من أبنائه لرياسة الدعوة ، بل ترك ذلك الباب مفتوحا للمهدى ، واكتفى بأن أشار إلى علو منزلة عبد الله بن عباس الشاورى لديه وتفضيله إياه ، ثم أوصى من بعده لابنه الحسن وخصيصه الشاورى ، بأن يستمرا فى إقامة الدعوة للخليفة الإمام المهدى وأهل بيته ، وقال فى وصيته : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ، ولا تقطعا دعوة بنى عُبيد بن ميمون ، فنحن غرس من غرسهم ، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه ، ولا تم لنا فى الرياسة حال ، فعليكما بمكاتبة القائم منهم واستيراد الأمر منهم ، فأوصيكما بطاعة المهدى (يعنى عُبيدالله بن ميمون) حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عونا لصاحبه » . هذا ما رواه الحمادى[1] ، وزاد الجَنَدى[2] فقال : « ... فإن هذا الأمر لم آخذه بكثرة مال ولا رجال ، ولم آت هذه البلاد إلا بُغْضًا ، وبلغت ما لم يخف ببركة المهدى الذى بشّر به النبى محمد صلعم » .

(١) كشف ٣٩ .

(٢) سلوك / كاى ١٥٠ .

قيام عبد الله بن عباس بأمر الدعوة

ولما توفى المنصور، وكان الشاورى قائما بشئون الدعوة فى اليمن، أسرع فأرسل إلى المهدى فى بلاد المغرب يخبره بوفاة منصور اليمن، كما أخبره بأنه يقوم بأمر الدعوة له خير قيام، ويسأله عمّن يقلده هذا الأمر[١]. وفى الوقت نفسه كان الحسن بن منصور اليمن يرى أن من حقه أن يخلف أباه فى تولّى هذا الأمر. فلذلك وصل إلى بلاد المغرب، وقابل المهدى وطلب إليه توليته بعد أبيه، غير أنّ المهدى كان قبيل قدومه عليه قد أقرّ عبد الله بن عبّاس الشاورى فى القيام بأمر الدعوة، وبعث له بسبع رايات. فعاد الحسن إلى اليمن دون أن تتحقق رغبته[٢]. وإننا نستبعد ما قاله الجَنَدى[٣] من أن الشاورىّ أرسل كتابه إلى المهدى مع أحد أبناء المنصور[٤]، لأن هذا يدلّ على سذاجة الشاورىّ وعدم حيطته؛ ولعل ماقاله الحمّادى أقرب إلى الصواب.

سياسة المهدى فى تعيين الشاورى

وفى الحق أن السياسة التى سار عليها المهدى فى بلاد اليمن تختلف عن السياسة التى سار عليها مع قرامطة البحرين. فقد عزل سعيدا وولّى أبا طاهر بدلا منه، وكلاهما من بيت أبى سعيد مؤسس دولة القرامطة فى البحرين. وبذلك التف القرامطة جميعا حول أبى طاهر حليف المهدى، وعزّ على أخيه سعيد المعزول أن يثور حتى لا يهدم بيته بيده. أما هنا فى اليمن فإن عَزْل أفراد بيت المنصور الذى اجتهد فى خدمة الدعوة الفاطمية منذ أن استقرت فيها، قد وضع الأمر فى يد غيرهم، وحزّ ذلك فى نفوس كثير منهم، فلم يهدءوا أو يستكينوا لهذه السياسة[٥]، ونسوا أن الشاورى كان من أحق الدعاة عند منصور اليمن وأخلصهم، ونسوا أيضا أن الدعوة ليست ميراثا، بل كانت إقامة الشاورىّ بأمر الدعوة بناء على رغبة منصور اليمن.

---

(١) كشف ٤٠.
(٢) كشف ٤٠.
(٣) سلوك / كاى ١٥٠.
(٤) والمقصود به الحسن بن منصور الطامع فى الملك.
(٥) حسن إبراهيم: عبيد الله المهدى ٢٣٧.

الشاورى من أجل دعاة منصور اليمن

ومهما يكن من أمر فإن عبد الله بن عباس الشاورى[١] قد تولى أمر الدعوة فى اليمن ، وكان من أجل الدعاة مع منصور اليمن ؛ فقد أرسله ، كما قال إدريس[٢] إلى مصر ، فاستقر فيها مدة هناك معلما للصبيان وداعيا ، فاستجاب لدعوته خلق كثير ، ثم عاد إلى اليمن . وزاد الجَنَدى فقال : « .. وكان من أصحاب المنصور وخصيصا به ، وكان قد أرسله إلى المهدى برسالة وهدية ، وصار عند المهدى منه صورة ومعرفة » ، مما جعل المهدى لا يتردد فى توليته عندما علم بخبر وفاة منصور اليمن .

اغتيال الشاورى

ولكن الحسن بن منصور اليمن لم يرض بتعيين الشاورى رئيسا للدعوة ، وصار هو وإخوته يواصلونه مداراة ، وهو يكرمهم ويجلهم ولا يحجب أحدا منهم ، بل يدخلون عليه متى شاءوا ، ومع ذلك « فإن الحسن كان يضمر الشر والعداوة والحسد لابن عباس »[٣] بسبب اغتصابه أمر الدعوة والدولة منه ، ولم يستمع لنصيحة أخيه الحبر التقى جعفر بن منصور اليمن حين قال له : « إن أمرنا إذن يتلاشى ، ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذى نَمَسْناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه ، فتهلك »[٤] . فلم يلتفت الحسن إلى قول أخيه وكتم السر فى نفسه ، حتى دخل على ابن عباس فى بعض الغفلات فقتله غَدْرًا واستولى على ما بقى من دولة أبيه .

اعتناق الحسن المذهب السنى وهلاكه

ولم يكتف الحسن بما فعل ، بل نهج سياسة جرّت عليه وعلى بيته ومذهبه النكبات ، حين أعلن خروجه على الدعوة واعتناقه المذاهب السنية ، وقد ظنّ أن

---

(١) من شاور ، وهم من قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان .

(٢) عيون ٥/٣٨ — ٣٩ .

(٣) سلوك / كاى ١٥٠ .

(٤) كشف ٤٠ .

الأمور قد استقرت له بعد قتل الشاورى ، فجمع الرعايا من أنحاء بلاده وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه[١] . وكان بلاء أهل الدعوة اليمنية بالحسن عظيما ؛ لأنه تتبع أنصاره بالأمس تتبعا لاهوادة فيه ، فأباد معظمهم وشرّدهم حتى لم يبق حوله إلا من لايعرف[٢] .

وفى الحق أن الحسن قد أخطأ بعمله هذا لأنه قضى بذلك على مابناه أبوه ، وخسر قوة كبيرة كانت تدين بالولاء والطاعة لكل الدعاة الذين كانوا يعملون على رفع لواء دعوة المهدى . ولم ينصفه بعد ذلك من طمع فى نصرتهم ، لأنه أصبح هو وأنصاره الذين خرجوا على الدعوة الفاطمية لقمة سائغة لأمراء المسلمين فقتلوه ، وتتبعوا أبناءه وإخوته وغيرهم من الأنصار الذين ظلوا على ولائهم للدعوة ، حتى إنه لم يبق من أتباع منصور اليمن إلا من استطاع الاستتار .

هجرة جعفر بن منصور اليمن إلى المغرب

وكان من أثر سياسة الحسن الاندفاعية وعدم تقدير لعواقب الأمور ، وعدم امتثاله لنصحية العقلاء من آل بيته أن « فرّ أخوه جعفر إلى القيروان ، فوجد الخليفة المهدى قد توفّى، وقام بعده ابنه القائم سنة٣٢٢»[٣]، وأضاف إدريس فقال: « وانتهى إلى أن بلغ مبلغا عظيما عند الأئمة ... وبلغ مراتب الأبواب الفائزين بعلوّ الدرجات »[٤] .

مكانة جعفر عند الأئمة الفاطميين

وقد ورد فى سيرة الأستاذ جوذر[٥] ما نصه : « وكان محل جعفر بن المنصور صاحب اليمن من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام المحل القريب ، ومكانه من الأستاذ المكان الأدنى الوكيد فى الدين . وكان يسكن دارا بالمنصورية بجوار على

---

(١) سلوك/ كاى ١٥١ ؛ أنباء/دار ٣٥ ويقول إن هذا حدث سنة ٣٢١ .
(٢) سلوك/ كاى ١٥١.
(٣) نفسه ١٥١ ؛ والصواب أن هجرة جعفر كانت إلى المهدية .
(٤) عيون ٥/٥٠ . (٥) سيرة الأستاذ جوذر / كامل حسين ١٢٦ .

ابن الجنان ، فسأله على بيع الدار فلم يفعل . ثم احتاج إلى أن اقترض دنانير ، واسترهنه الدار إلى أجل معلوم . فلما حان الأجل ولم يجد المال طالبه بالخروج من الدار ، واتصل ذلك بالأستاذ ، فرفع الخبر إلى مولانا عليه السلام ، فصرف إليه الجواب ، وهو :

« والله ، ياجوذر ! لقد كثر تعجبنا منه . وذلك أن عليا أوقفنا على الصك المكتوب عليه منذ يومين ، فقد جاءنا من ذلك خلاف ما كنا نظن به الرجاحة والكمال ، وإنه لمحقوق بما ناله وأضعافه إذ أقام نفسه مقام من يجعل زمامه بيد من لا رحمة له ، فإن كان إنما ذهب فى طى هذا عنا مذهب التخفيف عنا فى المسألة ، فمن الواجب كان عليه أن يتصور ما هو فيه ، وأن الذى كلفنا الآن أعظم من سؤال الفضل (إذ كنا لا نبخل عليه) بأضعاف هذا المال الملعون ، ولا يقيم نفسه مقام الشماتة ، لئلا يتصل بالقريب والبعيد أن ولينا وابن أجل أوليائنا المسعود برضا الله ورضا مواليه السابق فى الخير كل من جاراه ، يكون على بابنا ، وهو عندنا فى أجل الرضا ، محوجا إلى ارتهان مسكنه الذى يجاورنا فيه ، ولو كان أحسن مسكن ، هذه ورطة نحن نخرجه وننقذه منها . فلا يعد إلى مثلها . فتسلمه إلى حوله وقوته . فقرر عنده ذلك إن شاء الله » .

والواقع أن جعفرا بعد ذهابه إلى المهدية ظل على اتصال وثيق بالإمام الخليفة القائم بن المهدى . وقد بلغ الذروة فى عهد المعز لدين الله (٣٤١ — ٣٦٥) ، وصار من أهم رجال الدعوة الذين يشار إليهم بالبنان فى الفضل والزهد ، حتى برز القاضى أبى حنيفة النعمان التميمى المغربى نفسه ، الذى كان دعامة من أهم دعائم الفاطميين فى القضاء والفقه الفاطمى ، وقد ذكر عنه المعز أنه : « من أتى بعشر عشير ما أتى به النعمان ضمنت له على الله الجنة[1] » . وهذا يدلنا على مركز النعمان وثقة المعز به .

القاضى النعمان أبو حنيفة وجعفر بن منصور اليمن

ويدلنا على ما بلغه جعفر من درجة عالية ومكانة سامية عند الخليفة الإمام

(١) عيون ٦/٣٩ — ٤٠ .

المعز ما قاله إدريس[١] : « من أن القاضى النعمان اعتلّ بعلّة ، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها . . . ولما زالت علته أتى إلى الإمام المعز فسأله عمّن زاره ، فقال : كلهم زارنى إلا جعفر ابن منصور ، فأخذ أمير المؤمنين فى حديثه ، ثم أمر بكتب فأحضرت إليه . ففتح كتاباً منها ، وقال للنعمان : انظر فى هذا الكتاب . فلما تصفحه قال الإمام . ما تقول فى هذا ؟ قال : ما عسى أن أقول فى قولكم . فقال الإمام : هذا تأليف مولاك جعفر ، إعلاما له بعالى فضله وبيانا لسامى محله . فلما خرج النعمان . . . قصد دار جعفر ... ولما رأى النعمان جعفرا لم يتمالك أن وقع على رجليه يقبّلهما اعترافاً له بالفضل » .

وقد يتبادر لذهن القارىء لأول وهله أن مثل هذا قد يبعد عن الحقيقة لما للقاضى النعمان من مركز جليل فى الدولة والدعوة ، فلا يعقل أن يقبّل رجلَىْ جعفر . ويخيل إلينا أن القاضى النعمان كانت شهرته تتعلق بعلوم الظاهر ، فهو وإن كان قاضى القضاة ومؤلف كتب الفقه الفاطمىّ وكتب الأخبار الكثيرة[٢] ، إلاّ أنه لم يكن بعد قد بلغ مرتبة جعفر ودرجته ، لأن جعفرا كان يعتبر حجة فى علوم التأويل ؛ وقد سلك بذلك مسلكا خاصا فى تطور الآداب الفاطمية التأويلية ، مما جعله فى نظر المعز سيد العلماء والفقهاء[٣] .

إبراهيم السباعى يدعى الأمر

وقد استمر ظلم الحسن والمرتدين لأهل الدعوة إلى أن خرج إلى عبر محرم حيث لقى حتفه . وقد ذكر الحمادى[٤] أن الحسن[٥] خرج من مَسُور إلى عبر محرم[٦] ، وفيه يومئذ رجل من بنى العرْجى[٧] . واستخلف الحسن على

---

(١) نفسه ٦/٣٩ .
(٢) انظر الباب التاسع من هذا الكتاب .
(٣) وقد ذكرنا مؤلفاته فى الباب التاسع .
(٤) كشف ٤١ ؛ وقد وردت هذه الحوادث فى الجندى ببعض الاختلاف .
(٥) اسمه سلوك / كاى ١٥٠ « الحسن » كما جاء فى عيون ٧/١ أنباء / دار ٣٤ ، ولكن الحمادى يذكر بكنية « أبى الحسن » وفى ذلك تحريف .
(٦) رواية سلوك / كاى ١٥١ : « عين محرم » .
(٧) سلوك / كاى : ١٥١ بنى العرجاء سلاطين تلك الناحية . وفى عيون ٧/١ : هم من قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد بن جشم بن حيران بن نوف بن همدان .

مسور رجلا يقال له إبراهيم بن عبد الحميد السباعى الشيعى[١] وهو جد المنتاب . فوثب ابن العَرجى على الحسن فقتله[٢] ، فلما انتهى الخبر إلى إبراهيم ابن عبد الحميد لزم مسورا وادعى الأمر لنفسه ، وأخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور إلى جبل بنى عشب[٣] ؛ فوثب عليه المسلمون من أهل المغرب ، فقتلوهم الصغير منهم والكبير وسبوا حريمهم ... واتفق إبراهيم مع ابن العرجى واقتسما المغرب بينهما نصفين لكل واحد منهما ما يليه » .

وقد أعلن إبراهيم بعد ذلك للملأ خروجه على الدعوة ، وبنى مسجدا فى بيت ريب ، ونصب منبرا وخطب لبنى العباس ، وأعاد بعمله هذا ما فقد العباسيون من نفوذ فى تلك البلاد منذ أمد طويل . ثم إن إبراهيم لم تأخذه فى أهل الدعوة رأفة ولا رحمة ، بل ظل ، كما قال الحمادى : «يتبع القرامطة ، يقتلهم ويسبى ذراريهم » .

الداعى ابن أبى الطفيل

فبقى من أهل الدعوة ، قليل فى ناحية جبل مسور فقام يوسف بن موسى بن أبى الطفيل بأمر الدعوة بعد وفاة الداعى عبد الله بن عباس الشاورىّ فى عهد المعز لدين الله ، فسمع به إبراهيم ، فخرج إليه فقتله ؛ وتفرق مَن بقى من أصحابه إلى نواحى عمان وقطابة ، وانكتم أمرهم عن إبراهيم[٤] .

وبقيت زعامة الدعوة فى اليمن فى غير بيت منصور ، وذلك لأننا لا نعرف من بقى منهم غير جعفر بن منصور الذى سبق أن تكلمنا عنه[٥] . وأمعن مَن

---

(١) كشف ٤١ ؛ كان أبوه من قدم من حمير ورئيس أهل قدم ومن كبار قواد المنصور وقد قتل فى خلاف الياش وجاء اسم أبيه فى أنباء/ماضى ٦١ ، ٦٤ « عبد الحميد بن محمد بن الحجاج المسورى » . وفى سلوك/ كاى ١٥١ قال : هو جد بنى المنتاب الذى إليه ينسب مسور ، فيقال « المنتاب » .

(٢) ورد فى أنباء/دار ٣٤ أن هذا قد حدث سنة ٣٣٦ .

(٣) فى سلوك/ كاى ١٥١ ؛ « جبل الحسب » ، وصححها « كاى » فقال : «جبل بنى أعشب » . وفى أنباء/دار ٣٥ : « جبل بنى عشف » ؛ والصواب «جبل بنى عشب» ، وذلك لأن المكان مشهور ومعروف باليمن الآن بهذا الاسم وهو بالقرب من كحلان عفار .

(٤) عيون ٧/١ ؛ كشف ١٤١ ؛ نزهة ٣٣/١ ؛ وذكر الهمدانى قطابة فى صفة ٦٩ ، ١١٢ .

(٥) قال الحمادى (كشف ٤١) : « ولم يبق للمنصور عقب يعرف » .

بقى من أتباع الدعوة فى التخفى والتستر، ويظهر أنهم كانوا على اتصال مستمر بمركز الخلافة الفاطمية وقد قاسوا فى هذه المحنة أصناف الاضطهاد من الأعداء .

الدعاة بعد ابن أبى الطفيل

وقام بعد ابن أبى الطفيل جعفر بن أحمد بن عباس[١] . واستخلف بعده الداعى عبد الله بن محمد بن بشر من وادى قطابة من قُدم[٢] ، وقد أقام هذا الدعوة إلى العزيز بالله[٣] . ولما توفى هذا الداعى خلفه فى الدعوة محمد بن أحمد بن العباس الشاورى من قُدم[٤] .

هارون بن محمد بن رحيم

ثم قام هارون بن محمد بن رحيم من قدم بعد ذلك بالدعوة لخليفة الإمام العزيز بالله ، ثم لابنه الحاكم بأمر الله ، وكان يكاتب الأئمة الفاطميين أولاد المهدىّ فى القيروان وفى مصر قبل أن يتولى رياسة الدعوة[٥] . وقد عثرنا على نص سجل من الخليفة الحاكم إلى الداعى هارون مؤرخ فى ذى القعدة سنة ٣٩١ ، جاء به صاحب العيون[٦] ، ومنه تبين أن الخليفة قد عهد إلى داعيه هارون فى اليمن بوجوب اتباع سنة رسول الله واتباع ما جاء فى كتاب الدعائم للقاضى النعمان المغربى ، كما عهد إليه ببعض الأعمال الأخرى . وكان الداعى لا يستقر فى مكان واحد خوفاً من المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد السباعى ومن عامة الناس .

تأييد الأمير عبد الله بن قحطان للدعوة

وفى أيام الداعى هارون ظهر الأمير عبد الله بن قحطان بن يعفر بصنعاء ،

---

(١) حاشية العيون ١/٧ ؛ وفى رواية : يعفر ؛ وأغلب الظن أنه ابن أخى الداعى عبد الله بن العباس الشاورى .

(٢) نفسه ٧/١ . (٣) نفسه ١/٧ . (٤) نفسه ١/٧ .

(٥) سلوك / كاى ١٥٢ .

(٦) ٦/٢٧١ — ٢٧٢ ؛ نقلنا نص هذا السجل فى الملحق رقم ١ .

فلاقت الدعوة فى اليمن فى أيامه بعض الرواج لأن الأمير عبد الله بن قحطان قد قام بالدعوة للخليفة العزيز فى سنة ٢٧٩ ؛ وبعد أن تم له فتح تهامة دخل زبيد حاضرة بنى زياد وأمر بقطع الخطبة للخليفة العباسىّ فى البلاد التى دخلت تحت يده ، ودعا للخليفة العزيز الفاطمى ، واستمر الحال على هذا حتى توفى سنة ٣٨٧هـ فى عهد الخليفة الحاكم . ولعل هذا العمل من قبل عبد الله بن قحطان يعتبر من ناحية من العوامل التى ساعدت الدعوة على أن تستعيد بعض قوتها فى اليمن ، وبعد ما حاق بها من محن ، كما يعتبر من ناحية أخرى من الأسباب التى أدت إلى ضعف النفوذ العباسى إلى حدٍّ ما ، ونشاط دعاة الفاطميين ، لانصراف أمراء اليمن عن مقاومة هذا النشاط بسبب التنافس والتنازع فيما بينهم . وكان الأمير عبد الله بن قحطان هذا هو ابن معاذة بنت على بن الفضل الجدَنى[1] ، فلا يبعد أن يكون هذا الأمير رغب فى أن لا يعيد سياسة جده ، ويحسن علاقته مع الفاطميين بعد ما رأى ما أدت إليه سياسة الخروج عليهم من تفكك واضمحلال كاد يودى بالدعوة وأهلها .

يوسف بن أحمد بن الأشج

ومهما يكن من أمر ، فإن الداعى هارون بن رحيم خلفه فى الدعوة بعد وفاته ، يوسف بن أحمد بن الأشج[2] من أهل شبام حمير ، وكان يدعو سرا إلى الخليفة الحاكم . ولم تذكر المراجع التى فى أيدينا شيئا عن نشاطه .

سليمان بن عبد الله الزواحى

ولما توفى الداعى يوسف هذا استخلف سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحى

---

(١) سلوك / كاى ؛ انظر الباب الثانى ص ٤٨ .

(٢) هكذا ورد اسمه فى العيون ، ورواية النزهة ١/٣٣ «يوسف بن أحمد بن الأشج» . وقال صاحب الكشف ٤٢ : إن اسمه «يوسف بن الأسج» ؛ ولكن صاحب السلوك ١٥٢ قال : إن اسمه «ابن الأسج» ؛ وصححها (كاى) نقلا عن الفرة «بالأسد» . وهذا كله تحريف وتصحيف ، والذى ذكره إدريس فى العيون قد اتبعناه .

من حمير من ضلع شبام، وكان مقامه فى حصن كوكبان[١]. وقد دعا هذا إلى الحاكم والمظاهر . وكان كثير المال عظيم الجاه وكلما هم أحد من الناس بقتله ردّه بقوله : « أنا رجل مسلم (أقول لا إله إلا الله) كيف يحل لكم دمى ، وأخذ مالى فيمسكون عنه »[٢].

وقبل أن يتوفى سليمان الزواحى أوصى بكتبه وأمواله الكثيرة إلى على بن محمد الصليحى ، الذى قام بأمر الدعوة باليمن من بعده .

قائمة أسماء الدعاة

من ذلك نرى أن الحقبة التى تقع بين موت منصور اليمن وظهور على بن محمد الصليحى (٣٠٣ — ٤٣٩) تعتبر حقبة مظلمة فى تاريخ الدعوة الفاطمية فى اليمن . وقد استقينا معلوماتنا عن هذه الحقبة من كتاب الكشف لابن مالك الحمادى ، والسلوك للبهاء الجَنَدىّ ، وعيون الأخبار ونزهة الأفكار للداعى إدريس ، وإن كان ماورد فى هذه المراجع عن هذا الموضوع لم يشف الغلّة ، لأنهم اقتصروا فى كتاباتهم على سرد أسماء الدعاة ، ولم يذكروا شيئاً عن نشاطهم الدينى والسياسى . وهاك أسماء هؤلاء الدعاة كما أوردها الحمادى والجندى وإدريس عماد الدين :

---

(١) قال إدريس (عيون ٢/٧) : « حصن كوكبان من الحصون القديمة البناء ، وكانت مدينة شبام حمير لصاحب كوكبان ، وهى من مدائن اليمن القديم عهدها، الحسن مرآها ، الكثير جندها ، وهى اليوم قد خربت ولم يبق منها إلاقليل ، وفيها مسجد حسن جامع، وجدد الزواحى دار الخراطيم فى كوكبان ؛ وجعلها مقره فى ذلك الأوان . وفى ذلك يقول بعض الشعراء فى مدح السلطان على بن حاتم بن أحمد بن عمران اليامى لما ملك كوكبان فى قصيدته :

أشرقت حجرة الصباح وقالت هكذا كنت حجرة للصباح
ورأى مجلس الخراطيم ملكا ما رآه إلا بعصر الزواحى»

(٢) كشف ٤٢ ؛ والزيادة التى بين القوسين من سلوك/ كاى ١٥٢ .

	الحمادى : كشف ٢٢ و ٣٩ — ٤٢	الجندى : سلوك / كاى ١٣٩ — ١٥٤	إدريس عماد الدين : عيون ٧/١ — ٢ ونزهة ١/٣٢ — ٣٣	ملاحظات
١	أبو القاسم المنصور الحسن بن زاذان من أهل الكوفة من ولد عقيل بن أبى طالب .	منصور بن زادان بن حوشب بن الفرج بن المبارك من ولد عقيل بن أبى طالب .	أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب منصور اليمن .	قدم إلى اليمن سنة ٢٦٨ وبقى قائما بها حتى توفى سنة ٣٠٣ فى خلافة المهدى بالله . وفى الحور ١٩٧ : أبو القاسم أبو الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفى . وجاء اسمه كاملا فى افتتاح ٢ : أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفى . وسمى المنصور باليمن صاحب دعوة اليمن .
٢	عبد الله بن عباس الشاورى ، قتله أبو الحسن بن منصور غيلة .	عبد الله بن العباس الشاورى ، كان خصيصا بمنصور اليمن ، وكان قد قدم على المهدى برسالة المنصور . قتله الحسن بن المنصور فى بعض الغفلات .	عبد الله بن العباس أرسله منصور اليمن أيام حياته إلى مصر لمهام الدعوة .	ذكر صاحب الأنباء / دار ٢٤ أنه قتل سنة ٣٣٦ . وعلى ذلك يكون قد توفى فى عهد الخليفة المنصور الفاطمى .
٣	ابن الطفيل قتله إبراهيم بن عبد الحميد السباعى وهو جد بنى المنتاب .	فى رواية : ابن الطفيل قتله إبراهيم [بن عبد المجيد (الحميد)] .	يوسف بن موسى بن أبى الطفيل ؛ ورواية النزهة : يوسف بن أبى الطفل .	تولى رياسة الدعوة باليمن فى عهد الخليفة المعز الفاطمى .
٤			جعفر بن أحمد بن عباس .	لم يرد اسمه فى النزهة ، ولكن اسمه ذكر فى حاشية العيون ٧/١ وأغلب الظن أنه ابن أخى عبد الله ابن عباس الشاورى .
٥			عبد الله بن محمد ابن بشر من وادى قطابة من قدم قام داعيا إلى الإمام العزيز بالله بن المعز لدين الله	

	الحمادى : كشف ٢٢ و٣٩ — ٤٢	الجندى : سلوك / كاى ١٣٩ — ١٥٤	إدريس عماد الدين: عيون ٧/١ — ٢ ونزهة ١/٣٢ـ٣٣	ملاحظات
٦			محمد بن أحمد بن العباس من شاور، وهم من قدم بن قادم بن زيد ابن عريب بن جشم ابن حيوان بن نوف ابن همدان، قاله ابن ماكولا فى إكماله.	الظاهر أنه أخو جعفر بن أحمد بن العباس الشاورى (٤) ولعله كان قائماً بالدعوة اليمنية فى عهد العزيز
٧	ابن رحيم فى أيام المنتاب: يكاتب بنى عبيد بعد خروج المعز من القيروان إلى مصر ؛ يكاتب المعز ومن بعده .	ابن رحيم ، وكان يكاتب أولاد المهدى إلى القيروان وإلى مصر ، وفى أيامه قدم المعز إلى مصر وابتنى القاهرة .	هارون بن محمد بن رحيم من قدم، وكان فى أيام الحاكم قائماً بالدعوة .	وكان الخليفة الحاكم الفاطمى أرسل إليه سجلا سنة ٣٩١ والسجل ورد فى العيون ٦/١٨٦ . انظر الملحق رقم ١ . لعله أدرك عهود المعز والعزيز والحاكم ولكنه تولى رياسة الدعوة فى عهد العزيز وتوفى فى عهد الحاكم.
٨	يوسف بن الأشج من أهل شبام حمير، كان يدعو إلى الحاكم ويبايع له على وجه السر .	يوسف بن الأسح يدعو إلى الحاكم ويبايع له سراً .	يوسف بن أحمد بن الأشج من حمير من مدينة شبام حمير ، وحاشية العيون : يوسف ابن محمد بن الأشج. ورواية النزهة : يوسف بن أحمد ابن الأشج .	تولى رياسة الدعوة فى عهد الحاكم .
٩	سليمان بن عبد الله الزواحى من حمير من ضلع شبام من الحفن ، فأقام يدعو إلى الحاكم وإلى المستنصر	سليمان بن عبد الله الزواحى من ضلع شبام .	سليمان بن عبد الله ابن عامر الزواحى من حمير ، وكان له حصن كوكبان .	تولى رياسة الدعوة فى عهدى الحاكم والظاهر .
١٠	على بن محمد الصليحى من الأخروج وهو سبع من أسباع حراز .	على بن محمد الصليحى وأصله من الأخروج سبع من أسباع حراز .	على بن محمد الصليحى قام بالدعوة إلى الإمام الظاهر ثم إلى المستنصر .	انظر الباب الرابع

وقد اعتمدنا على رواية إدريس فى أسماء الدعاة ، لأنه ذكر هذه الأسماء كاملة، مما يدل على أنه كان أكثر إلماما من غيره فى هذه الناحية ؛ ولا غرو، فإنه من الدعاة الذين حصلوا على تراث الدعوة، ومنه وقف على حقيقة هذه الأسماء . ومع ذلك لم يترك لنا إلا مجرّد هذه الأسماء ولا نعرف عن تاريخ هؤلاء الدعاة إلاّ قليلاً ، ولم يذكر ما حدث من الخلاف بين الحسن بن منصور اليمن والداعى عبد الله بن العباس الشاورى .

كيف احتفظت الدعوة بكيانها فى فترة المحنة ؟

ونرى فى الختام أن بعض الأفراد والجماعات استمرت على تمسكها بالدعوة برغم الصعوبات التى حاقت بهم ، وساعد على بقائهم طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة ، حيث كانوا يتخذون من الحصون العالية النائية وسيلة للتستر والبعد ما أمكن عن أعدائهم ، كما أن الاضطهاد الذى لاقوه بسبب عقيدتهم كانت من أهم الأسباب التى حملت هؤلاء على التعاضد والمبالغة فى التستر ، كما ساعدت رياسة الدعوة فى القاهرة على تغذية هذه المنظمة السرية باليمن بكتب الدعوة ، كما يتضح ذلك من سجل الإمام الحاكم إلى داعيه هارون [1] ، ومن الكتب التى تركها الزواحى لعلى الصليحى .

والنتيجة التى يمكن أن نستخلصها هى أن الأحوال فى اليمن كانت مواتية جدا لظهور شخصية قوية تجمع شمل هذا التفكك والانحلال تحت لواء واحد ، وتربط هذه الجماعات والقبائل والدويلات المتنافرة المتباغضة برباط متين يدين الجميع بعيش فى ظل دولة موحّدة قوية . وكانت هذه الشخصية المنشودة هى شخصية على بن محمد الصليحى ، الذى أخذ يدعو فى اليمن بعد أن تشبعت نفسه بتعاليم شيخه الزواحى .

---

(١) عيون ٦/٢٧١ — ٢٧٢ ؛ الملحق رقم ١ .

الباب الرابع

عهد الملك على بن محمد الصليحى

(٤٣٩ - ٤٥٩ هـ)

حالة اليمن قبيل ظهور الصليحى

كانت اليمن فى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى تنحدر بخطا واسعة نحو التدهور والتفكك ؛ وذلك بسبب استيلاء الموالى واستبدادهم بالحكم فى الأقاليم ؛ فعلى الرغم من أن الحسين بن سلامة[1] تمكن من المحافظة على دولة بنى زياد مدة ولايته، فإن استبداد الموالى من الحبشة بالحكم مكنهم من تأسيس الدولة النجاحية[2] فى زبيد سنة اثنتى عشرة وأربع مئة على أنقاض دولة بنى زياد . وكانت لها التهائم وزبيد وأعمالها . وكان الاستيلاء من قبل الأحباش سببا قويا فى أن العرب تحفزوا، ودفعتهم الحمية إلى عدم الخضوع للعبيد ، فتقطعت أوصال البلاد بعد موت الحسين بن سلامة ، وتغلب الأمراء على جميع الجهات .

فكان مخلاف جعفر بحصونه ومخلاف المعافر بحصونه ومخلاف الجند وحصن السمدان[3] لآل الكرندى[4] ، وكانت لهم مكارم ومفاخر وسلطنة ظاهرة .

---

(١) هو وصيف لرشيد مولى أبى الجيش ووصى على ابنه ، وكان حسين من أولاد النوبة نسب إلى أمه سلامة . وقد اهتم رشيد بتربيته وله مآثر كبيرة فى بلاد اليمن (أنباء/دار ٣٦) .

(٢) تنسب إلى نجاح الذى كان وصيفا للحسين بن سلامة ، أسسها سنة ٤١٢ ، ولم يزل ملكا لتهامة حتى مات سنة ٤٥٢ بالكدراء .

(٣) مخلاف جعفر من مدنه جبلة وإب والعدين والمذيخرة وذى سفال؛ ومن مخلاف المعافر تعز وجبا ؛ ومخلاف الجند يشمل مخلاف جعفر ومخلاف المعافر ؛ والسمدان فى بلاد المعافر ، والمعافر تعرف الآن باسم الحجرية؛ والحصن موجود معروف الآن ، وكان لبنى الكرندى إلى أن ملكه الصليحى .

(٤) وهم من أولاد الأبيض بن حمال الدين السبئى الذى كان الرسول (ص) قد ولاه جبل الملح.

فأزالهم عنها بنو الصليحى[١] .

وأما عدن وأبين ولحج وحضرموت والشحر فقد استولى عليها بنو مَعْن سنة ٤١٢ بعد موت الحسين بن سلامة ، وظلت خاضعة لهم حتى استولى عليها على بن محمد الصليحى[٢] ، فأبقاهم عليها وأخذ منهم جزية سنوية .

وتغلب أسعد بن وائل على مخلاف حُوَاظة وأهم مدنه شاطح[٣] . وامتلك بنو عبد الواحد مخلاف يربوع وأهم مدنه الغَمْد و بُرَع[٤] وحصن مَسَار . واستولى بنو أصبح وهم قوم الفقيه مالك الأصبحى على حصون حَبّ[٥] والشَّعر[٦] والسَّحول[٧] . وتغلب على حصن وُصَاب[٨] ومخاليفها قوم من بكيل ثمّ من همدان .

من هذا نرى أن بلاد اليمن لم تكن بها وحدة سياسية تجمع شمل البلاد تحت لواء واحد ، بل كانت السلطة موزعة بين الأمراء والزعماء المتباغضين المتنافرين ، الذين لم يرتبطوا ببغداد إلا برباط واهٍ هو إقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة .

ويعتبر ماذكره صاحب الأنباء[٩] أصدق تمثيل للحالة فى اليمن قبيل ظهور الصليحيين حيث قال : « ... من سنة ٤٠٥ إلى سنة ٤٤٨ عم الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع المملكة الواحدة .... وأظلم اليمن وكثر خرابه وفسدت أحواله .. .. وكانت صنعاء وأعمالها كالحرقة ، لها فى كل سنة أو شهر سلطان غالب عليها ، حتى ضعف أهلها وانتقلوا إلى كل ناحية . وتوالى عليها الخراب وقلّت العمارة فى هذه المدة حتى أصبح عدد دورها ألف دار

---

(١) عمارة / كاى ١٢ . (٢) رسائل القمى ٢١ .

(٣) من حصونه دهوان وبفرز والشعر والحضراء (عمارة / كاى ١٣) .

(٤) اسم يطلق على قرية أو واد (صفة ٩٦، ٩٧) ، أو يطلق على جبل برع (نفسه ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٢٥) .

(٥) وحب حصن منيع يقع فى جبل بعدان .

(٦) مخلاف الشعر من ناحية النادرة متصل ببعدان شرقا .

(٧) السحول مخلاف من ناحية المخادر متصل ببعدان غربا .

(٨) وصاب مخلاف واسع فى شرقى زبيد . (٩) أنباه/دار ٢٧ — ٢٨

بعد أن كانت مئة ألف دار فى عهد الرشيد ... إلا أن صنعاء تراجعت بعض التراجع فى زمن الصليحيين لما اجتمع لهم ملوك اليمن » .

فهذه العبارة فضلا عن أنها تصوّر لنا سوء الحالة فى هذه الفترة فى اليمن ، تعتبر شهادة لا بأس بها لأعمال الصليحى فيها ، وخصوصا أنها من مؤرخ لم يكن صديقا له .

نشأة الصليحى :

فى هذا الجوّ السياسى المضطرب ، وفى تلك الأحوال السياسية غير المستقرة ظهر أبو الحسن على بن محمد بن على الصُّلَيْحى ، وهو ينسب إلى قبيلة الأصلوح من بلاد حراز [١] . وذكر أبو محمد الهمدانى [٢] قبل ظهور الصليحى بقرن تقريبا أن آل الصليحى من بنى عبيد بن أوام ببيت الأخروج [٣] ، ووصفهم بأنهم أنجاد كرماء . وكان على الصليحى ، كما قال ابن الجوزى [٤] : « شابّا أشقر اللحية أزرق العينين ، وليس فى اليمن من يماثله فى ذلك » . وكان أبوه القاضى محمد سنيا ، شافعىّ المذهب ، حسن السيرة ، مطاعاً فى أهله وجماعته ، ولا يخرجون عن أمره [٥] . ويدل على ذلك ما قاله عمارة [٦] : «من أن أهل حراز كانوا أربعين ألفاً يدينون له بالطاعة» . وكانت

---

(١) قيل : وآل الصليحى من بنى عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد ابن أوسله بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود . ويلتقى الهمدانيون والصليحيون عند جشم الأوسط .

(٢) إكليل ١٠/٩٩ .

(٣) وقال أبو محمد فى صفة ١٠٦ عند كلامه على مخلاف حضور : « ويتصل بها — أى بسافلة حضور — بلد الأخروج بن الغوث بن سعد . ويقال نسب البلد إلى خرجة من همدان . والأخروج بين حضور وهوزن ... وببلد الأخروج اليوم الصليحيون من همدان » ؛ راجع أيضا إكليل ١٠ / ٩٩ ، وتعليق محب الدين الخطيب . وقال لنا القاضى محمد الحجرى : إنه فى البلاد التى تسمى الآن بلاد الحيمة مابين حضور وحراز ، وفيها حصن يناع الذى كان يسكنها القاضى محمد الصليحى .

(٤) مرآة الزمان ٢/١ ورقة ٨٨ ب ، ولا يؤيده أحد من المؤرخين اليمنيين فى هذا الوصف .

(٥) كفاية ٤٧ .

(٦) عمارة / كاى ١٤ .

القرية التى يقيم بها القاضى محمد ، تسمى قَـتَر من أعمال حراز[١] ، فنشأ ابنه علىّ على طريقته فى بدايته .

نشأ نشأة طيبة فى بيئة عربية حرّة ، لها تقاليدها فى الأخلاق الفاضلة وعلوم الإسلام وفنون العربية . ونعرف مما روى عن نشأته وأحواله فى شبابه أنه لوحظ عليه مخايل النجابة[٢] ودلائل الفضائل[٣] وطموح النفس ، وأن « الأحوال تنقّلت به فى مبادى عمره من خفض إلى رفع ، ومن ضرّ إلى نفع »[٤] .

ويروى أنه أقام يحجّ دليلا بالناس على طريق السَّراة[٥] والطائف خمس عشرة سنة ، وأن الناس فى أول ظهوره كانوا يقولون له : قد بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ، ويكون لك شأن ودولة ، فيكره ذلك وينكره على قائليه ، مع كونه أمراً قد شاع فى أقواله بأفواه الناس الخاصّة والعامّة[٦] .

مغامرة الأمير الشاب وشهادة الملك فى مجلس القاضى

وكان الصليحى فى أيام شبابه قد نزل إلى مدينة حَيْس لاستطلاع خبر عبدَىْ مرجان — نفيس ونجاح ، فمرّ عليه بعض من يعرفه ، فتجرّد عن ثيابه ، ولبس ثياب السلاّط يبيع السليط فى معصرة من معاصر حَيْس . وتحمل شهادة فى منزل رجل يقال له السبخة . فلما ملت الصليحى مدينة زبيد وقف له عجوز بخطه ، فعرفه . فركب إلى مجلس القاضى ، وأدّى عنه شهادة كان تحمّلها فى صباه ، ثمّ تحدّث مع القاضى سرّاً ، وافترقا . هذه القصة — كما رواها عمارة[٧] —

---

(١) عيون ٢/٧ . (٢) أنباء / دار ٣٨ ؛ كفاية ٤٧ . (٣) عيون ٣٨/٧ .
(٤) عمارة / كاى ١٥ ؛ كفاية ٤٧ .
(٥) جبل السراة هو أعظم جبال العرب أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام (صفة ٤٨) .
(٦) عمارة / كاى ١٧ ؛ كفاية ١٧ .
(٧) عمارة / كاى ١٦ — ١٧ . وكذا رواها إدريس فى عيون ٧ / ١٥ — ١٦ نقلا عن صاحب المفيد فى أخبار زبيد . وقد علق إدريس على هذه الرواية وقال : ولم ينكر الداعى على بن محمد على أحد مذهبا من مذاهب فرق الإسلام على تشعبها ، بل أقر كل أمرىء على ما كان عليه . وكان يرفع أهل العلم وذوى الديانة والفضل من أهل مذهبه وغيرهم . وكانت له سيرة عادلة وأخلاق فاضلة رواها الخاص والعام ... تدل على حسن مذهبه وفضل أدبه ... ولم يجحد ذلك إلا مكابر مشبه ليضل الأوباش من أمثاله ... الخ .

تتضمن معانى سامية من اقتحام الأمير الشابّ المغامر فى المخاوف وشجاعته ، ثم تواضع الملك الفاتح فى أوج عزّه وسؤدده ، وخضوع السلطان واستسلامه للقانون ، واحترامه لقداسة القضاء . ولا يخفى أن الصليحى أبقى القضاة بعد فتح تهامة فى مناصبهم العالية مراعاة لأحوال رعاياه السنّيين .

زواج الصليحى من السيدة أسماء

وأحبّ الأمير الشابّ ابنة عمّه السيدة الحرة الصليحية أسماء بنت شهاب[1] . حدّثنا عمارة عن القاضى عمر بن المرجل الحنفى[2] قصة زواجه من أسماء ، وقال : « كان على باب زبيد من داخل السور دار رجل من الحبشة ، يقال له فرج السحرتى ، وكان من أهل المعروف والصدقات الواسعة . وكان من نزل بمسجده أكرمه وأواه ، ويتفكّر ويدخل المسجد يتجسّس أخبار الضيوف سرّاً من وكلائه وخدمه . فخرج ذات ليلة ، فظفر برجل يقرأ القرآن ، فسأله عن العشاء ، فأنشد قول المتنبى :

من علّم الأسود المخصىّ مكرمة ... أعمامه البيض أو أخواله الصيد

فأخذه الحبشى ، وطلع به إلى أعلى مكان فى داره ، وأكرم مثواه ، واستخبره عن سبب قدومه إلى تهامة . قال الصليحى : إن لى عمّا يقال له شهاب ، وله ابنة يقال لها أسماء ، قليلة النظير فى الجمال ، معدومة المثل فى الأدب والعقل ، وخطبتها إليه ، فأشطّ علىّ فى مهرها ، وأمّها تقول : لا تزوجها إلاّ لبعض ملوك همدان بصنعاء أو ملوك بنى الكرندى بمخلاف جعفر . وقد استاموا علىّ من المال مبلغا لا قدرة لى عليه . وأنا متوجّه إمّا إلى بنى معن بعدن ، وإمّا إلى بنى الكرندى بالمعافر . قالوا : فدفع له القائد فرج السحرتى مالا جزيلا أضعاف ما أدّى الصليحى ، وجهز العروسين جميعاً أحسن جهاز يحتفل الملوك به لعقائلهم ، وأعاده إلى عمّه ، فتزوج بأسماء » .

---

(١) توفيت فى سنة سبع وستين وأربع مئة فى عهد ابنها الملك المكرم أحمد بن على الصليحى .
(٢) الحنفى نسبا ومذهبا ، وكان من العلماء كما حكاه عمارة / كاى ١٥ .

فضائل السيدة أسماء في أقوال المؤرخين

« وكانت أسماء من أعيان النساء» كما ذكرها الأزدى[١] . قال : « وكان يثق بها ثقة تامّة لكمالها ؛ فوكل إليها أمر تدبير الدولة ، ولم يخالف فى أغلب أمورها ، ويجلّها إجلالا عظيما . وكانت إذا حضرت مجلساً لا تستر وجهها عن الحاضرين . وكانت من حرائر النساء » .

وقال عمارة[٢] : «وكانت أسماء من الكرم والسودد ، والجوائز السنية الجزيلة للشعراء ، والصلات الواسعة فى سبيل الله تعالى وفى سبيل المروءة والخير ، بحيث يمدح أولادها وإخوتها وبنو عمّها بمفاخرها » . وفيها يقول شاعر زوجها واسمه عمرو بن يحيى الهيثمى[٣] من قصيدة أولها :

حثمت بيضاء الأنامل حثما[٤]

ومنها :

رَسَمَتْ فى السَّماح سنّةَ جود لم تَدَعْ من معالم البخل رسْما[٥]

قلت إذ عظّموا لبلقيس عرشاً دَسْتُ أسماء من ذرا النجم أسمى[٦]

وقال ابن الجوزى[٧] : « وكان يخطب لها على المنابر ، فيخطب أولا للمستنصر ثم لعلى الصليحى ، ثم لزوجته ، فيقال : اللهمّ وأدم أيّام الحرة الكاملة السديدة كافلة المؤمنين » .

وقال الخزرجى[٨] : « وكان فيها من الكرم والحزم والتدبير مالم يكن فى أحد من نساء زمانها » .

---

(١) الأزدى : الدول المنقطعة ورقة ٦٩ . (٢) عمارة / كاى ١٦ .

(٣) عمارة / كاى ١٦ : واسمه أسعد بن يحى الهيثمى . ولعل الصواب عمرو بن يحى الهيثمى . ونسب الأزدى فى الدول المنقطعة البيتين إلى الشاعر حسين القمى.

(٤) هامش عمارة / كاى ١٦ : حثمت بيض الأنامل حثما .

(٥) رواية الأزدى: سمة جود . (٦) وفى رواية : من زرى المجد .

(٧) ابن الجوزى : مرآة الزمان ١/١٢ ورقة ٨٨ ب .

(٨) كفاية ٤٩ .

الصليحي يتلقى العلوم من شيخه الزواحي

ولما انتقلت رياسة الدعوة في بلاد اليمن إلى الشيخ سليمان بن عبد الله الزواحي[١]، شرع في ملاطفة القاضي، فكان « يركب إليه كثيراً لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه »[٢]. وكان الشيخ سليمان كلما وصل إلى القاضي ورأى ولده عليّاً، لاحظ عليه مخائل النجابة[٣]، ورأى فيه دلائل الفضائل وهو في أوان الاستجابة[٤]. وكان عليّ يومئذ دون البلوغ، فأخذ الشيخ يتصل به، ويطلعه على ما عنده من أخبار وآمال ومشروعات كبار، حتى استهاله وغرس في قلبه ولبّه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مبادئه[٥]. ويقال إنه كان عند الزواحي حلية الصليحي في كتاب الصور (الجفر)[٦]، « وهو من الذخائر القديمة، فأوقفه منه على تنقل حاله وشرف مآله، وأطلعه على ما أطلعه عليه سرّاً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعا »[٧].

الزواحي يجعل عليا خليفته

ولما اطمأن الزواحي لنضج تعاليمه في نفس تلميذه جعله خليفته في الدعوة بعد أن وافق الإمام المستنصر الفاطمي بمصر على ذلك[٨]، « وطالع الزواحي حضرة إمامه في أمره، فأتيح له أن يفضي بمكنون سرّه »[٩].

وإننا نعتقد أن الداعي الزواحي قد تمكن بما أتى من قدرة وسعة علم ولباقة فائقة وطلاوة في الحديث، من إدخال الشاب عليّ في علوم الدعوة وإقناعه بضرورة الحرص عليها، كما نعتقد أنه لم يلاق صعوبة في جذبه إليه لما أبداه عليّ من رغبة

---

(١) انظر جدول أسماء الدعاة بعد منصور اليمن.
(٢) كفاية ٤٧. (٣) نفسه؛ انباء / دار ٣٨.
(٤) عيون ٧/٣٨ ويقصد بأوان الاستجابة أوان استجابته للدعوة.
(٥) نزهة ٢/٣٤؛ أنباء / دار ٣٨؛ كفاية ٤٧.
(٦) انظر تعليق (كاى) ملحوظة ٢٦ صحيفة ٢٤٩.
(٧) كفاية ٤٧. (٨) عيون ٧/٢. (٩) نفس المرجع.

صادقة فى الاستمرار والتقرب من شيخه المفيد ، وهـــذا بفضل ذكائه الذى ظهر فى سنّ مبكرة . ثم إن عزم علىّ وجدّه وحرصه على ألاّ يفلت منه هذا الأمر جعله ينكب على دراسة كتب الدعوة التى آلت إليه بعد موت الزواحى، لأن هذا، كما قال الخزرجى[1]: « كان قد أوصى قبل وفاته بجميع كتبه له ، وأعطاه مالا جزيلا كان قد جمعه من أهل مذهبه » . وهذا يدل دلالة واضحة على نضج فكرة الدعوة وأصولها فى عقل هذا الشاب الذى كتب له أن يلعب دوراً هامّا فى تكوين تاريخ بلاده .

وكان ذكاء الصليحى من أهم عوامل نجاحه ، فلم يكد يبلغ الحلم حتى تضلع فى معارفه التى بلغ بها وبالجد السعيد غاية الأمل البعيد[2]؛ فأصبح، كما قال عمارة[3]: « عالما فقيها فى المذهب الفاطمى مستبصرا فى علم التأويل » .

الصليحى يتخذ الحج وسيلة لبث دعوته

وقد أدى ذكاء على الصليحى به إلى أن ينهج نهجا جديدا ، وأن يسلك طريقة تخالف طرائق من سبقه من الدعاة فى اليمن فى بث دعوته ونشر مذهبه . فاتخذ ميدان الحج حقلا لغرس مبادئه وتنميتها ، وصار يحج بالناس عن طريق السراة والطائف نحوا من خمس عشرة سنة ، فانتشر ذكره فى البلاد على لسان الخاصة والعامة.

ونرى أن هذه المدة الطويلة التى مرت من موت الزواحى إلى قيام الصليحى بثورته فى مسار، وتقرب من خمسة عشر عاماً، كانت كافية لصقل على، «لأن الأحوال تنقلت به من خفض إلى رفع ومن ضر إلى نفع »[4]، كما كانت كافية لتكوين جماعة قليلة تدين بالإخلاص له ولأمره .

---

(١) كفاية ٤٧ . (٢) نفسه . (٣) عمارة / كاى ١٤ — ١٥ .
(٤) عمارة / كاى ١٥ .

دعوة الصليحى لعامة القوم

ولا يخفى أن طلاب السلطة يراعون دائما جانب العامة ، وهم السواد الأعظم فى كل مجتمع ، فيعملون لهم كل حساب ، ويتقربون إليهم بما يرضيهم . ولما كان الدين هو جامعتهم الكبرى ، ومن أكبر أسباب سعادتهم ، تمسّك الصليحى بالديانة الإسلامية والمثل العليا . فكان متفقها فى عقائد المذهب السنّى ، وكان لا يظهر حقيقة مذهبه إلا لمن يثق به ، فاتخذ الدعوة بالتى هى أحسن لتكوين مجتمعه الذى ينشده وليصل إلى ماتصبو إليه نفسه .

ولم تكن دعوة الصليحى فى أول الأمر للأمراء وعلية القوم وأصحاب المصالح ، لأنه كان يفهم تماما أن هؤلاء سيحاربونه بأى حال من الأحوال ؛ ولكنه اتصل بالعامة بل وبالمتحمسين منهم للدين ، وهم الحجاج ، فكأنه دخل بدعوته فى هذا الميدان متشحا ومتجملا بالدين ومحاسنه ، وهو متحقق أنه لا بد من أن يستميل إليه أعوانا ، ولو طال به الزمن ، ما دام متمسكا بالدين .

ولما كان الصليحى من طلاب السلطة المطلقة وجد أنه لا يمكنه أن يستغنى عن العامة ، لأنهم السواد الأعظم فى الرعية ، وبهم تجبى الأموال ، ومنهم تتألف الجنود ، ومن استطاع كسب ثقتهم وجذب قلوبهم ملكوه . ولا يجتذب قلوب العامة فى تلك العصور مثل الدين . فإذا اجتمعت السياسة والعدالة تمّت وسائط السلطة ، وتولى أمور الناس أقدرهم على استرضاء العامة .

فهِمَ علىّ الصليحى هذا كله ؛ ولا غرو ، فإن آماله ودأبه على تحقيق هذه الآمال كفيلة بنجاحه ووصوله إلى تحقيق أغراضه .

رؤساء همدان يبايعون الصليحي على نصرة الدعوة

وكان موسم الحج من سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة فاتحة عهد جديد فى

فى نجاح الصليحى ، حيث بايعه ستون رجلا من قبيلة همدان[١] على الموت أو الظفر بقيام الدعوة[٢] ، وعلم كل واحد منهم أنه جندىّ من جنود الله ، فباعوا أنفسهم بيع السماح ، وتضافرت القوى على نصرة الدعوة بالأنفس والمال .

وكان هذا نصرا من غير شك ، وبخاصة إذا عرفنا أن هؤلاء الذين بايعوه على نصرة الدعوة لم يكونوا ضعافا لا حول لهم ولا قوة ؛ بل كانوا فى عزة ومنعة من أهلهم . وهذا لا يتعارض مع ما ذكرناه من أن اعتماد الصليحى كان على العامة . فهؤلاء العامة كانوا من قبيلة همدان القوية العزيزة الجانب ، والتى كانت القبائل العربية الأخرى هناك تعمل لها حسابا .

وقد قال عمارة فى أتباع الصليحى : « وما منهم إلا من هو من قومه فى منعة وعدد كثير » .[٣] فبانضمامهم للدعوة عز جانبها ، وقوى ساعد الصليحى ، كما كان ذلك مشجعاً لمن كان متردّدا من المستجيبين على أن يحذو حذوهم .

الصليحي يستعد للثورة

تمكن على بن محمد الصليحى بذلك من تكوين جماعة صغيرة مخلصة له ، وقد أصبحت هذه الجماعة نواة لقوة كبيرة إذ تعهدتها يد العناية . ونظرا لأن أعداء الدعوة كانوا قد تسببوا فى قتل ونهب الكثيرين من أتباع الدعوة ، صمم الصليحى على أن يقوم بعمل حاسم نحو المعارضين باستيلائه على مسار ، وتعميره وجعله مركزا لدعوته وقاعدة لمناوراته ، ولكن هذا المشروع يقتضى الاستعداد والحيطة . فبدأ يستعد للثورة ، وساعدته الظروف إلى حد كبير ، حتى كون جيشا من بطون همدان . « وقد اقتنع الصليحى وأنصاره بصدق الوعد الذى قدمه الله للمسلمين فى القرآن

---

(١) تضم قبيلة همدان بطونا كثيرة لم تخضع جميعها للصليحى ولم تقبل دعوته ، بل دخل بعضهم فى الدعوة واستمر يدين بأصولها من أيام منصور اليمن إلى أيامنا هذه . ويعتصم جماعة منهم بجبال حراز وبخاصة اليعابر وجماعات أخرى فى نجران وعراس . وهم معروفون بشهامة أخلاقهم وحسن هيئتهم .

(٢) قرة ورقة ٢١ ؛ كفاية ٤٧ .

(٣) عمارة / كاى ١٧ .

الكريم بالإيمان الذى استقر فى قلوبهم إلى مواجهة الصعاب عن ثقة بالله وبالإمام الذى وعدهم بالنصر أينما ذهبوا »[١] .

وبهذا الإيمان القوى وعبادئه تقدم الصليحى وأصحابه فى فتوحاتهم ، كما سترى ، بقوة تقهر المصاعب ، وتذلل العقبات ، وتحل المشكلات . ولكن لكل شىء أسبابه ووسائله . وهذه الأسباب والوسائل قد تطلبت من غير شك كثيرا من الجهد والتدبير والتقدير وإعمال الرأى ، لتجمع هذه القلوب المتفرقة أولا ، ولتندفع فى تيار الحرب لرفع راية الإمام ثانيا . ولقد بذل الصليحى وأصحابه جهداً كبيراً فى هذا السبيل لجمع الكلمة وتوحيد الهدف . فتمكن بفضل ما أوتى من شخصية قوية نادرة أن يتغلب على هذه المشكلة ، بأن جعل أتباعه يعتقدون أنهم يحاربون لنصرة الإمام وإعلاء كلمة الله ، وليس لأمر من أمور الدنيا . فكتب له ما تمنى من التوفيق وأخذ فى الأسباب . فكاتب من جهة إمامه بمصر الخليفة المستنصر بالله وطالعه فى هذا الأمر ، وأخذ من جهة يعاهد أصحابه ومن صحت فى نفوسهم دعوته ، كما حدث أن اتفق مع الهمدانيين على الوصول إليه فى يوم معلوم .

ولما شاع الخبر بأنه يستعد للثورة والقتال ، وأنه ينتظر أمر مولاه ، ازداد تحرش الأعداء بأهل دعوته وأتباعه . فوثب ابن جهور صاحب لِهَاب[٢] على من كان بناحيته من الصليحيين وأصحابه ، وأسر القاضى لمك بن مالك الحمّادى وعدداً كبيراً منهم . فضاق الأمر على الصليحى ، ورأى ، كما حكاه الداعى إدريس[٣] ، فى منامه أن الإمام يقول له : « ستملك جزيرة اليمن برّها وبحرها ونجدها وغورها » .

ولعل فراسة الصليحى وحسن تقديره لعواقب الأمور جعلته يتوقع ما سيجيبه به الإمام ، الذى لا يمكن أن يعارض بحال من الأحوال فى أمر فيه نشر لدعوته وإعلاء لكلمته ولن يكلفه ذلك إلا الموافقة وتشجيع الطالب على الاستمرار فى

---

(١) حسن سليمان فى رسالته .

(٢) لهاب فى حراز ذكرها الهمدانى فى صفة ٦٨ ، ١٠٥ .

(٣) عيون ٧/ ٢ — ٤ .

طلبه ، ولكى يبرهن الصليحى على صحة حلمه أمام مستجيبى دعوته استبشر بذلك وأظهر الفرح ، وقويت عزيمته ، وبثّ هذه الروح فى قلوب أتباعه ، وجدّ فى الاستعداد لتنفيذ خطته . فأرسل إلى أهل دعوته رسلا يحثهم على الوصول إليه ، واشترى العدة واللبابيد[1] ، فخفّ لمقابلته كبار أهل دعوته من أهل نواحى حراز[2] .

قيام الصليحى بالثورة

وقد استقر رأى هؤلاء جميعا على أن يقوموا بهذا الأمر عند صلاة العصر من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة[3] ، وهى الليلة التى اتفق مع أهل دعوته على أن يوافوه فيها . واجتمع له فى هذه الليلة من أرض يام (خلف صعدة) ، من بلاد همدان ، من نواحى صنعاء ومن أرض حمير وغيرها ثلاث مئة رجل ، عدا من جاءه من نواحى حراز .

فلما صاروا بحضرته أطلعهم على ماعقد عليه عزمه ، وأخبرهم بأنه أمر أهل دعوته فى جميع النواحى بأن يوافوه فى يوم معلوم ، وأنه قد عزم على عمارة مسار

---

(١) الظاهر أنه جمع لبادة وفى ق / لبد قال : واللبادة كرمانة مايلبس من اللبود للمطر .

(٢) جاءه من أهل هوزن سليمان بن أبى القاسم وعبدالرحمن بن سبا بن أبى سهيل وجاءه من لهاب قاسم والحسين ابنا عبدالله بن أحمد وخولة بن أبى القبائل وسبأ بن عباس وعبد الله بن أبى المعدل وعبد العزيز بن على ومن بنى قليد أهل شيذب عراف بن محمد ومحمد بن الحسين ، ومن المقامقة سويد بن أحمد ومن الوجب أبو الجماهر وأبو العشيرة ابنا قليد البحرى وأبو الحسن بن أبى العشيرة وحمير بن عبدالله ومن صعفان التبع بن محمد بن أبى يعلى وبسام ابن قحطان بن أبى يعلى وأبى الحفاظ بن عبد الله بن يعلى وسليمان وعبد الله ابنا كنعان والمدرج وكفيفى ابنا أبى العشيرة ومن بنى الصليحى يعلى بن المظفر الصليحى وجماعة من أهل بيته . وهؤلاء أعيان أهل الدعوة فى ذلك الأوان بحراز وكبراؤهم (عيون ٧/٤ — ٥) .

(٣) يقول عباس الهمدانى : فى رسالته ص١٤٦ هامش ٥ : « ولقد اختلفت المصادر القديمة والحديثة فى السنة التى ثار فيها الصليحى ، وذلك أن المراحل الثلاثة فى تاريخ الصليحى لم تفهم فهما تاما . وهذه المراحل هى : الأولى إطلاعه بالدعوة بعد وفاة الزواحى ؛ والثانية قيامه بالثورة فى مسار والثالثة إعلان حكمه باليمن . كل هذه المراحل اجتازها فى مدة طويلة . وهذا هو السبب فى اضطراب المؤرخين . وتحت عبارة « إظهار الدعوة » اختلف المؤرخون فى فهم هذه المعانى الثلاثة . أما عن قيامه بالثورة فى مسار فبعض المؤرخين يقول إنه ثار فى سنة ٢٩ ومنهم عمارة / كاى ١٧ ، إدريس : عيون ٦/٧ ، نزهة ٣٤/١ والخزرجى فى كفاية ص ٤٧ =

وإظهار دعوة المستنصر بالله الفاطمى ، والجهاد فى سبيل الله ؛ وقد استقر رأى مجلس الشورى هذا على الاستمرار فى خطة الداعى ، وسرّهم هذا الرأى ، وأيقنوا بالغلبة والظفر ، كما استقر رأيهم على وجوب الأخذ بأسباب الاستعداد . « فجمعوا ما استطاعوا من العدة ، وتواصوا ببذل النفوس والأموال فى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وطاعة الإمام »[١] .

وجاء بنو الصليحى بخمس مئة دينار ، وسويد بن أحمد صاحب القامقة بمئة دينار ، وأهل لهاب بألف دينار ، وبنو قليد[٢] بثلاث مئة دينار ، وأهل هوزن[٣] بخمس مئة دينار ، وبعثوا بها إلى الصليحى ، فأثنى عليهم وشكر لهم سعيهم ، وقال لهم : « سوف يضاعف الله لكم أضعاف ما أسلمتم ، وليمكننكم الله من ديار الظالمين ، ولتنالنّ ماترومونه ببركة أمير المؤمنين[٤] » .

= ابن خلكان : وفيات ٢/٧٣ ؛ واتبعهم عدد من المؤرخين المتأخرين ، مثل ابن الديبع : بغية ورقة ١٠ ؛ حسن بن نوح : الأزهار ١/١٣٩ ؛ باخرمة : قلادة النحر ٢/٢ ورقة ٦٠٠ ؛ العمرى : مسالك الأبصار ١/١٦ ورقة ١٩٨ ؛ العرشى : بلوغ المرام ٢٤ . وبعضهم يقول إن ثورته كانت سنة ٤٣٩ ، ومنهم الحامدى : كشف ٤٢ — ٤٣ . وإنى بالرغم مما ذكره المؤرخون المؤيدون لسنة ٤٢٩ أميل إلى رأى الحامدى ، وذلك لأنه معاصر للصليحى » .

وقد أيده حسن سليمان فى رسالته ص ٥٣ بالدليل الآتى : « ولعل عمارة كان يقصد ان عليا الصليحى كانت سنه عندما أعلن ثورته تسع وعشرين سنة . ويؤيد ذلك الرأى ما أجمع عليه المؤرخون من أن الشيخ الزواحى توفى ولم يكن على الصليحى قد بلغ الحلم ، أى أنه لم يبلغ الرابعة عشرة ، ولما كان قد حج بالناس خمس عشرة سنة أخرى فتكون سنه حين أعلن أمره هو تسع وعشرين سنة . وبذلك يمكننا أن نقرر أن مولد الصليحى كان على وجه التقريب سنة ٤١٠ ، وأن توليته أمر الدعوة كان سنة ٤٢٤ وأن ثورته كانت سنة ٤٣٩ » .

ومع كل هذا فإننا لا يمكننا أن نقطع بالجزم فى تاريخ قيامه بالثورة فى مسار ، لأننا نميل إلى الأخذ برأى كل من عمارة وإدريس والحامدى ، ونتمنى أن توجد مصادر أخرى تنير طريقنا فى هذه المسألة

(١) عيون ٧/٥ — ٦ .

(٢) كذا فى الأصول ، ولعلهم من قرية تسمى الآن بيت المقلد من ناحية جبل شبام الغربية .

(٣) صفة ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢١٨ — وهوزن بمخلاف حراز ، وهوزن سبع أسباع حراز التى تشمل : هوزن وكرار وصفان ومسار ولهاب ومحيح وشبام .

(٤) عيون ٧/٥ — ٦ .

استيلاء الصليحى على جبل مسار

ولما أتم على بن محمد الصليحى استعداده للثورة أرسل من أهل هوزن أربعين رجلا ، وأمرهم أن يسيروا إلى مَسار ، وأن يلزموا ذروة الجبل ، كما أمرهم بأن يبيعوا وجوههم شطر صَعْفان لأن أهل مسار قد تأهبوا لقتاله ، وحصنوه من كل جهة إلا من جهة بنى عُجَيْل[1] ؛ وعلم بذلك الصليحى عن طريق بعض أعوانه الذين تسللوا إلى قمة مسار وعرفوا مايجرى هناك ، كما علم أن بعض أهل مسار قد دخل فى مذهبه وبذلك عرف كيف يرسم خطته للاستيلاء على هذه القمة العالية .

وفى نفس الوقت قام الصليحى ومن معه بعد صلاة العشاء لخمس عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة ومعه حلفاؤه ، وجدّ فى السير خشية أن يسبقه أهل كرار فى احتلال الجبل ، وانتهى الصليحى إلى عَبْرَىْ سِهام[2] ، وطمع أهل مسار فى محاربته من ناحية عبرى سهام ، ولكنهم لم يتمكنوا ، فاتجهوا إلى قمة الجبل ليعتصموا بها ، فوجدوا أهل هوزن قد ملكوها وضربوا طبولهم . فاضطر أهل مسار إلى الهرب ، وصعد الصليحى وملك الجبل بغير قتال ، ونشر على رأسه بنودا ترجع إلى عهد الدعاة السابقين[3] .

فلما ملك قمة الجبل ، لم ينتصف ذلك النهار الذى ملكها فى ليلته ، إلاّ وقد أحاط به عشرون ألف سيّاف ، فحصروه وشتموه وسفهوا رأيه ، وقالوا له : « إن نزلت وإلاّ قتلناك أنت ومن معك » . فقال لهم : « أنا مافعلت هذا إلا خوفاً عليكم أن يملك هذا الجبل غيرنا ؛ فإن تركتمونا نحرسه لكم وإلا نزلنا » . فانصرفوا عنه وتفرقوا[4] . وكان رسل الصليحى الراجعون من مصر ليلة طلوعه جبل مسار

(١) وهم من بيت الفقيه ابن عجيل .

(٢) صفة ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، وهى تنطق اليوم عبرى سهام بضم العين .

(٣) عيون ٦/٧ ، ويلاحظ أن استيلاء الصليحى على مسار يدل على أهمية الذروة من الناحية الحربية لأنها تعد من المواقع الممتازة فى اليمن ، ومسار وشبام هما جبلا حراز الرفيعان وطوداه المنيعان .

(٤) كفاية ٤٧ .

ممسين فى المهجم ؛ فوصلوا إليه وهو بحصن مسار بعد يومين من طلوعه الجبل ، وأوردوا جواب إمامه المستنصر بالله الفاطمى بأذن بإقامة الدعوة باليمن . فسر ذلك الصليحى وأتباعه[١] ، ومالبث أن أخذ نفوذه يزداد وشأنه يرتفع بفضل اعتماده على تأييد الإمام[٢] ، ثم وصلته الشيعة من أنحاء اليمن ، وجمعوا له أموالا جليلة[٣] .

ولما لم يكن بالجبل يومئذ بناء ، لم يلبث الصليحى أن بدأ بعمارته ساعة وصوله ، وذلك فى يوم الخميس للنصف من شهر جمادى الأولى سنة ٤٣٩؛ ولم يمض شهر على احتلاله حتى بناه ودربه وحصنه وأتقنه[٤] .

خطاب الصليحى إلى أهل حراز

وبعد استيلائه على جبل مسار كتب على بن محمد الصليحى كتابا أمر ببثه فى جوانب حراز ، وهذا نصه[٥] :

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذى أورى زناد الحق ، ورفع عماد الصدق ، بالذين أكمل بهم الحجة على الخلق ، وأنارهم مابين الغرب والشرق ، الهداة إلى الخير والأدلة ، الدعاة إلى أشرف المنهاج والملة ، خلفاء أنبيائه ، وأمنائه وأصفيائه ، وسلالة رسله من لدن آدم عليه السلام ، ووصل نظامهم ، وأعلى مقامهم ، وفتق بالنور أيامهم ، ونشر بالعدل أعلامهم ؛ فهم أعلام الدين ، والدعاة إلى الحق المبين ، الشيعة الميامين ، والسلالة الطيبين ، آل طه ويس .

« وصلوته على من ختم به الرسالة ، وفتح بالأئمة من عقبه أبواب الدلالة ،

---

(١) عيون ٧/٨ .
٢) المرجع السابق ٧/٨ ؛ كشف ٤٢ .
(٣) كفاية ٤٧ .
(٤) المرجع نفسه .
(٥) عيون ٧/٧ — ٨ .

سيدنا محمد النبيّ ، وعلى أخيه ووصيه عليّ ، وعلى الأئمة من نسل مولانا الحسين الزكيّ ، ورثة التنزيل ، وخزنة التأويل .

« وأفضل صلوته وأنمى تحياته وبركاته على وارث علمهم ، والقائم من بعدهم ، بقية السلف ، وخيرة الخلف ، مولانا معدّ أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى خلفه وسلفه .

« أما بعد ، ياأهل حراز! ألهمكم الله رشدكم ، وجعل الجنة قصدكم ، فلم أطلع إلى حصن مسار متجبرا باغيا ، ولا متكبرا على العباد عاتيا ؛ ولا أطلب الدنيا و حطامها ، ولا طالبا أملك غوغاءها وطغامها ، لانّ لى بحمد الله ورعا يحجزنى عما تطمح النفوس إليه ، ودينا أعتمد عليه .

« وإنما قيامى بالحق الذى أمر الله عزوجل به ، والعدل الذى أنزله فى محكم كتابه ، أحكم فيه بحكم أوليائه ، وسنن أنبيائه ؛ وأدعو إلى حجته الذى فى أرضه ، والقائم بفرضه . لست من أهل البدع ، ولا من ذوى الزور والشنع ، الذين يعملون فى الدين بآرائهم ، ويحكمون بأهوائهم ؛ بل أنا متمسك بحبل الله المتين ، عامل بما شرع الله فى الدين ، وداع إلى أمير المؤمنين ، عليه صلوات رب العالمين . لاأقول إلا سدادا ، ولا أكره فى الدين أحدا . فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها . ومالله يريد ظلما للعباد .

« واعلموا ، يا أهل حراز! أنى بكم رءوف ، وعلى جماعتكم عطوف ، للذى يجب علىّ من رعايتكم وحياطتكم ، ويلزمنى من عشرتكم وقرابتكم ، أعرف لذى الحق حقه ، ولاأظلم سابقا سبقه ، وأنصف المظلوم ، وأقمع الظالم الغشوم ، وأبث فيكم العدل ، وأشملكم بالفضل . فاستديموا ذلك بالشكر ، ولاتصغوا إلى قول أهل الكفر ، الذين من بقايا أهل الكفر ، فيحملونكم من ذلك على البغى والعدوان ، والخلاف والعصيان ، وكفر الإنعام والإحسان ، تستوجبوا بذلك تغيير الإنعام وتعجيل الانتقام . وكتابى هذا حجة عليكم ومعذرة إليكم . والسلام على من اتبع الهدى ، وتجنب أمور الردى .

« والحمد لله على ما أعاد وأبدا ، وصلواته على من أرشد به من الضلالة وهدى ، سيدنا محمد النبي وآله الأئمة الشهداء وسلم تسليما ، حسبنا الله ونعم الوكيل » .

قيام جعفر العيانى وجعفر الشاورى لمحاربة الصليحى

استفز ازدياد نفوذ الصليحى وانتشار أمره جماعة من زعماء اليمن ، وخافوا عاقبة ذلك. فقصد الشريف جعفر بن الإمام القاسم بن على العيانى صاحب صعدة فى جمع كبير من أصحابه حصن الأخروج ، فقاتل أهله ، وكان به الحسين بن مهلهل من أصحاب الصليحى ، ومعه جماعة من همدان وبنى شهاب[١] . وانتهز هذه الفرصة جعفر بن العباس الشاورى[٢] صاحب مغارب اليمن الأعلى ، وقام على رأس جند كثيف[٣] من حراز وكرار وغيرهما من أهل البأس والشدة ، وقصد عبرَى أسفل جبل مسار ، وأراد طلوع الجبل ، فنزل أنصار الصليحى يدافعون عن بقائهم وعن نصرة مبادئهم ، لأن النصر معناه البقاء لهذه الدويلة الناشئة ، والهزيمة معناها الفناء والقضاء عليها. ولما كثر القوم على أنصار الصليحى وخشى الهزيمة وما يترتب عليها من سواء العاقبة نزل بنفسه ومن بقى معه ، واستمد من الحرج قوة ، فشد بذلك عزم أتباعه ، وحمى وطيس القتال ، حتى كسر الصليحى جيش بن عباس الذى لاذ بالفرار مغلوبا على أمره ؛ ولكنه مالبث أن رجع وثبت طمعاً فى النصر ، فكان جزاؤه القتل هو ومن معه من أتباعه ، وغنم الصليحى وأصحابه الكثير من السلاح والأمتعة والعدة. فقوى بذلك مركزهم ، وزاد نفوذهم ، وقويت روحهم المعنوية ، وخافهم من كان يترقب من القبائل نتيجة هذه الموقعة . فاضطر الشريف حين سمع بخبر قتل حليفه ابن العباس وهزيمة جيشه أن يترك حصن الأخروج وينجو بنفسه[٤]

---

(١) عيون ٨/٧ وبنو شهاب نسبهم الهمدانى إلى كهلان ، ثم إلى كندة ، وجعلهم نشوان من قضاعة ، كما حكاه لنا القاضى محمد الحجرى .

(٢) قال الخزرجى فى الكفاية ٤٧ : « شافعى المذهب ، وكان رجلا عجاباً فى مغارب اليمن الأعلى » .

(٣) نفسه ٤٧ : « ثلاثين ألفاً » .

(٤) عيون ٩/٧ .

محاربة الصليحى لابن جهور

وكانت هذه المحنة التى حاقت بالصليحيين بمثابة اختبار لقوتهم وتعاونهم وتمسكهم بمبادئهم ، كما أن شخصية الصليحى وجلال قدره وحسن بلائه فى تأييد أمره أسكن النفوس الغاضبة ، فسار بالأمر قُدماً ، واستولى على حَضور[١] ، وأخذ حصن بِتَاح[٢] ، وخاف أهل حراز النزال ، فقرروا الدخول فى طاعة الصليحى إلا أبو النور ابن جَهْوَر . فقد صمّم على الاستمرار فى المكابرة ، واعتصم بحصن لهاب . واضطرّ الصليحى إلى تكليف السلطان عامر بن سليمان الزواحى أن يصعد جبل شبام[٣] وبيت عناد ، ومعه جماعة من بنى قليد وهَوْزَن وبنى الهَجَرَى[٤] ، ثم وصل أحمد بن المظفر الصليحى وجماعة من الحجازيين فيهم عباس بن الكرم ، فعمّروا دارا فى قمة جبل شبام ، كما عمروا جبل بيت عناد استعداداً لمقاومة ابن جهور[٥] .

وبعد أن تحصنوا فى هذه الناحية اتجه جيش الصليحى لمحاربة ابن جهور فى لهاب ، وضيقوا الحصار عليه . ففك أسر جماعة من أصحاب الصليحى منهم القاضى لمك بن مالك الحمّادى الذى وصل إلى الصليحى وهو فى حصن مسار ، فسُرّ بوصوله لما كان يتمتع به من مركز ممتاز فى الدعوة . ولكن ابن جهور تمكن من أن يؤثر على أتباعه ويدفعهم إلى الاستمرار فى المقاومة . ولما ضعف جيشه ، ورأى أن مصيره إلى الهلاك استعان بنجاح[٦] ، وكانت علاقة هذا مع الصليحى حسنة ، إذ كان يلاطف نجاحا ويداريه ، ولكن هذه الوساطة لم تنجح ، فتمادى ابن جَهور فى بغيه ، فحاصر

---

(١) حضور . (صفة ١٠٦) .
(٢) بتاح ، ثغر عدن ٢/١٥٩ . (٣) جبل شبام هو شبام العبابر (صفة ١٩٣) .
(٤) بنى الهجرى (نفسه ٤٨٩) ، وتسمى اليوم الهجرة وهى قرية قريبة من مناخة .
(٥) عيون ٧/٩ .
(٦) أسس هذا الدولة النجاحية فى زبيد سنة ٤١٢ هـ .

على حصن زَبَار[1] حتى سقط ، فاضطر أبو النور إلى تسليم نفسه إليه فى مسار ، فأنزله الصليحى فى ضيافته وأكرمه وأحسن إليه .

ويدل تسامح الصليحى مع ابن جَهْور على نبله ، لأنه بالرغم من أن ابن جهور قد تسبب فى إقلاق الصليحيين مدة من الزمن حتى استمات فى سبيل الوصول إلى النصر وتحريض الحانقين والناقمين على الصليحى ، بالرغم من هذا كله وجد الصليحى أن المعاملة الحسنة أجدى وأنفع مع كرام النفوس ، وآثر أن يكسب ودّ من بقى من أتباع ابن جَهْور حتى لا تحدثهم أنفسهم بالانتقام إذا ماقتل رئيسهم . وقد تحققت سياسة الصليحى ذلك ، لأن لهاب كانت منقسمة فيما بينها؛ فمنهم من انضمّ للصليحى وقدّم إليه المساعدة المادية وقدرها ألف دينار عند قيامه بمحاربة مسار ، ومنهم من انضمّ لابن جَهْور واستمرّوا فى عدوانهم حتى ثابوا إلى رشدهم بعد أن رأوا حسن المعاملة وكرم الأخلاق الذى غمرهم به الصليحى بعد ما أن قبض على ابن جهور وأبدى له تسامحه . ولا شك أن الصليحى أراد بهذه السياسة أن يجنب الأمة الخلاف فكبت بذلك الفتنة وردّ كَيْد الأعداء إلى نحورهم .

خطابه لأهل حراز فى مؤتمر عبرى دعاس

فعظم أمر الصليحى واستقامت له الأمور ودانت له الجماهير بحراز ، فأمر بعقد مؤتمر حضره أهل حراز كافة بعبرى دعاس . وبعد أن ترك فى حصن مسار من يحرسه نزل إلى عبرى دعّاس ، وألقى فى الاجتماع كلمة ذكرها صاحب العيون[2] . وقد جاء فيها أنه أمرهم بالصلوات وإقامة فرائض الدين ، وعمارة المسجد ، وإيقاد المصابيح فيها ؛ ... وذكر لهم بعد ذلك أن الأمر الذى قام به ليس هو من أمور الدنيا ، ولامراده كمراد سلاطين الدنيا ، بل قام مؤثرا لأمر ولىّ رب العالمين ، ومجاهدا فى سبيله ، غير مكره لأحد فى الدين ، ولا طالب إلاّ رضا الله رب العالمين ؛ . .

---

(١) زبار (صفه ١٠٨) .

(٢) عيون ٧/١٠ — ١١ .

وحذرهم الخلاف عليه والشقاق ، . . وعرفهم أنه لا يسير فيهم إلا بسيرة الحق والعدل ، وأنه مجبول على ذلك . . . وتقدم إلى العُمّال فى ذلك المحضر ، وأوعدهم بالتنكيل إن رفع إليه شىء مما نهاهم عنه ، ووعدهم بحسن السياسة وأنه لا يخالف الكتاب والسنة ، وأمر جميع الرعية أن يرفعوا إليه ما يكون من العمال من القبيح والحسن حتى ينزل بهم من إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم .

واقعة صوف

فبدأ الصليحى حكمه على الأسس التى أعلنها فى مؤتمر عبرى دعاس ، وتقدم فى تنفيذ سياسته المرسومة بخطا جازمة سريعة . ثم أراد أن يتبع سياسة المهادنة إزاء سلاطين اليمن وأصحاب الدويلات المجاورة ، إن نفعت هذه السياسة ، وإلا فمحاربتهم وإخضاعهم تحت راية حكومته . ولما ملك الصليحىّ جبال حراز والمناطق المجاورة ، وخشى ملوك تهامة والجبل بأسه الشديد وسياسته الرشيدة ، وملك حصون حضُور وما جاورها ، حاول بعد ذلك أن يهادن السلطان أباحاشد صاحب صنعاء ، كما هادن أباه السلطان يحيى بن إبراهيم الصحارىّ[1] من قبل . فلما تُوفى يحيى أرسل الصليحى بعض أصحابه وبنى عمه إلى صنعاء لتعزية أبى حاشد فى أبيه والإحسان إليه ، كما أحسن إلى من كان قبله ؛ ولكن أبا حاشد قد اعتبر تأدية مراسيم التعزية ومحاولاته فى المهادنة تدخلا من الصليحى فى أموره . فساءت العلاقة بينهما أخيرا مما أدى إلى قيام الحرب بين الطرفين ، انتهت بقتل صاحب صنعاء عند صوف هو وألف من أتباعه[2] . واستولى الصليحى على صنعاء ، « ورأى الناس من عدله وفضله وحسن سيرته ما ألّف له القلوب وأرغم له أهل النخوة والمكابرة »[3] .

---

(١) فى كفاية ٤٧ قال : توفى السلطان يحى بن أبى حاشد أول سنة أربعين وأربع مئة .

(٢) صوف بنى سوار = وهى قرية بين حضور وبنى شهاب ، وبهذه الواقعة يضرب المثل فيقال « قتلة صوف » (أنباء / دار ٣٩) . وأما إدريس فلايذكر قتل صاحب صنعاء ، بل قال : « توجه الصليحى إلى صنعاء فتسلمها وملكها ودان له أبو حاشد بن يحى ملكها » . (عيون ٧/ ١٥) . (٣) عيون ٧/ ١٥ .

واقعة نجد الجاح

فلمّا استولى الصليحى على صنعاء اضطرب الإمام أبو الفتح[١] واتصل بنجاح القائد صاحب تهامة وطلب منه إخراج الصليحى عن صنعاء وتملكها . فأدّت المكاتبات بين الإمام والقائد إلى إفساد العلاقة بين الصليحى وصاحب تهامه ، كما أدّت إلى وقوع الحرب بين الصليحى والإمام المذكور فى سنة أربعين وأربع مئة . وانتهت الحرب بقتل الإمام ونحو سبعين رجلا من أتباعه بنَجْد الجَاح[٢] ببلاد رداع ، ومثل به فحمل رأسه إلى صنعاء ، ودفنت جثته فى أفيق ببلاد عَنْس .

واقعة الهرابة

ولما كان المغلوب على أمره تحدثه نفسه دائما بشق عصا الطاعة كلما أتيحت له الفرصة ، فالهمدانيون باعتبارهم أكبر القبائل التى دانت للصليحيين ممن فكروا فى خلع طاعتهم ، بالرغم من أن الصليحى كان لا يسير فيهم إلا بسيرة الحق والعدل والسنة.

فاتصل رؤساء بعض بطون همدان بالشريف القاسم بن جعفر بن الإمام منصور القاسم العيانى ، واستنهضوه هو وأتباعه ، وخرجوا جميعا لغزو الصليحى . وكان ذلك سنة ٤٤٨ . وتقابل الجمعان بالقرب من قرية الهِرابة[٣] ، فردّهم الصليحى ،

---

(١) هو الإمام أبو الفتح الناصر الديلمى بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن على بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب (اتعاظ ١٣ ؛ زبارة : اتحاف المهتدين ٥١ ؛ وكامى ٣٠٣) . وصل إلى اليمن من الديلم سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وانضم إليه بعض قبائل اليمن الذين دخل بهم صعدة ، ثم سار منها إلى صنعاء وملكها ، ثم طرده السلطان يحيى بن أبى حاشد والشريف جعفر ابن الإمام منصور القاسم العيانى من صنعاء ، فعاد إلى ذى بين واختطظفار ذى بين . وقال إدريس (عيون ٧/١٣) : «وكان له (أى الناصر) قذع فى القول وسب للصليحى» . وكان الإمام من أجلة العلماء ، ومن مؤلفاته تفسير للقرآن فى أربع مجلدات كبار . قال الجرافى (المقتطف (١١١) : للامام أبى الفتح ذرية فى اليمن يعرفون ببنى الديلمى فى مدينة ذمار وغيرها ، ومنهم بيت هاشم .

(٢) فى اتحاف المهتدين ٥١ قال : قتله الناجم على بن محمد الصليحى فى سنة ٤٤٦ ومشهده بنجد الجاح من بلاد عنس اه ؛ والصواب أنه قتل بنجد الجاح ودفن بأفيق .

(٣) الكبسى : اللطائف السنية ورقة ١٦ ب قال : «الهرابة أكمة فى بلاد وادعة الظاهر» . وهى أكمة بين وادعة وبنى غشيمة ببلاد حاشد ، وإليها يشير السيد صارم الدين فى بسامته بقوله : « وفى الهرابة أيام لفاضلنا » ... البيت .

وحاصر الشريف الذى اعتصم هو ومن معه بالقرية سبعين ليلة ، ونصب عليهم المنجنيق ، فدافعوا عنها دفاع الأبطال حتى قتل كثير منهم ومات كثيرون لنفاذ المؤنة . فاضطر الشريف إلى أن يسلم نفسه للصليحى ، فأكرمه وخلع عليه . وكان فى استطاعته أن يأمر بقتله ليكون عبرة لمن يعتبر، ولكنه آثر الحلم لأن الرجل الشهم يقدر بسالة فى عدوه ، ذلك أن الصليحى وجد فى أهل هرابة صلابة وقوة ، ولم يتمكن من إخضاعهم إلا بصعوبة ، فرغب فى أن يكسب ودّهم ، فعاملهم بالحسنى فى شخص هذا الشريف ، حتى لا يخرجوا عليه مرة ثانية . وقد قال فى أهل هرابة: «لو ملكت رجالا كرجال هرابة لأخذت بهم العراق والروم»[1]. ولم تكن سياسة الصفح التى اتبعها الصليحى فى هذه المرة ، سياسة هوادة أو تردّد ، بل قصد منها تسكين الثارات لأن فى تسكينها لليمن ولليمنيين وفى مناسبات أخرى خيرا .

واقعة الزرائب

وتمشيا بسياسة المهادنة والملاطفة كان الصليحى يلاطف القائد نجاح صاحب الدولة الحبشيّة فى زبيد تهامة التى حملت لواء السنة فى اليمن بعد دولة بنى زياد ، ولكنه أدرك أن دولته الفتية لا يمكن أن تكون لها شخصية معنوية وكيان قوى ، إلا إذا قضى على أكبر منافسيه وهو نجاح . وكان الصليحى يلاطفه حتى قوى مركزه ودان له معظم الجزيرة اليمنية ، ثم بدأت العلاقة تتوتر بين الطرفين بفضل مساعى الإمام أبى الفتح صاحب صعدة التى أفسدت بين الصليحى وصاحب زبيد .

فحلّت الوحشة بعد الأنس والجفاء بعد حسن الصلة . وأصدر نجاح عسكرا كثيفا ، قوافاهم الصليحى بجيشه خلف صَعْفان فى الخَبْت المتصل بتهامة ، ودارت بين الطرفين وقعات وعدّة مصادمات ، وكانت الكرّة للصليحى وجيشه من العرب على جموع الحبشة ، حتى اجتمع العبيد فى سنة خمسين وأربع مئة[2] إلى ابن طرف ومن معهم من ملوك الحبشة ، عشرين ألفاً ، فسار إليهم الصليحى فى ألفى

(١) الكبسى : اللطائف السنية ورقة ١٦ ب .
(٢) عيون ٧/١٤ نقلا عن المفيد فى أخبار زبيد .

فارس وسبع مئة . فالتقى الجمعان بالزرائب من أعمال ابن طرف ، واستّحر القتل أوّل يوم فى العرب ؛ ثم كانت الدائرة على السودان ، ولم يبق منهم الاّ ألف التجئوا إلى جبل يعرف بالعكوتين[1] .

موت نجاح

ووافق ذلك موت نجاح بالكدراء فى عام اثنين وخمسين وأربع مئة . ويروى أن الصليحى كان يعمل حيلة لقتل نجاح ، حتى تمّ له ما أراد على يد جارية حسناء كان قد أهداها إليه لتحقيق هذا الغرض[2] . ولكن هذا القتل لم يكن حدا فاصلا بين الطرفين ، بل كان بداية لعهد نزاع طويل بين الصليحيين والنجاحيين[3] .

---

(١) فى عيون ٧/ ١٤ قال: « العكوتان جبلان منيعان لا يطمع فى حصارهما . وقال الراوى: وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب » . وهما فى وادى بيش شمال صبيا . وفيهما قال عمارة اليمنى.

إذا رأيت جبلى عكاد وعكوتين من مكان باد
فابشرى يا عين بالرقاد

وذكر عكوتان فى النقش رقم ٢ فى المختصر/ غويدى ١٩ ـ ٣٠ ، وقد جاء فيه أن شمر يهرعش ملك سبا وذى ريدان طرد شعوب مهرت وذواوت وصحر وحرت « نحو عكوتين فى الجهة الشمالية حتى إن البحر اختطفهم» (ب ع ل ى | ع ك و ت ن ه ن | ب ك ن ف ش ا م ت | ع د ى | ح م ل ه م و | ب ح ر ن) .

(٢) عماره / كاى ١٦ ؛ عبر ٤/ ٢١٠ ؛ وأما إدريس فلم يذكر شيئاً عن هذه الحيلة، بل اكتفى بقوله : «مات نجاح» ، كأنه مات موتا طبيعيا .

(٣) قال حسن سليمان فى رسالته : « وإن قول ابن الديبع (قرة ورقة ٢) : « وكان الصليحى يدعو سرا للمستنصر ، ويخاف نجاحا فى زبيد ، فكان يتلطف له ظاهرا، ويعمل الحيلة فى قتله» ، وقول صاحب الأنباء/دار ٤٠ : « إن الصليحى كتب للمستنصر سنة ٤٥٣ يستأذنه بإظهار الدعوة ووجه إليه بهدية جميلة فلما وصلت إليه أمر له برايات » ، ليدل على أن الصليحى كان يدعو سرا للمستنصر قبل سنة ٤٥٢ ، خوفا من نجاح صاحب تهامة، فلما تخلص منه فى تلك السنة أعلن دعوته للأئمة الفاطميين. ولكننا نرى أن الصليحى كان يدعو للفاطميين سرا وجهرا قبل سنة ٤٥٢ ، ذلك أن الدولة الصليحية كانت تستند فى هذا الوقت إلى دولة الفاطميين القوية العزيزة الجانب ، وأن النجاحيين كانت تشد أزرهم أمبراطورية العباسيين المفككة المهيضة الجناح، التى بلغت من تفككها وضعفها أن أبا الحارث البساسيرى أرسلان بن عبد الله التركمانى مقدم الأتراك ببغداد خرج على طاعة القائم العباسى (عيون ٧/ ٤٠) واستطاع أن يخطب للخليفة الفاطمى المستنصر على منابر بغداد سنة ٤٥٠ . فعلى بن محمد الصليحى كان يستمد قوته المعنوية والروحيه من الخلافة الفاطمية التى بلغت فى الشطر الأول من عهد المستنصر أوج عظمتها (عيون ٧/ ٥٥) . =

وقد اضطربت بلاد اليمن لهيبة الصليحى وعلوّ كلمته ، وسمت همّته إلى تهامة ، فملك المهجم . وكان سعيد بن نجاح قد استقام فى ملك والده بزبيد . وتواصلت المصادمات والمناورات بين الجيوش العربية تحت راية الصليحى وجيوش الحبشة ، وأظهر الصليحى براعته العسكرية بتأجيل أمر تهامة ، وقرّر أن يقضى على فوضى الدويلات فى اليمن الأسفل ، ثم يتجه إلى عدوّ رئيسىّ بدون أن تشغله جبهة أخرى فى داخل البلاد .

انتصاراته فى اليمن الأسفل

فزار مسار وصنعاء زيارة قصيرة ، ثم قصد بجيوشه اليمن الأسفل ، واستولى على جبل صَبِر قهرا ، وبلاد بنى الكِرَنْدى ملوك المعافر ، وحصن الدُّمْلُوَة ، كما استولى على بلاد الحسين التبّعى صاحب حصن حبّ وبعدان والسّحول والشوافى[1] .

ودخل الجَنَد ، « وهى يومئذ مدينة اليمن الأولى ، ولم يكن فى اليمن أشهر منها ومن مدينة صنعاء فى الجاهلية وابتداء الإسلام إلى أوان الصليحى »[2] . ثم سار إلى عدن[3] ، واستولى على بلاد بنى معن الذين كانوا يملكون عدن . ثم هادن

= وكان لا يخاف نجاحا ، لأن سلطته كانت لا تعدو جزءاً من التهائم ، فى الوقت الذى كان الصليحى قد تغلب على معظم البلاد اليمنية ، ولكن كان يحذره . وإذا لا يسعنا إلا القول بأن الصليحى كان يدعو للفاطميين سرا وجهرا قبل سنة ٤٥٢ ، وأن الدولة الصليحية كانت أكثر نفوذا واستقرارا بعد قتل نجاح أكبر منافسيها فى اليمن . وصارت الخطبة تقام على منابر البلاد التى خضعت للدولة الصليحية للخليفة المستنصر والملك على الصليحى وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب ، وزالت بذلك دعوة بن العباس من بلاد اليمن (بامخرمة : تغر عدن ١/١٣٩ — ١٤٠) » .

(١) المقتطف ٦٦ . (٢) عيون ٧/١٥ .

(٣) ويروى أنه لما استولى على الجند خطب فى جامع الجند ، وقال فى خطبته : « فى مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن إن شاء الله » . قال أحد الحاضرين مستهزئاً : « سبوح قدوس » ، فأمر الصليحى بحجزه . فلما كانت الجمعة الثانية وخطب الصليحى على منبر عدن ، قال ذلك الرجل : « سبوحان قدوسان » ، وتعالى فى القول ، ودخل الدعوة (عمارة / كاى ١٨ ؛ عيون ٧/١٥ ؛ وكفاية ٤٩) .

بنى معن ، وسلّم إليهم بلادهم لما بذلوا له من السلم ، وفى ذلك يقول حسين القمى على لسان الصليحى[١] : « . . . من نبأ توجّهه إلى عدن وتملكه قسرا ، واستيلائه على عدن وأبين وأحور برّا وبحرا بعد فرار المتغلبين عليها أجمعين ، وتسليمهم لها ، راغبين بما جرت عليه الحال بعد ذلك من تدبيره لأمره . . . فرأى بتوفيق الله أن يقبل مابذل له من السلم ، ويقنع بما صار إليه من الغنم ، وتقاطع على تسليم عدن وفرضها إليه . . . فعمل ذلك وانكفأ عائدا إلى المخلاف . وأصدر المملوك[٢] هذه الخدمة ، وهو متوجه لمدينة صنعاء ، دارا لدعوة المنصورة ، ومقر العساكر الموفورة ، ليضم كلمتهم ، ويجمع ألفتهم . وبذلك ينهض على اسم الله تعالى وبركات وليه إلى من بقى من العبيد بتهامة وقد أمن على مايخلفه الخ » . فلا ريب أنه أراد بتسليم عدن وما والاها من البلاد بعد فتحها إلى سلاطين بنى معن ، كسب حلفاء أقوياء يعتمد عليهم عندمعالجة مشكلة تهامة ، كما قدم دليلا آخر على تمسكه بسياسة المهادنة والملاطفة وعدم التعدى على حقوق الجوار ، بالرغم مما رأى من بنى معن من التهاون .

فتح تهامة

فشمّر الصليحى عن ساعد الجدّ فى فتح تهامة ، وسار إلى زبيد وافتتحها ، ثم احتلّ التهائم كلها ، وطرد منها أولاد نجاح الذين استقروا فى جزيرة دهلك بعد هزيمتهم ، « وسار فى الناس بالعفو والصفح ورفع السيف وبسط العدل ، ولاذت به العرب الذين كان العبيد استطالوا عليهم أيام نجاح »[٤] .

تخضيع الوحدة اليمنية

وكذا طوى الصليحى بلاد اليمن طيّا ، وافتتح جميعها ؛ فلم يخرج سنة خمس

---

(١) رسائل القمى ١٩ — ٢٢ ؛ هذه الرسالة من إنشاء القمى على لسان الملك على بن محمد الصليحى موجهة إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمى .

(٢) المراد من المملوك هنا ، الصليحى ، وهو مصطلح عند أولى الدعوة يستعمله المتكلم للدلالة على ولائه لصاحب الزمان وهو الإمام ، كما يقول أيضا « مملوك آل محمد » .

(٣) عيون ٧/١٤ .

وخمسين وأربع مئة إلا وقد ملك كافة قطر اليمن : قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها ، وامتد نفوذه من مكة إلى حضرموت . وتمنعت عليه صعدة بعض التمنع بأولاد الناصر ، ولكنه ما لبث أن قتل القائم منهم وملكها[1] . وأرسل الصليحى إلى السلطان معن خطابا بعد فتح تهامة قد جاء فيه[2] : « الدولة حصينة ، والصولة مكينة ، والرايات منشورة ، والأجناد منصورة ، وسيوف الحق على الأعداء مشهورة ، والحضرة بالسعود محروسة » الخ . وهذا يدل على اطمئنانه باستقرار أمور الدولة وتوحيد كلمة اليمن .

وجعل الصليحى صنعاء عاصمة مملكته واتخذها حاضرة لدولته ، وبنى فيها عدة قصور ، وأسكن معه جميع ملوك اليمن تحت علم واحد ؛ ورأت اليمن بعد قرون طويلة وحدة البلاد فى ظل حكم عادل قوى .

إدارة البلاد وتولية الحكام

وما لبث أن أخذ الملك على بن محمد الصليحى ينظم سياسة البلاد وإدارتها ، وولى فى الحصون والبلاد من ارتضاه من الولاة والحكام ، ومن يثق فيهم[3] . فولى الصليحى على تهامة[4] الأمير أسعد بن شهاب ، صِنو السيدة الحرة أسماء بنت شهاب زوجته ، وكان الصليحى قد أقسم ألاّ يولى التهائم إلاّ من يزن له مئة ألف دينار ، ثم ندم على ذلك حين أراد أن يوليها أسعد بن شهاب . فوزنت له زوجته الملكة أسماء عن أخيها . فقال لها زوجها : «يامولاتنا ! من أين لك هذا ؟ » قالت : «هو من عند الله ، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب » . فتبسم ، وعرف أنه من خزائنه ، فقبضه ، وقال : « هذه بضاعتنا رُدّت إلينا» . فقالت له : «وعمير أهلنا ، ونحفظ أخانا » .

---

(١) أنباء / دار ٤٠ ، ولم يذكر اسم القائم هذا .

(٢) رسائل القمى ٢٧ . (٣) بغية ورقة ١١ .

(٤) هو أبو حسان أسعد بن شهاب الصليحى الأمير الكبير . كان جوادا كريما عاقلا وقورا ولاه الملك على الصليحى على زبيد وسائر تهامه فسار إليها سنة ٤٥٦ ويقول عن نفسه : « ثم أقمت واليا على زبيد والتهايم لم يتعلق بذمتى إلا مالم أعلم به » . وتوفى فى شهر شعبان من نفس السنة .

دخل أسعد زبيد سنة ست وخمسين وأربع مئة وسكن دار شحار[١]، وأحسن السيرة فى الرعية، وأذن لأهل السنة فى إظهار مذهبهم[٢]، وعامل أرباب الدولة النجاحية بالحسنى[٣].

وقد استعمل الصليحى ابنه الأمير المكرم أحمد بن على على الجَنَد وعلى ما يليها، واستعمل أخاه السلطان عبدالله بن محمد بن على على حصن التعكر وما والاه. فلما كان فى سنة سبع وخمسين وأربع مئة اختط السلطان عبد الله بن محمد الصليحى مدينة ذى جبلة بأمر أخيه الملك على بن محمد الصليحى[٤]. وقيل إن عبد الله ابن محمد الصليحى هو الذى بنى قلعة تعز وابتدأ فى تمدينها أيام أخيه على الصليحى هو وابن أخيه المكرم أحمد بن على الصليحى. وكان المكرم بالجَنَد وعمه السلطان عبد الله بن محمد الصليحى فى التعكر.

دخول الصليحى مكة وموقفه من الأشراف

ولم يكن اهتمام الصليحى مقصورا على اليمن فحسب، بل كان ينظر إلى ما وراء حدود بلاده، وبالأخص إلى بلاد الحجاز والأراضى المقدسة — أقرب البلاد من اليمن، وأهمها فى نظر المسلمين، وأحوجها إلى استقرار الحكم وحسن الإدارة فيها، فتوجّه اهتمام الصليحى إليها. وكان إخلاصه للدعوة الفاطمية، وتفانيه فى رضا الإمام بمصر، يحتم عليه أن يجيب أوامره صاغرا، ويؤديها متبركا برضاه، معتزًّا بثقته له. فلما خرجت مكة عن طاعة المستنصر[٥]، وقطعت الخطبة له من سنة ثلاث

---

(١) بناه شحار بن جعفر مولى زياد (عمارة / كاى ١٩).

(٢) قرة ورقة ٢٢.

(٣) الكبسى: اللطائف ورقة ١٧.

(٤) عيون ٧/١٢٢.

(٥) راجع محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ٩ — ٢٩ لما تقدم من الحوادث والأسباب التى أدت إلى تطلع الخلفاء الفاطميين إلى بسط سلطانهم على الأراضى المقدسة بالحجاز.

وخمسين وأربع مئة أرسل على الصليحى إلى واليها الشريف شكر الحسينى[١] ، وحذره مغبة خروجه ، وتبودلت بين الطرفين مراسلات تنطوى على كثير من التهديد والوعيد ، من ذلك قصيدة للشريف شكر بعث بها إلى الصليحى ، جاء فى أولها :

لتفليق الجماجم والرءوس وإقحامى خميسا فى خميس[٢]

فأجابه الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمى على لسان الملك على بن محمد الصليحى ردّا على الشريف شكر السليمانى بقصيدة طويلة جاء فيها[٣] :

دم الأبطال فى اليوم العبوس مدامى لا شرابُ الخندريس

ولهوى بالنشيج إذا تلاقى الـ ـوشيج بمعرك حامى الوطيس

أحب إلىَّ من نغمات عود وصادحة تغرِّد عيطموس

ولولا فضل من لَبّى وجدوى معدّ ذى الندى الغمر المسوس

لكنت حليف إقتار حبيسا بدار صريع أفيون شريس

أفق عن عيب أجدادى ومجدى فما بأسى بمفلول الضروس

ولا يبقى بهمدان بن زيد بمجهول الفروع ولا القنوس

أنا ابن حماتها وذرا قناها أنا ابن عنابس الحرب الضروس

أنا ابن سراتها الحكام فيها ذوى الأفضال مرضىّ المسيس

---

(١) فخر المعالى أو تاج المعالى أبو عبد الله شكر بن أبى الفتوح ، أصله من ملوك مكة السليمانيين من بنى حسن ، نسبة إلى سليمان بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط (القلقشندى : صبح الأعشى ٤/٢٦٨ — ٢٦٩) ؛ تولى شكر ولاية مكة بعد موت أبيه سنة ٤٣٠ ، وتمكن من بسط نفوذه على المدينة ، وأقام الدعوة المستنصرية فى الحرمين ، واستمرت الحال على ذلك حتى سنة ٤٥٣ (ابن زينى دحلان : خلاصة الكلام ١٨) ؛ وكان شكر هذا شاعرا محبا للأدباء يذكر له ابن الأثير (الكامل ١٠/١٢) قوله :

قوض خيامك عن أرض تضام بها وجانب الذل إن الذل مجتنب

وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

(٢) عيون ٧/١٧ .

(٣) وهى قصيدة طويلة جاء نصها الكامل فى عيون ٧ / ١٧ — ١٩ .

نمانى كلّ أغلب حاشدىّ ... عدوّ للخنَا عنه شموس

بَنَوا ، وأتمّ مفخرهم بنائى ... وقوّى حبل مجدهم فريسى

وكم ملك أسرت ، وكم خميس ... أباد سراتَه قتلا خميسى

وكم نقع أثارته رعالى ... فخيل الجوّ منه فى سُدوسى

وكم قوم نعشتُهُم وقوم ... طحنتهُم وحصن من مَريس

بنى حسن ! ألا تنهون شكرا ... عن استمطاره سحب النحوس

أتانى السبّ عنه ، وقال : إنى ... إذا أقسمت أحلف بالمجوس

ألى قسم بغير أبى تميم ... وأسرته البدور من الشموس

متى أذن الإمام بحرب شكر ... أتته بالردى خيلى وعيسى

بنى حسن ! حذار ! إذا أتتكم ... جنود الله بالخطب الشكوس

ولما عيل صبر الصليحى ، وضاق صدره ، طلب من الإمام أن يأذن له بإزالة الشريف عن مكة ليكون أمرها إليه . فأجابه الإمام ينهاه عن سفك الدماء بالحرم ، فقال : « إياك أن تلقى الله بدماء بنى فاطمة »[1]. فاعتمد الصليحى أمر إمامه ، وصبر مدة على ما كان يجرى بالبلاد المقدسة .

ثم توجه الصليحى إلى مكة فى السادس من شهر ذى الحجة سنة ٤٥٤ [2] وقضى فرض الحج ومعه ملوك اليمن وزعماؤها ، وانتزعها من بنى أبى الطيب ؛

---

(١) عيون ٧/١٩ .

(٢) وقد أجمع معظم المراجع على أن وصول الصليحى إلى مكة كان فى موسم حج سنة ٤٥٥؛ وانفراد إدريس برأى فقال : إن حجه كان فى موسم الحج سنة ٤٥٤ . وإننا نؤيد قول إدريس لأن سجل الخليفة المستنصر الموجه إلى الصليحى كما ورد فى عيون ٧/١٩ والسجلات رقم ٧ كتب فى العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٥ بعد أن عاد من مكة . ويؤيده ماورد فى السجلات رقم ٤ أن الخطابين اللذين أرسلهما الصليحى إلى المستنصر بعد عودته من مكة قد وصلا — أحدهما صدر من صنعاء فى شهر شعبان سنة ٤٥٥ ، والآخر صدر من الهجر فى شوال من نفس السنة .

ذلك أن شكرا لما توفى ، وخلفه ابن جعفر[١] رئيس الهواشم وزوج ابنة شكر[٢] ، أوقع بالسليمانيين الهزيمة ، وأخرجهم من بلاد الحجاز ، واستقل بإمارة مكة ، وأقام الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمى[٣] . ولكنه لم يعمل على الاحتفاظ بسيادة الفاطميين على مكة ؛ لأنه مالبث أن انحرف عنهم ، وأمر بذكر اسم الخليفة القائم العباسى[٤] .

حسنات الصليحى فى البلاد المقدسة

ولما انتهى الصليحى من فريضة الحج أخرج من الأموال والصدقات للبيت وإقامة حرمه ومناسكه مايفوق حد التصور[٥] وعامل الناس بالحسنى وأظهر العدل والإحسان ، وعمل على استمالة الناس إلى جانبه بما امتلك من الأموال[٦] ، فطابت قلوبهم ، ورخصت الأسعار ، وأمنت الحاج أمنا لم يعرف مثله من قبل ، حتى إنهم كانوا يعتمرون ليلا ونهارا ، وأموالهم محفوظة ، ورحالهم محروسة[٧] . ولم تقف أعماله هناك عند هذا الحدّ ، بل إنه أدب القبائل التى كانت تعتدى على الحاج ، فرد بنى شيبة عن قبيح أعمالهم وأفعالهم مع الحاج ، ورد إلى البيت من الحلى ما كان بنو الطيب الحسنيون قد أخذوه لما ملكوا بعد شكر وكانوا قد عروا البيت والميزاب[٨] ؛ ثم أخذ يصلح ما أفسده الأشراف فى هذه البلاد ، وتحمل ديات القتلى من ماله الخاص ، فكسب بحسن سياسته رضا إمامه وثقة كثير من أهالى البلاد الإسلامية ، لما قدمه من خدمات الحجاج المسلمين عامة ، وماقام به من كسوة الكعبة بالديباج الأبيض[٩] ، وماجلبه من الأقوات إلى أهالى هذه البلاد فلهجت الألسن بالدعاء له فى كل مكان[١٠] .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٤/ ٢٧٠ .
(٢) أبو الطيب : شفاء الغرام (الباب السابع والثلاثون) .
(٣) ابن خلدون : العبر ٤/١٢٢ .
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ٤/ ٢٧٠ .
(٥) عيون ٧/١٩ .
(٦) السجلات رقم ٧ .
(٧) الفاسى : تحفة الكرام ١٨٨ .
(٨) ابن الجوزى : مرآة الزمان ١٢/١ ورقة ٨٨ .
(٩) الفاكهى : المنتقى ٥٤ .
(١٠) العينى : عقد الجمان ٤٢١ — ٤٥٤ ورقة ٢٢٦ .

أقام الصليحى حتى يوم عاشوراء من سنة ٤٥٥ يخطب للخليفة المستنصر فى الحجاز، ويعيب على العباسيين إهمالهم شئون الدين . وفى أثناء إقامته بمكة راسله الأشراف الحسينيون المغلوبون على أمرهم، وطلبوا منه أن يختار من بينهم واليا عليهم، وبذلوا له الطاعة ؛ فأقام على البلد واليها السابق محمد بن جعفر، وأعطاه مالا وسلاحا، وأصلح بين العساكر . ودل بهذا على حسن سياسته، لأنه لم يتعنت مع الحسنيين ولم يظلم الحسينين، وآثر أن يحسن معاملتهم ليكسب ودهم، وخاف أن يترك البلد قبل أن تستقر الأمور فيها، فتقع فى أيديهم ويستمرون فى عنادهم وخلافاتهم ، فاستعمل معهم اللين ؛ وبذلك نجح فى تحقيق سياسته مؤقتا ، وقفل راجعا إلى صنعاء .

تلون الأشراف

ولم يعمل الشريف محمد بن جعفر أمير مكة طوال عهده (٤٥٣ — ٤٨٧) على تنظيم الأمور فى الأراضى المقدسة وإقرار الأمن بها، بالرغم من المساعدات المالية التى كانت ترد إليه من الخليفة العباسى أحيانا ، ومن الخليفة الفاطمى أحيانا أخرى، بل أساء السيرة فيها، وأصبح الحاج فى أواخر أيامه لا يأمنون على أنفسهم [١]، كذلك لم يبد من هذا الشريف ما يشعر برغبته فى الاستقلال عن الخلافة العباسية أو الفاطمية، بل دان لكل منهما بالطاعة فى فترات متقاربة، حتى وصفه أبو المحاسن [٢] بأنه كان متلونا تارة مع الخلفاء العباسيين، وتارة مع المصريين الفاطميين [٣] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٠/٨٣ .

(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥/١٤٠ .

(٣) ويظهر من هذا أن الهواشم كانوا يلعبون بمصالح البلاد المقدسة ومصالح المسلمين جريا وراء المال. وهناك رأى آخر أفادنا به الشريف خالد صادق، قال : «إن هذا التلون يرجع إلى دوافع سياسية وأخرى اقتصادية ، وذلك لأن مكة المكرمة كان يصل إليها فى موسم الحج كل عام ، قوافل حجاج عظيمة برفقة جيوش مسلحة تحت إمرة أمراء الحاج ، وكان كل واحد من هؤلاء الأمراء يمثل ملكا ودولة تختلف فى سياستها وقوميتها وأهدافها السياسية، بل ومذاهبها الدينية عن الأخرى اختلافا كبيرا، فتسبب عن هذا التباين تصادم ، إما فى التقدم=

الخليفة الفاطمى يشكر الصليحى

وبعد عودة الصليحى إلى صنعاء شكر له الخليفة المستنصر حسن صنيعه وامتثاله لأوامره بعدم إراقة الدماء فيها؛ وليس أدل على ذلك مما قاله الإمام نفسه : «إن أمير المؤمنين هو الذى ثنا عنانك، ولاوصمة عليك أن قبضت دونهم بنانك... وعزيز على أمير المؤمنين أن تنهك بحرم الله سطوره، أو تنعكس أموره[١].

أما الشريف محمد بن جعفر فقد هجم على مدينة الحلى[٢]، واستولى على مابها من متاع للصليحى، وقصد بذلك إثارة الفتن وتهييج العامة[٣]. وقد شكا الصليحى هذا الأمر إلى إمامه بمصر فأجابه: أما الشريف صاحب مكة «فإنك تستخير الله تعالى، وتتوخى له متقدما للإعذار والإنذار واللين فى المقال إن نجح أو أثر، وإلاّ حاكمته إلى الله جل وعلا، وهو خير الحاكمين»[٤].

= فى المراسيم المتبعة لدى أشراف مكة، أو فى إحراز مركز ممتاز. وترتب على هذا كله تغيير موقف الأشراف هناك حسب التوازن بين القوى المتضادة. كذلك كان ضعف موارد بلاد الحجاز مما جعل الأشراف هناك يقبلون المساعدات التى كانت تقدم إليهم تأمينا لأمن البلاد وإنعاشا لاقتصادها».

(١) السجلات رقم ٧.

(٢) معجم البلدان/الحلى.

(٣) عيون ٢٣/٧.

(٤) السجلات رقم ٤. ولم يستمر ولاء الهواشم للفاطميين طويلا، لأن الشريف محمد بن جعفر قطع خطبة المستنصر وخطب لبنى العباس فى سنة ٤٥٨؛ فقامت ثورة على هذا الشريف وخلعوه بعد أن قطعت ميرة مصر عن مكة، فأعاد خطبة المستنصر مرة ثانية. ونحن نرى أن حسن سيرة الصليحى وسياسته فى هذه البلاد بالإضافة إلى مارآه الناس هناك من استتباب الأمن فى البلاد نتيجة لهذه السياسة، كان لها أثر فعال فى قيام الثورة على هذا الشريف. وكان من أثر ذلك أن أرسل الخليفة العباسى أموالا جزيلة إلى مكة فى موسم حج سنة ٤٦٢، فخطب له الشريف فى موسم هذا الحج فقط، وكتب إلى المستنصر بمصر يعتذر إليه، ولكن السلطان ألب أرسلان السلجوقى أجزل العطاء إلى هذا الشريف؛ فأرسل إليه ثلاثين ألف دينار، وجعل له مرتبا سنويا قدره عشرة آلاف دينار (ابن الأثير: الكامل ٢١/١٠). وفى سنة ٤٦٧ أرسل المستنصر هدية جليلة إلى الشريف محمد بن جعفر، وطلب منه إعادة الخطبة بمكة للفاطميين، وقال: «إن عهودك كانت للخليفة القائم العباسى والسلطان ألب أرسلان وقد توفيا»، فقطع خطبة المقتدى بعد أن خطب للعباسيين أربع سنوات وخمسة أشهر (ابن إياس: بدائع الزهور ٢٤/٢).

حالة اليمن بعد عودة الصليحي من الحجاز

وفى أثناء غيابه عن اليمن قامت الفتن والثورات فى بعض أنحاء مملكته ، فثار عليه قوم من عَنْس وزُبَيد ، وأظهروا الخلاف والعصيان والتفوا حول رجل منهم ، والتجئوا إلى جبل مَنْسوة[١] وما جاوره من الجبال، وعظم شغبهم وفسادهم ؛ فقصدهم الصليحى إلى معاقلهم فاقتحمها عنوة حتى دنوا له بالطاعة ، بعد أن قتل منهم كثيرا فى أثناء الحرب وعفا عمن بقى منهم[٢] .

ولاية العهد

فكر الملك على الصليحى بعد ذلك فى ولاية العهد ؛ فلما بلغ الأمير محمد بن على الصليحى أكبر أنجاله مبلغ الرجال ، رغب فى أن يولّيه دولته لينوب عنه فى حياته وبعد مماته . فكتب إلى المستنصر بالله سنة ٤٥٦ يخبره بما استقرّ عليه رأيه . فورد إليه سجل الإمام بالموافقة على هذا داعياً للأمير بالتوفيق ، ولقّبه بالأمير الأعزّ شمس المعالى[٣] ، وأذن له الإمام بأن يذكر هذا اللقب على منابر البلاد اليمنية ، وكان وصول السجل المستنصرى إلى الصليحى فى مدينة صنعاء فى شهر رجب سنة ٤٥٦ . وتصادف أن توفّى فى شهر شعبان من نفس السنة الأمير أسعد بن شهاب والى الملك علىّ الصليحى على زبيد وأعمالها[٤] ، فرأى الصليحى

---

(١) وحصن منوة فى مصانع رعين فى مخلاف ذى رعين (صفة ١٠١ ، ١٢٥)

(٢) عيون ٧/٢٣ .

(٣) وأضيف هذا اللقب إلى ألقابه القديمة وهى : منتخب الدولة وصفوتها ، ذو المجدين (عيون ٧/٧٦ ؛ انظر الملحق رقم ٢) .

(٤) وان قول صاحب قلادة النحر ٢/٢ ورقة ٦٢٨ من أن أسعد بن شهاب تولى زبيد سنة ٤٥٦ ، وظل حاكما بها خمسة عشرة عاما حتى أخرجه منها جياش بن نجاح سنة ٤٨٢ ، قول لاأساس له من الصحة ، وقد ثبت بطلانه برواية صاحب العيون ٧/٧٦ .

أن يولّى ابنه الأعزّ على ما كان لخاله أسعد، وأراد أن يتركه حرّ التصرف فى إدارة شئونها لكى يختبره ويدرّبه على الحكم.

موت الأمير الأعز محمد الصليحي

ولقد وصل الأمير الأعزّ محمد بن على الصليحى إلى زبيد فى شهر شعبان من سنة ٤٥٧ . وبعد خمسة أشهر من حكم تهامة سار أبوه الملك الصليحى بصحبة الملكة السيدة الحرة أسماء بنت شهاب وولدها الموفّق فى شهر محرم سنة ٤٥٨ إلى زبيد ، وأقاموا فى ضيافة الأعز مدّة قصيرة ، ثم عولوا على السير إلى صنعاء . فصحبهم الأعز مودعا ، وكان يريد أن يبلغ معهم الغمد . فلما صار بالمصقع أصابته الحمّى ، فأمره والده بالرجوع إلى زبيد ، فرجع إليها . ودخلها ليلة الثلاثاء لعشرين ليلة خلت من المحرّم ، وقد ازداد عليه المرض ، فلم يمهله . فتوفى فى الثانى والعشرين من المحرم سنة ٤٥٨ ، وعمره سبع وعشرون سنة[١] . ولمّا وصل خبر وفاته إلى والده وهو على وشك طلوع مسار مع الملكة السيدة أسماء اشتدّ عليهما الحزن[٢]، وقفل الملك على الصليحى عائدا إلى زبيد بجميع من معه . فوصل إليها ليلة الاثنين ولم يكن ابنه الأعزّ قد دفن . فشيّع جنازته يوم وصوله ، ودفنه غربى قبر خاله أسعد بن شهاب .

وفى ذلك يقول القاضى عمران بن الفضل اليامى[٣]:

---

(١) عيون ٧/٧٨ .

(٢) وقد روى عن على بن محمد الصليحى قصة الرؤيين اللتين رءاهما بعد موت ابنه الأعز محمد . وردت القصة فى الرسالة المسماة بقصة رؤيا على بن محمد الصليحى، ويقال إنها من تأليف الصليحى . وإنما يخيل لى أنها منسوبة إليه وأنها تأليف غيره ولكنه حكاها على لسان الصليحى. وجاء فى القصة أن الصليحى ناله من الأسف على ابنه محمد والحزن من بعده ، وأنه رأى فى منامه كأنه جالس بين أيدى إمامه المستنصر فى دار واسعة وهو يشكو إلى الله وإلى الإمام مما لحقه من الحزن والهم بوفاة ابنه الأعز ويقول له : «يامولانا انظر إلى هذا الركن قد انهدم حتى أنا أنظر الصحراء من خلفه » . وكان الإمام يعزيه ويسليه بقوله : « هذا الركن كان ركنا لولدك محمد . أنا أشيده لولدك أحمد حتى يعود كما كان . فلا تحزن ولا تغتم ولا والدته ولا كافة المؤمنين » . ولا تخلو هذه القصة من طرافة الخيال الشعرى وحقائق تاريخية .

(٣) عيون ٧/٧٨

عالَ صبرى فراقُ ذى المجدَيْنِ وجفانى الكرى وأسهد عينى
صاحِ إن الندى ونجل علىٍّ سكَنا فى ضريحه لحدَيْنِ
ما رأينا ولا سمعنا بقبر قبل هذا مُضمَّنا شخصَين

كما رثاه الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمى بقصيدة طويلة جاء فيها[1] :

فتزلزلت ثُمُّ الجبال لفقده وأضلَّ سالكَه الطريقُ اللَّهْجَمُ[2]
والشمس كاسفةٌ عليه حسرةً والجوّ فى وقت الظهيرة مُظلِمُ
إن تهدم الأيّام قبر محمد[3] فسناؤه فوق السهى لا يهدَمُ

وبعد أن أقام الملك على بن محمد الصليحى العزاء على ابنه الأعز سبعة أيام يقرأ فيها القرآن أرسل رسله إلى الإمام بمصر فى شهر صفر سنة ٤٥٨[4] . وفى هذه الأثناء توفيت ابنته ميمونة غمّاً على أخيها الأعزّ . وقبل أن تصل رسل الصليحى إلى الإمام كان هذا قد علم بوفاة الأعزّ ، فأرسل سجلاّ إلى الصليحى[5] وصله وهو فى أبين فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٨ ، وفيه عزاء الإمام وتعيين الأمير المكرّم ولياً للعهد بعد أخيه ، كما كتب الإمام سجلاّ[6] إلى الأمير المكرّم فى شهر ربيع الأول سنة ٤٥٨ يوصيه بوالده خيرا .

رد المستنصر على طلب الصليحى لزيارة مصر

أنفد الصليحى إلى الإمام قبل وصول الرد على رسالته السابقة وفدا يتكون من القاضى عمران بن الفضل ونجيب بن عفير ويوسف بن محمد وعنتر بن غشم ، وكان يبغى السماح له بالحج « ليطهرّ نفسه من دنس الدنيا ، ويقضى على

(١) عيون ٧/٧٨ .
(٢) اللهجم أى الطريق الواسع المذلل قد أثر فيه السابلة حتى استنب وكأن الميم فيه زائد والأصل فيه لهج (ل / لهجم) .
(٣) فى رواية : عمر محمد .
(٤) عيون ٧/٧٩ — ٨٠ .
(٥) نفسه ؛ انظر الملحق رقم ٣.
(٦) انظر الملحق رقم ٤ .

على الفساد الذى حلّ بالحرم المعظّم ، ويقوم مناره ، ويقيم للعدل عماده ، ويعمر طرقه للسفر ، ويطهرها من المفسدين » [١] . فوافق الإمام على طلبه وأرسل إليه سجلا[٢] بذلك مؤرخا فى شهر ربيع الأول سنة ٤٥٩ ، وفيه نصح لداعيه بأن يعالج الأمور فى هذه الجهات بتأليف القلوب وتجنّب الحروب ، وأن يؤثر الخير والعافية ما استطاع ، وأن يجنب نفسه والناس الفتنة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، وقال : « وأنت خير من لحظته عين الإمامة بالاصطناع ... وإن أمكنك ذلك المكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ، فوارد ذلك على الأكباد ، إنه لآية المراد ، وغاية قصد القصّاد » . كذلك طلب الصليحى من الإمام أن يسمح له بالمثول بين يديه ، فردّ عليه بأنه يشفق عليه لبعد الطريق ومشقته .

ولعلّ السبب فى عدم موافقة المقام الإمامى على ذهاب الملك الصليحى إلى مصر ، يرجع إلى أن حالة مصر فى ذلك الوقت كانت سيئة جدا بسبب الشدة العظمى[٣] التى اجتاحت البلاد . وحسبنا أن نشير إلى الفتنة[٤] التى جرت فى سنة ٤٥٤ بين ناصر الدولة بن حمدان وأتباعه الأتراك ، وفتوح الشامى وأنصاره العبيد ، حينما وردت إلى مصر هدية موجهة من الملك على بن محمد الصليحى إلى إمامه المستنصر « عظيمة القدر لم يسمع بمثلها » ، وأن نشير إلى ضعف الخليفة المستنصر

---

(١) عيون ٧/٨٠ — ٨٢ .

(٢) ورد السجل فى عيون ٧/٨٢ — ٨٦ (انظر الملحق رقم ٥) . قد عهد الامام المستنصر إلى الصليحى بأن يتوجه إلى حضرموت ونشر الدعوة فى آفاقها . ومن أثر هذا التكليف أن دخل الصليحى فى حروب مع هذه البلاد ولكنه لم يفتحها (راجع د الإمام إبراهيم بن أبى قيس الحضرمى) ، بل دخلت حضرموت بفضل مساعى الصليحى تحت نفوذ الصليحيين الدينى فى عهد الملك المكرم .

(٣) اجتاحت الشدة العظمى مصر فى المدة ما بين (٤٥٩ — ٤٦٦) وتعرضت فى أثنائها البلاد للنهب والسلب والخراب بسبب اختلال الأمن وانتشار الفوضى . ولما يئس المستنصر من استصلاح الحالة استوزر بدرا الجمالى فيما بين (٤٦٦ — ٤٨٧) وبتوليته الوزارة بدأ عصر الوزراء العظام .

(٤) عيون ٧/٦٦ — ٧٢ .

أمام مطالبات ابن حمدان ولجاجه فى السؤال . وامل المقام الإمامى خشي أن يطلع الصليحى ومن معه على حقيقة هذه الأمور ، فيترك فى نفوسهم أثرا غير مرضى . ويحتمل أن يكون الإمام رغب فى ألا يبتعد الصليحى عن دولته فيشق عليه الأعداء عصا الطاعه إذا ما أنسوا بعد الملك عنهم . وقد أثبتت الأيام أن البلاد جميعها كادت تخرج من قبضة الدولة الصليحية حين علموا بقتل علىّ الصليحى سنة ٤٥٩، وقد لاقى الملك المكرم صعابا جمة ، فى إعادة الحياة إلى مجاريها وتثبيت مركز هذه الدولة مرة ثانية .

قيام المكرم بأعمال الدولة

بعد أن استعد الملك علىّ استعدادا حسنا ، أوصى ابنه أحمد المكرم « بالعدل وحسن السيرة والسياسة ، وتقوى الله فى الجهر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريعة وإقامة دعائمها ، والائتمار بأوامرها والانتهاء عن محارمها »[1] . وفى العهد إلى المكرم قال القاضى الحسن بن أبى عقامة قصيدة طويلة جاء فيها[2] .

هَنَا الدينَ والعلياءَ تَقليدُك الأمرا ... فقد طوق التقليد هذا وذى فخرا

لعمرى لقد طال انتظارها لذا ... وعدًّا له الأيام والحول والشهرا

إلى أن أتى تحقيق ما كان ظنّه ... وللكون فعلٌ ليس تفعله البُشرى

فلو ملكا قولا إذن ثنيابه ... ولو ملكا بطشا إذن سجدا شكرا

ثم غادر الملك علىّ الصليحى صنعاء ، وترك فيها ابنه الأمير أحمد المكرم[3] ، ومعه السلطان أحمد بن المظفر الصليحى[4] . وفى هذا يقول الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمى قصيدة جاء فيها :

---

(١) عيون ٧/٨٨ .

(٢) ورد نص هذه القصيدة فى عيون ٧/٨٦ — ٨٨ .

(٣) وسيأتى ذكره فى الباب الخامس .

(٤) فى عيون ٧/٨٦ جاء : ومعه خاله أحمد بن المظفر الصليحى . والظاهر أن أحمد ابن المظفر لم يكن خال المكرم .

ما لمن فارق الأحبة عـــذر إن نهى دمعه عن الفيض صبر
إنّ سيف الإمام كالبحر ذى المو ج له فى البلاد مَدٌّ وجَزْرُ
ولَئِنْ ساءنا فِراقُ علىّ فبأحمد ابنه لنا ما يَسُرُّ
ذاكَ بَحْرٌ سَقى به مَكَّةَ اللـــه وهذا لوفد صَنْعاءَ بَحْرُ(١)

الموكب الملكى اليمنى

قدم الملك على أمامه خمسين ملكا من ملوك اليمن المغلوبين على أمرهم ، ومئة وسبعين من آل الصليحى وغيرهم ، ممّن أرادوا الحجّ معه من يام وجنب وسنحان وأهل حراز . وقد رمى من سيرهم أمامه عدم ازدحام الطريق بهم . ثم سار فى ألفى فارس وبين يديه خمس مئة فرس مطهمة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة ، وخمسون هجينا(٢) ، وغير ذلك من الزينة والآلات ، مما لا يدخل تحت الحصر(٣) .

خيانة العبيد وقتل الصليحى وأسر السيدة الحرة أسماء

وكان قيامه من صنعاء فى يوم الاثنين السادس من ذى القعدة سنة ٤٥٩ . ولكن فى هذه الأثناء كانت نار الحقد وحب الانتقام تلتهم قلوب بنى نجاح بزعامة سعيد الأحول . فكانوا يتربّصون الفرص للإيقاع بالصليحى والعمل على تقويض دولته ، التى كانت سببا فى زوال ملكهم . وكان يشجعهم على الاستمرار فى المطالبة بحقوقهم ، ويقوى عزمهم على الأخذ بثأر نجاح ، فرح البيشى أحد عبيد نجاح ، الذى أخذ يحرض العبيد الأحباش ويشد أزرهم فى الخفاء . فلما وصل الخبر إلى الصليحى ، استقدم فرحا وعاتبه وذكر له إحسانه إليه وتقديمه ورفع مكانه . فأنكر فرح ما نسب إليه وحلف الأيمان المغلظة ، وقرّر أنّه سيذهب ليأتى برأس سعيد

---

(١) بالخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٠١ ؛ الأصبهانى : خريدة ٢/ ورقة ٢٧٩ ، وجاء فى الخريدة فى البيت الثالث :

ولئن ساءنا فراق على فبترك ابنه لنا ما يسر .

(٢) أنباء/دار ٤٠ .
(٣) كفاية ٤٩ .

الأحول إلى الصليحى الذى صدّقه . ولكن فرحا لما ذهب إلى زبيد أخذ يحرض العبيد بقوله : إنه قد اشتهر أمركم فأدركوا نفوسكم ، وإلا فإنه قد حان هلاكم[١] . فلما بلغ الصليحى ذلك أمر بالقبض على فرح الذى ساقة أبو السعود بن أسعد بن شهاب مكبلا ، فأمر الصليحى بقتله حين ثبت له فساده وعناده . وكان من أثر ذلك أن شق الأحباش عصا الطاعة على مواليهم بزبيد حيث وثبوا على أبى السعود وأحمد ابنى أسعد بن شهاب فقتلوهما ، وقتلوا من كان معهما من أهل حراز ونهبوا ما معهم من أموال وكراع[٢] .

ولما قوى أمرهم عزموا على محاربة الملك على الصليحى ، فاستدعوا من كان على رأيهم من العبيد بتهامة والحجاز للقيام معهم لحرب الصليحيين . وقد وقفوا من عيونهم على أن الصليحى لم يكن معه أحد من أهل البأس والمراس ، لأن رجاله قد تقدموه وجميع أمواله وأثقاله مبثوثة فيما بين هجر والمهجم ، لأن البلاد قد تمهد مهادها واستقام عمادها وأمنت السبل وخضع كل عزيز وذل[٣] . ولم يكن مع الصليحى فى المهجم إلاّ ابنه المؤفّق وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب وأخواه عبد الله وإبراهيم وجماعة من بنى الصليحى . وكان الصليحى لمّا علم بأن الأحباش فى طريقهم لقتاله قد أنفذ عبيده لمقاتلة عدوّه . وقد عهد إليهم بهذا الأمر لوثوقه فيهم لأنّه ولىّ نعمتهم ، وله عليهم فضل وإحسان ، فهبّوا مسرعين متظاهرين بالحماسة والإخلاص ، « ولكنّهم أضمروا الخيانةَ والغَدر ، لأنّهم حين التقوا فى الطريق ببنى جلدتهم ، غدروا بسيّدهم وحرّضوا العبيد من الحبشة على قصده ، ودلّوهم على موضعه وقالوا لهم : إن فاتكم غدا السبت لحق بأصحابه وعسكره وامتنع عليكم . فأصغوا إلى نصيحتهم وقويت نفوسهم وصحّت عزائمهم وساروا إليه مجدّين ، حتى فاجئوه بضيعة يقال لها أم الدهيم ، وانقضوا

---

(١) عيون ٧/٨٩ .
(٢) نفسه .
(٣) الفاسى : تحفة الكرام ورقة ١٨٨ .

عليه فى يوم السبت الحادى عشر من ذى القعدة، ومعه بنو عمه الذين أبلوا بلاء شديدا، وكان السلطان عبدالله ابن محمد أشدهم يومئذ إقداما وأعظمهم بطشا بالأعداء»[١].

قتل الصليحى وأخواه عبد الله وإبراهيم وبعض أقاربه . أما الأمير الموفّق ابن على الصليحى ومهنّا بن على بن المظفّر الصليحى فقد اتجها إلى مكان السيدات لحمايته ، ولكن العبيد مالبثوا أن حاصروا هذا المكان واستمّر حصارهم حتى يوم الأربعاء الخامس عشر من ذى القعدة. فاستأمن مهنّا ، وخرج إلى الأحول ، فأخذ منه ميثاقا شديدا على الحرائر الصليحيات وعلى من بقى من بنى الصليحى وسواهم، وحلف له أغلظ الأيمان بأنه سيطلق سراحهم ليسيروا إلى صنعاء ، فوثق بقوله ، ونقل السيدات إلى دار أخرى، وغدر الأحول بالرجال فقتلهم عن آخرهم، ونهب كلّ ما كان فى الدار من أموال جليلة القدر من العين والوَرِق[٢] وسائر مايدخره الملوك[٣] . وكان الداعى قد أعدّها لينفق منها على الجند ، وعلى صالح البيت الحرام، ويقدمه إلى إمامه[٤] . ومما غنمه ألف فرس وثلاثة آلاف جمل بعددها[٥] .

وسألت الملكة السيدة أسماء بنت شهاب سعيدا الأحول أن يسمح لها ، هى ومن معها من النساء بالعودة إلى صنعاء ، فامتنع . ثم سار إلى زبيد ومعه النساء ورأسا الملك على بن محمد الصليحى وأخيه السلطان عبد الله محمولان على رمحين أمام هودج الملكة أسماء . ونُصِبَ الرمحان أمام الطاق الذى تنظر منه الملكة الحرة أسماء فى الدار التى حلت بها ، إلا أن القائد بذل ما استطاع من المجهود لصيانة السيدات .

غرصه الصليحى من حج البيت الحرام

وفى قيام الصليحى للحج وقتله بالطريق قال حسين القمى[٦] : « قام الملوك[٧] ، قاصدا مكة لحج البيت الحرام ، وتسهيل الحج لطالبى

---

(١) عيون ٧/ ٩٠ .
(٢) الورق هو المال من الدراهم المضروبة ، وكذلك الرقة والهاء عوض من الواو .
(٣) أنباء /دار ٤٠ .
(٤) عيون ٧/ ٩١ .
(٥) عمارة/ كاى ٦٤ .
(٦) رسائل القمى ٤١ — ٤٢ .
(٧) المراد منه الصليحى كما ذكرناه فى ص ٨٦ ، هامش رقم ٢ .

قصده كلّ عام . . . وعمارة مادرس من آثاره ، وإبانة ماعفا من مناره ، وأمان قاصديه وزوّاره، وإجراء مارقأ من أنهاره ، وحط المؤن عن سفاره ، ومواساة من قطن . . . راجيا أن يتجر بأربح المتاجر ، ويحوز فى الدنيا شكر الوارد الصادر ، ويستولى فى الأخرى على الأجر الكامل الوافر ، ويكون من الداخلين فى قوله سبحانه وتعالى : إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » .

واستمرّ فى طريقه حتى وصل قرية العمد[١] فى يوم الخميس التاسع من ذى القعدة ، ثم سار من العمد وقصد سردد ، فنزل بها فى يوم الجمعة . ولما وصل له الخبر بخروج العبيد من زبيد أخرج الصليحى له ما كان بحضرته من عبيد « وأعلمهم بمقصوده ، فحادوا عن طريق العبد محمدا . . . فلما سار العبد بإزاء سردد، خرج المملوك لاستقباله ، وتخلف العبيد عن الخروج لقتاله ، وأعلموا ابن نجاح بانفراد الأجل الأوحد، وأنها فرصة إن فاتته وقع فى الندامة . . . وقادوه إلى الانتهاز والاغتنام . . . فاستشهد رحمة الله عليه ومن معه فى الثانى عشر من ذى القعدة »[٢] .

من هذه الوثيقة التى أوردها القمى نرى أن الصليحى لم يقصد بلاد العراق ولا مصر لذاتها ، كما قال صاحب الأنباء[٣] وصاحب اللطائف[٤] ، ولم يكن يبغى الحج لذاته ، كما قال ابن الديبع[٥] وبامخرمة[٦] ؛ بل كان له برنامج إصلاحى حافل بالأعمال ، بعضه يتعلق بالمساعى الخيرية ، كتسهيل الحج وعمارة الآثار وحطّ المؤن وإجراء الأنهار ، والبعض الآخر يتعلق بزيارته لإمامه . وتحقيقا لهذا البرنامج قام الصليحى بسفارته على النحو الذى وصفناه ، ولكنه مالبث أن قتل نتيجة لخيانة عبيده وعدم اتخاذه الاحتياطات اللازمة لمواجهة العدوّ .

---

(١) العمد فى أرض لعسان فى بطن تهامة ، وموارده أسفل سهام وأسفل سردد ، وسوقها المهجم والكدراء كما ذكره الهمدانى فى صفة ١٠٥ — ١٠٦ . وقال القاضى محمد الحجرى : إنها قرية من قرى همدان من مديرية آل سريع .

(٢) رسائل القمى ٥ ؛ قال إدريس (عيون ٧/٩٠) : إن قتله كان يوم السبت الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٤٥٩ .

(٣) أنباء / دار ٤١ .

(٤) الكبسى : اللطائف ١٧ .

(٥) قرة ورقة ٢٣ .

(٦) قلادة ٢/٢ ورقة ٦٠٠ .

هذا وقد اختلف المؤرخون فى تحديد السنة التى قتل فيها على الصليحى ، كما اختلفوا من قبل فى السنة التى تولى فيها . فقال بعض : إن قتله كان فى سنة ٤٧٣[١] ، وقال بعض آخر : إن ذلك حدث فى سنة ٤٥٩[٢] . والصواب هو الأخير ، كما ورد فى الوثائق المعاصرة ، وهى السجلات المستنصرية . وقد جاء فى السجل المؤرخ فى شعبان سنة ٤٦٠ الذى بعث به الخليفة المستنصر إلى أحمد المكرم ما يفهم منه ذلك ، فقد أظهر فيه المستنصر أسفه الشديد على وفاة الصليحى ، ثم نادى بالمكرم ملكا من بعده[٣] ، كما جاء فى السجل المؤرخ فى جمادى الثانية من سنة ٤٦١ الذى أنفذه المستنصر إلى المكرم على يد القاضى لمك بن مالك أن المستنصر خلع على المكرم لقب « أمير الأمراء »[٤] . ويؤيد صحة هذا الرأى ماقاله عمارة[٥] : « إن قتله كان فى يوم السبت الثانى عشر من ذى القعدة سنة ٤٧٣ ؛ وقيل سنة ٤٥٩ ؛ وهى رواية صحيحة » .

وقد رثاه الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمى بقصيدة جاء فيها[٦] :

وأنشأ الحجّ إلى مكّة يبغى رضا اللهِ وآلِ البتولْ
وارتجّتِ الأرضُ له خِيفةً بمَنْ بها بين فُراتٍ ونِيلْ
وقام بالجيش وأضرابِهِ شمّ العرانين كرامِ الأصولْ
فصار فى المَهْجَم فى عُصْبةٍ من قومهِ غالتْه دَهياءُ غولْ
كالليث فى الغابةِ دَبّتْ لهُ رَقْطاءُ ليلاً ذاتُ شَخْصٍ ضَئيلْ
فإن يكن نِيلَ على غِرّةٍ فالبدر لا بُدّ له من أفولْ

وقال الشاعر الحسين بن على القمى على لسان الحرّة الزكية السيدة تحفة بنت محمد الصليحى فى رثاء أخيها الملك على بن محمد الصليحى[٧] :

(١) كشف ٤٤ .
(٢) عيون ٧/٨٨ ؛ كفاية ٤٩ ؛ أنباة /دار ٤١ .
(٣) السجلات رقم ٤٠ .
(٤) نفسه رقم ٤٢ .
(٥) عمارة / كاى ٢٢ .
(٦) عيون ٧/٩٢ .
(٧) صورة شمسية من مخطوط المتحف البريطانى نمرة ٤٠٠٤ لديوان أبى عبد الله الحسين بن على بن محمد القم . وفى المخطوط « تحفا » ، وهو تحريف .

لعمرى ما طارت طيورى بأسعدٍ ... غداةَ دهتنى الحادثات بأسعدِ
وذكّرنى فقدى لأسعدَ إخوتى ... ملوكَ من المستشهدين بسردُدِ
وقد فقدَ الأحبابُ بعد أحبتى ... وإن كان لامفقودَ مثلُ محمّدِ
رزيتُ من الأملاك كلّ متوج ... كثير غبار الجيش طلاّع أنجُدِ
ملوكٌ ترى الأملاك حول دُسوتهم ... صفوفا عكوفا من قيامٍ وسُجّدِ
أأبكى عليّاً أم أخاه الذى فدى ... وأكرمُ مفدىّ هناك ومفتَدِى
أم الثالثَ اللاقى الحِرابَ بنحره ... وقد نهلتْ من كل أغيدَ أصيدِ
فلله أُسْدٌ صُرّعتْ بثعالبٍ ... ولله أحرار أذِلّتْ بأعبُدِ
وهوّن وَجْدى أنّهم ما تخرّموا ... بغير المَواضى والوَشيج المُقصّدِ
أمام الخميس الخورُ تخفق فوقهم ... لواءُ معدٍّ مرتضىَ آلِ أحمدِ(١)

توحيد اليمن تحت لواء الصليحى

يعد عهد الملك على الصليحى فى تاريخ اليمن عهداً قل أن يجود الزمان بمثله ، وذلك لأن هذه البلاد لم تجتمع لملك واحد ، بل « كان الرئيس منهم إنما كان رئيسا على مخلافه ومحجره لايجاوز ذلك ، فإن نزغ عنهم نازغ ، أونبغ منهم نابغ ، فتجاوز ذلك وإن بعدت مسافة سيره من مخلافه ، فإنما ذلك منه من غير ملك له موطد ، ولا لآبائه ولا لأبنائه ؛ كذلك كان أمر ملوك اليمن ، كان الواحد منهم بعد الآخر يخرج من مخلافه ومحجره فيصيب مما يمر به ، ثم ينشمر عند خوف الطلب راجعا إلى محجره من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخلافه بالطاعة ، أو يؤدى له

---

(١) الخور ، يريد به الخيل المسرعة ، يقال فرس خوار العنان ، سهل المعطف لينه ، كثير الجرى ، جمعه خور (ل/خور) ؛ ومعد هو الخليفة المستنصر الفاطمى .

خراجا »[١] ، بخلاف ماقام به الصليحى ، فقد تمكن من جمع اليمن كله تحت لواء واحد . ويرى عمارة[٢] « أن هذا أمر لم يعهد فى جاهلية ولافى إسلام » ، وبين ذلك العرشى[٣] بقوله : « ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ماوقع لعلىّ بن محمد الصليحى فإنه استولى على اليمن سهله وجبله وشماله وجنوبه وشرقه فى مدة يسيرة بعد أن قهر ملوكه » . فهو لذلك لايقل فى نظرنا عن بعض القواد الفاتحين الذين لمع اسمهم على صفحات التاريخ بما أحرزه من انتصارات وماقاموا به من أعمال مجيدة وإن كان ذلك لمدّة وجيزة .

الأسس التى بنى عليها الصليحى سياسته

وعد الصليحى الرعية بأن يسير فيهم سيرة الحق والعدل، وعمل على تحقيق هذه السياسة ماوجد إلى ذلك سبيلا، فبعد أن تم له الاستيلاء على جبل مسار — كما رأينا — كتب كتابا نشر بين أهل حراز وقفنا منه على أنه كان يرغب فى إقامة المثل العليا فى حياة الشعب ، ونفى عن نفسه التهم التى أشاعها عنه أعداؤه ، وبين أنه « لم يكن متجبرا ولا مبتدعا فى الدين ، بل متمسكا بحبل الله المتين ، وداعيا لأمير المؤمنين المستنصر بالله »[٤] . ووعد أهل حراز بأنه سيكون معهم حسن السيرة والمعاملة بما يرضى الله والرسول ؛ وإن قوله : « أنصف المظلوم وأقمع الظالم » لايقل فى قوته عن قول أبى بكر فى خطبته يوم بايعه المسلمون : « والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه »[٥] . فهو وإن كان لايقرّ أبابكر فى خلافته إلاّ أنّ سياسته كانت مبنية على أصول قويّة متينة .

ولما تمكن الصليحى من إخضاع ابن جهور ، أمر بجمع أهل حراز فى عبرى

---

(١) طبرى ١٦٢/١ .
(٢) عمارة / كاى ١٨ .
(٣) بلوغ المرام ٢٥ .
(٤) عيون ٨/٧ .
(٥) ابن هشام : سيرة ٤٧٣/٣ .

دعاس ، ونزل لهم بعد أن ترك فى مسار من يحفظه ، وقام فى الناس فخطبهم خطبة بليغة ، أمرهم فيها ، بوجوب التمسك بحبل الله ، والامتثال لأوامر الإمام ، ووعدهم بحسن السيرة والسياسة إذا هم عملوا بما أمرهم به .

ولما تم له فتح مكة المكرّمة — كما ذكرنا آنفا[1] — عامل الناس هناك بالحسنى واستمالهم بما كان معه من أموال جليلة ، ونشر العدل ، فأدب القبائل التى كانت تتعدى على الحجاج ؛ فطابت قلوب الناس هناك ، ورخصت الأسعار ولهجت الألسن بالدعاء له ، لما قام به من خدمات لحجاج المسلمين .

التفاف الأمراء والملوك حول الصليحى

وبتلك السياسة ازداد التفاف زعماء اليمن حوله وفضل كثير منهم الإقامة معه فى مسار . فقصده عمران بن الفضل اليامى وعباس بن الكرم السنحانى ومن معهما من أتباعهما ، كما توجه إليه السلطان عامر بن سليمان الزواحى هو وأهله ، فأسكنهم معه فى مسار ، وتجمع بذلك منهم جمع كبير أجرى عليهم النفقات الواسعة .

ولما دان له جميع اليمن ، بنى فى عاصمته صنعاء قصورا وأسكنها الملوك والسلاطين تحت رعايته وفى ضيافته . ولما قام لأداء فريضة الحج سنة ٤٥٩ ، أخذ معه هؤلاء الملوك ، وهذا يدل من غير شك على مبلغ حرصه لإعلاء كلمة اليمن ورفع شأن اليمنيين فى المؤتمر الإسلامى .

سياسته الإدارية

وبعد أن ثل عروش الملوك المغلوبين على أمرهم ، وقضى على دويلاتهم المفككة ، ولى مكانهم ولاة يثق فيهم ، فولى الأمير أسعد بن شهاب التهائم وزبيد ، وكان هذا الوالى يحمل للملك علىّ بعد صرف أرزاق الجند ألف ألف دينار كل عام ،

---

(١) انظر ص ٩١ .

ولعله كان يأخذ الخمس من أموال الناس وفقا للفقه الفاطمى[١]، كما ولى القضاء معه الحسن بن محمد بن أبى عقامة التغلبى من علماء السنة. وكان الأمير أسعد يثنى عليه ويقول: « قام الحسن بأمور الشريعة قياما يؤمن عيبه، ويحمد عيبه »[٢]. وولى أخاه السلطان عبد الله بن محمد الصليحى حصن التعكر[٣]، وولى الحسين بن مهلهل حصن الأخروج[٤]، وولى السلطان سبأ بن أحمد الصليحى حصن أشيح[٥]، وولى السلطان عبد الله بن يعلى حصن خدد[٦]، واستعمل الأمير أحمد المكرم على الجند وماوالاها.

ومن ذلك نرى أن كل هؤلاء الولاة كانوا من أنصاره المخلصين، وليس هذا بغريب فإنه رأى فى ذلك خير وسيلة لتنفيذ سياسته، أو بعبارة أخرى إن هذه هى السياسة الوحيدة التى كانت تصلح لضبط أمور الدولة فى تلك الظروف، إلا أنها كانت فيما بعد من أسباب ضعف الدولة بعد أن تغلغل نظام الإقطاع فيها.

وكان الصليحى لايألو جهدا فى أن يجمع حكام هذه الأقاليم من آن لآن كلما سمع بأن بعضهم قد حاد عن الطريق السوىّ، ويتوجه إليهم بالنصح تارة والوعيد تارة أخرى، رغبة منه فى صلاح الرعية على أيديهم، فهو يرى أن الله خلق الخلق بالحق، فهو لايقبل إلا الحق، فجمعهم مرة فى مسار وقال لهم:

« إن الذى بلغنى عن قوم منكم هو يغضب الله ووليه، وأنا أغضب مما يغضب الله. فمن كان منى لم يتعدّ شيئا من الدين، ولم يتعرض لسخط رب العالمين ولم يخالف مولانا أمير المؤمنين. ومن لم يكن منى أخرجته من جماعتى ونفيته من بلدى،

---

(١) أنباء/دار ٤٠؛ والمعروف أن الفاطميين كانوا يأخذون الزكاة ونحوها من الصدقات الشرعية والخمس فيما يجب فيها الخمس، لا أنهم كانوا يأخذون من أموال الناس مطلقا كما يفهم من بيان صاحب الأنباء.

(٢) بالمخرمة: قلادة ٢/٢ ورقة ٦٣٥؛ وكان الحسن ملقبا بمؤتمن الدولة وكان عالما بارعا فى كثير من العلوم وله مؤلفات كثيرة وقد ولى القضاء الأكبر أيام الصليحيين ثم أيام جياش بن نجاح (عمارة: النكت ٢/٢٨؛ الأصبهانى: خريدة ٢/ورقة ٢٨٢).

(٣) قرة ٢٤. (٤) عيون ٧/٨. (٥) نفسه ٧/٥٤.

(٦) خريدة ٢/ ورقة ٢٧٩.

وأجريت عليه من الحكم ما يجرى على أمثاله من المعتدين» . ثم قال: «لا أصدقكم حتى يلتزم كل داع بصلاح من تحت يده ، ويضمن مايجرى ممن كان فى جهته . فمن كابر وعاند ورفع أمره إلى أنزلت به مايستحقه»[١]، كما حرم عليهم أن يتناولوا من مصالح دينهم ودنياهم شيئا ولو صغيرا إلا بإذنه ، فكأن ولاته فى الأقاليم كانوا يقومون بأمر الدين والدنيا ، أى أنهم كانوا مكلفين برعاية من كان تحت أيديهم من الرعية فى أقاليمهم . وكان هؤلاء الولاة يسيرون فى جهاتهم وفقا لسياسة مرسومة وضعها الملك علىّ ، لتكون أساسا ومنهجا يسير على هديه كل الولاة ويكون هو مرجعهم فى كل ماأشكل عليهم . وكان يدعوهم إلى مسار ويجتمع بهم من حين إلى حين ، «يذكرهم ويبصرهم ويقربهم ويدنيهم ويصلى بهم ويتلوعليهم بعد الصلاة بعض ما تيسّر من العلم والحكمة »[٢] .

من هذا نرى أن الملك علىّا بن محمد الصليحى حكم البلاد حكما مطلقا كما كان فى العصور الوسطى فى جميع البلاد ، ولكنه كان حكما مستنيراً ، فكانت أمور الدعوة والدولة مركزة فى شخصه ، إلا أنه كان مقيدا بالمثل التى قررها لنفسه « من إقامة الحق ، وإقرار العدل » .

الناحية الدينية في عهده

أما الناحية الدينية فى عهده ، فإن علىا الصليحى ظهر على صفحة التاريخ داعيا متمسكا بأهداف دينه ، حريصا على ماجاء فى الكتاب والسنة ، غير مكره لأحد فى الدين . فلم يرخص لأحد مطلقا فى التهاون بشىء من فرائض الدين[٣]، ولكنه مع ذلك اتهم كما اتهم الفاطميون من قبله بالكفر والخروج على الدين الإسلامىّ . ومن عجب أن يذهب بعض المؤرخين إلى أن الصليحيين كانوا يدينون بالإباحة وتعطيل الشرائع .

فيقول الفقيه الحمادى عن مذهبهم : «...إنه مذهب الراحة والاستباحة ، يريح

---

(١) عيون ٧/١٢ ـ ١٣ .
(٢) نفسه ٧/١٣ .
(٣) نفسه ٧/١١ .

أتباعه مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله »[١] .
ويقول فى مكان آخر : « وكان الصليحى الملعون شهما شجاعا مقداما ، فحرم الحلال وأحلّ الحرام ، وناقض بجهده الإسلام ، وأبطل الصلاة والصيام ، والحج إلى بيت الله الحرام »[٢] .

وكيف يكون ذلك وقد عرفنا ما قام به من أعمال جليلة فى مكة عند ما حج سنة ٤٥٤ ؟ وكيف ننكر ماقاله الفاسى[٣] : « فطابت قلوب الناس ورخصت الأسعار وأمنت الحاج أمنا لم يعرف لهم مثيل من قبل ، حتى إنهم كانوا يعتمرون ليلا ونهارا وأموالهم محفوظة ، ورحالهم محروسة » ؟ وكيف ننكر كذلك ماقاله ابن الجوزى[٤] : « فردّ بنى شيبة عن قبيح أعمالهم وأفعالهم مع الحاج ، وردّ إلى البيت من الحلى ما كان بنو الطيب الأشراف قد أخذوه لما ملكوا بعد شكر ، وكانوا قد عروا البيت والميزاب » ؟ إن ما قام به علىّ الصليحى فى الأراضى المقدسة كسبه ثقة كثير من أهالى البلاد الإسلامية[٥] ، وما جلبه من الأقوات إليها جعل الألسن تلهج بالدعاء له فى كل مكان[٦] .

هذا ما قاله المؤرخون وهو من غير شك شهادة طيبة فى حق الصليحى ، ولكن بعضا يرمونه بالخروج والمروق حقدا وحسدا ، ليشوهوا سمعته ، ولا يمت هذا إلى الإنصاف بسبب .

إننا نستبعد أن يكون كلام المغرضين صحيحا ، لأن تاريخ الصليحيين لا يدلنا على شىء مما ذكروا . فالصليحيون كانوا يتخذون الدين الإسلامى الحنيف ، وولاءهم لأئمتهم الفاطميين بمصر ، وسيلة لنشر نفوذهم وتوطيد حكمهم فى البلاد التى أخضعوها لسلطانهم ، كما كان دأب الحكومات والسلاطين فى العالم الإسلامى فى ذلك العهد ، فى تعلقهم وانتسابهم لخلافة بنى العباس لذلك الغرض . وكيف ننكر

---

(١) كشف ١٢ . (٢) نفسه ٤٤ . (٣) تحفة الكرام ١/١١٨ .
(٤) مرآة الزمان ١/١٢ ورقة ٨٨ . (٥) الفاكهى : المنتقى ٥٤ .
(٦) العينى : عقد الجمان المجلد من ٤٢١ — ٤٥٦ ورقة ٢٢٦ .

ما قاله الصليحى نفسه لأهل حراز [١] : « . . . فلم أطلع مسار متجبرا باغيا ولا متكبرا على البلاد عاتيا . . وإنما قيامى بالحق الذى أمر الله عز وجل به، والعدل الذى أنزل فى محكم كتابه . . . إنما أنا متمسك بحبل الله المتين ، عامل بما شرع الله فى الدين » .

تسامح مع أهل السنة

وكان الصليحى يتسامح ، كما كان الفاطميون بمصر يتسامحون ، مع علماء السنة، حتى سمحوا لبعض فقهائهم بإقامة شعائرهم ونشر تعاليمهم فى المساجد. فقد قيل إنه فى سنة ٣٨٣ وثب رجل جعفرىّ للجلوس فى الجامع الأزهر للفتوى على مذهب أهل البيت ، فشغب عليه الفقهاء من أهل الجامع ، فبلغ القاضى ذلك ، فقبض على بعضهم [٢] . وهذا النص يدل على أنه كان بالأزهر فى عهد الفاطميين فقهاء يخالفون المذهب الفاطمى ، ويفتون وفق تعاليم مذاهبهم . فلما جاء هذا الفقيه للفتيا على المذهب الإمامى شغبوا عليه ، فاضطر القاضى إلى إصدار الأمر بالقبض على بعضهم لا لشىء إلا لأنهم لم يتسامحوا مع هذا الفقيه كما تسامحت الدولة معهم .

وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان فى عهد الصليحيين . ويدلنا على ذلك ماذكره صاحب الأنباء نقلا عن اللَّحجى فى تاريخه : « بلغنى أن الصليحى لما استقرّ فى صنعاء كان ينادى باجتماع المصلّين فى المساجد ، وشق عليه أمر صنعاء ، وذلك أن المصلين كانوا إذا اجتمعوا فى المساجد يذكرونه ويحتجون على ظلمه وجوره؛ وربما كفروه وسفّهوا عليه وعلى أهل رأيه . فتضرّر بذلك ، وأمسك أياما » [٣] .

كذلك فعل أسعد بن شهاب لما دخل زبيد سنة ٤٥٦ والياً عليها من قبل الصليحى ، « فأحسن السيرة فى الرعية وأذن لأهل السنة بإظهار مذهبهم » [٤] .

---

(١) عيون ٧/١٨ .
(٢) الكندى : كتاب الولاة والقضاة ٥٩٤ .
(٣) أنباء / دار ٤٠ .
(٤) قرة ورقة ٢٢ .

ونشير أيضا إلى وصية الصليحي لابنه الأمير أحمد المكرّم لما تركه نائبا عنه فى البلاد حين عزم على الحج فى سنة ٤٥٩ . فقد أوصاه « بتقوى الله فى الجهر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريعة ، وإقامة دعائمها ، والائتمار بأوامرها ، والانتهاء عن محارمها »(١) .

ويعتبر ما قاله المؤيد فى الدين الشيرازى داعى دعاة المستنصر فى قصيدة له(٢) من الأدلة الواضحة على تمسك أهل الدعوة بالتكاليف الشرعية :

فكيف شَرْع الأنبياء ندفعُ ... وما لنا إلاّ النبيّ مرجعُ
بنوره فى الدرجات نَرْتقى(٣) ... وبالكرام الكاتبين نلتقى
يارب فالعَنْ جاحدى الشرائع ... وارْمهمُ بأفجع الفظائع
والعن إلهى من يرى الإباحه ... بلعنةٍ فاضحة مجتاحه

وقد ساعدت هذه السياسة الدينية الدولة الصليحية إلى حدٍّ ما على حفظ الأمن فى البلاد الخاضعة لها ، مع وجود المعارضة القوية لمذهبها الرسمى . فانصرف الناس إلى أمور معايشهم مطمئنين ، وتحير المنافسون فى مقاومة هذه الدولة التى أصبح لا يمكن مقاومتها ، بعد أن رأوا من حسن سياسة الملك على وتشدّده مع الخارجين على الدين الحنيف ، ورفعه لأهل العلم والفضل مهما تكن نحلتهم ، وتسامحه مع أهل المذاهب الإسلامية الأخرى . « فلم ينكر على أحد مذهبا من مذاهب فرق الإسلام على تشعبها ، بل أقرّ كل امرىء على ما كان عليه »(٤) .

الاهتمام بالشعر والشعراء

عرف الملك على الصليحى أن الشعر العربى يعتبر سلاحا ماضيا فى خدمة الدولة ، وأنه من أهمّ وسائل الدعاية لها . فلم يشأ أن يترك هذا السلاح دون أن

---

(١) عيون ٧/٨٨ .
(٢) القصيدة الأولى من د المؤيد / كامل حسين .
(٣) فى الديوان : نرقى . والصواب ماأثبته رعاية للوزن .
(٤) عيون ٧/١٦ .

يشهره على خصومه أو يستخدمه فى الدفاع عن دولته والمباهاة بفضائلها والإشادة بذكرها . فلا عجب إذا رأيناه يجزل العطاء للشعراء كما كان يفعل العباسيون والفاطميون . ومن أشهر الشعراء الذين قرضوا الشعر فى عهده عمرو بن يحيى الهيثمى ، والحسين بن علىّ القمى ، والحسن بن أبى عقامة ، وقد ذكرنا شيئاً من أشعارهم فى مناسبات سبق ذكرها .

وكان الصليحى نفسه ممن يتذوقون الشعر ، فصيحاً بليغاً[١] . وقد روى عنه بعض الأبيات ، قالها فى مناسبات . فمنها :

أنكحتُ بيضَ الهندِ سُمْرَ رماحِهم
فرءوسُهم عِوَضَ النثارِ نثارُ
وكذا العُلا لا يُستباحُ نكاحُها
إلاّ بحيث تُطلَّق الأعمارُ[٢]

ويروى أيضاً أن الملك علىّ بن محمد الصليحى قال فى وَراخ الحصن المشهور :

ما اعتذارى وقد ملكتُ وَراخاً
عن قِراع العِدا وقَوْد الرِّعالِ

وكانت له نفس طموح ، فأنشد على لسان حاله :

وألذّ من قرع المثانى عنده فى الحرب : أَلْجِمْ يا غلام وأَسْرِجِ
خيلٌ بأقصى حضرموت مجالُها وصهيلها بين العراق ومَنْبِجِ

وكان الصليحى فوق ذلك « عالماً وفقيها مستبصرا فى علم التأويل »[٣] ، كما كان خطيباً ممتازا . وقد وقفنا على بعض خطبه التى ألقاها فى أهل حراز وأنصار الدعوة ، وهى تبين مقدار بلاغته وقدرته . ولا يبعد أن تكون الخطابة قد بلغت مركزا مرتفعا فى عهد هذه الدولة العربية .

---

(١) بالخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٠١ . (٢) نفسه ؛ الأصبهانى : خريدة ٢/ ورقة ٢٧٩ .
(٣) عمارة / كاى ١٤ و ١٥ .

الباب الخامس

عهد الملك المكرم أحمد الصليحى

(٤٥٩ - ٤٧٧)

قيام المكرم بأمر الدولة

ظهر أبو على أحمد المكرم بن على بن محمد الصُّليحى الهمدانى ملك اليمن على صفحة التاريخ ، واتّصف بالشجاعة وكرم الأخلاق . وفيه يقول صاحب قلادة النحر[1] : « كان المكرّم ضخما شجاعا ، وفارسا مقداما » . وقد منحه الخليفة المستنصر بالله لقب « المكرّم » فى سنة ٤٥٦[2] ، وأصبح وليّاً لعهد أبيه بعد وفاة أخيه الأكبر محمد الأعزّ فى هذه السنة . ثم أخذ يتدرّب على إدارة شئون البلاد ، حتىّ عزم والده على الحجّ سنة ٤٥٩ ، فأنابه عنه فى حكم البلاد ؛ وكان قبل ذلك استعمله على الجَنَد وماجاورها من البلاد . ولما جاء الخبر بقتل أبيه الملك على الصليحى فى المهجم ، وأسر والدته الملكة السيدة الحرة الصليحية أسماء بنت شهاب وغيرها من حرائر بنى الصُّليحى ، والقضاء على خيرة رجال دولته على النحو الذى ذكرناه فى الباب السابق ، وقع المكرّم فى حيرة ؛ وكاد يُقْضى على صرح الدولة الصليحية قضاء مبرماً ، لأن أعداءها لم يقفوا عند هذا الحدّ ، بل أخذ المنافقون ينقضون عهودهم حتى خرج أمر الصليحيين من كافة بلاد اليمن ، ولم يبق لهم إلاّ التَّعكَر ، وكان العبيد قد حاصروه ، كما حاصروا مالك بن شهاب الصليحى فى حصن مسار . وتآمرت القبائل من كحلان وهِرَّان وعَنس

(١) ٢/٢ ورقة ٦٢٧ .
(٢) عيون ٧٦/٧ .

وزُبَيْد ويَحْصب على الصليحيين ، وامتدّت العدوى إلى صنعاء نفسها حيث كان المكرّم يقيم مع جماعة من خلصاء أتباعه لا يزيد عددهم على ست مئة من الحجازيين .

فماذا يعمل المكرّم ؟ وقد أحاط به الأعداء وطمع فيه المنافقون ، وظهر الناس بمظهر العداء الواضح ، وغدا المكرّم فى حرج . وأنى له أن يتخلص من هذا المأزق ؟ ولكن يمكن تعليل هذا الموقف بأمرين :

أولا : أن أهل اليمن لم يألفوا الخضوع لسلطان حكومة مركزية ، وقد تمكن على الصليحى من ضمّ بلاد اليمن جميعها تحت لوائه ؛ وأصبح ملكه يمتدّ من الحجاز شمالا إلى حضرموت جنوبا ، كما تمكن من ثلّ عروش ملوك اليمن الأقدمين وكبح جماحهم وإقصائهم عن إماراتهم بجمعهم فى صنعاء تحت مراقبته وتعيين ولاة ممن يثق بهم بدلا منهم . وما استطاع الصليحى فى حقبة وجيزة أن يغير عادة اليمنيين وهى استقلال الشعوب وانفرادها . وثانيا : أن خضوع اليمن كلها لسلطان الصليحى لم يكن عن رغبة من أهلها ، بل كان نتيجة للحروب والرهبة والقوّة الفائقة والدهاء السياسى ، فكانت حالة الشعوب خضوعاً فى الظاهر والقلوب لم يتمكن منها حب النظام وإطاعة أولى الأمر ، ورأوا أن فى موت الملك على بن محمد الصليحى فرصة تمكنهم من العودة إلى ما كانوا عليه قبل تملكه من دويلات وإمارات وولايات مستقلة .

لذلك قرر المكرّم قتال هؤلاء الذين خرجوا عن حظيرة دولته مع علمه بأن هذا الخروج كان من معظم الأمراء والرؤساء والقبائل ، ولكن صدق عزيمته ذلل هذه المصاعب . ولما استعرت الأرض حول المكرّم نارا ، كان لابد له من معالجة هذه الحالة التى لم تر الدولة الصليحية مثلها ، فاستمدّ ممّا نسمّيه شجاعة اليأس قدرا ، وأخذ يشجّع من ظلّ من أصحابه على الولاء وملاقاة الصعاب . وقد صوّر صاحب العيون هذا الموقف بقوله[1] : « .. وكان المكرّم يثبت أصحابه على الدين ،

---

(١) عيون ٧/٩٣ .

ويذكرهم بما وعد الله به عباده الصابرين ، وبما ابتلى به مواليه الطاهرين ، ويتلو ما أنزل الله فى كتابه المبين : الٓمٓ . أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ » .

واستطاع المكرّم وأعوانه أن يرفعوا عن صنعاء الحصار وتتبعوا الأعداء ، فانتصروا فى ناحية حَضُور انتصارا تنفّسوا بعده نسيم الأمل ، « وحارب الأعداء فى كل مكان . والله يعطيه النصر ويبسط يده عليهم »[1] .

قواد المكرم وانتصاراتهم

وكان هذا النصر مشجعا لأنصار المكرّم على الاستماتة فى الدفاع عن كيانهم . فانتصر قائده إسماعيل بن أبى يعفر الصليحى بجهة كُحْلان وهِرّان . وأخذ هذا الجوّ المظلم الذى أحاط بالدولة يصفو ، وبدأت هذه الشدة التى حاقت بها تنقشع تدريجيا بفضل شجاعة المكرم وحسن بلائه ، وبسالة جيشه العربى وقوّاده الأبطال.

وبينما كان المكرم يستعد لمتابعة الأعداء وتحرير البلاد من المنافقين ، كان قواده عامر بن سليمان الزواحى ومدافع بن حسن الجنبى وعمران بن الفضل اليامى والحسن بن عمر السنحانى وغيرهم فى طريقهم إلى مكة لأداء فريضة الحج مع الملك على بن محمد الصليحى[2] ؛ ولكنهم قفلوا راجعين إلى صنعاء عندما سمعوا بقتل ملكهم فى المهجم ، وقد لاقوا فى طريقهم صعابا كثيرة من الأعداء ، « فأوقعوا فى طريقهم سبع عشرة واقعة ، فى كلها يمنحون النصر على من عاداهم ، والظفر ببركة مولاهم »[3] .

وصلوا إلى صنعاء فى وقت كان المكرّم فى مسيس الحاجة لنجدتهم ، فكان

---

(١) رسائل القمى ٤٩ .
(٢) عيون ٩٣/٧ .
(٣) رسائل القمى ٥٠ .

فرحه بوصولهم عظيما ، حتى إنه خرّ ساجدا لله شكراً على وصولهم . « فلما اجتمعوا به تواصوا بينهم بالصبر على قتال الباغين المفسدين ، والمحاماة والجهاد عن الدين ، وتواصوا ألا يطالبوا الملك المكرم بدينار ولا درهم ، حتى يظفر بالعبيد ، وينال منهم ثأره بمدينة زبيد ، وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا الله سبحانه »[١] .

من هذا نرى أن المكرم أخذ يلتفّ حوله قوّة من أنصاره ، وأصبح لزاما عليه أن ينظم هذه القوّة ، وممّا لاشكّ فيه أنّ هذا التنظيم يقتضى الكثير من التدبير وإعمال الرأى ، حتى يتمكّن بهذه القوّة اليسيرة من إعادة الخارجين عليه إلى صوابهم ، ويأخذ بثأره من النجاحيين بتهامة . وقد أحسن المكرم التدبير ، ورأى بمساعدة خلصائه أنّ وجود والدته الملكة السيدة أسماء أسيرة فى يد سعيد الأجول عدوهم الألد لا يمكن السكوت عليه . أصبحت هذه الصورة القاتمة مرسومة فى مخيلة المكرم تحزّ فى نفسه وتقض مضجعه ، وقد انعكست هذه الصورة فى نفوس أصحابه المخلصين ، فأصبحت نار الغيظ تأكل أكبادهم وتشحذ قرائحهم ، وتؤجّج نفوسهم العربية الأبية . ولكن ما العمل ، وعوامل الاضطراب محدقة بدولتهم فى الداخل وفى الخارج ، والفتن والثورات منبعثة فى كل أرجائها ؟ فقد شقّ عليهم عصا الطاعة كل منافق مخادع ، وأصبح نفوذهم إلى الزوال أقرب . لذلك رأوا من الصواب كبح جماح كل من حدثتهم أنفسهم بالخروج عليهم ، والضرب على أيدى المنافقين ، وتطهير البلاد من الفتن والثورات وإعادة الأمن إلى نصابه ، ثم التوجه إلى الأخذ بالثأر .

فأرسل المكرم قائده عامر بن سليمان الزواحى إلى بلاد حمير وإلى مغرب اليمن لإصلاح الفساد . وقد جاء إليه أهل هذه البلاد طائعين ، ولكن القائد الزواحى قاتل المنتقضين قتالا شديدا ، وتتبعهم فى السهل والوعر . وفى يوم السبت العاشر من شهر ذى الحجه سنة ٤٥٩ وصلت كتبهم إلى الملك المكرم مستجيرين[٢] .

وجاءه بعد ذلك كتاب من قائده إسماعيل بن أبى يعفر الصليحى يخبره

---

(١) عيون ٧/٩٤ ؛ رسائل القمى ٥١ . (٢) عيون ٧/٩٤ .

بانتصاراته على أهل يحصُب ورُعَين بجهة كُحلان وهرّان وأنهم دانوا له بالطاعة بعد حرب سجال[١] . فسُرّ المكرم كثيراً ، وبدأ الروح المعنوى يدب فى نفوس جنوده ، واتخذ من هذا النصر وسيلة لدفعهم لنصر آخر ، فذكرهم بما وعد الله به عباده الصابرين من النصر ولو بعد حين .

وقعة الملوى

وبينما كان المكرم وكبار رجال دولته مشغولين باتخاذ الأهبة لحفظ كيان دولتهم وتخليصها من سطوة أعدائهم ، وإعادة ما تحت يد الأعداء من البلاد ، ظهرت فى الأفق سحابة غطت هذا الجوّ برهة من الزمن ، وشغلت المكرم وأعوانه عن متابعة الأعداء ؛ تلك هى الحركة التى قام بها الأمير الداعى حمزة بن أبى هاشم بن عبد الرحمن بن يحيى الحسنى[٢] فى سنة ٤٥٩ ، بعد أن التفّ حوله فريق من الناس بايعوه على القيام بدعوته . فقام هذا الداعى متحلّياً بالتوحيد مدّعياً الإمامة ، وسمّى نفسه بأمير المؤمنين . فجمع إليه كثيرا من القبائل فصاروا حزبا له وحربا للصليحى ، وزحف إلى صنعاء ومعه خمس مئة فارس وخمسة عشر ألف راجل من همدان وغيرهم[٣] إلى أن بلغ الملوى[٤] .

---

(١) عيون ٧ / ٩٤ .

(٢) هو حمزة بن أبى هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله (أخو الإمام الهادى يحيى) بن الحسن بن القاسم الرسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وكان قيامه بالدعوة فى سنة ٤٤٩ ، وقتله فى سنة ٤٥٩ ، ومشهده فى بيت الجالد من بلاد أرحب (أنباء /دار ٤٠) وإليه ينسب الحمزات .

(٣) يقول إدريس فى العيون ٧/٩٥ : « وكان مع الشريف ثمانية آلاف راجل وعدد كبير من الخيل . وكان أصحاب المكرم لايزيدون على ألف راجل . ويقول صاحب الأنباء / دار ٤٠ : « وكان عدد جيش حمزة ثمانية آلاف وجيش على الصليحى ألف وخمس مئة فارس وخمسة عشر ألف راجل » . ويظهر بعده عن الحقيقة ، ذلك لأن الداعى حمزة قتل فى ٢١ ذى الحجة سنة ٤٥٩ ، وكان مقتل الملك على بن محمد الصليحى قبل ذلك ، فكان فى يوم ١٢ ذى القعدة من نفس السنة ، فتشابه على صاحب الأنباء وصاحب المقتطف ٦٦ أن قتل حمزة حدث فى عهد الملك على بن محمد الصليحى . والصواب ما جاء فى العيون ٧/٩٥ .

(٤) الملوى فى بلاد أرحب ، ومشهد الشريف حمزة فى بيت الجالد على مقربة من الملوى .

وفى هذه الأثناء أرسل المكرم إلى قائده عامر بن سليمان الزواحى يدعوه من المغرب ، فوصل فى صبيحة الثلاثاء التاسع عشر من ذى الحجة سنة ٤٥٩ فى خمس مئة من حمير ، وخرج من صنعاء برفقة القائد أحمد بن المظفر الصليحى وجماعة من العسكر ، وذلك فى صباح يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة من نفس السنة . فوافوا الداعى الشريف بالملوى فى يوم الجمعة ، ووقع القتال بين الطرفين ، وكاد النصر يفلت من أنصار الملك المكرم ، ولكن الدائرة دارت على الشريف وأصحابه الذين ولوا هاربين تاركين الشريف وابنه ، فقتلا مع زعماء القبائل من أهل عسكرها . ويقول إدريس[1] : « فما انجلت الموقعة إلا عن ثمان مئة قتيل من أصحاب الشريف » .

وفى هذا النصر ، وفيما كان من أمر يحصب ورعين ، قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمى[2] :

لك الله ، ذا السيفين ، يكلأ ناصرُ
فمجدك بعد الأوحد الملك قاهرُ

قمع الفتن فى حراز وبلاد بكيل

وكان الأعداء يترقبون نتيجة هذه الفتنة ويرجون لها النجاح . فلما انقشعت هذه السحابة ، عاد المكرم وأتباعه إلى التفكير فى تصفية موقفهم مع أعدائهم ، ولم يروا من الحكمة أن يحاربوا النجاحيين فى زبيد قبل أن يثبتوا أقدامهم فى البلاد المجاورة المحيطة بصنعاء ، ويأخذون الأمان من جميع القبائل التى يخشون خروجها فى غيبتهم عن بلادهم . لذلك أرسل المكرّم من قواده : أحمد بن المظفر الصليحى وإسماعيل ابن أبى يعفر الصليحى وعامر بن سليمان الزواحى إلى حراز ، وكان كبار أهلها لا يزالون يدينون بالطاعة إلى سلطان الصليحيين ، على حين كان الدهماء منهم يحاصرون حصن مسار حيث كان به مالك بن شهاب الصليحى . وفى طريقهم إلى

---

(١) عيون ٧/٩٥

(٢) نفسه ٧/٩٦ وهى قصيدة طويلة .

هذا الحصن وافاهم من قبائل مُجَيِّح وكَرار[١] وقدموا فروض الطاعة . وتقدم القواد إلى حصن مسار فاستولوا عليه ، وأقام عسكرهم ثمانية أيام فى حراز ، لم يتركوها إلا بعد أن أخذوا العهود على من حولها من القبائل . ثم نهضوا لمحاربة بكيل ، «وكانت شوكتهم على المنابذة قوية ، وصولتهم على المحاربة شديدة ، وشدتهم على الجلاد عتيدة ، وآمالهم فى الضلال بعيدة»[٢] . وقد بلغ جيش المكرم بكيل فى أول المحرَّم سنة ٤٦٠ ، وأمر القواد جندهم بالكف عن القتال فى ذلك اليوم . وأخذوا يراسلون بكيلا ويلاطفونهم ، فأبوا إلا عُتوًّا واستكبارا . فلما حان وقت الظهيرة هبطت بكيل للقتال ، ونشبت المعركة ، وحمى وطيس القتال ، وكانت الدائرة على بكيل ، فقتل منهم ثلاث مئة وعشرون رجلا من بينهم كثير من رؤسائهم وأولى النجدة منهم[٣] . وبعد أن استقرت الأمور فى هذه الجهات عاد القواد الثلاثة فى شهر صفر إلى صنعاء غانمين ظافرين .

واقعة ذى أشرق

وفى هذه الأثناء انتهز بنو نجاح فرصة انشغال جيش المكرم فى إخضاع بكيل ، وأغار بلال وأبو الفتوح ابنا نجاح بعساكر عديدة من العبيد وأهل تهامة على أسعد بن عبد الله الصليحى فى حصن التعكر ، ووقع بين الطرفين قتال شديد دارت الدائرة فيه على العبيد بذى أشْرَقَ من قرى المخلاف[٤] ، فولوا منهزمين ، وغنم أصحاب الصليحى أموالا كثيرة ، ونجا بلال وأبو الفتوح بعد أن نظرا القتل عيانا[٥] .

قيام المكرم لحرب العبيد

لما ثبتت قدم الدولة الصليحية نوعا بعد القضاء على الثائرين والمنتقضين واستقرت

---

(١) ذكر الهمدانى مجيح وكرار من أسباع حراز (صفة ١٠٥)

(٢) رسائل القمى ٥٢ .

(٣) عيون ٩٦/٧ — ٩٧ .

(٤) رسائل القمى ٥٣ ؛ وذو أشرق معروفة عامرة تابعة لمديرية ذى سفال على مقربة من جبلة ويشرف عليها من شمالها الغربى حصن التعكر .

(٥) عيون ٩٧/٧ ؛ رسائل القمى ٥٤ .

الأمور فى صنعاء وما حولها من المخاليف ، عوّل المكرّم على السير إلى زبيد . واتفق فى هذه الأثناء أن بلغه فى شهر صفر سنة ستين وأربع مئة من أمه الملكة أسماء كتاب لطيف[١] . وقد احتالت بإيصال الخطاب إلى سائل وجعلته فى رغيف. فلما كسر السائل الرغيف وجد الكتاب، فأوصله إلى المكرم، وفيه له تنكيف[٢]. وقد وجد المكرم فى هذا الكتاب خير مثير لحفائظ العرب، فجمع الناس وأوقفهم على ماتضمنه كتاب أمه السيدة الحرة ، فضجوا بالبكاء[٣] . ولم يزل المكرم يخطب الناس فى كل مكان ، ويقول لهم : « من يكن يرغب فى الحياة فلا يكن معنا »[٤]، إلى أن صفا له من الخلصاء عدد غير كبير، فخطبهم وعرفهم بأنهم سيقدمون على الموت ، فمن أراد الرجوع فليرجع . كما اتفق عند مسيره أن وصل عمران بن الفضل اليامى وحسين بن عمرو السنحانى ومنصور بن محمد اليامى فى جماعة كثيرة من العرب. فانضموا إليهم وخرجوا قاصدين العبيد فى زبيد يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر من نفس السنة ، كما انضم إليهم أحمد بن المظفر الصليحى وعامر بن سليمان الزواحى والحسين بن عمرو السنحانى ، وأبو الحسين بن مهلهل بن الدعام ومدافع بن الحسن الجنبى ومحمد بن على اليامى . وأمر المكرم بألا يسير فى عسكره إلا كل من آنس فى نفسه البأس والصبر على الآلام وآثر الموت على الحياة ورضى بالشهادة . وترك المكرم فى صنعاء إسماعيل بن أبى يعفر الصليحى نائباً عنه ، ومعه جماعة من أهل الحجاز وأهل حراز . وقد أخذ قبل خروجه العهود والمواثيق على الشريف القاسم بن جعفر ابن الإمام المنصور القاسم العيانى[٥] وعلى أخيه ذى الشرفين محمد بن جعفر ،

---

(١) قالت فيه : إنها قد صارت حاملا من العبد الأحول ، وإنه من الواجب أن ينقذها قبل أن تقع الفضيحة والعار ، كما رواه عمارة / كاى ٢٣. وقد ذكر صاحب الأنباء / دار ٤١ أن العبد لم يتصل بها وأن هذا لم يحدث .

(٢) عيون ٧/٩٧ ؛ وفى كفاية ٥٠ قال : نلطفت إلى رجل مشرقى فرمت إليه برغيف وفيه كتاب لطيف إلى ابنها المكرم . (٣) عمارة / كاى ٢٣. (٤) قرة ورقة ٢٣ .

(٤) الشريف القاسم هو بطل الهرابة (انظر ص٨٢ — ٨٣) الذى أكرمه الملك على الصليحى وأبقاه لديه فى صنعاء نحو عامين . وسار الشريف بعد ذلك إلى مكة فأقام بها سبع سنين ، ثم عاد إلى اليمن ، وأقبل على أعمال الزراعة وقتله بعض أهالى نهم فى سنة ٤٦٨ (مقتطف ١١٢).

وأحسن إليهما وأمر للشريف بكسوة فاخرة ودنانير كثيرة ؛ وعاهداه على الطاعة وعدم الغدر فى غيبته فشكرهم على ذلك[١] .

وخرج المكرم من قرية العَمَد[٢] فى يوم الأربعاء لست بقين من شهر صفر فى عشرة آلاف راجل وفارس[٣] — «وهو أكرم عربى تمشى به الخيل»[٤] — وخطبهم ووعظهم ، فقال : «إننا لم ننزل لعرض من الدنيا نصيبه ، ولا مال نخزنه ، ولا لشىء نذهب به من متاع الدنيا ، سوى إدراكنا ثأرنا من هؤلاء العبيد ، واستنقاذ حريمنا ، لا لقصد إضرار بأحد من الناس ، ولا لتغيير شىء مما يملكون ، ولا تعدٍّ على زروعهم ومواشيهم ونحن فى طريقنا . . . وقد رجوت أن تكون سيرتكم جميلة ، ولكم حسن الأحدوثة ، وحميد العاقبة . . . ولا تتعدّوا على أحد فى طريقكم ، إلا من وتَركم ونال منكم »[٥] .

وهذه الوصية تكشف عن فروسية المكرم وشهامة أخلاقه ، كما تبين لنا أنه أراد أن يثأر لنفسه وقومه ، وينقذ والدته الملكة ، فنهى جنده عن الأمور التى تخل بالنظام وتسىء إلى سمعته ، ورجا ألا يكون تعدى جندى سببا فى إثارة سخط الأهلين عليهم[٦] .

ثم قام المكرم فخطب جنده خطبة بليغة ، قال فيها : «أيها المؤمنون ، لا أريد

---

(١) عيون ٧/٩٨ ؛ وبالرغم مما بذل الملك على الصليحى والملك المكرم من الجميل نقض الفاضل الشريف عهوده (انظر ص ١٢٧) .

(٢) انظر ص ١٠٢ ، هامش رقم ١ .

(٣) قال ابن الديبع فى قرة ورقة ٢٣ وفى بغية ورقة ١١ : « إن عدد جيش المكرم كان ثلاثة آلاف فارس غير المشاة ». وخالفه صاحب الأنباء/دار ٤١ فقال : « إن جيشه كان يتكون من عشرين ألف حربة » . واتفق الاثنان على أن جيش الأحول كان يتكون من عشرين ألف حربة . وفى عيون ٧/٩٩ قال: «إن عدد جيش المكرم كان عشرة آلاف بين فارس وراجل » ، وقد أثبتنا رواية الأخير .

(٤) عمارة/ كاى ٢٤ .

(٥) عيون ٧/٩٧ .

(٦) وكانت سيرة المكرم متمشية مع سيرة السلف الصالح . فالخليفة أبوبكر ، لما أوصى الجيش الذى أرسله بقيادة أسامة بن زيد لحرب بنى غسان ، قال للجند : « . . . لا تخونوا ، ولاتغلوا ، ولاتمثلوا . . . ولاتعقروا نخلا ولاتحرقوه ، ولاتقطعوا شجرة مثمرة (الخضرى : محاضرات ١/١٧٣) .

منكم اليوم غير ماسمعتموه منى بالأمس وفيما قبله ، وفيما قلته كفاية ، وقد كنت أعرض عليكم الرجوع وفى المسافة إمكان ؛ فأما اليوم فقد صار الخيار إلى عدوكم لأنكم توغلتم عليه ، وإنما هو الموت أو العار بفرار لا يجدى »[١] ، وتمثل بقول المتنبى :

وأوردُ نَفْسِى والمهنَّدُ فى يدى

مواردَ لا يُصْدِرن من لا يجادل[٢]

ثم وطىء المكرم وجنوده تهامة من شرق زبيد ، فقصدوا قرية التربية ، ودخل مسجدها يوم الجمعة عند طلوع الفجر . وكان الشيخ الزاهد محمد بن علية من أهل القرية قد صلى الصبح ، ووقف يتلو حتى بلغ فى الختمة إلى سورة البروج أو الطارق ، وإذا هو بفارس ركز رمحه وأسنده إلى الجناح الغربى ، ثم قام إلى جانبه فصلى . قال الشيخ : « ما رأيت شخصاً فى ولد آدم أتمّ منه خلقة ولا أحسن منظرا ، وروائحه روائح الملوك » . ولم يلبث الصباح أن تجلى ، وكان المكرم واقفاً عنده ، حتى ختم ودعا وأمّن هو ومن معه على الدعاء ؛ وإذا الخيل قد أقبلت عند طلوع الشمس أرسالا ؛ وكل رعيل منهم يسلم ويقف ، وكان تحيتهم له : أنعم الله صباحك ، مولانا ، وأدام عزك ! ولا يزيدهم على الرَّدأ كثر من قوله : مرحباً يا وجوه العرب ، إلى أن تكاملوا ثم خرجوا من المسجد فركبوا خيولهم وقصدوا باب الشبارق[٣] ، وهو الباب الشرقى من زبيد

واقعة زبيد

وحين دنا المكرم من زبيد عبّى جيشه فكان هو وأحمد بن المظفر الصليحى

---

(١) عمارة / كلى ٥٤ — ٥٥ .

(٢) كفاية ٥٠ ؛ بغية ورقة ١١ .

(٣) يوجد بالسور الذى بناه سيف الاسلام طغتكين بن أيوب حول زبيد سنة ٥٨٩ أربعة أبواب : الشرقى ويسمى باب الشبارق وينسب إلى القرية التى يطل عليها هذا الباب . والباب الثانى يتجه إلى الشام ويسمى باب سهام لأنه ينفذ إلى وادى سهام وهو وجه المدينة وغرتها . والثالث إلى المغرب ويسمى باب النخل وكان يسمى باب غلافقة وهو ينفذ إليها . الرابع ويسمى باب القريب وينفذ إلى وادى زبيد ثم إلى قرية القريب (بغية ورقه ٧ — ١٨ .

وعامر بن سليمان الزواحى وأبو الحسين بن مهلهل والحسين بن عمرو السنحانى فى القلب ، ومعهم قبائل نهد وسنحان وحمير . وكان عمران بن الفضل اليامى ومدافع بن الحسن الجنبى ومحمد بن على اليامى فى قبائل همدان من يام وجنب وسواهم فى الميمنة . وكان مالك بن شهاب الصليحى فى الميسرة ومعه الحرازيون . ثم أقبلوا على العبيد ، وهم صافّون على باب الشبارق ، وكانوا ستة كراديس ، وعددهم ثمانية عشر ألفا ، وهم مثل العارض الأسود[١] .

تقابل الجيشان فى يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ٤٦٠ . وقد قاتل سعيد الأحول وجيشه قتالا شديداً حتى انطوى عليهم الجناحان ، فانكسر جيشه كسرة شنيعة ، وهزموا شر هزيمة[٢] ، فجالت عليهم الخيل جولة واحدة فانطحنوا طحن الرحى وأتى القتل على أكثرهم[٣] . وكان سعيد الأحول قد أعدّ خيلا مضمرة على الباب الغربى المسمى بباب النخل ، فسار مع من سلم من خواصه إلى البحر ، وقد أعدّت له سفن هنالك ، فركبها من فوره ، وسار نحو جزيرة دَهْلك[٤] . وكان سبب نجاته انشغال المكرم ومن معه فى الوصول إلى والدته الملكة السيدة أسماء . « فلم يتتبع العبد أحد ، ولا أقيم له فى ذلك صدّ »[٥] ، ودخلت العرب زبيد عنوة ولم يزل القتال إلى صلاة الظهر[٦] .

تخليص الملكة أسماء أم المكرم من الأسر

وكان المكرّم أول من وقف تحت الرأسين المصلوبين تحت طاقة الملكة أسماء بنت شهاب . فقال لها المكرم وكانت لا تعرفه : « أدام الله عزّك يا مولاتنا ! »

---

(١) وفى عيون ٩٩/٧ وصف تنظيم جيش الحبشة ، فقال : « وكردوس ميمنة ، وعن يمينه كردوس أردفوه به ، وكردوس ميسرة ، وعن يساره آخر ، وكردوس قلب ، وكردوس آخر جعلوه كمينا فى الحائط » .

(٢) رسائل القمى ٥٥ .

(٣) كفاية ٥٠ .

(٤) بالمخرمه : ثغر عدن ٨/١ .

(٥) رسائل القمى ٥٧ .

(٦) عمارة/كاى ٢٥ ، قال : ظهر يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ٤٦٠ .

فقالت : « مرحبا بأوجه العرب » . ثم سألته من هو . فقال لها : « أنا أحمد بن على بن محمد» . فقالت : «إن أحمد بن على فى العرب كثير ، فاحسر لى عن وجهك حتى أعرفك » . فرفع المغفر عن وجهه[١] . فقالت : « مرحباً بمولانا المكرّم ! من كان مجيئه كمجيئك فما أخطأ ، ولا أبطأ » . ثم دخل رؤساء العرب فسلّموا عليها ، وقد كشفت عن وجهها ، وكانت هذه عادتها فى أيام زوجها لسموّ قدرها عمّن يحتجب عنه النساء[٢] . وقد نزل المكرم عن ظهر جواده ، وسجد لله شكرا على ما أحرزه من نصر ، وعفّر خدّه فى التراب ، وأحرقت الدار التى استعصم بها العبيد[٣] .

سيرة المكرم فى الحرب والسلم

ولما دخل المكرم زبيد لم يجعل لأحد سبيلا إلى حريم بنى نجاح وأطلق من وقع فى أيدى العسكر من أولاد العبيد . وقد يكون راعى فى ذلك ماسار العبد من سيرة سليمة أثناء اعتقال الملكة أسماء وحرائر آل الصليحى . وقال عمارة[٤] : « ونادى منادى المكرم يومئذ برفع السيف بعد الفتح وقال للجيش : اعلموا أن عرب هذه البادية يستولدون الجوارى السود فالجلدة السوداء تعم العبد والحرّ » .

وهنا نقف لنتساءل : لماذا لم ينتقم المكرم لأبيه وعمه وأهله بالفتك بهؤلاء الذين وقعوا أسرى فى يده ؟ . عرف عن المكرم كما عرف عن أبيه من قبل حسن السيرة فى الرعية ، وقد تمسك بهذه الصفة لأنه وجد فيها الخير كله ، وكان يرى أن إدراك الثأر ليس فى الفتك بالأسرى ، بل إنه اكتفى بتخليص أمه وأقاربه ، وآثر أن يعامل الناس بالحسنى حتى يملك القلوب والأنفس ، كما ملك مشاعر الناس بانتصاراته ، فبر بوعده الذى أخذه على نفسه أمام جيشه ، فلم يرم من وراء ذلك إلا إلى تخليص أمه ، ولم يكن غرضه انتهاك الحرمات وإثارة الفتن ، فكبت

---

(١) فى تلك الحالة أصابه الهواء فارتعش واختلجت بشرة وجهه وعاش عدة سنين وهو ينتفض رأسه وتتحرك بشرة وجهه (عمارة/ كاى ٢٥ ؛ كفاية ٥٠) .

(٢) عمارة/ كاى ٢٦ ؛ كفاية ٥٠ .

(٣) عيون ٧/ ١٠٠ .

(٤) عمارة/ كاى ٢٦ .

بذلك الفتنة فى نفوس الأعداء ، وأطلق الألسُن تلهج بالثناء عليه ، واشتهر أمر المكرم بما أظهره من ضروب الشجاعة وعلو الهمة . قال عمارة[١] : « أدركت أهل زبيد إذا شتم السوق صاحبه وقيل له أتشتم الرجل . فيقول الشاتم : الرجل والله هو الذى أخذ أمه من زبيد وقتل من الأحباش عشرين ألفا دونه ، لعمرى هذا هو الرجل » . وهذه الأقوال تبين مقدار مركز أحمد المكرم الصليحى فى نظر اليمنيين ، لأن انتصاره على النحو الذى ذكره التاريخ أكبر وأعلى من جبروت المنتصر على عدوه ، وساعد على تثبيت مركز دولته ؛ فأحبّه المُوالى والمعاند ، وآثروا الخضوع إليه ، لا خوفا من قوة بطشه ، بل رغبة فى شهامته ، وقال الناس فيه : « والله الذى سماه ذا السيفين لحكيم » .

وقبل أن يغادر المكرم زبيد نقل الرأسين[٢] من مكانهما وبنى عليهما مشهداً . وفى ذلك قال عمارة[٣] : « وأنا أدركت مشهد الرأسين » ، كما أقام أياما مهد فيها قواعد البلاد ، وأقام رسم الدعوة الهادية على العادة الجارية[٤] .

عودة المكرم الى صنعاء

وفى يوم الجمعة الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ستين وأربع مئة خرج المكرم من زبيد يريد متابعة العبيد الهاربين ، لولا أن وصل إليه فى هذه الأثناء من إسماعيل بن أبى يعفر الصليحى عامله بصنعاء كتاب يذكر فيه أن الشريف قاسما بن جعفر العيانى نقض العهد ، وأنه اتخذ من تغيب الجيش فرصة للانتقاض على صنعاء ، كما جاء فى هذا الكتاب أن الوالى إسماعيل هذا قد اشتدّ عليه المرض ، وأن الحجازيين وأهل حراز قد وقع بينهم النزاع وساءت العلاقات . فخاف المكرم أن ينال المخالفون من صنعاء ما سولت لهم أو هامهم . فخف مسرعاً

---

(١) عمارة / كاى ٢٦ .

(٢) رأس على الصليحى وأخيه عبد الله نقلهما من أمام دار شجار بزبيد إلى مكان الدفن فى صنعاء .

(٣) عمارة / كاى ٢٦ .

(٤) رسائل القمى ٢٦ .

للعودة ومعه أمه الملكة أسماء والحرائر الصليحيات. وفى رجوعها إلى قصرها بصنعاء وخلاصها من الأسر قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمى[١] :

أَوْبَةُ أسمـــاءَ إلى قصْرها ... بعـد فِراقِ المَلِك الأوحَدِ

وبعـــد عَوْصاء الخطوب التى ... رَمَتْ بنى قحطانَ بالمُؤْيِدِ[٢]

كرْجمة الشمس وقد جَنَّهـــا ... دَجْنٌ وسربال دُجىً[٣] أسودِ

فيالها من نعمةٍ أصـــلها ... بأس ابنها بانى العُلى أحمـــدِ

ومن هذه الحروب نلاحظ ظهور الروح الوطنى واضحاً جلياً عند العرب فأخذوا يثيرون حماسة العرب على العبيد. وكان الأحباش يشعرون بأن العرب لن يتركوا ثأرهم. يتضح هذا من خطاب جياش بن نجاح لأخيه سعيد الأحول بعد قتل على الصليحى ينصح له أن يفك أسر السيدة الملكة أسماء بنت شهاب ويردها إلى ابنها المكرم، قتل على الصليحى ويعفو عن بقية آل الصليحى، ويكتب للمكرم ما معناه: «إنا أدركنا ثأرنا، واسترجعنا ملكنا، وقد أحسنا إليك وجعلناك بصيانة والدتك والعفو عن بنى عمك»، وإن فعل ذلك لم ينازعه أحد فى ملك تهامة أبدا، وإن خالفه أغارت عليه قبائل العرب وطلبت بثأرها. فلم يجبه أخوه إلى طلبه وتمثل بقول الشاعر:

لا تَقطعنْ ذَنَبَ الأفعـــى وترسلها

إن كنتَ شهما فأتبعْ رأسَها الذنبَا[٤]

وفاة إسماعيل بن أبى يعفر والى صنعاء

وصل المكرم إلى صنعاء ليلة السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستين وأربع مئة، فوجد الوالى الأمير إسماعيل بن أبى يعفر الصليحى قد اشتدت علته، ولم يمهله المرض غير عشرة أيام، ثم وافاه الأجل. فحزن المكرّم لفقده،

---

(١) عيون ١٠١/٧.
(٢) المؤيد الداهية الشديدة.
(٣) الدجى جمع دجية وهى ظلام الليل.
(٤) العرشى: بلوغ المرام ٢٥ — ٢٦

لأنه كان ركنا من أركان دولته ، وكانت قبائل يحصب وعنس ورعين تدين بولائه وتخاف بأسه[١] ، ثم عين مكانه ابنه عبد الله ، وأطلق يده فى كل ما كان يضطلع به أبوه .

قمع الفتن الداخلية

ثم أخذ المكرم بعد ذلك يعالج الأمور التى تعقدت فى أثناء غيابه ويصلح ما أفسده الطامعون . وكان أول هذه الأمور الفتنة التى قام بها الشريف القاسم ابن جعفر العيانى[٢] ، لأنه نقض عهده ، واستمال ذيبان[٣] وبنى جبَيْر[٤] وبنى الدُّعَام[٥] وحرضهم على خلاف الملك المكرم ، ووعدهم بظهور عمه الحسين بن القاسم ، وكانت همدان قد قتلته قبل ذلك الوقت بستين عاما[٦] ، وأفهمهم بأنه سيظهر ويملأ الأرض عدلا ، فمال إليه فريق من الناس .

لذلك اتجه المكرّم إلى ذيبان بجيشه وحاربها بحجة أنهم قد استولوا على طعام له وفعلوا أفعالا لا يمكن السكوت عليها ؛ ومازال بها حتى أصلح مافسد منها . وقدم له كبراؤها الولاء فعاتبهم على سوء تصرفهم ، وقربهم وأحسن إليهم . ولما كان يوم الجمعة الرابع والعشرون من شهر جمادى الأولى سنة ٤٦٠ عاهدوه على السمع والطاعة ، وأن يخرجوا فى كل مكان يخرج فيه المكرم إلا تهامة ، فإنهم بالخيار ، إن شاءوا خرجوا ، وإن شاءوا تركوا وقعدوا ، وأنهم لايأووا الشريف القاسم ولا يوالونه[٧] .

---

(١) كان له حصن كحلان (عيون ٨/١٠٢) .

(٢) أنظر ص ٨٢ — ٨٣ ، ١٢٠ (هامش ٤) .

(٣) هو بنو ذيبان بن عليان بن أرحب ، وبلد ذيبان وجبل ذيبان ووادى ذيبان من بلد همدان ثم من أرحب ، وهى بلد كثيرة الأعناب كما ذكر الهمدانى (صفة ١١) . وماتزال هذه القبيلة من أرحب تسمى بهذا الاسم .

(٤) بنو جبير ، هكذا ورد أسمهم فى عيون ٧/١٠٤ ، والمعروف الآن بنو جبر بضم الجيم وفتح الباء من حاشد .

(٥) الدعام هم من بنى عليان بن أرحب من همدان (صفة ١١١ ، ٢٠١) .

(٦) عيون ٧/١٠٤ .

(٧) نفسه ٧/١٠٥ .

قام الملك المكرم لصلاح المغرب ، فانتهى إلى اللُّومى[١] حيث وافاه كتاب والدته الحرة أسماء بنت شهاب تخبره بورود كتابين من أسعد بن عبد الله الصليحى ومن على بن سويد وعبد الله بن معمر ، قد جاء فيهما أن حسين بن مغيرة التُّبعى وأبا العباس السُّخطى وأبا إسماعيل الكلالى نزلوا إلى الحمراء[٢] بجميع أهل يحصب ورعين ، وأن سعيد الأحول طلع من تهامة بجمع عظيم عازما صنعاء ، وأن أخوى الأحول فى جمع آخر مقابلون لعسكر أسعد بن عبدالله الصليحى بذى أشرق ، وأنهم يستعجلون نهوض الملك المكرم . فلم يمكن المكرم الرجوع من المغرب وقد قارب جبل مَسْوَر . فلذلك نهض من اللُّومى ، فنزل بقرية مُدَع[٣] ، ولقيه محمد بن إبراهيم الصليحى ، وحاشد بن كديس الصليحى عامل مسور ، ومشائخ أهل لاعة ، ولحقه عامر سليمان الزواحى . ولما صار المكرم بالجبل وهو مقابل لجبل حملان[٤] المطلّ على كافّة بلاد المغرب ، « فوجد أهل المغرب معتصمين فيه ، لازمين لصياصيه »[٥] . فوقف المكرم بالجبل إلى الليل ، ولما كان الصباح أمر جنده بطلوع جبل حملان من غربى الوادى تحت قيادة عامر الزواحى ، ومن أعلى الوادى تحت قيادة محمد بن إبراهيم وحاشد بن كديس ، وطلع المكرم بفرقة من جهة وسط الوادى . فأقبل أهل الجبل من كل حدب ينسلون ويكرون ، وكان معظمهم فى الناحية التى كان فيه المكرم . فنزل المكرم عن جواده ، وصعد الجبل هو فى مقدمتهم لا تثنيه النبال والأحجار مما اضطر أهل الجبل إلى الفرار . فلما ملك المكرم جبل حملان « جاءوا إليه من جميع المغرب مذعنين ، . . . فعفا وأحسن عليهم »[٦] .

---

(١) واللومى يقع فى جبل عيال يزيد من مديرية عمران .

(٢) الحمراء موضع معروف فى جبل الشعر (هامش عيون ٧/١٠٥) .

(٣) عيون ٧/١٠٦ : قرية من قرى حمير .

(٤) فى رسائل القمى ٦٠ ، قال : « وكان حملان معقلا للعرب قديما ، وحصنا يلجئون إليه عظيما » . وحملان على مقربة من حجة . وفى عيون ٧/١٠٧ نقلا عن سيرة المكرم ، قال : « ومما يؤثر عن هذا الجبل أنه لم يطلع أحد إليه قط ولا طمع فيه ، وأن الأجل الأوحد (يعنى الملك على بن محمد الصليحى) لما جاز مسور أطاعه أهله بغير قتال » .

(٥) رسائل القمى ٦٠ (٦) عيون ٧/١٠٧ .

واتصل الخبر بالمكرم أن سعيدا الأحول قد صار بالمخلاف ، وأن التبعى والسُّخطى والكلالى ويعفر بن الكرندى ويحصب ورعين قد صاروا ألبا واحدا فى جموع عظيمة بالشوافى ، يهددون سيادة الدولة الصليحية . فنهض المكرم إلى صنعاء ، ثم صار منها يريد المخلاف وانتهى إلى وادى يَيْنون[١] ، وأخضع بنى صعب من عنس وبنى الحارث ومذحج فى طريقه حتى وصل إلى جبل الشعر الذى تحصن فيه التبعى والسخطى فى معظم يحصب ورعين وعنس ، وهم أهل النجدة والبأس ، فقام المكرم بجميع عساكره بهجوم عنيف فى الوقت المعين على رأس الجبل معلنين بالتكبير والتهليل ، فأجفل أهل الجبل مولين تاركين كثيراً من الغنم والمتاع ، وفرّ التبعى والسُّخطى ، واعتصما بحصن القرائح[٢] . فأمر المكرم بحصار الحصن وقتالهما . ولما جن الليل خرج السُّخطى يريد النجاة ، فوافقه فوم من كحلان ، فسيق إلى المكرم ، فأكرمه وأحسن إليه . ولما علم التبعى بخذلان حليفه ، طمع فى كرم الملك المكرم وعفوه ، وسلّم نفسه ، فأعطاه الأمان .

وكان من أثر هذه السياسة المرنة أن أقبل الناس على المكرم يطلبون الأمان ، فأجابهم إلى ما أرادوا ، إلاّ أن ابن مغيرة التبعى فرّ ولحق بسعيد الأحول . «وفى اليوم التاسع والعشرين من رجب سنة ٤٦١ توجه المكرم إلى صنعاء ، فدخلها فى اليوم السابع من شعبان ، وهو يكثر من حمد الله والثناء على الإمام المستنصر الذى ببركته ماتم له من فتوح »[٣] .

الأخذ بالثأر من سعيد الأحول والحبش

عم الهدوء أنحاء دولة المكرم بعد أن قضى على الفتن والثورات التى أقضت مضجعه منذ تولى الحكم فى شهر ذى الحجة سنة ٤٥٩ إلى أن عاد إلى صنعاء فى شعبان سنة ٤٦١ ، لأن الأعداء وجدوا فيه قائدا لا تلين قناته كما وجدوا فى أنصاره قوة عزيمة وإيمان واستبسال فى الحروب ، تدل على ثقتهم بملكهم ، ففكر فى أن يثأر من سعيد الأحول وبنى جلدته ليستريح من شرورهم .

---

(١) يينون ، واد فى بلاد المشرق عظيم الغيول ، كثير المزارع والأعناب (عيون ٧/١٠٨) .
(٢) القرائح ، حصن مطل على مدينة الطويلة ، شمالى غربى صنعاء .
(٣) عيون ٧/١٠٩ .

فتح تهامة

كان المكرّم يرى أن عدوه التقليدى لا يزال قائمـــا ، وأن والده شهيد أم الدهيم[١] ، وأن ثأره بل ثأر العرب جميعا ، لا يمكن أن تنام عنه أعين العرب . فالدم فى عرفهم لا يعوض عنه إلا الدم ، ولا جزاء لمهرقه غير القتل ، والتبعة الأولى تقع على عاتق الأقربين ، فلم يكد المكرم يستقر شهرا واحدا فى قاعدة ملكه حتى قام يستنهض العرب من جديد للأخذ بالثأر من العبيد . « فأمر برسالة قرئت على أعوانه فى الوعظ والتذكير وفضل الجهاد وما فيه من الثواب العظيم ، واستبشر الناس بذلك وأجابوه بما أراد »[٢] . وقام الشعراء يحرضون العرب على وجوب الأخذ بثأر مليكهم العظيم علىّ بن محمد الصليحى ، ومن هؤلاء الشعراء الحسين ابن على القمّى[٣] الذى نظم قصيدة طويلة جاء فيها[٤] :

أقحطانُ هُزِّى البيضَ واعتقلى السُّمْرَا
وردِّى العَوالى من دماءِ العِدا حُمْرَا
ولا تُهْـــدِرى ثأرَ المظفَّرِ إنّهُ[٥]
بَنى لكُمُ مجْدا وشاد لكم فخْرَا
سَرَى نحو بيتِ الله ، لِلّهِ قاصـــدا
يَرومُ من الله المثُوبةَ والأجْرَا

(١) أم الدهيم ، موضع بمقربة من المهجم .

(٢) عيون ٧/١١٠ .

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد القم . كان أبوه صاحب ديوان الخراج بتهامة ، وقد ظهر شأنه فى أيام الملك على بن محمد الصليحى . ولد ابنه الحسين بزبيد وتأدب بها ، وكان يعد من فضلاء اليمن ورؤساء شعرائها (الجندى : السلوك ١/ورقة ٨٨) . وقال عمارة عنه : « إنه كان شاعراً مترسلا يكتب عن الملكة الحرة بنت أحمد » (النكت العصرية ٢/٥٦٧) . وكان على صلة وثيقة بالسلطان سبأ بن أحمد الصليحى وأقام معه بحصن أشيح (عمارة/كاى ١٢٧) ، ومدحه وأسرته بغر قصائده . وتوجد فى المتحف البريطانى أوراق منتزعة من ديوانه وشعره ، وقد أورد الداعى إدريس بعض قصائده فى السبع السابع من العيون . وكان رئيس ديوان الإنشاء عند الصليحيين ، ويوجد فى مكتبتنا المحمدية الهمدانية نسخة خطية من مجموع المكاتيب التى ألفها على لسان السلاطين الصليحيين ، وأشرنا إليها فى هذا البحث باسم « رسائل القمى » .

(٤) عيون ٧/١١٠ — ١١١ .

(٥) المراد من المظفر الملك على بن محمد الصليحى .

ولما صحت عزائم العرب على القتال ، بعد أن استنهضهم الملك والشعراء والخطباء ، قام الملك أحمد المكرم من صنعاء فى يوم الخميس غرة شهر رمضان سنة ٤٦١ قاصداً سعيدا الأحوال فى زبيد ، فوصل إلى العمد فى يوم الأحد الخامس من ذلك الشهر ، وعرض عسكره فى خارج القرية ، ثم وعظهم وحثهم على عدم النهب والسلب ، وتأمين الناس على أموالهم وأرواحهم ، وأنهم لا يريدون إلا قصد عدوهم ، فأطاعوه .

وفى صبيحة اليوم السابع من ذلك الشهر قصد المكرم زبيد حيث جاءته الأخبار بأن سعيدا الأحول قد تحرك فى أول رمضان إلى المخلاف أو إلى عدن . فأرسل المكرّم قائده عامر بن سليمان الزواحى فى جُل من معه من جنب وسنحان وحمير إلى جهة نقيل صيد واتجه المكرم بمن معه من همدان وأهل حراز نحو جبل الشَّعِر حيث كان سعيد الأحول وجيشه قد تعلقوا بالجبل[1] فملك الرعب قلوب الحبشة، وأيقنوا بالهلاك ، فحمل المكرم عليهم حملة من يختار الموت على الحياة الفانية[2]، وهزم العبيد هزيمة منكرة ، وأدرك رجل من شاكر[3] سعيدا الأحول فقتله عند قرية مَابَة[4] ، وأتى برأسه إلى المكرّم . وقتل بلال بن نجاح وأخوه مالك بجهة نقيل صيد على يد عامر بن سليمان الزواحى . وعاد المكرم بعد ذلك إلى زبيد ، وفى يوم السبت غرة شوال صلى بالناس العيد ، وخطبهم خطبة أفاض فيها بالدعاء لأبيه ، على ما قيضه له من الأخذ بثأره[5]

---

(١) وكان عدد جيشه ١٢ ألفا وجيش المكرم سبع مئة رجل ، وذلك لأن معظم جيشه كان مع الزواحى بجهة نقيل صيد (عيون ٧/١١٢) . (٢) نفسه ١١٢ .

(٣) شاكر بن بكيل قبيلة همدانية مشهورة تسكن شمال اليمن ولها فروع (صفة ١٦٩، ١٩٤).

(٤) مابة ، قرية فى رأس جبل بنى الحارث ، ومتصلة بجبل الشعر مباشرة ، وكذلك بمخلاف جعفر وهى القفل الفاصل ما بين اليمن الأعلى والأسفل ، ويطل عليها حصن سلبة الذى يقول فيه أعشى همدان :

بيعدان أو ريمان أو حصن سلبة ... دواء لمن يشكو السمائم بارد
وبالقصر من إرياب لو بت ليلة ... لجاءك مثلوج من الماء جامد

(٥) عيون ٧/١١٣ .

ومما قاله : « اللهم وتغمد بغفرانك ورحمتك ورضوانك عبد أمير المؤمنين وداعيه الأجل الأوحد ، واجزه أفضل ما جزيت داعياً عمّن دعاه ، اللهم وأوزعنا شكر ما أنعمت به علينا من توحدك لنا بإدراك ثأره من الظالمين والإدالة به من أعدائه الفاسقين ، حتى صاروا بأسيافنا حصيدا خامدين ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ »[1] .

ترك المكرم زبيد بعد أن ولّى عليها السلطان أبا حمير سبا بن أحمد المظفر الصليحى وأراد متابعة جياش بن نجاح ؛ فوصل إلى الهجر فى صبيحة يوم الجمعة ٢٨ شوال سنة ٤٦١ ؛ وعلم فيها بأن جياشا هرب إلى بلاد الهند. ثم اتجه المكرم إلى الساعد بعد ما خلف على الهجر عليا ومحمدا ابنى مالك بن شهاب الصليحى وجماعة من أهل الحجاز وأهل المغرب .

ثم وصلت فى هذه الأثناء السجلات المستنصرية تتضمن تشريفات وزيادة فى الألقاب فقرأها على الناس فى يوم السبت السابع من ذى القعدة . وجاءته الشعراء مهنئين بالنصر ، منهم الشاعر أحمد بن على التهامى الذى قال قصيدة جاء فيها[2] :

---

(١) عيون ٧/١١٣ ؛ وقد جاء عمارة/ كاى ٣٠ برأى آخر فى قتل سعيد الأحول ، وذكر أن قتله كان فى سنة ٤٨١ فى عهد الملكة الحرة أروى بنت أحمد . واتبعه فى هذا الخزرجى (كفاية ٥٣) ويحيى بن الحسين (أنباء/دار ٤٢) وابن الديبع (قرة ورقة ٢٤) . وهذا الرأى بعيد عن الصواب لأن قتله كان كما ذكرنا فى سنة ٤٦١ . وقد ظل حسين بن مغيرة التبعى صاحب حصن الشعر طوال مدة حكم المكرم عدوا للدولة الصليحية ، بالرغم من أن المكرم قد أعطاه الأمان وأكرم مثواه ، إلا أنه فر ولحق بسعيد الأحول بزبيد كما سبق أن ذكرنا ذلك . وقد ذكر المؤرخون الأربعة أن حسين بن مغيرة قد انضم إلى الملكة الحرة ودخل فى طاعتها وهو الذى رسم لها الحيلة التى قتل بها سعيد الأحول . إننا نستبعد أن يكون هذا المعاند المكابر فى عهد المكرم ، وهو عهد قوة الدولة وسطوتها ، أن يصير حليفا اليوم للملكة الحرة ، فيساعدها على قتل سعيد الأحول الذى كان يتخذه ملجأ له ، بل بعده أكبر مساعد له ضد هذه الدولة الخصيمة . ثم إن هؤلاء المؤرخين ، قد أجمعوا على أن الملكة الحرة قد كاتبت فى هذه الأثناء ، أسعد بن شهاب وعمران بن الفضل اليامى ، وأمرتهما بالتوجه من صنعاء إلى تهامة . وهذا الأمر يخالف الواقع لأن أسعد بن شهاب كان قد توفى فى شعبان سنة ٤٥٦ (عيون ٧/٧٦) . لذلك كله نرى أن هذا الرأى ، لا أساس له من الصحة ، وأن قتل سعيد الأحول كان فى عهد الملك المكرم كما ذكر صاحب العيون .

(٢) عيون ٧/١١٤ — ١١٥ .

نفضت غبار العار عن ثوب يعرب
وقد سحبت أعطافه كلّ مسحب
بشعواء فى صنعاء قرع طبولها
وربعانها بالعرق دون المحصّب (١)
أدرت على درب الحصيب مع الضحى (٢)
رحى ذات قطب حاشدىّ ولولب (٣)
فأضحوا على الأبواب صرعى كأنهم
قبائل عاد فى الصباح العصبصب (٤)
وجئت وأم المؤمنين وسربها
كزينب يوم الطفّ حول المخضّب (٥)
حماها الذى أعطاك ملكا كما حمى
بناتِ على من مسوخ وأكلب
فإن ذكرت بالفخر يوم نسابها
قريش كعمرو أو كعيسى ومصعب (٦)
أو الخرق عتاب أو المرء خالد أو الشهم مروان الخطيب المهذب
وإخوتنا الأزد اليمانون إن أتوا بغرّ بنى الأيام آل المهلّب
أتينا بذى السيفين أحمد إنه يفوق على الحيين أدّ ويعرب

(١) حاشية العيون : المحصب ، موضع بالحجاز .
(٢) الحصيب ، هو نفس مدينة زبيد .
(٣) حاشية العيون : اللولب المستدير . قال الأزهرى : لا أدرى عربى أم معرب .
(٤) العصبصب ، شديد الحر .
(٥) يريد به الإمام الحسين المخضب بالدماء .
(٦) عيسى ، هو عيسى بن موسى العباسى ، ومصعب ، هو مصعب بن الزبير بن العوام .

لقد طالهم فخرا ومجدا ونجدةً ... كما طال كيوان على كل كوكب
أليس نظام المؤمنين أميرنا ... أباك وإن الفخر للمتسبب
وأمك بنت القيل من آل جعفر ... فناهيك من أمّ وناهيك من أب
ومكنك البارى على لوح عرشه ... طراز العلى فى مفخر النسج مذهب
فدُمْ لبنى قحطان يا رأسَ عزهم ... ومهيعهم فى الحادث المتعصب

نقل جثتى أبيه وعمه إلى صنعاء

ترك المكرم بعد ذلك قرية الساعد فى نفس اليوم ، فبلغ المهجم وأمر بحمل جثتى والده وعمه فى تابوتين إلى زبيد ؛ ثم سار بهما إلى صنعاء ؛ فقبرهما يمانى الجبّانة ، وأمر ببناء مشهد جامع لهما[1] ، وكتب بعض الشعراء على قبر الصليحىّ أشعارا منها[2] :

فى القبر ليثٌ وبحرٌ زاخرٌ وجَدَى ... جودٍ وطَوْدٌ وضرغام وصمصامُ
فاعجبْ بأن ضمَّ هذا كلَّه جَدَث ... بدا له فى قلوبِ الناس إعظامُ
فطُفْ به واقْضِ حَقَّ المجد إن له
حقًّا على كلّ حُرٍّ جَدُّه سامُ
هذا الذى أمْسِ رُجَّتْ خَوْف سطوته
نجدٌ وبغدادُ والأحساءُ والشامُ
حتى إذا قيل هذا ماله مثَلٌ
من الأنام تولَّتْ قتْلَهُ حامُ

ولما عاد المكرم إلى صنعاء بعد دفن الجثتين جلس فى مسجد كان قد بناه أبوه ،

---

(١) يقول صاحب العيون ٧/١١٦ : « ومشهد الصليحى اليوم قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره ؛ وهدموا مناره ... فإن عنايتهم فى ذلك كثيرة ، وفى هدم القبور أفعال نكيرة ، وذلك شىء يحاماه الكفار والمسلمون ، ويأنفون عنه ، وهؤلاء يقدمون » .

(٢) نفسه ٧/١١٦ .

وأخذ الشعراء ينشدونه قصائدهم، ومن بينهم عمرو بن يحيى بن الحسين الهيتمى حيث قال قصيدة جاء فيها[١] :

وكيف لا نبكى ملوكا عَنَتْ لهُمْ ملوكُ الشرق والمغربِ
دارتْ رَحَى بأسِهمُ من قُرى الشِّحْرِ إلى نجْدٍ إلى يثربِ
بما حوى البحرُ وشَادوا العُلى وأدركوا ثارات آل النبى
لم تطلع الشمسُ على مثلهمْ من غيرهم جودا ولم تَغْرُبِ
ولم يمُتْ مجدُهمْ إنَّما
غُيِّبت الأجسادُ فى التَّيْرَبِ[٢]
وسعْىُ ذى السيفين يحُيِيهمُ مالاحَ فى الليل سَنا كوكبِ

وفاة الملكة الوالدة أسماء

استقر المكرَّم بعد ذلك فى صنعاء، وأخذ يصرف أمور دولته إلى أن توفيت أمه أسماء بنت شهاب بصنعاء سنة سبع وستين وأربع مئة على ما ذكره الداعى إدريس[٣]، إلا أن كتب التاريخ الأخرى ذكرت أن وفاتها كانت فى سنة ٤٧٩[٤]، وهذا الزعم بعيد عن الصواب إذ لم نعد نسمع بذكرها فى الجزء الأخير من حياة المكرم بعد أن صارت أمور الدولة والدعوة فى يد زوجته السيدة الحرة أروى بنت أحمد[٥].

---

(١) عيون ٧/١١٧ .

(٢) فى أصل : فى الترب . ولعل ما أثبتناه هو الصحيح ، والتيرب والتورب من أسماء التراب ، وبه يستقيم وزن البيت .

(٣) عيون ٧/١٢١ ؛ انظر الفصل عن فضائل السيدة أسماء ص ٦٧ .

(٤) أنباء/١١/٤٢ ؛ قرة ورقة ٢٤ ؛ بغيه ورقة ١٢؛ وذكر الخزرجى فى كفاية ٥٣ أن وفاتها كانت سنة ٤٧٤ .

(٥) عيون٧/١٢٢ .

انتقال المكرم من صنعاء إلى ذى جبلة

وقد رأت الملكة الحرة بثاقب فكرها أن تجعل ذى جبلة[١] دار قراره فأشارت على زوجها الملك المكرم بذلك ، فقالت له : « يا مولانا ! أرسل إلى أعمال صنعاء ، ليجتمعوا أو يحشدوا» . فأمر الملك المكرم بجمعهم وحشدهم . فلما حضروا الميدان أشرف عليهم من قصره ، فلم تقع عينه إلا على حامل سيف أو رمح . ثم انتقل الملك المكرم إلى ذى جبلة ومعه امرأته السيدة ، فسألته أن يحشد أهلها ورعاياها . ففعل ، وأشرف عليهم ، فلم تقع عينه إلا على حامل هدية أو سائقها . فقالت له : « العيش بين هؤلاء أفضل ، لأن ذلك أقر للمملكة وثبوت قواعدها وأسهل جانبا فى مصادر الأمور وموارداها ، وهى متوسطة بين اليمن الأعلى والأسفل ، وبها يخصب العيش ويطيب المحل »[٢] .

اعتناؤه فى حصن التعكر ونفوذ بصره أمر الدولة لزوجته

ولما اقتنع المكرم بوجهة نظرها جعل ذى جبلة له مقرا وترك صنعاء بعد أن

---

(١) اختط السلطان عبد الله بن محمد الصليحى فى سنة سبع وخمسين وأربع مئة مدينة ذى جبلة بمخلاف جعفر بأمر أخيه الملك على بن محمد الصليحى (انظر ص ٨٨) . وجبلة ، على ماقيل ، اسم لرجل يهودى كان يسكن فيها ويعمل الفخار فى الموضع الذى بنى فيه السلطان عبد الله دار العز الأولى . وهى تسمى مدينة النهرين لأنها مدينة بين نهرين كبيرين جاريين فى الصيف والشتاء . ويقال فى المثل المشهور إن جبلة لايدخلها أحد إلا طاهر وصباحها صباح عروس . ولما انتقل المكرم إلى ذى جبلة اختط بها دار العز الثانية فى ذى بور وكان حائطا فيه بستان وأشجارا كثيرة ؛ وهو مطل على النهرين وعلى الدار الأولى . وقال عبد الله بن يعلى الصليحى فى وصف ذى جبلة :

هب النسيم فبت كالحيران ... شوقا إلى الأهلين والجيران

مامصر ؟ مابغداد ؟ ماطبرية ... كمدينة قد حفها نهران

خدد لها شام وحب مشرق ... والتعكر السامى الرفيع يمان

«وأمرت الملكة السيدة ببناء الدار الأولى مسجدا جامعا وهو المسجد الجامع الثانى. وبها قبر الملكة السيدة رحمها الله إلى الآن» كما حكاه عمارة/ كاى ٣٠. وأضاف عمارة قائلا: «وكان بناء دار العز الثانية الكبيرة سنة إحدى وثمانين وأربع مئة » .

(٢) عيون ٧/١٢٢ .

ولّى عليها عمران بن الفضل اليامى وأبا السعود بن أسعد بن شهاب[١] واستقرّ بدار العزّ التى بناها بذى جبلة جميعا[٢] . وأقام بها مدة ، ثم اشتد به مرض الفالج الذى أصابه بعد تخليص أمه أسماء من الأسر بزبيد[٣] ، وأشار الأطبّاء عليه أن يحتجب عن الناس لذلك السبب[٤] ، فترك ذى جبلة وطلع حصن التعكر بعد أن فوّض لزوجته شئون إدارة الدولة .

عمران بن الفضل اليامى وعزله من ولاية صنعاء

وكان الملك المكرم قد ولّى على صنعاء القاضى عمران بن الفضل اليامى الهمدانى[٥] أحد أقطاب الدولة الصليحية أيام سكون المكرم بذى جبلة ، ثم عزله عنها ، وكان ذلك من الأسباب التى كانت بها المباعدة بينه وبين القاضى عمران[٦] . وفى ذلك يقول القاضى عمران يخاطب المكرم والأمير سبا بن أحمد الصليحى :

ولا تجرحا بالعَزْل أكباد معشرٍ ... إذا غضبوا علّ القنا وتكسّرا
فلو أنّ مولانا معدّا أتاكما ... بعَزْل تولّى الكلّ منّا وأدبرا
فلا تفرقا من لَفّه والداكما ... وعودا إلى عقليكما وتدبّرا
فإن أنتما أنكرتما ما نظَمْتُه
فصِدْقى غدا من طلعة الشمس أزهرا

---

(١) فى كفاية ٥٣ وأنباء / دار ٤٢ وقمرة ورقة ٢٤ أنه ولى أسعد بن شهاب . وهذا يخالف الحقيقة لأن أسعد خال المكرم قد توفى سنة ٤٥٦ (عيون ٧/٧٧/) والذى ولاه المكرم على صنعاء أبا السعود ابن أسعد بن شهاب .

(٢) كفاية ٥٢ .

(٣) عمارة / كاى ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) عيون ٧/١٢٢ .

(٥) هو عمران بن الفضل بن على بن أبى زيد بن العمر بن صعب بن الفضل بن عبد الله ابن سعيد بن الغوث بن ألغز بن مذكر بن يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن جشم الأوسط بن جشم الأكبر بن حران بن نوف بن همدان ؛ ويلتقى نسبه مع الصليحيين من جشم الأوسط . وقد اختارت همدان حفيده السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامى بأمر صنعاء فى سنة ٥٣٣ ، وملكها بعده السلطان على بن حاتم . وضربت باسمهما السكة وأقيمت لهما الخطبة .

(٦) عيون ٧/٢٣١ .

وفى أثناء مرض المكرم وصل إلى باب التعكر المسمى بباب كُلَيْب القاضى عمران وجماعة كبيرة من الناس يريدون مقابلة الملك[١] ، فمنعه القائمون على خدمة المكرم من دخول الحصن ، لما به من مرض ، وصرفوا أمره إلى الملكة الحرّة بذى جبلة ، ولكن هذا التصرف أغضب القاضى عمران[٢] ،وقال فى ذلك قصيدة جاء فيها :

أباب كُلَيْبٍ إننى لك هاجِرُ على أنّنى داع لمولاك شاكِرُ

وهى قصيدة طويلة كما حكاه صاحب العيون ، ذكر فيها أفعاله وسوابقه مع الملك على بن محمد الصليحى ، وظنّ أنّ سبب ردّه يرجع إلى سوء تصرف ابن هبالة ونجم بن بشارة وكانا يتولّيان خدمة المكرم ، وذكرهما فى قصيدته هذه :

فلما بدينٍ بابه ابن هَبَالةٍ ومأذونُه نجمٌ فعمران كافِرُ !

والواقع أنّ الملك أحمد المكرم لم يطلع التعكر إلاّ بمشورة الأطبّاء عليه بالاعتكاف . ولكن مالبثت أن عادت المياه إلى مجاريها مرة أخرى بعد وفاة الملك المكرم ، لأن القاضى عمران حارب النجاحيين فى عهد الملكة الحرة ، وقُتل فى موقعة الكظائم سنة تسع وسبعين وأربع مئة كما سيأتى ذكره فى الباب التالى .

---

(١) عيون ٧/١٢٥ .

(٢) وكان الملك المكرم إذا دخل عمران بن الفضل إليه ينزل عن السرير ويقوم لإقباله ويأخذ بيده فيصعده إلى السرير معه . وقد دخل القاضى إليه ذات يوم مع سميه عمران بن الشاعر العثمانى وقد هجا الشاعر العثمانى الملك على بن محمد الصليحى لما أتى سعيدا الأحول برأس الملك زبيد منصوبا على الراية. فكان الشاعر المطلوب بعد أن ظفر الملك المكرم بسعيد بن نجاح. فقال القاضى عمران : لا أصعد السرير حتى تقضى لى حاجتى . فقال له المكرم : هى مقضية ولو كانت فى أمان العثمانى . فقال عمران : ذلك أريد ، وهذا الغلام ولده . فقام الغلام وأنشد قصيدة أبيه مطلعها :

ماذا ترد على الركبان عدنان إن لم تجد بجميل الصفح قحطان

فقال المكرم بعد تمام الإنشاد : إن صدقنى ظنى فإنك تجد أباك قد هلك . إننى لأجد هذا الشعر من آخر نفسه . ويروى أن الشاعر قد مات قبل وصول ابنه إليه (المرجع نفسه ٧/١١٩ — ١٢١) .

أحمد المكرم ذو السيفين

وقد بلغت الدولة الصليحية فى عهد الملك المكرم أحمد بن على الصليحى أقصى اتساعها ، ولم تكسب أرضاً ولا نفوذا أكثر مما كسبته فى عهده ، فقام الملك المكرم بأمر الملك والدعوة فى جزيرة اليمن وفى الجهات المضافة إليها[١] . ولعل الظروف التى حاقت بالدولة فى عهده بعد مقتل أبيه العظيم الملك الأوحد على الصليحى وذللها بما أحرزه فى وقت قصير من انتصارات(Blitzkrieg) هى التى جعلت المؤرخين يصفونه بأنه « كان ملكا شجاعا شهما جوادا هماما وفارسا مقداما »[٢] . وأبدى إمامه الخليفة المستنصر بالله الفاطمى مسرّته على انتصارات المكرم بقوله[٣] : « . . . عرض بحضرة أمير المؤمنين ملطف يبشّر بذكر سلامتك، ويسخر الأقدار لإرادتك ، ومواجهتك وجوه الظفر فى أبواب وجهتك ومقاساتك للخطوب بعد الخطوب ، واصطلائك بنار الحروب ، ممّا لو جرى فى مثله فى السنين لكانت قضيتها عجيبة ، وحالتها غريبة ، فكيف فى هذه الأشهر القريبة ؟ وإنك ما لقيت ذا بغى عليك وعتوّ ، إلّا وقمّصك الله قميص ظفر به وعلوّ ، قد جعل الله وله الحمد النصر للوائك عَذَبا ، كما جعل الأعداء لنار سيوفك حَطَبا ، فامتلأ إهاب أمير المؤمنين مسّرة بك وفيك ، وحمدا لله سبحانه كثيرا على نجاح مساعيك وإصابة مراميك ، وكونك خير خلف لأبيك » الخ . فنرى أن لقبى « ذى السيفين »[٤] و « داعى السيف »[٥] الذين منحهما الخليفه الإمام المستنصر أحمد المكرم قبل أن يكون سيد اليمن قد انطبقا عليه تماما .

خطابة المكرم

وكان المكرم فوق ذلك ، كما قال عمارة : « فصيحا خطيبا مشهورا بالثبات والإقدام ، ولم يكن فى زمانه من يتعاطى حمل رمحه وسيفه وقوسه وشدة قوته وعظيم خلقته » .

---

(١) عيون ٧ / ١٢٣ .
(٢) بالمخرمة : ثغر عدن ٢ / ٥٧ .
(٣) السجلات رقم ٤٠ .
(٤) السجلات رقم ٣ .
(٥) عيون ٧ / ١٥٢ ؛ نزهة ٨٣/١ .

وقد لمسنا فصاحة المكرم وقدرته الفائقة على الخطابة عندما أخذ يخطب أتباعه ويحثهم على وجوب تخليص أمه من الأسر فى زبيد ، فلاحظنا إيمانا صادقا وعزيمة ماضية وشجاعة نادرة فى دفع العرب نحو الهدف المنشود .

توحيد العملة

ولما رأى المكرم أن العملة تعتبر من مظاهر سيادة الدولة ، وأن توحيدها يعمل على رواج التجارة ، أمر بصك الدينار الملكى الذى ينسب إليه ، وكتب عليه : « السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين » . وقال عمارة[١] : « . . . وإلى اليوم الدينار على هذه السكة إلى أن ولى الداعى الملك عمران بن محمد الزريعى ، فسك ديناراً آخر كتب عليه : « أوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد » . ومما لا شك فيه أن المكرم سك الدينار لأنه وجد أن عدم توحيد العملة فى البلاد يدعو إلى اضطراب النقد . وكانت الدنانير المستعملة قبل ذلك إما سعيدية[٢] أو عثرية[٣] وغيرها[٤] . وكان هذا يدعو إلى المضاربة بين قيمة العملة المستعملة المتعددة ، وإلى التعقد فى التعامل ولا سيما فى التجارة .

ثم إن المكرم يحتمل أنه قد طلب إلى الناس وجوب التعامل بهذه العملة الجديدة ، إما لرغبة فى إزالة مظاهر سيادة الدول التى سبقته فى حكم هذه البلاد ، وأنه حمل الناس على استقبال عهد جديد له سياسته ونظمه وأهدافه ، وإما أنه كان يقصد من ذلك أن يحمل الناس على بيع ما عندهم من عملة قديمة بأثمان رخيصة .

---

(١) عمارة / كاى ٢٣ .

(٢) نسبة إلى سعيد الأحول بن نجاح .

(٣) نسبة إلى بلدة عثر وهى تقع شمالى زبيد .

(٤) أنباء / دار ٤٠ .

ومعنى ذلك أن الحكومة تعمل على أن تسحب عملة لها قيمتها فى نفوس الناس بشرائها منهم بأقل من قيمتها الحقيقية ، وهذا ما يعود على مالية الدولة بالربح .

ويلاحظ أن الملك المكرم أحمد بن على الصليحى برغم شجاعته وشهامته وفصاحته ومواهبه ، وبرغم مجهوده الجبار فى توحيد بلاد اليمن لم يستطع أن يستمر فى الحكم على الدولة التى أنشأها والده العظيم الملك على بن محمد الصليحى ، والتى استرجعها المكرم بعد أن أفلتت من يديه ، وذلك بسبب اشتداد مرض الفالج الذى لازمه منذ أن خلّص أمه السيدة الملكة الحرة أسماء بنت شهاب من أسرها بزبيد . فاعتكف بحصن التعكر ، وترك — إلى حين وفاته فى شهر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وأربع مئة[1] — شئون الدولة والدعوة فى أيدى زوجته الملكة السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية .

---

(١) وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فزعم بعضهم أنها كانت سنة أربع وثمانين وأربع مئة (كفاية ٥٣ ؛ قرة ورقة ٢٤ ؛ عمارة / كاى ٣١ ؛ بامخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٢٨ ؛ الكبسى : اللطائف ورقة ٢٠) ، وقال إدريس إنها كانت سنة سبع وسبعين وأربع مئة . وقد أثبت روايته السجل المستنصرى الموجه إلى الملكة الحرة المؤرخ فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأربع مئة (السجلات رقم ٤٨) مما يدل على أن الملك المكرم قد توفى فى نهاية سنة سبع وسبعين وأربع مئة وأن الخليفة المستنصر أرسل عزاءه الشخصى مع الأمير أبى الحسن جوهر المستنصرى ، كما جاء فى السجل المؤرخ فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مئة (السجلات رقم ٤٦) أن المستنصر أمر بإرسال كافة المراسلات إلى على بن المكرم بعد وفاة المكرم .

الباب السادس

عهد السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية

(٤٧٧ - ٥٣٢)

السيدة الحرة الملكة

كان أهل اليمن يخاطبونها بلقب « سيدتنا الحرة الملكة » حبا فيها وإجلالا لها ، وهى أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحى[١] . وُلدت سنة أربعين وأربع مئة ؛ ويروى أن أباها أحمد بن محمد بعثه الملك على الصليحى بعد استيلائه على حصن مسار مع الوفد اليمنى إلى الخليفة المستنصر بالله بالقاهرة لكى يستأذن الخليفة الفاطمى فى إظهار الدعوة فى أنحاء اليمن ، وأنه مات فى عدن بسقوط البيت الذى كان يسكنه ، وأن أروى كانت فى هذا الوقت فى طفولتها[٢] .

---

(١) وقد اشتهرت باسم « سيدة » ، والواقع أن اسمها « أروى » ؛ وقد ذكر عمارة / كاى ١٦ اسمها وهو « الحرة الملكة السيدة أروى ابنة أحمد الصليحى » . ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب العيون ٢٠٣/٧ — ٢٠٤ حيث قال : « وكان (عبد المجيد) قبل ذلك يكاتب الحرة الملكة . . . « من ولى عهد المسلمين ، ابن عم أمير المؤمنين » ، ثم كتب : « من أمير المؤمنين » ، فقالت : « أنا أروى ابنة أحمد ، بالأمس ولى عهد المسلمين ، واليوم أمير المؤمنين . لقد جرى فى غير ميدانه . . . » الخ . فالظاهر أن لفظة سيدة لقب للملكة وليس اسما لها ، لكنه أطلق عليها بكثرة استعماله لها .

كذلك وقع الاختلاف فى اسم جدها الأعلى . وروى عمارة / كاى ٢٨ أنها ابنة أحمد ابن جعفر بن موسى الصليحى ، واتبعه المؤرخون الآخرون فى هذا ببعض الاختلاف كما جاء فى رواية الجندى والخزرجى أنها ابنة أحمد بن محمد بن جعفر (نفسه س ٢٨) أو لم يذكروا أسماء أجدادها . قد جاءت أسماؤهم فى وصيتها (انظر الملحق رقم ٩) . وضبط صاحب العيون ٢١٨/٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ نسبها إلى أحمد بن محمد بن القاسم الصليحى . فلذلك اعتمدنا فى أسماء أجداها على شهادة وصية الملكة نفسها وعلى رواية العيون .

(٢) تعليق كاى رقم ٢٩ .

وأمها الرداح بنت الفارع بن موسى الصليحى . وقد تزوجت الرداح بعد موت زوجها من عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحى ، فرزقت منه بسليمان بن عامر ، أخو الحرة لأمها[١] .

وقد قامت بتربيتها وتهذيبها وتأديبها السيدة الحرة أسماء بنت شهاب زوجة الملك على الصليحى ، فنشأتها نشئة طيبة فاضلة ، وذلك لاهتمام على الصليحى بها ، فكان كثيرا ما يقول لأسماء : « أكرميها ، فهى والله كافلة ذرارينا ، وحافظة هذا الأمر على من بقى منا » . ويحكى عمارة[٢] أنها روت رؤيا لأسماء ، قالت فيها : « إنها رأت فى المنام أن بيدها مكنسة ، وأنها تكنس قصر مولانا على الصليحى » . فقالت لها أسماء : « كأنى بك والله وقد كنست آل الصليحى ، وملكت أمرهم » .

فضائل الملكة السيدة أروى

وكانت الملكة أروى على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة إلى جانب ما تمتعت به من جمال الخلقة ؛ فكانت بيضاء اللون مشربة بحمرة ، مديدة القامة ، معتدلة البدن ، تميل إلى السمنة ، كاملة المحاسن جهورية الصوت ، قارئة ، كاتبة ، تحفظ الأخبار والأشعار والتواريخ وأيام العرب[٣] ، ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها . وكان يقال لها بلقيس الصغرى ، لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها[٤] . وكانت الحرة الملكة ، كما قال صاحب العيون : « متبحرة فى علم التنزيل والتأويل والحديث الثابت عن الأئمة والرسول عليهم السلام . . . وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر ، ويأخذون عنها ويرجعون إليها »[٥] .

وامتازت ملكتنا بالصلاح والتقوى والخبرة الواسعة ، والمعرفة الفائقة بأحوال الناس ، مما ساعدها على إدارة شئون بلادها فى ظروف سيئة أحاطت بالبلاد . قال إدريس[٦] : « وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكمال عقل

---

(١) عمارة / كاى ٢٨ .
(٢) نفسه ٢٨ .
(٣) عمارة / كاى ٥٩ ؛ كفاية ٥١ .
(٤) كفاية ٥١ .
(٥) عيون ٧/٢٠٨ .
(٦) نفسه ٧/١٢٢ .

وعبادة وعلم ، تفوق الرجال فضلا عن ربّات الحجال ، وتستحق مدح الشاعر حيث قال :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهـــلال »

وقال أيضا[١] : « وقد استحقت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال . وكان الإمام المستنصر أصدر إليها أجلّ أبواب دعوته ، فأفادها من علوم الدعوة ، ورفعت عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج » .

وفى ذلك قال أحد أقطاب الدعوة فى عهدها السلطان الخطّاب بن الحسن الحجورى الهمدانى[٢] ردا على اعتراض المعترضين أن الإناث لا يستحققن رتبة الحجية[٣] : « نقول إن القمص البشرية الجسمانية لا قول بها ولا عمل عليها . . . إنا نجد من هو ظاهر بقميص الإناث هو فى أعلى الرتب وأشرفها كالزهراء البتول . . . وخديجة ابنة خويلد . . . ومريم ابنة عمران . ونجد أيضاً بالعكس من هو ظاهر بقمص الإناث وهو أسفل سافلين من رتب الاستحالة . . . إن الذكر والأنثى من القمص البشرية لا يعرب عن حقيقته ولا يهدى إلى طريقته ، بل المعرب والهادى الظاهر بها ، وهذا منهـا أعنى القمص البشرية الجسمانية التى يكشف لنا حقيقة باطنة حتى يقع على الحكم بأنه ذكر أو أنثى ، وهو ما يظهر من الأفعال فى الطاعات والقبول . . . ومن أفعال الخير . . . فإن ظهر عنه خير لاشرّ فيه ، وطاعة لا معصية معها ، وولاية لا مكابرة بعدها ، وقبول لا يمازجه ردّ ، ينجع فيه آثاره وتشعشع منه وقع العلم بأنه قد رسخ عنده ما ألقى إليه وقبله وأثمر منه . . . ومن هذه الطريق يتبين المؤمن الولىّ من الجاحد الغوىّ . . . فإذا كان الظاهر بقمص الإناث قد أحرز جميع الخلال المحمودة فقد خرج من دائرة الاستفادة

---

(١) عيون ٧/١٣١

(٢) لخصنا مايأتى من رسالته المسماة بغاية المواليد ١٣ — ٢٦ .

(٣) المصدر الصناعى من لفظ الحجة . والحجة فى مصطلح الدعوة هى درجة من درجات الحدود تلى درجة داعى الدعاة أو باب الأبواب ، وعادة يكون الحجة ممثلا الإمام فى بحر من بحار الدعوة أو جزيرة من جزرها الإثنتى عشرة ، ولا يراد من هذه الكلمة المعنى المفهوم «حجة الله» .

وصار بمنزلة الذكور . . . وإذا كان الظاهر بقمص الذكور غير محرر لجميعها ، فهو أبدا مستفيد بمنزلة الإناث . . . والأناث والذكور لا من يكون قبل الأجسام التى هى القمص عندهم ، بل من قبل الإفادة والاستفادة فقط » .

ومما مدحت به الملكة الحرة الصليحية قول الخطاب بن الحسن الحجورى[1] وهو لا يمدح أحدا إلاّ الحرة الملكة ، وذلك من خالص ولائه وعظيم إجلاله لها :

همم النفوس على النفوس مدارُها ... وبها تَبِينُ كبارُها وصغارُها
وإذا تفرَّسَ فى الورى مُتفرِّس ... ببصيرة لا حَتْ له أخبارُها
إنّ النفوس فروعُ أجسام وما ... تُبديه من همم النفوس ثمارُها
وحياة أفضلها التقى إذ بالتقى ... تحوى بها ممّا ابتغَتْ آثارُها
كوحيدة الزمن التى أضحى التقى ... وشعارُها من محْضه ودثارُها
رَضى الأئمة سَعْيها فتوطَّدتْ ... فى الأرض دولتُها وقرَّ قرارُها
وتواصلَتْ بركاتها ممدودةً ... منها حبائلُ ما استَرَمَّ مُغارُها
موصولةً بحبالها تبقى على ... مَرِّ الزمان وصَرْفِهِ أسرارُها
وإذا الملوكُ أطاعت الرحمن لم
تُخذَلْ وطالَتْ فى الورى أعمارُها
وجَرَتْ لها بميامنٍ وسعادةٍ ... مَوْصولة بدوامها أطيارُها
أمّا عُلاكِ فإنّها مشهورة ... لاحَتْ أدلّتُها وطالَ مَنارُها
شهِدتْ عِداكِ بها فإنْ هُمْ طالبوا
إدراكَها فقُصارها إقصارُها

---

(١) عيون ٧/٢٢١ — ٢٢٢ . ولا توجد هذه الأبيات فى نسخة د الخطاب الموجودة فى م. م. ه. ولم يمدح الخطاب أحدا من معاصريه إلا الملكة الحرة وأستاذه المفيد . انظر ص ١٩٣ — ٢٠٤ من هذا الباب عن حياة الشاعر ومميزات شعره .

أنتم بنو الأصلوح جوهر يعرب ... وسواكم أصدافها وبحارها

ولأنت يا ابنة أحمد تنميك من ... تلك اللآلى الفائقات كبارها

أنقذت من يم الضلالة أهلها ... كانوا بها طام بهم تيارها

كما مدحها الشاعر الحسين بن على بن محمد القمى[1] فى قصيدة أولها :

أعلمت أن من الرماح قدودا ... ومن الصفاح محاجرا ونهودا

ومنها :

أعلى الأنام أبا وأكرم طينةً ... وأتم أعراقا وأصلب عودا

لو كان يعبد للجلالة فى الورى ... بشر لكانت ذلك المعبودا

أو كان فى أنوابها بلقيس ما ... هابت سليمانا ولا داودا

وإذا الوفود تأخرت، وفدت عطا ... ياها ، فكانت للوفود وفودا

هى نعمة الله التى ما ماؤها ... عدا ولا معروفها مجحودا

هى رحمة الله التى ما زال من ... فوق البرية ظلها ممدودا

هذه الصفات الفاضلة ، التى لم تتجمع قط إلا فى قليل من نساء العالم ، قد تجمعت فى السيدة الملكة الحرة فى بلدكان — ولا يزال — الرجل ينظر فيه إلى المرأة نظرة أمة مملوكة لأبيها إن كانت فى عصمته ، ولزوجها إن كانت فى حصانته[2] .

---

(١) د أبى عبد الله حسين بن على القمى ورقة ٥ — ٦ .

(٢) يقول محمد حسن فى كتابه قلب اليمن : « إن المرأة فى اليمن لا قيمة لها فى المجتمع إلا من حيث خدمة الزوج ، وإنتاج النسل والطهى ، وغير ذلك من مهام تدبير المنزل . فكان لنظرة الرجل إلى المرأة هذه النظرة القاسية أثر عميق فى نفسها ، عاشت عليها دهرا طويلا حتى غدت ترى نفسها وضيعة مهملة مملوكة . وما يدل على قيمتها فى نظر الرجال ، ذلك المثل السائر فى هذه البلاد وهو : المرأة ناقة وإن هدرت ، وهذا المثل وحده يكفى مئونة السئوال عن قيمة المرأة الحقيقية فى هذه البلاد » .

وهذا الظلم الذى فرضه المجتمع على المرأة اليمنية كبت شعورها وسلبها تفكيرها الحر . ولو قدر لها أن تعيش حرة ، لما تخلفت عن ركب الحضارة ، بل كان لها قصب السبق على كثير من نساء العالم . وقد أثبتت الملكة الحرة والسيدة أسماء بنت شهاب صحة هذا الرأى ، ودلتا على أن العقل القحطانى ثمين، ويمكن أن يكون أحسن من كثير من العقول إذا تهيأت له الظروف.

اقترانها بالأمير أحمد المكرم

وكان من الطبيعى بعد ما علمنا كل هذا عن السيدة ، وبعد ما وقفنا على مقدار اهتمام السلطان على الصليحى ، وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب وعنايتهما بها ، أن تختار زوجة لابنهما الأمير أحمد المكرم . وكانت السيدة قد اقترنت بالمكرم بعد أن تولى منصب ولاية العهد سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، وكان لها من العمر ثمانى عشرة سنة[١] وفى هذا الزواج قال الشاعر الحسين بن على القِمى قصيدة مدح فيها المكرم ، جاء فيها[٢] .

وكريمةُ الحسَبَيْن[٣] يكنفُ قصرَها
أسْد تخافُ الأسْدُ من صَوْلاتِها
وتكاد من فَرْط الحياء تغض عن
تمثالها المرئىّ فى مرآتِها
ظفِرَت يداك بها ، فبخّ إنما
لك تَذْخرُ العَلْياءُ مَضْنونَاتِها

وكان الصليحى أصدقها عدن حين زوجها من ابنه المكرم ، ولم يزل ارتفاع عدن من حين زواجها يرفع إليها وهو مئة ألف يزيد وينقص[٤] .

فأنجبت عليًا ومحمدا وفاطمة وأم همدان . فأما على ومحمد فسنتكلم عنهما فيما بعد ، وأما أم همدان فقد تزوجت من ابن خالها أحمد بن سليمان بن عامر بن سليمان ابن عبد الله الزواحى ، فرزقت منه بعبد المستعلى ، وتوفيت سنة ٥١٦ . وأما فاطمة فتزوجت من شمس المعالى على بن السلطان سبا بن أحمد الصليحى ، وتوفيت فى سنة ٥٣٤[٥] .

---

(١) نظرا لأن الملكة عاشت اثنتين وتسعين سنة ، وأنها توفيت سنة ٥٣٢ . فتكون قد ولدت سنة ٤٤٠ ، كما ذكره صاحب العيون ٢٢١/٧ نقلا عن صاحب المفيد . ويكون سنها عندما بنى بها المكرم سنة ٤٥٨ هو ثمان عشرة سنة .

(٢) الأصبهانى : خريدة القصر ٢٥٤/٢ .

(٣) رواية الخريدة : وكريمة الحسين ، والظاهر فيها تحريف .

(٤) عمارة كاى ٤٩ . (٥) عمارة / كاى ٤٢٩ ؛ انظر ص ١٦٤ هامش رقم ١ .

نشاطها السياسى

بدأت الملكة أروى نشاطها السياسى فى عهد زوجها الملك المكرم . وفى ذلك قال عمارة : « لما توفيت أسماء بنت شهاب والدة المكرم ، فوّض الأمر لزوجته الملكة السيدة الحرة . . فاستبدّت بالأمر واستعفته فى نفسها وقالت : إن المرأة التى تراد للفراش ، لا تصلح لتدبير أمر ، فدعنى وما أنا بصدده »[١] .

وكانت تستشير فى هذه المدة القاضى عمران بن الفضل اليامى ، وأبا السعود ابن أسعد بن شهاب . ولما توفى زوجها سنة ٤٧٧ ، لا قت الملكة الحرة وحدها عبء هذه المسئولية الجسيمة ، وأصبحت بتفويض من الخليفة الفاطمى المستنصر تتصرف فى أمور الدولة والدعوة[٢] فى اليمن والهند وعمان ، فلاقت بسبب هذه المسئولية مصاعب كثيرة ، كادت تزعزع أركان الدولة الصليحية ؛ ولولا ما جبلت عليه الملكة من حسن التدبير وحسن اختيارها للرجال ، لعصفت بها تيارات الفتن والخلافات الداخلية .

تولية على بن أحمد المكرم

قال عمارة ، واتبعه الآخرون[٣] : إن المكرم قبل أن يتوفى « أسند الوصية فى الدعوة إلى الأمير الأجل الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبى حمير سبأ بن أحمد المظفر بن على الصليحى » . وانفرد إدريس[٤] نقلا عن السجلات[٥] برأى آخر وهو الأصح « بأن المكرم عندما توفّى كتمت الحرة الملكة الأمر إلى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله بإقامة ولدها المكرم الأصغر عبد المستنصر على بن المكرم أحمد » ، كما أمر المستنصر بأن ترسل كل المراسلات إلى على بن المكرم ، وكلفه بالقيام بمرافق الدعوة وأمور الدولة بقوله[٦] : « . . . وقد رأى أمير المؤمنين أن يصطنعك ويلحقك برتبة أبيك وينصّبك منصبه ويرقى بك درجته . . . وأمره (أى الأمير أبا الحسن جوهر

---

(١) عمارة / كاى ٢٩ .
(٢) عيون ٧/١٢٣ ؛ السجلات رقم ٥٠ .
(٣) عمارة / كاى ٣١ ؛ كفاية ٥٢ .
(٤) عيون ٧/١٢٦ — ١٣٠ .
(٥) السجلات رقم ١٤ ، ٢٦ .
(٦) السجلات رقم ١٤ .

المستنصرى) أن يقلّدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام فى سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه برّا وبحرا وسهلا ووعرا ونازحا ودانيا وقريبا ونائيا . . . حتى خصّك من ملابس الإمامة بشريف الحباء »[١] .

وقد ذكر هذا الكلام فى السجل المستنصرى الصادر فى شهر ربيع الأول سنة ٤٧٨[٢] ، ولم يكتف المستنصر بذلك ، بل دلّ على مبلغ اهتمامه بهذا الأمر بأن سيّر الأمير أبا الحسن جوهر المستنصرى بهذا السجل ، وكلّفه بأن يقوم بتعزية الملك على بن المكرم فى والده وأن « يشد أزره ويظهره بالتشريف على رءوس الأشهاد ليلتف حوله المؤمنون ويجدع أنف المخالفين وتجتمع كلمة الأمة تحت لوائه وتنقمع نار الفتنة » .

ولم يقف حسن سعى المستنصر فى هذا الأمر عند هذا الحدّ ، بل أمدّ الملك على ابن المكرم بالتأييد وأوصاه بأن يهتدى بهدى أمير المؤمنين « حتى تتألف لك الضمائر وتوافقك القلوب والسرائر وتستوثق الأمور لك فى البادى والحاضر »[٣] ، كما أرسل المستنصر إلى الأمير محمد بن المكرم يأمره بطاعة أخيه الملك على « ومؤازرته وموالاة من يوالى أمير المؤمنين ومعاداة أعدائه » . وأرسل كذلك إلى كافة السلاطين والمقدمين والمؤمنين بل وإلى الملكة الحرة نفسها يأمرها بضرورة طاعة الملك على عبد المستنصر والامتثال لأوامره ، وأن تعول عليه فى سرها وجهرها ، وتستعين بأهل الدعوة فى اليمن على من عاداهم وعاداها[٤] .

وفى سنة ثمانين وأربع مئة أرسل المستنصر سجلا آخر إلى الملك على لقبه فيه بلقب « سليل الدعوة ونجلها »[٥] . وقد قصد الإمام بذلك أن يشعر الجماعة فى بلاد اليمن بمكانة على من الدعوة ويبيّن لهم مدى تأييد الإمام له ، وأنه قد اختاره فى رياسة الدعوة والدولة فى اليمن ، لما كان لآبائه من فضل فى رعاية الدعوة الفاطمية .

---

(١) انظر الباب السابع (ص ٢١٨ — ٢٢٠) فصل عن تبادل الهدايا . وإننا نرجح أن الكسوة التى أرسلها الخليفة الفاطمى إلى على بن أحمد المكرم كانت من الثوب الديبقى ، وهذا النوع كان ينعم به على الأمراء وحدهم (راجع المقريزى : خطط ١/٤٤٠) .

(٢) السجلات رقم ١٤ ؛ عيون ٧/١٢٩ . (٣) عيون ٧/١٢٩ .

(٤) نفسه ٧/١٣٠ . (٥) السجلات رقم ٣٧ .

ويدل على ذلك ما جاء على لسان المستنصر نفسه حيث قال : « وأعلمك أن دعاة أمير المؤمنين وأولياءه نجوم فى سمائه ، إذا خوى نجم أطلع نجما ، وسيوف إذا أغمد حسام انتضى حساما »[١] .

ثم إن المستنصر لكيلا يدع فرصة لمنافسة هذا الصغير الذى لم يتجاوز العاشرة من عمره بيّن فى هذا الكتاب أن الخليفة قلّده هذا المنصب بالرغم من صغر سنه ، وأنه لا ضير فى ذلك فإن المستنصر نفسه قد تولّى الخلافة وهو دون الثامنة من عمره ، ثم قال المستنصر : «وقد جاز هذا فى الإمامة وهى الدرجة التى تلى النبوّة ، فكيف فى الدعوة التى لأمير المؤمنين أن يتصرّف فيها على اختياره »[٢] .

وهكذا دلّت سياسة المستنصر على بعد نظره ، فقد رفض تولية السلطان أبى حمير سبا بن أحمد الصليحى بالرغم من وصية المكرّم له ، وولّى على بن المكرم لأنه يعلم أن الملكة أروى من القوة والكفاية بحيث يمكن الاعتماد عليها فى تنفيذ السياسة التى ترضى الفاطميين[٣] ، ولا ريب فهى « سيدة ملوك اليمن . . وولية أمير المؤمنين » . ولعله أدرك شيئا آخر هو أن المحافظة على مبدأ الوراثة فى الابن الأكبر خير ضمان لعدم إثارة المنازعات ، وخصوصا أن هذا المبدأ كان معمولا به فى عهد الدولة الفاطمية إلى أيام المستنصر . ففضل تولّى الطفل على بن المكرم بدلا من السلطان سبا ، بالرغم من أن الأخير كانت تؤهّله لهذا المنصب سِنه وشخصيته الممتازة وغيرته على الدولة والعمل على رفع شأنها ، كما تؤهله أيضا مواقفه الحميدة فى عهد الملك المكرم ، ووصية المكرم له تعتبر أحسن شهادة بذلك .

نشاط أبى حمير سبا

ولقد كانت مؤازرة الإمام للملكة الحرة وابنها على بن المكرّم والعمل على جمع كلمة أهل الدعوة حولهم وتحريض جميع المسلمين على وجوب طاعتها ، سببا فى أن تخلّى السلطان سبا عن المطالبة بحقه ، وتمكنت الملكة الحرة بحسن سياستها وتقديرها الصحيح لعواقب الأمور ، من أن تقضى على هذه الفكرة ، فجعلت الأمير

---

(١) السجلات رقم ٣٧ .

(٢) نفسه رقم ٣٧ .

(٣) عمارة / كاى ٣٥ .

سبا نائبا عن ولدها وحاميا لذمار دولته من المعتدين . فأبلى فى ذلك بلاء حسنا .

فدخل سبا فى حروب متوالية مع جيّاش [١] بن نجاح ، وذلك لأن حصون [٢] بنى المظفر كانت مطلة على تهامة وهى أقرب إلى تهامة من جميع الجبال . فكان إذا برد النسيم نزح العرب بقيادة سبا إليها ، وارتحل جياش عن البلاد ، ويقيم سبا يجبى خراجها ويبسط العدل فيها ، وكان يحتسب للعمال ما قبض منهم جيّاش فى أشهر الصيف والخريف . فإذا انفصل الشتاء وانصرم الربيع ارتحل بمن معه من العرب من تهامة إلى الجبال ، وملك جياش تهامة إما بالقتال وإما لشدّة الحرّ وانتشار الوباء فى العرب . ويقول عمارة [٣] : « وإذا عاد جيّاش إلى زبيد نشرت المصاحف ، وابتهلت له الرعايا بالدعاء ، وظهرت الفقهاء ، وتطاولت العلماء ، واحتسب جياش للعمال ماقبضه منهم سبا ونوابه فى مدة الشتاء والربيع » .

---

(١) وكان جياش شاعرا فصيحا ، وله ديوان شعر ضخم وعدة مجلدات نثر . وهو مؤلف كتاب « المفيد فى أخبار زبيد » . ومن قوله :

إذا كان غلم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أبقى وأروج

ولما انتقم الملك المكرم لمقتل أبيه بأن قتل سعيدا الأحول بن نجاح سنة ٤٦١ هرب جياش إلى بلاد الهند . وما لبث أن عاد إلى اليمن متنكرا حينما علم بمرض المكرم واضطراب أحوال دولته . وكان قد اشترى فى الهند جارية هندية تزوج منها وأحضرها معه إلى اليمن . وقد أنجب منها ابنه المسمى الفاتك الذى تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٩٨ . فظل هو وزوجته الهندية ووزيره خلف بن أبى الطاهر الأموى مختفين بزبيد حتى عرف جياش أن الوالى أسعد بن عراف (والى زبيد من قبل المكرم) حدث بينه وبين وزيره على بن القم نزاع اضطر الوزير أن يقول يوما : « لو وجدت كلبا من آل نجاح لملكته زبيد » (أنباء/دار ٤٣) ، كما قال فى مناسبة أخرى : « عجل الله لنا بكم آل نجاح » (قرة ٤٠) . فاغتبط جياش من هذه الأخبار . وأخذ يعد العدة ، فاتصل بالحبشة المتفرقين بالبلاد وأمرهم بالاستعداد كما اتصل بوزير الوالى وهو على بن القم ، وتعاهدا على كتمان الأمر حتى يتخلصوا من أسعد ابن عراف حاكم زبيد . ولما استوثق جياش لنفسه أمر بضرب الطبول والأبواق ، وثارت معه عامة أهل المدينة وطردوا الوالى . ولم يمض شهر واحد حتى أصبح يركب فى عشرين ألف حربة من عبيده وبنى عمه (أنباء/دار ٤٣) . ويروى أن وزير الوالى على بن القم لما تعرف على جياش أمر أن تحلى دار الأمير الأعز محمد بن على بن محمد الصليحى ، ففرشت وحملت إليها زوجة جياش الهندية ، فولدت له ابنه الفاتك فى الليلة التى ملك فيها زبيد .

(٢) ومنها مقرو وصاب وقواريز والظرف والشرف (عمارة / كاى ٣٣) .

(٣) نفسه ٣٣ .

وقعة الكظائم وهزيمة العرب

ولما طال ذلك على جيّاش وأتعبه حرب العرب وخشى منهم الغلب، دبّر له وزيره خلف بن أبى الطاهر[١] حيلة، فأرسل من يشير على الأمير سبا الصليحى بوصوله إلى زبيد[٢]؛ وقد كاتبه أعيان من فيها ببذل الطاعة وأخفوا الغدر، فاطمأن الصليحى إلى قولهم؛ وذهب إلى زبيد، ومعه ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل. وكان جياش قد أعدّ الجموع، واستنصر بالشريف يحيى بن حمزة بن وهاس[٣]، وكثير من زعماء جيوش جياش قد كاتبوا الصليحى غدرا وكيدا. فلمّا انتهى سبا وفرقته إلى باب زبيد وكان الشريف وغيره ممن مع جياش كمناء، فظهروا على الناس بغتة ووقعت بينهم موقعة الكظائم[٤] فى يوم الجمعة الخامس من ذى الحجة سنة تسع وسبعين وأربع مئة حيث انهزم سبا ومن معه. وقتل الأميران قيس بن أحمد بن مظفر (أخو الأمير سبا) ومحمد بن مهنّا الصليحيين، وحمل الشريف

---

(١) « المنسوب إلى زياد بن أبيه دعى أبى سفيان بن حرب الأموى » كما قال صاحب العيون ٧/١٣٣. صحب هذا جياشا إلى بلاد الهند، وعاهده على أن يقاسمه الأمر ولقبه « قسيم الملك » وبه رجع إلى الملك (بالمخرمة: ثغر عدن ٢/٧٠)، وساءت العلاقة بينه وبين جياش بعد ذلك فأقصاه عنه (الأصبهانى: خريدة ورقة ٢٧٦).

(٢) هذا ما رواه إدريس (عيون ٧/١٣٣). وقال عمارة / كاى ٣٣: « أشار الوزير خلف بن أبى الطاهر على جياش بأن يعتقله ويقبض على أمواله وأملاكه ويقيم محمد بن الغفارى وزيرا له. ففعل ذلك. ثم إن خلف نقب الحبس وهرب إلى سبا. فحسن موضعه منه. فلم يزل يحسن لسبا النزول إلى تهامة وضمن له من الحيل والمكايد ما يقطع به دابرة جياش لسبا ما لا يقوم به مقام النصف وأن يشترط على سبا إبعاد الوزير خلف من عنده. فلما فعل جياش ما أشار به الوزير استحكمت أطماع العرب فى بلاد تهامة ».

(٣) نزهة ١/٦١. هو من أشراف تهامة عسير تعرف بالمخلاف السليمانى، وهم ينتسبون إلى موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، وهم أقارب لأشراف مكة، وذريتهم لا تزال معروفة فى تهامة عسير، ومن قراهم صبيا وأبو عريش وحرض وضمد والملحا والقبة وغيرها. هذا ما أفاده لنا شيخنا القاضى محمد الحجرى.

(٤) كذا فى نزهة ١/٦٢؛ عيون ٧/١٣٣؛ وفى رواية الأنباء/دار ٤٣: «القضائم». ونرجح رواية العيون والنزهة، ولعل هذه الوقعة حصلت بالقرب من الكظائم التى قد تكون فى نواحى زبيد. والكظائم جمع كظيمة؛ والكظيمة هى شبه بئر من سطح الأرض إلى مجرى الماء الذى تحت الأرض، تستعمل هذه لتنظيف مجارى الماء تحت الأرض، وهذه الكظائم منتشرة فى أرجاء اليمن، كما أفادنا شيخنا القاضى.

يحيى بن حمزة على القاضى عمران بن الفضل اليامى ، فطعنه طعنة مات بسببها بعد أيام[١] ، وعُقر فرس الأمير سبا ، فاضطر أن يسير راجلا فى غمار الناس حتى حمله بعض جنده على جواده[٢] .

وفى قتل القاضى عمران بن الفضل اليامى قال الشريف يحيى بن حمزة مفتخرا من شعر أوله[٣] :

أبلغْ نِزاراً حيث حَلّ نزارُ

ومنها :

ونجا الحجازىُّ الرئيسُ بطَعْنَةٍ
نَجْلا لها تحت القميص خُوارُ[٤]

ثم اعتذر إلى السلطان سبا بن أحمد فيما كان من نصره للحبشة فى قصيدة أولها[٥] :

يا راكباً جَسْرةً كالقارِبِ القَطِمِ
هوى لقارِيِّه الكدرىِّ من أَمَمِ[٦]

---

(١) يقول إدريس (نزهة ٦٣/١) : إن أحمد بن عمران بن الفضل اليامى خرج ومعه أخوه الحسين يطلبان بثأر أبيهما ، فنزلا تهامة وتعرفا على الإمام فقتلاه انتقاما لقتل أبيهما . وقد أيد هذا الخبر صاحب الأنباء/دار ٤٣ .

(٢) عمارة / كاى ٣٣ — ٣٤ ؛ عيون ١٣٣/٧ .

(٣) عيون ١٣٣/٧ .

(٤) نجلا ، مقصور من نجلاء لضرورة الشعر . وخوار وجؤار أى صوت يسمع من الطعنة عند خروج الدم منها .

(٥) عيون ١٣٤/٧ .

(٦) الجسر الضخم من كل شىء ومؤنثه جسرة يريد فرسا أو ناقة . القارب قاصد الماء والقطم الذى يشتهى أى شىء ، يريد به العطشان والكدرى نوع من القطا أخضر اللون والأمم القريب . وفى الأصل ربه : بالباء الموحدة والأقرب لقارية بالياء المثناة لأنه يصف طائرا من القطا الكدرى يطلب الماء ليروى ظمأه . ولفظ الكدرى بدل من لفظ القارب . يقول : يا راكبا فرساً ضخماً أو ناقة ضخمة تشبه فى سيرها القطا الكدرى الذى يطلب الماء من قريب ليروى ظمأه ، كما فسر لنا البيت الأستاذ مصطفى السقا .

إلى قوله :

وقد يعزّ علينا ما أصابكم ... منّا بغير رضا كف ولا قدم
والله يعلم أنّى يومَ وَقْعتكم ... لم أمس إلاّ على جَمْرٍ من النَّدم
وأنّ فَيْض دمٍ منكم كفيض دمٍ ... بكربلاءَ وثأرُ الطَّفّ لم يَرِم[1]

فأجابه السلطان عبد الله بن يَعْلَى الصليحى على لسان سبا :

يا راكباً راحَ لا يَلْوِى على أحدٍ ... لقيتَ داعيةَ التوفيق والنعم

إلى قوله :

فليس قيس وإن جلّت رزيّته ... وكان صِنْوىَ لحمى لحمه ودمى
ولا الهُمام أبو موسى وصاحبه ... محمدٌ وهما من أوثق العِصَم
بأوّل القوم منّا حُمَّ موتهم ... بين الأسنّة والهندية الخُذُم
والسيف يأكلنا حينا ونُرتعه ... حينا إذا شاء فى الأعناق والقِمَم

وملك جياش زبيد، ولم يقدر العرب على أخذ تهامة بعد هذه الموقعة[2] برغم محاولات الأمير المفضل بن أبى البركات لاسترجاعها ، وكانت هزيمة العرب ضربة قاسية على كيان الدولة الصليحية ، بل على فكرة وحدة البلاد اليمنية تحت راية العروبة . وذلك الأمر لم يتم فيما بعد بفضل مكايد الوزير العربى ونصرة الشريف للأحباش ، ولم ينفع الأخير الندم بعد فوات الآونة .

موقف الملكة من النزاع بين السلطانين سبا الصليحى وعامر الزواحى

وفى عهد الملك على بن المكرم قام نزاع بين الصليحيين والزواحيين ، وكان هؤلاء سداة الدولة الصليحية ولحمتها ، فشغل ذلك النزاع الملكة الحرة حقبة من

---

(١) والطف ، موضع عند الكوفة (ق/طفف) .
(٢) عمارة / كاى ٣٣ .

الزمن ، لأن المخالفين انتهزوا هذه الفرصة ووجدوا فى هذا النزاع وسيلة لدك صرح الدولة الصليحية ، وإفسادها بالسعى لدى المتخاصمين فى توسيع شقة الخلاف ، مما دعا الملكة الحرة إلى أن تعرض الأمر على الخليفة المستنصر بالله الذى أسرع فى ردّه ، وكلّف الملكة بوجوب العناية لفضّ هذا النزاع بين أبى حمير سبا ابن أحمد الصليحى وأبى الربيع عامر بن سليمان الزواحى ، وشدد عليها فى ضرورة وضع حد لهذا النزاع بين الاثنين حرصاً على سلامة الدولة . وفى ذلك يقول المستنصر : « وأما ما كان بين السلطانين الأجلين أبى حمير سبا بن أحمد الصليحى وأبى الربيع عامر بن سليمان الزواحى — أعزهما الله — فقد عرف أمير المؤمنين ما تكررت به مكاتباتك مع نعيم الشاعر الهلالى ، ثم مع سعد الله ورفيقه الشيرازىّ ، وساقه رسولك أبو النصر — سلمه الله وحفظه — بما كان من تسديد السلطان أبى حمير فى جميع ما جرى بينه وبين السلطان أبى الربيع عامر ابن سليمان الزواحى من المشاجرة والمنافرة ، وما أفضت فيه على السلطان أبى حمير من الثناء والتزكية والإطراء ، وما ترضينه من حسن الطاعة ولين قيادة من المرافقة والمتابعة ، وإبقائه على ما طلب منه من المصانعة ، ولو كان مهضوما فيه ، من غير اضطرار إلى ما اعتمده من حسن احتماله وتغاضيه . وتلك سجية تعرب عن السلطان أبى حمير سبا بتميز وسداد وخلوص نية واعتقاد . ومعلوم أنه ليس بمغبون من لطف وأجمل ، ولا بمهموم من سدد وتأنى واحتمل ، وتعجل استيفاء حظه من رضا الله سبحانه ورضا أمير المؤمنين بما يعود عليه فيه من جميل الذكر والمثوبة وطيب الأجر ، ما ينوب له عن عظيم الظفر والنصر ، وما يحمد العاقبة من سداد الحال ، ويرتق فتوق هذا الشعب والاختلال . وقد شكر له أمير المؤمنين ما طالعت به من هذه الأوصاف الحميدة والمقامات الرشيدة ، وأسعده فى إجابته من هذه الجملة مما يحدوه على امتراء ما أكسبه فيه الرضا ، ومهد له دواعى الزلفى »[1] .

ولما كانت مسألة هذا النزاع تعتبر مسألة حيوية بالنسبة لبقاء دولة الصليحيين واستمرار نفوذ الفاطميين فى اليمن فإن الخليفة المستنصر لم يأل جهدا فى أن يتولاها

---

(١) عيون ٧/١٣٤ — ١٣٥ ؛ السجلات رقم ٣٦ ؛ وقد اتبعنا نص العيون لأنه أصح .

بعنايته ورعايته لكى يقف تيار النزاع ويثبت قدم هذه الدولة ، فبادر فى شهر ربيع الأول سنة ٤٨٠ وأرسل إلى سلاطين الصليحيين وإلى الزواحيين وإلى مشايخ الحجاز وكل رجال الدين وأهل الدعوة فى اليمن رسالة[١] يحثهم فيها على تناسى الأحقاد ويأمرهم بوجوب طاعة الملكة الحرة وابنها الملك على بن المكرم والتعاضد والترافد فى نصرة الدعوة . ويعتبر هذا السجل شهادة هامة على اعتراف الإمام بفضل الدولة الصليحية على الدعوة الفاطمية ، كما يعتبر من أهم العوامل التى ساعدت على تثبيت مركز الدولة فى الصدر الأول من حكم الملكة الحرة .

وكان من أثر إرسال هذا السجل أن انتظمت الأمور وأذعن المؤمنون هناك لأوامر الإمام ودانوا بالطاعة للملكة الحرة .

وقد سرّ الخليفه المستنصر كثيرا حين جاءت الأخبار من الملكة بأن النزاع بين الصليحيين والزواحيين قد انتهى على أحسن حال ، وقد وقفنا على ذلك الخبر من سجل أرسله المستنصر إلى الملكة الحرة فى شهر ربيع الأول من سنة ٤٨٠[٢] ، ومن رسالة أخرى أرسلها إلى ابنها الملك على فى شهر ذى القعدة من سنة ٤٨١[٣]

وفاة ابنى الملكة محمد وعلى

وقد توفى ابن الملكة الأصغر وهو الأمير محمد بن أحمد المكرم فى حياة أخيه على بن أحمد . ولم تطل الأيام حتى قضى الله بوفاة الملك على بن أحمد المكرم . فعاد السلطان سبا يطالب بحقه فى تولّى أمور الدولة والدعوة . ولكن الملكة الحرة لم تمكنه من ذلك ، بل « قامت هى فكفلت كافة المؤمنين والدعاة اليامين والحدود المستجيبين خير كفالة ، وأوضحت البرهان فى ولاية الأئمة ، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين وأبانت وما وهنت لما أصابها فى سبيل الله »[٤] .

---

(١) السجلات رقم ٣٨ .
(٢) نفسه رقم ٤٩ .
(٣) نفسه رقم ٢٢ .
(٤) عيون ٧ / ١٤١ .

السلطان سبا يخطب الحرة الملكة للزواج

فاتخذ السلطان سبا سبيلا آخر لإقناعها بأن طلب يدها للزواج . وقد ظن أنه يستطيع أن يصل بهذه الطريقة لتحقيق غرضه مع أنه كان يفهم تماما أنها لن ترضى بهذا الزواج ، وكيف يتم ذلك وقد سبق أن استعفت زوجها الملك المكرم بقولها له : « إن المرأة التى تراد للفراش لاتصلح لتدبير أمر فدعنى وما أنا بصدده »[١] . حدث هذا فى حياة زوجها الملك المكرم الذى كانت تشاطره الحكم . أما الآن وقد تولّت تدبير شئون الدولة الداخلية والخارجية وحدها ، بل وأمور الدعوة ، فإنه يبعد كثيراً أن تقبل هذا الزواج السياسىّ .

ولما رفضت السيدة الحرة ذلك وأنكرته غاية الإنكار جمع السلطان سبا بن أحمد جموعه وسار من حصن أشيح[٢] بجيشه إلى ذى جبلة ، لا لمحاربة الملكة ، بل أراد من هذا إظهار قوته وسؤدده . فجمعت هى أيضاً جموعها . فتناور الفريقان وتناوشا ، وكادت رحى الحرب تدور بينهما إلا أن سليمان بن عامر بن سليمان الزواحى (أخو الملكة الحرة لأمها) أنقذ الموقف ؛ فقد أشار على السلطان سبا أن يتصل بالخليفة المستنصر بالله ليستعين به فى فض هذه المشكلة . فقال له : « والله لا أجابتك إلى مرادك إلا بأمر المستنصر »[٤] . فترك سبا المنهج العسكرىّ ، ورجع إلى حصن أشيح ، وسير إلى المستنصر رسولين ، هما القاضى أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الأصبهانى وأبو عبد الله الطيب . وقد ساعدته فى تحقيق مطلبه رغبة المستنصر فى استتباب الأمن فى اليمن ، وفى إقرار الوحدة بين أنصار الدولة الصليحية والدعوة الفاطمية . فلما وصل هذان الرسولان إلى القاهرة ولم يرض الخليفة

---

(١) عمارة / كاى ٢٩ .

(٢) من أعظم حصون الجبال فى رأس جبال آنس (أنباء / دار ٤٣) . وكانت خزائن بنى المظفر فى الحصن ، وكان للسلطان المنصور أبى جمير سبا الصليحى ، والحصن واقع فى مخلاف بنى سويد . وهو على مسافة مرحلتين من صنعاء ويسمى الآن حصن ظفار . راجع ياقوت : البلدان / أشيح .

(٣) قرة ورقة ٢٥ .

(٤) نفسه ٢٥ .

عن بقاء هذا النزاع بين أنصاره ، عمل على أن يجذب إليه الفريقين المتنازعين بزواج السيدة من السلطان سبا . فكتب إليها يأمرها بقبول أمر الزواج . وأرسل كتابه مع أحد الأستاذين ويعرف بحامل الدواة يمين الدولة[١] . فصار بصحبة هذين الرسولين حتى دخلوا على السيدة الملكة ، وهي بدار العز في ذي جبلة . فتكلم الأستاذ الرسول وهو واقف بين وزرائها وكتابها وأهل دولتها قيام لقيامه ، فقال : «أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الإسلام ذخيرة الدين عصمة المؤمنين كهف المستجيبين ولية أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين ، ويقول لها : وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا . وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبا بن أحمد بن المظفر الصليحي ، على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألفا أصنافا من تحف ولطائف وطيب وكساوى» . فقالت : « أما كتاب مولانا فأقول : إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ولا أقول في أمر مولانا: أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ . وأما أنت ، يابن الأصبهاني ! فوالله ما جئت إلى مولانا مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ، ولقد حرفتم القول عن موضعه ، وَسَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » . ثم تقدم وزيرها زريع بن أبي الفتح والقاضي الأصبهاني ونظراؤهما إلى السيدة الحرة ، ولم يزالوا يلاطفونها حتى أجابتهم إلى تحقيق رغبة الخليفة[٢] . فعقدوا عقد الزواج ، ولم

---

(١) أنباء / دار ٤٣ ؛ عيون ٧/١٤٣ .

(٢) أنباء / دار ٤٣ — ٤٤ ؛ عيون ٧ / ١٤٣ ١٤٤ .

يلبث سبا بن أحمد أن سار فى أمم عظيمة إلى ذى جبلة ، فأقام شهرا والضيافات الواسعة تخرج إلى مخيمه كل يوم حتى أنفقت على عساكره مثل ما قدمه من المهر . ورأى أبو حمير من عالى همتها ما حقر نفسه معها ، وندم على خطبتها . ويروى أنه أرسل إليها سرا يستأذنها فى الدخول إليها بدار العز ليوهم الناس أنه دخل بها ، ففعلت ذلك. وزعم قوم من أهل ذى جبلة أنه اجتمع بها ليلة واحدة ، ثم ارتحل فى صبيحتها . وقال آخرون إنها بعثت إليه جارية شبيهة بها ، وعرف ذلك السلطان سبا ، فباتت الجارية واقفة على رأسه ، وهو جالس لا يرفع طرفه إليها ، حتى إذا طلع الفجر صلى ، وأمر بضرب الطبول ، ثم سار[١] .

فضائل السلطانة أبى حمير سبا بن أحمد الصليحى

ومع ذلك فإن الملكة الحرة قد أقامت السلطان سبا فى الدعوة والملك . وكان هذا فاضلا ورعا تقيا زاهدا[٢] . قال عمارة : « . . ويقال إن الداعى سبا بن أحمد ما وطىء أمة قط ولا شرب مسكرا ، وكانت زوجته الجمانة بنت سويد بن زيد الصليحى تقول : أنا لا أغير على مولانا سبا ، لأنه لا يطأ أمة قط »[٣] .

وكان فوق ذلك كريم الأخلاق طيب الأسباب والأعراق ، يقصده الشعراء وطلاب الندى . وقد أقام معه فى أشيح الشاعر الحسين بن على بن القم ومدحه وأسرته بغر قصائده ، منها[٤] :

إن ضامك الدهرُ فاستعصِمْ بأشيحَ أو
أزرَى بك الفقرُ فاستمطِرْ بَنانَ سَبَا
ما جاءه طالبٌ يبغى مواهبَه إلاّ وأزمَعَ منه فقرُهُ هَرَبَا

---

(١) عمارة كاى ٣٦ ، قال : وقال سبا للجارية : « أعلمى مولاتنا أنها نطفة شريفة لا توضع إلا فى مستحقها » ثم سار ، فلم يجتمعا بعد .

(٢) عيون ٧ / ١٤١ .

(٣) وأضاف عمارة / كاى ٣٦ إلى هذا : والعربيات تقول ما نسلت حواء مثل الجمانة غير أسماء بنت شهاب .

(٤) عيون ٧ / ١٤٢ ؛ نزهة ١ / ٦١ .

تخالُ صارِمَه يومَ الوَغى نَهَرا تضرّمَتْ من دم حافاته لَهَبا
بنى المظفر ما امتدّت سماء علا إلاّ وألفَيْتُمُ فى أفقها شهبا
إنّ امرأ كنت دون الناس مطلبه لأجدر الناس أن يحظى بما طلبا

وفيه يقول ابن القم[1] :

وما يلتقى صدقُ الوداد وطاعة الـ
ـمذول ، ولا جودُ ابن أحمدَ والجَدْبُ
كريمٌ إذا جادَتْ فواضلُ كفّه
تيقّنت أنّ البخل ما يفعل السحبُ
أجارَ فلا خوفٌ ، وأحْيَا فلا رَدًى
وجادَ فلا فقرٌ ، ورامَ فلا صَعْبُ
ويثنى على قصاده فكأنه يجاد بما يُجْدى ويحبى بما يَحْبُو
كتبت إليه والمفاوز بيننا
وكان جوابى جود كفّيه لا الكُتْبُ

ومن شعره فيه أيضا[2] :

معاليك لا ما شيّدَتْه الأوائلُ ومجدُك لا ماقاله فيك قائلُ
وما المجد إلاّ حيث يمّمت قاصدا وما النصر إلاّ حيث تنزل نازِلُ
مليكٌ يقض الجيش والجيش حافِلٌ
ويخجل صوب المزن والغيث هاطِلُ
سحاب غواديه لُجَين وعَسْجَدٌ وليث عواديه قَنًا وقَنابِلُ

---

(١) عيون ٧ / ١٤٣ .
(٢) نفسه ٧/١٤٣ .

تَوَقَّى الأعادى بأسه وهو باسمٌ ويرجو الموالى جودَه وهو سائلُ

وكان السلطان أبو مهير سبا فصيحا شاعرا يجيب الشعراء عن كثير من شعرهم، ثم يجيزهم ويزيد فى برّهم ؛ ومن ذلك أن ابن القِمّ مدحه فأجابه بمثل شعره ، وأجازه بجائزة سنية لا تصدر إلا عن مثله . فقال فى ذلك الحسين القِمّى[1] :

ولمّا مدحتُ الهِزَبريَّ ابنَ أحمدٍ
أجازَ ، وكافانى على المدح بالمدح
فعوَّضَنى شعرًا بشعرى ، وزادَنى
عطاءً ، فهذا رأس مالى ، وذا ربحى
شقَقْتُ إليه النَّاسَ حتى لقيتُه
فكنتُ كمن شقَّ الظلامَ إلى الصُّبح
فقُبِّح دَهْرٌ ليس فيه ابنُ أحمدٍ
ونُزِّهَ دَهْرٌ كان فيه من القُبْحِ

الأمير المفضل بن أبى البركات الحميرى

وظل أبو مهير سبا فى حصن أشْيح ، يقدم المساعدة إلى الملكة ، فى كل مايعود على الدولة بالخير ، حتى وافته المنية سنة إحدى وتسعين وأربع مئة[2] . و توفى بعده السلطان عامر بن سليمان بن عبدالله الزواحى فى سنة اثنين وتسعين و أربع مئة . وكانا من أهل السوابق فى خدمة الدولة ، ومن أعيان رجال الملكة الصليحية . ولما مات السلطان سبا خرجت صنعاء وأعمالها عن مملكة الصليحيين ، وارتفعت أيديهم عنها ، ولم يبق لأحد منهم فيها ذكر . فاستولى على صنعاء وأعمالها يومئذ السلطان حاتم بن الغشيم المغلسى الهمدانى ، وكان ناهضا كافيا[3] . ولم تحاول

(١) عيون ٧/١٤٣ .
(٢) عيون ٧/١٦٨ ؛ وفى أنبا /دار ٤٤ ؛ وكفاية ٥٩ جاء أنه توفى سنة ٤٩٢ .
(٣) كفايه ٥٩ .

الملكة إعادة صنعاء إلى مملكتها ، بل قبلت الأمر الواقع ، واتجهت إلى تدعيم ما بقى من هذه المملكة . فأقامت المفضل بن أبى البركات بن الوليد الحميرى على قيادة الجيش ، وإدارة شئون الدولة التى كانت بحاجة إلى شخصية قوية . وكان هذا يتوصّف للملك المكرم بذى جبلة ، وهو من صغار الدار ، الذين يدخلون على الملكة برسائل الملك المكرّم . وقد كان والده أبو البركات واليا على التعكر من قبل المكرم[1] ، ولما توفى بعد المكرّم ، جعلت الملكة التعكر إلى ابنه خالد ابن أبى البركات نحو سنتين ، ولكن الفقيه عبد الله بن المصوع قتله[2] ، فثأر له أهل الحصن بقتل الفقيه . فجعلت الملكة ولاية التعكر إلى المفضل بن أبى البركات . وكان التعكر مقر ذخائر بنى الصليحى التى صارت إليهم من ملوك اليمن[3] ؛ وكانت تطلع من ذى جبلة فى أيام الصيف فتقيم به ، وإذا برد الجوّ سكنت بذى جبلة . والمفضل يتصرف عن أوامرها ، ويدخل عليها مع خواص وزرائها والأمراء والأكابر من عبيدها . وهو رجل الدولة ومدبرها ، والمرجع إلى رأيه وسيفه . والحرة لا تقطع أمرا إلاّ به ، فعظم بذلك شأنه ، وعلت كلمته ؛ وغزا تهامة مرارا ، فتارة له وتارة عليه . وهبط عدن مراراً ، ولم يبق باليمن من يسامیه . وقد قال للحرة يوما وهى فى التعكر : «انظرى ، يامولاتنا ! إلى ما كان فى هذا الحصن من ذخائرك ، فانزلى به إلى دار العزّ ، فاعزليه فى بعض هذه القصور . أما هذا الحجر (يعنى

---

(١) وكان التعكر للسلطان عبد الله بن محمد الصليحى كما ذكرنا سابقا . فلما قتل مع أخيه على بن محمد الصليحى بالمهجم واستولى المكرم على البلاد ، جعل أمر التعكر إلى ابن عمه أسعد بن عبد الله الصليحى . فساءت سيرته ، فنقله عن التعكر وعوضه عنه بحصون ريمة . وجعل أبا البركات الحميرى واليا فى التعكر وأعماله ، وولى أخاه أبا الفتوح بن الوليد الحميرى حصن تعز (كفايه ٥٤) .

(٢) كان ابن المصوع المذكور فقيهاً فاضلا سليما ، « وكان ذا دنيا واسعة ، وكان يواصل الأمير خالد بن أبى البركات لكونه الحاكم على بلدة ذى السفال . وكان الوالى يأمنه ويأمر أن لا يمنعوه عن الطلوع متى شاء . وكان الأمير لا يحتجب منه لما يعتقد فيه من الخير والصلاح ، فسولت له نفسه أن يقتل الوالى استحلالا لدمه لكونه على مذهب الدعوة ... فلما خلا الفقيه بالأمير قتله . ثم صاح صياحا بانزعاج ، فتبادر أهل الحصن ، فوجدوا الأمير مقتولا ، فقتلوا الفقيه » (كفاية ٥٤ — ٥٥) .

(٣) عمارة / كلى ٣٧ ؛ أنباء / دار ٤٤ .

التعكر) فاتركيه لى ، فلا طاعة لك على ما فيه بعد اليوم » . فقالت : « لولم تقل هذا القول ما أحوجتك إليه ، الحصن حصنك ، وأنت رجل البيت ، ولا حرج عليك منّى فيما عاد لسموّ قدرك ، وعلوّ أمرك » . فخجل منها وأطرق ؛ ونزلت الحرة إلى ذى جبلة ، وكان المفضل يترضاها فى طلوع التعكر ، فلا تفعل ، وهى مع ذلك تواصل برّه بما يحسن عنده موقعه ، من الجوارى والمغانى والكساوى والطيب والعبيد والأستاذين وغير ذلك ؛ ولم تسمع وشابة أحد فيه[١] .

مواقف المفضل

وله فى نصرتها مواقف حميدة ، منها أنه ولى قيادة الجيش لمحاربة السلطان سبا بن أحمد الصليحى حين خطب الحرة الملكة ولم تجبه إلى طلبه ، كما حارب شمس المعالى على بن سبا بن أحمد الصليحى صاحب حصن قيضان ، وأخرجه منه سنة ٤٩٥ ، وملك حصون بنى المظفر فى نفس التاريخ المذكور[٢] ، وكان على ابن سبا بن أحمد هو زوج فاطمة بنت المكرّم من الحرة . وحدثنا عمارة[٣] أنه تزوّج عليها ، فكتبت إلى أمها تستنجدها ، فأمدّتها بالمفضّل بن أبى البركات فى عساكر ، ولبست فاطمة زىّ الرجال . وفصلت من حصن زوجها فى عسكر المفضل ، فسيّرها إلى أمها الملكة ، وأدار الحصار على شمس المعالى حتى أخرجه من حصنه بأمان على نفسه . فاتصل هذا بالوزير شاهنشاه الأفضل مستنجدا به ، فلم يلتفت الأفضل إليه ، ولا الأمير شجاع الدولة الذى كان أغناه فى اليمن ، فعاد إلى اليمن وملك بعد حصون أبيه ، ولكن المفضّل دسّ عليه من قتله بالسّم سنة ٤٩٥ .

وحارب المفضّل عمرو بن عرفطة الجَنْبى[٤] وغيره من سنحان وعنس وزبيد ،

---

(١) عمارة / كاى ٣٨ .

(٢) نفسه ٣٨ .

(٣) نفسه ٣٦ .

(٤) نفسه ٣٨ ؛ عيون ٧ / ١٨٤ .

واسترجع للملكة نصف خراج عدن[١] من آل الزريع .

نصرة الملكة الحرة لمنصور بن فاتك على استرداد تهامة

وحدث فى سنة ثلاث وخمس مئة مالم يكن فى الحسبان ، ذلك أن أولاد جياش اختلفوا فيما بينهم ، وكادت الفتن الداخلية تقضى على دولتهم ، ولما لم تكن الدولة الصليحية قادرة على حفظ كيانها فى هذا الوقت ، لم تتمكن من انتهاز هذه الفرصة وتسترد تهامة . ولكن هذا الخلاف أدّى إلى خروج منصور بن فاتك بن جياش من زبيد فرارا من عمه عبد الواحد ، وسار فى عبيده وعبيد أبيه ، ونزلوا فى رحاب الملكة الحرة ، فأكرمت مثواهم ، وتعهدوا للملكة بدفع ربع متحصل تهامة إذا هى ساعدتهم وتم نصرهم على عبد الواحد[٢] ، فأرسلت المفضّل بن أبى البركات بجيش كبير ، يساعده جيش آخر بقيادة زريع بن العباس وعمه مسعود بن الكرم الهمدانى[٣] .

ثورة الفقهاء بالتعكر وموت المفضل

وولّت على التعكر من يحفظه فى غياب المفضل الذى تمكن من الاستيلاء على زبيد بعد حصار طويل وطرد عبد الواحد . وما طال المفضل فى تولية منصور

---

(١) لما تزوج المكرم السيدة الحرة أروى بنت أحمد سنة ٤٥٨ جعل الملك على الصليحى خراج عدن وهو مئة ألف دينار صداقا لها (انظر ص١٤٨) . ولما قتل الصليحى تغلب بنو معن على عدن ، فحاربهم المكرم وأخرجهم منها . وولاها العباس ومسعودا ابنى الكرم الهمدانى . فجعل للعباس حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه . وجعل لمسعود حصن الحضراء وباب البحر وما يدخل منه ، وإليه أمر المدينة ، واستخلفها للحرة الملكة . فلم يزل ارتفاع عدن يحمل إليها كل سنة إلى أن توفى العباس بن الكرم ، فخلفه ابن زريع ، وبقى مسعود على ما تحت يده ، وكل واحد منهما يحمل ما عليه . ولما فكرا فى خلع طاعة الحرة حاربهما المفضل واستخلص منهما نصف ارتفاع عدن (عمارة / كاى ٤٨ ؛ بالمخرمة : ثغر عدن ٢ / ٨٦) . ولما مات المفضل تغلب أهل عدن على النصف الثانى ، فسار إليهم أسعد بن أبى الفتوح وصالحهم على الربع . وتغلب أهل عدن على الربع الباقى بعد ثورة الفقهاء بالتعكر (عمارة / كاى ٤٩) .

(٢) بالمخرمة : ثغر عدن ٢ / ٨٦ .

(٣) وكانا والى عدن من قبل الحرة وقد قتلا على باب زبيد سنة ٥٠٣ وتولى أمر عدن بعدهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود (نفسه ٢ / ٨٦) .

ابن فاتك[١] ، ولكن لما جاءته الأخبار بأن التعكر قد استولى عليه جماعة من الفقهاء بمساعدة بنى الزر الخولانيين ، قفل راجعا وحاصر الحصن مدة ، ولكنه لم يقدر على اقتحامه ، وذلك لأن الفقهاء السنيين بالإضافة إلى قبيلة خولان[٢] التى كانت تظاهرهم ، دافعوا عنه بجيدا . ومازال الحصار عليهم ، ثم رأى الفقهاء أن خولان خذلتهم[٣] ، فدبروا حيلة .

ويقول عمارة[٤] : « إن عمى إبراهيم بن محمد بن زيدان كانت له البيعة ، وحلف ألا يموت حتى يقتل المفضل ، فعمد إلى حظاياه من السرارى ، وأخرجهن فى أكمل زى وأحسنه ، وجعل بأيديهن الطارات وأطلعهن على سقوف القصور بحيث يشاهدهن المفضل ، ويسمع هو وجميع من معه أصواتهن . وكان المفضل أكثر الناس غيرة وأنفة ، فقيل إنه مات فى تلك الليلة »[٥] . وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة أربع وخمس مئة . ولما مات المفضل طلعت الملكة من ذى جبلة ، وحطت بالربادى[٦] على باب التعكر ، وكاتبت الفقهاء بالنزول من الحصن ، على أن يقترحوا عليها ما شاءوا ، فأجابوا إلى ذلك واشترطوا عليها شروطا وفت لهم بها . وولت التعكر مولاها فتح بن مفتاح .

مآثر الأمير المفضل الحميرى

وكان المفضل ، كما ذكره الخزرجى[٧] : « حازما عاقلا شجاعا شهما ، له عدة مكارم وجملة مفاخر ، لكنها دون مكارم سبا بن أحمد . وكان جوادا ممدحا ، قصده الشعراء من الأماكن البعيدة . ومن جملة من قصده مواهب بن حديد المغربى ، وامتدحه بغرر قصائد ، يقول فى بعضها :

يا مالك الدين والدنيا وأهلهما ومن بعزته الإسلام ممتسكُ

---

(١) يرى الخزرجى (كفاية ٥٦) أن المفضل هم أن يغدر به ويأخذ زبيد منه .

(٢) المراد بخولان هنا هى طائفة من خولان العالية كما أفادنا شيخنا القاضى محمد الحجرى (راجع صفة ١٠٧) .

(٣) عيون ٧/١٧٩ . (٤) عمارة / كاى ٣٩ .

(٥) وقيل إنه امتص خاتما مسموما كان بيده ، فأصبح ميتا والخاتم فى فيه . وما هذا القول إلا خرافة ، كما قال شيخنا القاضى ، بل مات كمدا لشدة غيرته وأنفته .

(٦) الربادى ، اسم المنطقة التى منها التعكر . (٧) كفاية ٥٥ .

قد قيل جاورْ لتَغْنَى البحرَ أو ملكا
وأنت يابنَ الوليدِ البحرُ والملكُ

وهو الذى جرّ الغَيْل من خِنْوة[١] إلى مدينه الجَنَد ، ومدحه القاضى أبو بكر اليافعى فقال[٢] :

وأقلّ مكرمة له وفضيلة إجراؤه للغيل فى الأجنادِ
شقّ الجبال الشامخات كأنّما كانت [معالمها متون] وِهادِ[٣]

وذلك أنه حفر فى الصفا حفرا عديده ، وخرق بعضها إلى بعض ، وأجرى الماء فيها فى مواضع لا يصدق بها إلاّ من رآها ، ثمّ لمّا جاء إلى موضع بين جبلين أمر الصناع فبنوا جدارا من الجبل إلى الجبل ، طوله مئتا ذراع ، وعرضه نحو من عشرة أذرع بالحديد ، وارتفاعه نحو من خمسين ذراعا ، بحيث إذا رآه شخص يقول ما فعل هذا إلاّ الجنّ ، وبنى مسجد الجند وجدّد بناءه من المقدم والجناحين ماهو مبنى بالحجارة وسقفه على ذلك» . وقال صاحب قلادة النحر[٤] : «إن محمد بن زياد المأربى مدحه ، فوصله المفضل بألف دينار » .

وكان من صفات المفضل أنه عندما عظم أمره كان يحتجب عن الناس ، حتى لا يرجى لقاؤه ، ثم يظهر فيغنى من اجتمع ببابه من الوفود ؛ ويصل إليه الضعيف والقوىّ ، فينظر فى أحوال الأعمال والعمال ؛ ويجيب عن كل كتاب وصل إلى الباب ، ثم يغيب ، فلا يظهر ، ولا يوصل إليه .

---

(١) وخنوة من أخصب قرى اليمن وهى شمالى الجند والغيل هذا لايزال موجودا .

(٢) فى الأصل : إخراقه .

(٣) ورد البيت فى الأصل ناقصا بسبب الخرم مع وجود آثار تحمل على الظن أن تتمته كما دونه بين القوسين الأستاذ على النجدى .

(٤) بمخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٦٥ .

ثورات بنى الزر وخولان

وقد أدت وفاة المفضل إلى خروج بعض الجهات على الملكة الحرة . فاستولى مسلم بن الزر على حصن خُدد[١] ، وأخرج منه السلطان عبد الله بن يعلى الصليحى الشاعر الأديب . ثم أظهر ولاءه إلى الملكة ، بأن قدم ولديه عمران وسليمان كرهينة عندها ، فاهتمت الملكة بتربيتهما . ولما توفى مسلم ملك بعده ابنه سليمان حصن خدد ، وبقى عندها عمران الذى تولى على حصن التعكر سنة خمس وخمس مئة بعد أن تخلص من فتح بن مفتاح ، الذى شقّ عصا الطاعة على مولاته الملكة[٢] . واحتال عليه بنو الزر . وذلك أنهم خطبوا ابنة لعمران فزوّجه بها ، فلما كانت ليلة الزفاف وصل جماعة منهم فأخرجوه من الحصن[٣] . فلما حصل التعكر بيد عمران واصل الحرة الملكة ببذل الطاعة ، فلم يلتفت إليه . فازداد نفوذ ابنى الزر تبعا لذلك ، وامتدّت أيدى خولان على الناس وعاثوا فى الأرض الفساد ، فكانت الحرة إذا رأتهم قد طغوا أرسلت إلى عمرو بن عرفطة الجنبى سطرا أو سطرين بخطها ، فيقبض على بلاد ابنى الزر ، فلا يخلصهما منه إلا الضراعة إليها والسؤال لها فى صرف العرب عنهما .

قال عمارة[٤] : حكى لى السلطان يزيد بن عيسى الوائلى قال : فكتبت لى بخطها إلى عمرو بن عرفطة الجنبى برقعة فيها : « إذا وقفت على أمرنا هذا فارتحل عن بلاد بنى الزر مشكورا » . فلما وقف عمرو بن عرفطة عليها نادى فى الناس بشعار الرحيل . فلم يمض ساعة وبقى منهم أحد . فقال عمران لأخيه : « هذا وربّك العزّ والطاعة » .

أسعد ابن أبى الفتوح الحميرى

وحرصا على سلامة الدولة أقامت الملكة مقام المفضل ابن عمه الأمير أسعد بن

---

(١) خدد فى الحبيش شمالى التعكر . ذكره الهمدانى فى صفة ٧٨ .
(٢) عمارة / كاى ٤١ .
(٣) كفاية ٥٦ .
(٤) عمارة / كاى ٤١ .

أبى الفتوح بن العلاء بن الوليد الحميرى من القيام بدولتها والذب عن مملكتها والتوجه أينما أمرته . وكان متوليا حصن تعز وصبر إذ كان أبوه قبله واليا عليهما . فأخذ هذا يدبر شئون الدولة على أحسن حال حتى غدر به رجلان من أصحابه ، فقتلاه بين البابين فى حصن تعز سنة أربع عشرة وخمس مئة[١] .

الموفق ابن نجيب الدولة

ولما تعقدت الأمور على الملكة الحرة ، أرسلت إلى الحكومة المصرية تطلب منها إعارتها مستشارا ليساعدها فى تدبير شئون دولتها . وقد شعرت الخلافة الفاطمية بأن مركز الدولة الصليحية بدأ يتزعزع ، فبادر الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى[٢] فى سنة ٥١٣ بإرسال الأمير الموفق على بن إبراهيم بن نجيب الدولة يصحبه عشرون فارسا[٣] مختارة منتقاة إلى بلاد اليمن ، ليقوم بهذه المساعدة. وكان ابن نجيب الدولة قد قدم من مصر قبل وفاة الأمير أسعد بن أبى الفتوح الحميرى. فقررت الملكة إقامته فى مدينة جبلة للاستشارة والمناورات الحربية . وكان متفقها فى أصول الدعوة الفاطمية ، مستبصرا فى مذهب الشيعة . وكان على خزائن الكتب الأفضلية بمصر . وكان نبيها ، حسن التدبير ، كثير المحفوظات ، قيما بتلاوة القرآن على عدة روايات[٤] ، ويلقب بألقاب تدل على سمو قدره ، منها : الأمير المنتجب ، عز الخلافة الفاطمية ، فخر الدولة العلوية ، الموفق فى الدين ، ولى أمير المؤمنين[٥] .

من هذا يتضح أنه كان موضع ثقة الخلافة الفاطمية ، ولا بد أن يكون هذا الرسول مكلفا أمورا هامة ، لعلها ترجع إلى رغبة الخليفة الآمر بالله بن المستعلى فى أن يستفيد من نشاطه ومهارته فى تمكين الدعوة المستعلية[٦] فى نفوس أهل اليمن ، وفى تعزيز مركز الملكة الحرة ، بعد أن طمع فيها زعماء البلاد ، واستقلوا بما تحت أيديهم.

اعادة الأمن بفضل جهود ابن نجيب الدولة

وقد كان ابن نجيب الدولة عند حسن ظن الدولة الفاطمية به ، فلما وصل إلى

---

(١) كفاية ٥٦ ؛ أنباء / دار ٤٦ ؛ باعجمة : تغر عدن ١٧ .
(٢) لم يرسله المأمون البطائحى كما قال ابن ميسر فى كتابه أخبار مصر ٢/ ٧٠ .
(٣) عيون ٧/ ١٨٠ . (٤) كفاية ٥٧ .
(٥) عيون ٧/ ١٨٠ . (٦) نفسه ٧/ ١٤١ .

جزيرة دهلك لقيه من عدن الداعى محمد ابن أبى العرب من ولد صاعد بن حميد الدين، فكشف لابن نجيب الدولة أسرار اليمن ، وأحوال الناس وأسماءهم وكناهم ، وتواريخ مواليدهم ، وما تحت ثيابهم من شامة أو جراح أو أثر نار[١] .

فجاء إلى ذى جبلة ، وتشرف بمقابلة الملكة الحرة ، فقلدته إمرة جيوشها . فاستخدم أربع مئة فارس من همدان وغيرهم ، وقدم عليهم الطوق الهمدانى[٢] . واشتد بهم جانبه ، وقويت شوكته . وتمكن من وضع حد للخلافات الداخلية ، وإعادة الأمن والطمأنينة إلى البلاد[٣] . وكان أول عمل قام به هو تأديب الخولانيين ، لأنهم كانوا قد بسطوا أيديهم على الرعايا فى البلاد ، واستهانوا بالسيدة الحرة . فطردهم من ذى جبلة ونواحيها ، وأوقع بمن بقى منهم حتى لم يبق منهم إلا ما كان منتسبا إلى الملكة . فلما رأت منه ذلك أمرته أن يسكن الجند . فضاق الأمر به على سلاطين اليمن[٤] .

وقد أمنت البلاد ، واستقرت الأمور ، ورخصت الأسعار بحسن سياسته وتدبيره ، وأقام العدل ، وعف عما فى أيدى الناس من الأموال ، وأقام الحدود ؛ وعز به جانب الملكة ، وانقمع أهل اليمن عن الطمع فى أطراف بلادها[٥] .

وقد كان برنامج ابن نجيب الدولة مقصورا على إخضاع إمارات اليمن الصغيرة للسيدة الملكة الحرة ، فتحسنت بجهوده الفذة مركز الدعوة فى اليمن ، كما ساعد الملكة على عدم تسرب النزارية إلى هذه البلاد . وبذلك لم تتفرق كلمة الفاطميين فيها كما تفرقت فى مصر .

نفوذ الوزير المأمون لابن نجيب الدولة

ولم يقف نفوذ ابن نجيب الدولة عند هذا الحد ، بل لقد بلغ هذا الشأو البعيد

---

(١) عمارة / كاى ٤٢ — ٤٤ . (٢) عيون ٧/١٨٣ .

(٣) ابن مخرمة : قلادة النحر ٢/٢ ورقة ٦٦٦ .

(٤) عيون ٧/١٨٢ ؛ وأنباء / دار ٤٦ . وهؤلاء الملوك هم سليمان وعمران ابنى الزر ومنصور بن المفضل وسبأ بن أبى السعود ومفضل بن الزريع (عمارة / كاى ٤٣) .

(٥) عمارة / كاى ٤٣ .

النجاح فى عامين اثنين بين سنتى ٥١٣ — ٥١٥ . وكان نجمه لا يزال فى صعود لأنه بعد وفاة الأفضل بن بدر الجمالى فى رمضان سنة ٥١٥ أمدّه المأمون البطائحى وزير[١] الخليفة الآمر بأحكام الله ، بالمال والرجال ، فسيرّ إليه أربع مئة قوس أرمنى وسبع مئة أسود[٢] وقبل ذلك بقليل تمكن ابن نجيب الدولة من أن يستخدم ثلاث مئة فارس من سنجان بقيادة الطوق الهمدانى بالإضافة إلى من انضم إليه من أهل الدعوة . وقد ساعدت هذه العوامل على ارتفاع شأنه عند الملكة الحرة ، وبخاصة بعد أن كتب إليه الوزير المأمون بالتفويض فى الجزيرة اليمنية ، وبسط يده ولسانه[٣] وأوجب عليه تقديم المساعدة للسيدة الحرة فى كل ما تطلبه .

موقعة زبيد وهزيمة جيش ابن نجيب الدولة

ولقد أطمعه هذا المركز الحربى الممتاز فى محاربة الدولة النجاحية فى زبيد فى سنة ثمانى عشرة وأربع مئة ، والوزير يومئذ بها منّ الله الفاتكى أحد عبيد بنى نجاح . وكانت عشرة رماة من الأرمن أصحاب ابن نجيب الدولة قد استأمنوا إلى أصحاب زبيد . ولما تزاحف الرجال فى الحرب ، رمى رجل من العشرة المستأمنة بسهم ، فلم يخط أنف الفرس الذى عليه ابن نجيب الدولة . فسقط على بن إبراهيم إلى الأرض وشبّ الفرس عن ابن نجيب الدولة نافراً ، فانهزم عسكره ، فقتل السودان بأسرهم ، ولم ينج من الأرض سوى خمسين وكانوا أربع مئة قوس . وأما ابن نجيب الدولة فقاتلت عليه همدان أشد قتال ، حتى أردفه منهم رجل يقال له السباعى . وكان فى همدان الطوق بن عبد الله الهمدانى ، فأبلى هو وقوم معه . وعار[٤] جواد ابن نجيب الدولة من الوقعة صلاة الظهر يوم الجمعة ، فأصبح يوم السبت بمدينة الجند ، وبينها

---

(١) وقد تولى المأمون البطائحى الوزارة من أول ذى القعدة سنة ٥١٥ إلى ٤ رمضان سنة ٥١٩ (اتعاظ ٣٣٨) ، وكان ذلك فى عهد الخليفة الآمر بالله بن المستعلى الذى تولى الخلافة سنة ٤٩٥ حتى قتل سنة ٥٢٤ .

(٢) عيون ٧/١٨٢ (٣) عمارة / كاى ٤٣ .

(٤) عار الفرس ، أى انفلت وذهب ههنا وههنا (صح / عار) .

وبين زبيد أربعة أيام . ولم يمس الخبر إلا بذى جبله ليلة الأحد بأن ابن نجيب الدولة قد قتل . ثم وصل على بن إبراهيم بن نجيب الدولة إلى الجند بعد أربعة أيام . وركب إلى ذى جبلة ، واجتمع بالحرة[1] .

خلاص ابن نجيب الدولة من حصار سلاطين اليمن

وعضدته الحرة الملكة وأعطته الأموال ، وجمعت إليه الرجال بعد فشله بزبيد . فما زال يغزو العدو إلى أقصى البلاد ، على أن ابن نجيب الدولة لم ينج من حسد منافسيه الذين أخذوا يوقعون بينه وبين الملكة الحرة . فأخذت علاقته بها فى الفتور منذ سنة ٥١٩ حتى إنه أثر عنه أنه رماها بالخبل ، فقال : « قد خرفت واستحق عندى أن يحجر عليها » . ثم اجتمع عليه سلاطين اليمن سليمان وعمران ابنى الزر وسبا بن أبى السعود وأبى الغارات وأسعد بن أبى الفتوح والمنصور ابن المفضل فى ألفى فارس وثلاثة آلاف راجل ، فأحاطوا به فى الجند . وكانت الجند ذات سور ، وكان مع ابن نجيب الدولة من همدان أربع مئة فارس منتقاة كل فارس منهم يعد بمائة فارس ، منهم الطوق ابن عبد الله الهمدانى ومحمد بن أحمد ابن عمران بن الفضل بن على اليامى وعلى بن عبد الله الصليحى وعلى بن سليمان الزواحى وأبو الغيث بن سامر ومحمد بن الأعز .

ولما اشتد الحصار على ابن نجيب الدولة ، وهو فى أشد التعب يستغيث بها . كتبت الحرة الملكة على جارى العادة منها إلى عمرو بن عرفطة الجنبى . فأتاها ، فخيم بذى جبلة . وبعث إلى وجوه القبائل ففرقت فيهم عشرة آلاف دينار مصرية ، وقالت للرسل : أشيعوا فى العسكر أن ابن نجيب الدولة فرق فى الناس عشرة آلاف دينار مصرية ؛ فإن أنفق السلاطين شيئاً من الذهب المصرى ، وإلا ارتحلنا . فلما خوطب السلاطين بذلك وعدوا الناس . فلما كان من الليل ، ارتحل السلاطين ، كل واحد منهم إلى بلده ، وأصبحت الحشود من كل بلد بلا رأس ، فانفض الناس عن الجند . فقيل لابن نجيب الدولة : هل أبصرت هذا التدبير للتى

---

(١) عمارة / كاى ٤٣ — ٤٤ ؛ وعيون ٧ / ١٨٣ .

قلت إنها قد خرفت ؟ فركب إلى ذى جبلة ، وتنصّل واعتذر[١] .

ولكن هذا التصرف الذى أنقذ ابن نجيب الدولة ودلّ على حنكة الملكة الحرة فى حرصها على إبقاء كلمة الفاطميين فى اليمن هى العليا ، قد أغضب سلاطين هذه البلاد ، لإخفاقهم فى التشفى من منافسهم .

ولما رأى الخليفة الآمر الفاطمى أن سياسة ابن نجيب الدولة التى رسمها له الفاطميون قد حادت عن الخطة المرسومة ، أرسل إليه يستدعيه إلى مصر . وبذلك انتهز سلاطين اليمن الفرصة ، واتصلوا برسول الخليفة الآمر ، فشوّهوا سمعة ابن نجيب الدولة لديه . وكان من سوء حظ ابن نجيب الدولة أنه لم يحفل بهذا الرسول ، بل سفهه فى مجلس حافل ، مما ساعد على تدبير مؤامرة انتهت بالقضاء على ابن نجيب الدولة . وفى ذلك قال عمارة[٢] : « ضمن الأمير الكذاب (رسول الآمر إلى اليمن) لهم هلاك على بن نجيب الدولة بفصلين : أما أحدهما ، فقال : اكتبوا على يدى إلى مولانا الآمر كتبا تذكرون فيها أنه دعاكم إلى نزار وراودكم على ذلك وامتنعتم ؛ والفصل الثانى ، اضربوا سكة نزارية وأنا أوصلها إلى مولانا الآمر بأحكام الله ، ففعلوا ذلك . وتصادف أنه عندما وصل من اليمن كانت العلاقة قد ساءت بين الخليفة الآمر ووزيره المأمون البطائحى ، فقبض الخليفة على الوزير ، فأوصل الأمير الكذاب الكتب والسكة إلى الخليفة الآمر » ، وفيها ما يدل على انصراف ابن نجيب الدولة عن الدعوة المستعلية وانحيازه إلى طائفة النزارية .

القبض على ابن نجيب الدولة وتسليمه إلى رسول الخليفة

وقد تركت هذه المؤامرة أثرا سيئاً فى نفس الخليفة ، فأرسل إلى اليمن الأمير الموفق ابن الخياط فى مائة فارس للقبض على ابن نجيب الدولة . ولما وصل إلى الملكة الحرة فى ذى جبلة طلب منها ابن نجيب الدولة ، وكانت قد قبضت عليه بحيلة[٣] ،

---

(١) عمارة / كاى ٤٥ ؛ عيون ٧/١٨٣ — ١٨٤ .

(١) عمارة / كاى ٤٦ .

(٣) قال عمارة ما معناه : إن ابن نجيب الدولة توجه إلى زبيد عن كره منه . فدخل أعداؤه على الملكة الحرة ، ورجوا منها أن تحتفظ به ، لأن الإمام لا يطلبه إلا منها ، =

وامتنعت عن تسليمه ، وقالت : « أنت حامل كتاب ، فخذ جوابه ؛ وإلا فاقعد حتى أكتب إلى الخليفة ويعود جوابه »[١] . فخوفها وزراؤها سوء السمعة ، وأفهموها بأنه داع لنزار ، وأن هذا خطر على دولتها . ولكنها برأته مما نسب إليه ، وأظهرت طهارته ، ومع ذلك سلمته إلى الرسول سنة ٥٢٤ امتثالا لأمر الإمام ، بعد أن استوثقت له من ابن الخياط بأربعين يمينا[٢] . وكتبت إلى الخليفة الآمر وأرسلت إليه كاتبها محمد بن الأزدى[٣] — وكان أديبا منشئا للديوان مجيدا للألفاظ — رسولا ، وسيرت معه إلى الخليفة بَدْرة من الجواهر تقوم بأربعين ألف دينار[٤] . ثم خرج ابن نجيب الدولة من ذى جبلة وهو فى قفص من الخشب ، والناس ينظرون إليه ، فقال لهم : « ما تنظرون ؟ أسد فى قفص ! » .

نهاية ابن نجيب الدولة

ويختلف المؤرخون فى نهاية ابن نجيب الدولة ، فبعضهم يقول : « إن السيدة الحرة سلمته إلى رسول الخليفة ، وبالرغم من شفاعتها للخليفة وأخذها الأيمان الغليظة على الرسول ألا يمسه بسوء ، تآمر أعداؤه مع الرسول على إغراقه ، وقد تم ذلك عند باب المندب ، كما أغرق معه رسول السيدة الحرة[٥] . وبعضهم يقول : إنه وصل إلى مصر وشهر به فى القاهرة فى سنة ٥٢٤ كما قال ابن ميسر[٦] ، وقيل إنه لا يعلم ما جرى لابن نجيب الدولة بعد خروجه من اليمن » .

= فتمارضت الملكة ، وأرسلت إليه الشريف أسعد بن عبد الصمد بن محمد الحوالى ، وكان ابن نجيب الدولة يثق فيه . فأدركه بعيدا عن الجند بليلة ، وأخبره بأن الملكة مشرفة على الموت ولا تثق بأحد إلا بك . فرجع ، فاحتفظت به ، وقيدته بقيد من فضة زنته خمسون أوقية (عمارة / كاى ٣٦ — ٤٧) .

(١) نفسه ٤٧ .

(٢) نفسه ٤٧ .

(٣) كذا ورد الاسم فى كفاية ٥٨ ؛ وذكر فى عمارة / كاى ٤٧ (الأزرقى) وصححها كاى (بابن الأزدى) ، وفى العيون ٧/١٨٥ : ابن الأردبى .

(٤) عمارة / كاى ٤٧ .

(٥) نفسه ٤٨ . وقد أيد ما قال عمارة صاحب العيون ٧/١٨٥

(٦) ابن ميسر : أخبار مصر ٧٠ .

ومهما يكن من أمر ، فإن نجم ابن نجيب الدولة قد أخذ فى الأفول منذ دبّ النزاع بينه وبين السيدة الحرة الملكة ، ومنذ أن ساء التصرف فى أمور الدولة . أضف إلى ذلك حقد سلاطين اليمن عليه ومؤامراتهم ضده . ومع ذلك فإن الملكة أروى فقدت بخروجه من اليمن أنشط أنصارها ومساعديها. فتجلّى طمع السلاطين فيها فى نفس اليوم الذى فارق فيه ابن نجيب الدولة مدينة ذى جبلة ، إذ دخل عليها سليمان وعمران ابنا الزر شامتين فى ابن نجيب الدولة ، وخرجا من عندها وهما يقولان : « صدق الفقيه فى قوله : قال عبد الله بن عباس : كنّا ندخل نسمع الحديث من عائشة فلا نخرج حتى نعلم أنها امرأة » . فكان آخر دخولهما عليها [١] .

على بن عبد الله الصليحى

وبعد رحيل ابن نجيب الدولة اختارت الملكة الحرة السلطان على بن عبد الله الصليحى ابن أخى السلطان على بن محمد الصليحى ، للدفاع عن دولتها ؛ ونعت بفخر الخلافة ، وقد مدحه الشاعر محمد بن أحمد بن عمران بقصيدة جاء فيها [٢] :

يا غادياً مُزمعا فى السَّيْر معتزماً ... لا يتّقى الأَيْن والوَعْثاء والألما

واحمل سلامى إلى المختار من كثَب ... فخْر الخلافة والثم كَفَّه أمَما

وحاز من نسب الأصلوح ذروته ... وحاشد واعتلى الهامات والقمما

رئيس همدان بل كهلانَ أجمعِها ... بل قَرْم قحطانَ حازَ العلم والكرما

أوفى بنى الدهر فى شام وفى يمن ... قولا وفعلا وأعلى يعربٍ هِمَما

ومنصبا ومحلا شامخا وعلا ... عند الفخار وأسنى رهطه شيما

لما رأى الله ركن الدين منهدما ... والعدل مهتضما والحق مخترما

---

(١) عمارة / كاى ٤٨ .

(٢) عيون ٧ / ١٨٦ — ١٨٧ . وقد ورث هو وابنته الأميرة أروى بنت على بن عبد الله ممتلكات الملك المكرم بعد وفاة الملكة الحرة .

حباه بالرتبة العليا وشرّفه بدعوة الدين حتى عزّ وانتظما

ولكنا لا نعرف شيئا عما قام به على هذا من الأعمال ، لأن المصادر التى تحت أيدينا لا تذكر شيئا عنه . ولكن يظهر أن الدولة قد أخذت فى الانهيار فى هذا الوقت ، وهذا ماسنذكره فيما بعد .

القاضى لمك وبعثته الى مصر

ونظرا لأننا فى صدد الكلام عن عهد الملكة السيدة الحرة ، نشير إلى بعض ما وجدنا فى مصادر الدعوة اليمنية عند الدعاة الذين حملوا لواء الدعوة الفاطمية فى عهدها ، ونشاطهم فى تأييد الدعوة والدولة .

لعب قاضى قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادى الهمدانى[١] دورا هاما فى تاريخ الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن . وقد عاصر الملك على بن محمد الصليحى والملك المكرم والملكة الحرة . وذكر إدريس[٢] نقلا عن السلطان حاتم بن إبراهيم الحامدى المتوفى سنة ٥٩٦ ، أن عليا الصليحى لما تمّ له فتح جزيرة اليمن بأسرها أرسل إلى الخليفة المستنصر الفاطمى كتابا مع قاضى قضاة اليمن وجماعة من وجوه الأولياء[٣] ، يطلب منه أن يأذن له بالحج إلى مكة والسير إلى مصر لزيارة الإمام فى القاهرة والنهوض إلى العراق . ويمكننا أن نقرر أن هؤلاء الرسل قد وفدوا إلى مصر فى سنة ٤٥٤ ، ذلك لأن المصادر كلها قررت أن القاضى لمك أمضى خمس سنوات فى القاهرة ، ثم عاد إلى اليمن سنة ٤٥٩ أو ٤٦٠ أى بعد قتل الملك على الصليحى بقليل . وبعد أن سلم سفير اليمن القاضى لمك إلى الخليفة ما استودعه الملك على بن محمد الصليحى من الرسالة والسفارة ، أنزل الخليفة

---

(١) فى النزهة ١ / ٨٤ — ٨٥ قال : « وهذا الداعى لمك بن مالك هو من بنى حماد من همدان ، وحماد وحامد أخوان . وكان محل لمك فى لهاب من نواحى حراز ثم سكن فى قرار ملك بنى الصليحى فى صنعاء ثم فى ذى جبلة » .

(٢) عيون ٧ / ١٠٣ .

(٣) ورد أسماؤهم فى السجلات رقم ٥٥ (الموجه إلى السيدة أسماء بنت شهاب المؤرخ فى سنة ٤٦١) : قاضى قضاة اليمن لمك بن مالك وعبدالله بن على ومحمد بن حسن وحسين بن على وعبد الله بن عمر وأبو البركات بن أبى العشيرة .

القاضي فى دار المؤيد فى الدين هبـــة الله بن موسى الشيرازى[١] باب أبواب الإمام[٢] المستنصر بالله الفاطمى . وكان المؤيد يناجى الإمام بالفسح للقاضى فلا يجاب إلا بالقول : « كيف يستأذن وقد آن وقت الشتاء » ؟ وأقام لك بمصر خمس سنوات . ويقول حاتم بن إبراهيم الحامدى[٣] : « وفى مدة إقامة القاضى الأجل ، كان لا يفارق المؤيد ، بل ظل بين يديه يسأله ويأخذ عنه ، ويكتب ما استفاده منه إلى أن استوعب ما عنده» . وأخيرا قدم إليه القاضى سبعا وعشرين مسألة ، فقال : « ماجواب هذه إلا من مولاك » . فدخل القاضى على المستنصر بالله فأجابه عنها جميعها ، وكساه عن كل جواب حلة من حلل الشرف[٤] . وظاهر هذه البعثة ، كما ذكر الحامدى ، هى رغبة الملك على بن محمد الصليحى فى أن يسمح له الإمام بالحج وزيارة القاهرة وطرد العباسيين من بغداد ، ولكن هذا الأمر لايستدعى إقامة القاضى خمس سنوات فى القاهرة ، وخصوصا أن سرعة إنجاز ما يطلبه الملك على الصليحى من الخليفة الفاطمى كثيرا ما كان يحل صعاب الأمور.

والذى يلفت النظر حقا ، اهتمام زعماء الدعوة فى مصر بالقاضى لمك . ونظرا لأن الملك عليا الصليحى كان على صلة برياسة الدعوة فى مصر بتبادل الرسائل والرسل

---

(١) راجع مقال حسين الهمدانى فى JRAS (1932) ص ١٢٦ — ١٣٦ ؛ د المؤيد ١٨٤ — ١٨٦ ؛ سيرة المؤيد ١٧ ؛ الباب التاسع من هذا البحث .

(٢) كانت هـذه الوظيفة فى أول نشأتها سرية لا يعرف بها أو بصاحبها إلا رجال الدعوة المقربين . ولما تركز الحكم الفاطمى أعلنوا هذه الوظيفة ورفعوا الستار عن صاحبها ، وأصبحت الوظيفة خطيرة . فمنها ينبعث التوجيه السياسى والدينى والعلمى . ولا يمنح هذا اللقب إلا لمن سبق أن تدرج فى مراتب الدعوة . ويعتبر داعى الدعاة الصلة بين الإمام وبين حدود الدعوة ، كما يتضح ذلك من قول المؤيد فى الدين عند كلامه عن داعى الدعاة القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن أبى حنيفة النعمان فى عهد المستنصر : « وتوجهت بعـد ذلك إلى المرسوم بالقضاء والدعوة الذى كان باب حطتنا ونحن بالبعد ، والواسطة بيننا وبين مجلس الإمامة » (سيرة المؤيد ٨١ — ٨٢) . ومن أعماله رياسة الدعوة الفاطمية وأخـذ العهد على المريدين مباشرة أو بواسطة نوابه ... (خطط ١/٣٩١) .

(٣) عيون ٧/١٠٣ . ونقل هذا الخبر الحسن بن نوح البهروجى فى كتابه الأزهار ٢/٧١ — ٧٥ والشيخ شرف على فى كتابه عيون المعارف ٤٥٦ .

(٤) عيون ٧/١٠٣ .

فى المناسبات المتعددة فلا بد أن رؤساء الدعوة كانوا على إلمام تام بحقيقة شخص لمك ، ومدى مركزه فى الدولة والدعوة فى بلاد اليمن .

ومما لا شك فيه أن القاضى لمك بحضوره المجالس المستنصرية التى كان يلقيها المؤيد فى دار العلم ، وبملازمته باب أبواب الإمام هـذه المدة الطويلة وقف على التعليمات المهمة التى أولاه إياها باب الأبواب . هذه التعليمات والإشارات التى سيكون لها الأثر الفعال فى توجيه الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن ، ومما يدل على مبلغ اهتمام الإمام وباب أبوابه المؤيد بقاضى قضاة اليمن وبدعوة اليمن ، ماجاء فى سجل[1] أرسله المستنصر بالله إلى السيدة الحرة أسماء بنت شهاب والدة المكرم حيث يقول : « . . . وساق إلى ولدك (المكرم) من التشريفات والألقاب ما شفعه بما هو أزيد من ذلك صحبة رسلكم : قاضى قضاة اليمن لمك بن مالك ، وعبد الله بن على ومحمد بن حسن ، وحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وأبو البركات بن أبى العشيرة — سلّمهم الله — فلقد جاهدوا وصبروا ، واجتهدوا فى الخدمة وما قصّروا ، والله تعالى يبلغهم مقصدهم سالمين برحمته . . » .

وكان المؤيد من أكبر الشخصيات الذين حملوا لواء الدعوة لا فى مصر فحسب ، بل فى كثير من البلاد ، وبخاصة بلاد اليمن . وفى ذلك يقول إدريس[2] : « فهو بالنسبة للدعاة القائمين أب ، وكلهم إليه بعلمه منتسب ، لأنه سلّم للداعى لمك ماعنده » .

نفوذ الوزراء فى مصر

ويجب أن نقرر حقيقة أخرى وهى : أن المؤيد لما حضر إلى مصر من بلاد فارس ، وترقى فى مناصب الدعوة حتى أصبح باب أبواب الإمام ، وجد أن أمور الدعوة والدولة ليست فى يد الخليفة ، بل وجد الوزراء قد سلبوه السلطة ، لذلك رأى أن مصير الدعوة بهذا الوضع ينحدر إلى الضعف ، بل قد يكون الزوال على يد هؤلاء الوزراء . وقد أخذ نفوذ الوزراء يزداد لضعف نفوذ الخليفة ، ولا أدل من

---

(١) السجلات رقم ٥٥ .

(٢) عيون ٧/١٨٨ .

إقحام اسم بدر الجمالى[١] فى معظم مكاتباته إلى محارالدعوة ، ومعظم رسائله التى بعث بها بعد سنة ٤٦٧ إلى الصليحيين قد ذكر فيها اسم بدر مشفوعا بالثناء والتقدير العظيم[٢] .

تحويل التراث الأدبى الفاطمى إلى اليمن

ونخلص من هذا إلى الصورة التى ظهرت فى مخيلة الداعى المؤيد ، أن الدولة على هذا الوضع مصيرها إلى الزوال . لذلك وجب تحويل آداب الدعوة إلى مكان يضمن حفظها ، ولم يكن هـــذا المـكان إلا اليمن . وساعد على ذلك أن الدعوة الفاطمية الرسمية كانت قد استقرت فى بلاد اليمن ، لأن دعوة اليمن هى الوحيدة التى ظلت موالية لدعوة الفاطميين الرسمية بعد أن فقدت تلك الدعوة نفوذها لضعف أمرها فى كل من شمال إفريقية ومصر وسورية والعراق وفارس[٣] .

---

(١) هو ابو نجم بدر الجمالى أمير الجيوش مملوك جمال الدين بن عمار ، تولى الوزارة للخليفة المستنصر بالله فى يوم ٢٨ جمادى الأولى سنة ٤٦٦ وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة ٤٨٧ .

(٢) والمستنصر إذيعترف لبدر فى إنقاذ دولته بمدحه والثناء على جهوده فى سبيل رفع الدعوة الفاطمية يطلب من الصليحيين أن يشاركوه هذا التقدير السامى ، ويتخذ من بدر وابنه الأفضل هداة يهتدون بهما ، وقد أمدتنا رسائله بصورة واضحة عن ثقة الخليفة ببدر حتى إنه وضع أمور الدعوة والدولة جميعهـا فى يده . وقد ورد اسم بدر فى رسائل المستنصر إلى الملك المكرم فى سنة ٤٧٠ ، فيقول : ... ولم يكن له بد من ... أن يحله محل الوالد ويجعل له مكان الملك وينزله فى عقد خلافة الإمامة ... فول وجهك نحو هـذا السيد الأجل ، واجعله قبلة دينك فى مصادرك وموارداك (السجلات رقم ٣٤) . لما تمكن بدر من نفس المستنصر وصار يؤلف الكتب فى أصول الدعوة اتخذ منه المستنصر بابا لدعوته ، ووضعه فى مركز لم يضع فيه وزيرا قبله ، وأخذ الخليفة يحتم على أتباعه وجوب طاعته . فأرسل إلى الملكة الحرة سجلا مؤرخا فى شوال سنة ٤٧٢ يطلب منها أن تحذو حذوه وتسترشد بنصائح الوزير بدر (السجلات / الهمدانى ٣١٤) ، فأصبح المستنصر بهذا الوضع مسلوب السلطة والإرادة كما كان ابنه المستعلى . كذلك فى عهد الأفضل بن بدر الجمالى ، فأصبح النفوذ والسلطان المطلق فى يد الوزراء . وكان التحمس للدعوة ونصرتها أو إضعافها تابعا لرغبة الوزراء وميولهم . فالأفضل كان يميل ميل السنيين ، فألغى الكثير من الأعياد الفاطمية المحضة (حسن إبراهيم : الفاطميون فى مصر ٢٧٩) .

(٣) انظر مقال حسين الهمدانى فى J.R.A.S. (١٩٣٣) ص ٢٦٣ .

وقد بدأ هذا التحول بالفعل على يد القاضى لمك بن مالك الذى عاد إلى بلاد اليمن يحمل تقليد المكرم ملكا خلفا لأبيه . ولما علم المكرم بأن لمك كان بعد عودته من القاهرة مكلفا من قبل الإمام تنفيذ سياسة معينة ، كان لايقطع أمرا من أمور الدولة والدعوة إلا إذا استشاره ، نظرا لمكانه العظيم فى نفسه ، حتى إنه كان إذا لقيه فى طريقه ترجل عن جواده ، احتراما لمقامه ، وحفظا لأكيد ودّه[١] . فكان القاضى لمك ينهاه عن ذلك بقوله : «إنك فى الملك فى مقام الإمام عليه السلام ، فلا ينبغى لك أن تتواضع عن منزلتك »[٢] .

تفويض رياسة الدعوة اليمنية الى القاضى لمك

وصفوة القول أن المكرم جعل لمك رئيس الدعوة فى اليمن ، تحقيقا لرغبة الإمام ، فكان المكرم « داعى السيف » وكان لمك « داعى القلم »[٣] ، وكان لمك قبل ذلك قاضى القضاة[٤] . وفى ذلك يقول إدريس[٥] : « وأرسل الإمام عليه السلام الداعى الأجل لمك بن مالك إلى اليمن ؛ فأقامه داعيا مع الداعى الملك المكرم ؛ وأمر المكرم بأن يقوم بالسيف والقاضى لمك داعى القلم ؛ وجعل إلى الملك المكرم أمر الملك والسياسة ، وإلى الداعى لمك إقامة القضاء ، ولكن لا يمكن أن نجزم بأن القاضى لمك كان يقوم وحده بأمر الدعوة والمستنصر يقول : « . . . والدعوة الهادية المستنصرية ثبتها الله فى الأعمال اليمنية بفضل سياسة المكرم الذى ضمّ شمل الأولياء ، وجمع الآراء على ماعاد بنظام الدين وإشراقه »[٦] ، ويقول

---

(١) وقد تمشى فى ذلك مع القاعدة التى اتبعها الخلفاء الفاطميون مع قضاة دولتهم ، فالخليفة المستنصر بالله ، كان إذا خرج القاضى اليازورى من عنده مشى جميع أهل الدولة فى ركابه (العسقلانى : رفع الإصر ورقة ٨٣ — ٨٤) .

(٢) عيون ٧/١٠٤ .

(٣) نفسه ٧/٨٣ .

(٤) « كان يختار لهذا المنصب من يتوسم فيهم العلم بكتاب الله وسنة رسوله وكان يزكيه لذلك أن يكون رجلا عفيفا ورعا تقيا لاتأخذه فى الحق لومة لائم » (مشرفه : نظم الحكم بمصر فى عهد الفاطميين ٢٣٢) .

(٥) نزهة ١/٨٣ . (٦) عيون ٧/١٢٧ .

فى موضع آخر موجها الكلام إلى الملك على المكرم: « . . . وأمر أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام فى سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه» (١) .

ومن هذا يتضح أن المكرم كان الرئيس الأعلى للدولة والدعوة، ولكنه ترك أمر الدعوة للقاضى لملك يتصرف فيها بالرجوع إليه . ومع ذلك فإننا نلاحظ أنه قد حدث تغيير جوهرى فى دستور الدعوة فى اليمن، فقد كان أول الملوك الصليحيين وهو الملك على بن محمد الصليحى رئيسا للدولة، كما كان رئيسا للدعوة، أى أن أمور الدولة والدعوة كانت مركزة فى شخصه ؛ فهو والحالة هذه أشبه ببعض شيوخ الجبل عند النزارية، بحيث لا يفترق عنهم، إلا فى أنه يدعو لإمام ظاهر، يظهر الولاء والطاعة له (٢)، على حين كان المكرم رئيساً للدولة ويشترك معه القاضى لملك فى إدارة شئون الدعوة .

فصل الدعوة عن الدولة

فى الشطر الأول من حكم الملكة الحرة منحها الإمام لقب حُجَّة، وقال صاحب العيون (٣) : « . . . فرفعت بذلك عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج، وكفلت كافة المؤمنين، والدعاة الميامين، والحدود والمستجيبين خير كفالة، وأوضحت البرهان فى ولاية الأئمة عليهم السلام، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين، وأبانت وما وهنت لما أصابها فى سبيل الله » . واستعانت فى تثبيت قواعد الدعوة بقاضى القضاه لملك الذى لقب فى عهدها بداعى البلاغ . واستمر القاضى بوظائفه العديدة التى ذكرناها آنفاً إلى أن وافته المنية فى السابع والعشرين من شهر جمادى الأخرى سنة عشر وخمس مئة ودفن بلهاب (٤) .

---

(١) عيون ٧/ ١٢٩ .
(٢) طه لشرف : النزارية ٢٧٤ .
(٣) عيون ٧/ ١٤١ .
(٤) صحيفة الصلاة ٣٣٩ .

يحيى بن لك

ولما توفى القاضى لك خلفه ابنه يحيى فى نفس الوظيفة التى كان يعمل فيها أبوه مع الملكة الحرة . «فاستمر ينصب الدعاة ، ويوضح معالم الدين ، ويحيى مراسمه ويبين شريعته ، ويفسر تأويله وحقيقته »[١] . وبفضل جهوده التى بذلها تحت رعاية الملكة الحرة ، تمكنت الدعوة الفاطمية المستعلية فى بلاد اليمن ، وما انضاف إليها عمان والهند[٢] ، وزادت ثقة الإمام بالصليحيين ، لأنهم برهنوا على صدق إخلاصهم لمذهبهم وولائهم له . فلما توفى الخليفة المستعلى سنة ٤٩٥ وخلفه ابنه الآمر ، قامت الملكة الحرة له بالدعوة خير قيام ، وساعدها فى ذلك الداعى يحيى . « فاستقامت بهما أمور الدين فى أقطار اليمن ، ووضحت بهما الفروض الشرعية والسنن ، ومضت بهما الأحكام ، وأقيمت شعائر الإسلام ، وعرف الحلال والحرام »[٣] . و استمر يحيى يعمل فى وظيفة أبيه مع الملكة الحرة حتى توفى فى ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٥٢٠[٤] .

تولية الداعى الذؤيب بن موسى الوادعى أمر الدعوة

ولما تبين للملكة أن مملكتها أخذت تتزعزع أركانها للأسباب التى سنذكرها فيما بعد ، قررت بثاقب فكرها أن تفصل الدعوة عن الدولة فصلا تاما ، كما كان الحال فى مصر ، حتى تباشر الدعوة نشاطها العملى والدينى مستقلة عن تأييد الدولة ، ففصلت هيئة الدعوة كلية عن إدارة الحكومة ، فأصبح يقوم بأعباء هذا النظام الثنائى (Dual hierarchy) رؤساء مختارون لإدارة شئون الدولة والدفاع عن المملكة ، وآخرون للدعوة .

فأقام الداعى يحيى والملكة الحرة الداعىَ الذؤيب بن موسى الوادعى الهمدانىّ

---

(١) عيون ٧/١٤٤ .
(٢) نفسه ٧/١٢٣ — ١٢٤ ؛ والسجلات رقم ٥٠ .
(٣) عيون ٧/١٤٤ .
(٤) صحيفة الصلاة ٣٣٩ .

فى رياسة الدعوة ، وفى اختياره رئيسا للدعوة يقول إدريس[١] : « اجتمع عدة من سلاطين اليمن إلى قاضى القضاة وداعى الدعاة باليمن يحيى بن لمك . وكل من أولئك السلاطين يرى أنها ستقع إليه بإقامة الدعوة الشريفة الإشارة ، ومتطلع إلى أن يلى إيراد الأمر فيها وإصداره . والذؤيب بن موسى متواضع مع علو مرتبته لأبويه ، إلى ما يشار إليه من عالى منزلته . فحين اجتمعوا عند القاضى الأجل يحيى ابن لمك بن مالك أعلن بالتعريف بفضل الداعى ذؤيب بن موسى وعالى مقامه ، وأنه المعاضد له ، والخالف له بعد انقضاء أيامه ، وتلا على السلاطين والمؤمنين التقليدين من الحرة الملكة السيدة ولية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه الميامين ، ومن داعى الدعاة وقاضى القضاة يحيى بن لمك ذى الحجة الماضية البراهين ، فسمع أهل الفضل والديانة قول الحرة الملكة حجة الإمام الآمر ، وقول داعيه يحيى ابن لمك ، ولم يكن منهم جاحد ولا مكابر » .

وكان قد وقع فى دستور الدعوة تغيير جوهرى ، بسبب اختفاء الإمامة من مسرح مصر ، مركز الدعوة الفاطمية ، ودخلت الدعوة فى اليمن فى عهد الملكة الحرة والداعى الذؤيب بن موسى مرحلة أخرى. وصارت الدعوة منظمة دينية بحتة بعد سقوط الدولة الصليحية ، يعوزها تعاون الدولة وتأييدها ، مع أنها كانت تحاول عدة محاولات طوال القرون لإنشاء دولة مستقلة فى المناطق التى قطنها أولو الدعوة .

استتار الإمام الطيب والدعوة اليمنية

فلنرجع إلى مصر برهة من الزمن ، لكى نعرف ما حصل هنالك من الانقلابات والحوادث التى أدت إلى هذا التغيير فى نظام الدعوة باليمن .

أنجب الخليفة الآمر قبل مقتله بقليل طفلا فى الليلة المصبحة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، وسماه الطيب ، وكناه أبا القاسم

---

(١) عيون ٧/١٨٧ — ١٨٨ .

وكتب سجلات البشارة بهذا المولود والنص على إمامته ، ومن ذلك سجله إلى الملكة الحرة الصليحية[١] ، فقال فيه :

« . . . أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا يحصى لها عد . . . ومن أشرفها لديه قدرا . . . بأن رزقه مولودا زكيا مرضيا ، . . . وذلك فى الليلة المصبحة بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، . . . سماه الطيب . . . وكناه أبا القاسم كنية جده نبى الهدى . . . ولمكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين . . . أشعرك هذه البشرى . . . لتأخذى من المسرة بها بأوفى نصيب ، وتذيعيها فيمن قبلك من الأولياء المؤمنين ، إذاعة يتساوى بالمعرفة بها كل بعيد وقريب ، . . . » الخ

وأرسل الآمر إلى الحرة الملكة الشريف محمد بن حيدرة « بسجلات تتضمن السلام عليها ، . . . وكان مما سفر به إليها منديل كم سمل ، وأمر الشريف ابن حيدرة بتسليمه إليها »[٢] . فلما وصل الشريف وسلم إليها السجلات الآمرية وذلك المنديل فاضت عيناها بالدموع حين وقفت على المنديل ، « فعلمت أنه نعى إليها نفسه »[٣] . والمحتمل أن الشريف كان من الحاضرين حينما نص الآمر على تعيين ابنه الطيب للإمامة بعده ، ولذلك ندبه الآمر للسفارة إلى اليمن[٤] . ومن المحتمل أيضا أن السجل الذى ذكر فيه المولود الطيب ، كان من ضمن السجلات التى أتى بها الشريف إلى اليمن .

فأذاعت الملكة ببشرى المولود فى جميع أنحاء مملكتها ، وقامت هى والذؤيب ابن موسى الوادعى بأخذ البيعة والعهد للطيب والدعوة إليه ، وأمرت الملكة عند قراءة مجالس الحكمة بالصلوات على الطيب بن الآمر[٥] .

---

(١) عمارة / كاى ١٠٠ — ١٠٢ ؛ عيون ٧/١٩٢ — ١٩٣ ؛ والملحق رقم ٨ .
(٢) عيون ٧/١٨٩ .
(٣) نفسه ٧/١٨٩ .
(٤) نفسه ٧/١٩٤ .
(٥) نفسه ٧/١٩٤ .

وقد قتل الخليفة الآمر بأحكام الله فى الثانى من ذى القعدة من سنة أربع وعشرين وخمس مئة[١] بيد جماعة من النزارية . فأظهر الوزير أبو على أحمد ابن الأفضل مذهب أهل السنة ، بعد أن أقام الدعوة للخليفة المزعوم أبى القاسم المنتظر القائم فى آخر الزمان المهدى حجة الله على العالمين. واستولى على أمور الدولة وقبض على ابن مدين صاحب الرتبة وقتله . وقتل من أصحاب ابن مدين الدعاة ابن رسلان والعزيزى ونسلان . وهرب قونص[٢] إلى اليمن ،وعاد بعد ذلك فقتل. وأقام ابن مدين قبل مقتله فى رتبته صهره القاضى أبا على ، وأمره أن يخرج الإمام الطيب خوفا من عدوان الوزير ابن الأفضل . فاستتر القاضى صهر ابن مدين بستر الإمام الطيب وسافر معه . « وكان ابن مدين المنتصب بالدعوة إلى الطيب فى الديار المصرية وأقامه الآمر بأحكام الله فى الرتبة البابية ، وأشار الآمر إلى القاضى أبى على صهر ابن مدين بحفظ رتبته . فغاب القاضى بغيبة الطيب . فلم يعرف إلا المخلصون أين مقصده ومثواه . وما زال الستر إلى هذا الأوان ، والإمامة جارية فى الإمام الطيب أبى القاسم أمير المؤمنين وعقبه الطاهرين فى كل وقت وزمان » . هذا ما رواه صاحب العيون[٣] .

فلما قتل الوزير أبو على أحمد بن الأفضل فى نهاية فترة شغور[٤] خرج عبد المجيد بن محمد بن المستنصر من سجنه ، وادعى إمرة المؤمنين والإمامة .

---

(١) فى رواية العيون ٧/ ١٩٠ فتك النزارية بالآمر يوم الثالث من ذى القعدة سنة ٥٢٦، وكانت نقلته ليلته بعد تجديد النص على ابنه الطيب . وهذا التأريخ يخالف جميع المصادر . فلذلك اعتمدنا على التأريخ المشهور بدلا من رواية صاحب العيون .

(٢) عيون ٧/٢٠٢ — ٢٠٣ : وقونص دون الثلاثة فى المنزلة .

(٣) نفسه ٧/٢٠١ — ٢٠٢ .

(٤) فترة شغور من الثانى من ذى القعدة سنة ٥٢٤ يوم اغتيل الآمر إلى الخامس عشر من المحرم سنة ٥٢٦ يوم تولى الحافظ عبد المجيد الخلافة الفاطمية بمصر . وكان عبد المجيد قائما بحفظ القصر وظاهر الملك وولاية عهد المسلمين ، لا يدعى الإمامة ولا يعرف بها عند الخاصة والعامة إلى أن ظهر الوزير أبو على بن الأفضل الذى تغلب على الديار المصرية وقصد إلى القاهرة وسجن عبد المجيد . ومالا الوزير على ذلك ابنه الحسن بن عبد المجيد واعتقل أباه حتى قتل ابن الأفضل وبعده الحسن بن عبد المجيد .

وذلك حين استتر من استتر من الدعاة مع الطيب، وقتل من قتل على يد الوزير أبى على ابن الأفضل فى هذه الفترة .

وذهب بعض المؤرخين[١] المتأخرين البعيدين عن مسرحى الدعوة — المصرى واليمنى — مذهبا آخر فى أمر عقب الآمر والإمامة بعده، فقالوا ما معناه : إن الآمر لما اغتيل فى سنة أربع وعشرين وخمس مئة خلف امرأته حاملا فبويع بولاية العهد لابن عمه عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ، ولم يبايع بالإمامة حتى يظهر الحمل . فلما وضعت زوجته أنثى ، عهد إلى الحافظ عبد المجيد بالخلافة .

وأما المقريزى فلم يقل إنها وضعت أنثى بل ذكر أن برغش وهزار الملوك أقاما الأمير عبد المجيد ، « وأنه يكون كفيلا لمنتظر فى بطن أمه من أولاد الآمر » . ثم ذكر استبداد أبى على بالوزارة والقبض على عبد المجيد وسجنه ، وخروجه من المعتقل بعد قتل أبى على الوزير . فاستطرد المقريزى قائلا : « وأخذ له العهد على أنه ولى عهد كفيل لمن يذكر اسمه » ، وأشار إلى الوزير رضوان الذى أخذ فى إهانة حواشى عبد المجيد الحافظ ، « وهم بخلعه وقال : ماهو بإمام ، وإنما هو كفيل لغيره وذلك الغير لم يصح » .

وقال ابن الفرات[٢] : « إن أهل صنعاء يرون له (للآمر) ولذا يسمى الطيب ، وهم آمرية الذهب ، وبالشام جماعة من الآمرية » . والآمرية فى اليمن هم فى الواقع الذين يسمون بالطيبية ، لأن أتباع الآمر هم أتباع ابنه الطيب ، إلا من اتبع إمامة الحافظ عبد المجيد فسموا المجيدية ، ولم يبق منهم أحد فى اليمن حتى بعد مدة وجيزة من الزمن .

وإننا نرى أن سجل الآمر[٣] الذى ذكرناه آنفا خير رد على من يذهب إلى القول بأن الآمر لم ينجب قبل موته . ولقد أورد عمارة اليمنى (وهو ليس من أهل الدعوة) هذا

---

(١) النويرى : نهاية الأرب ١٦/٨١ ؛ أبو الفداء : المختصر ٢/١١٤ — ١١٥ ؛ العينى : عقد الجمان ٣/ورقة ٥٥١ ؛ السيوطى : حسن المحاضرة ٢/١٦ — ١٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣/١٠ . نرى أن ابن الفرات (المتوفى سنة ٨٠٧) غير مصيب فى قوله إن جماعة من أتباع الآمرية لا يزالون بالشام ، يعنى فى القرن التاسع ، لأن نفوذهم كان سائدا فى بلاد الشام لفترة من الزمن ، ثم أزاله الغزاريةوأصبحت الشام مجالا حيويا للغزارية.

(٣) عمارة / كاى ١٠٠ — ١٠٢ ؛ عيون ٧/١٩٢ — ١٩٣ ؛ انظر الملحق رقم ٨ .

السجل، كما أورده صاحب العيون نقلا عن مؤرخى الدعوة اليمنيين السابقين. ونحن نرجح قول عمارة اليمنى والمؤرخين اليمنيين لإلمامهم بالحقائق ، وقربهم فى الزمن والدعوة يستحق الترجيح .

وباختفاء الإمام الطيب دخلت الدعوة فى اليمن دورا جديدا يعرف بدور الدعوة الطيبية ، وانفصلت الدعوة اليمنية عن مصر نهائيا ، وأصبحت اليمن هى المركز الرئيسى للدعوة الفاطمية المستعلية الطيبية. واستقلت اليمن عن الخلافة المصرية بعد اغتيال الآمر ، وظلت الملكة الحرة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته والأئمة الفاطميين من قبل. ومما لا شك فيه أن الملكة ورياسة الدعوة فى اليمن كانوا يعرفون مكان اختفاء الإمام الطيب كما يظهر من تقليدها السلطان أحمد بن أبى الحسين بن إبراهيم بن عمر الصليحى بوصيتها إذا وافتها المنية ، أن يقوم بتنفيذ ما جاء فى الوصية ، وأن يوصل كل ما ذكر فيها من مجوهراتها ومصوغاتها على باب الإمام الطيب وأن يأخذ عليها الخط الشريف الإمامى بوصول ذلك .

شخصية الطيب التاريخية

ويقول الدكتور محمد كامل حسين مستندا إلى التاريخ والعقل معا[1] : «فقصة الطيب هذه أقرب إلى الأساطير الخيالية منها إلى الواقع التاريخى . فإن أحدا من المؤرخين [لم يـ] ـذكر وجود الطيب بن الآمر إلا ما نراه فى كتب دعاته . فالصليحيون ودعاة الدعوة الطيبية بعدهم هم فقط الذين تحدثوا عن الطيب بن الآمر، بينما سكت المؤرخون عنه ولم يذكروا حتى اسمه فى كتبهم ؛ بل ذهب المؤرخون إلى أن الجهة التى كانت حاملا عند موت الآمر بأحكام الله وضعت أنثى ، ولكن الصليحيين قالوا بل وضعت الطيب ، وإن السيدة الملكة الحرة كانت كفيلته وأنها سترته فلا يعرف أحد شيئا عنه ! ونحن نتساءل عن سبب ستره مع أن الدولة

---

(١) وبعد أن حررنا ما سبق أرسل إلينا صديقنا الفاضل الدكتور محمد كامل حسين مقالا ، وذلك بدعوة منا ، عن « عقائد الدعوة » ، فله منا الشكر على إجابة دعوتنا ، والعذر على ما أبدينا من آرائنا، خدمة للعلم والتاريخ .

كانت دوله الصليحيين والسلطان فى أيديهم . فلم قبلوا أن يدخلوا إمامهم الستر وأن يخفوه ما داموا يدعون له ويدينون بطاعته وإمامته ؟ يخيل إلىّ أن الصليحيين وضعوا قصة الآمر هذه ، حتى يتخذوها ذريعة للانفصال من سلطان الفاطميين الدينى ، وأن يستقلوا بالنفوذ السياسى والدينى معا . وأوحى دهاء الملكة الحرة وذكاؤها الشديد وحرصها على أن تجمع فى يدها السلطتين السياسية والدينيه إلى أن تقول بأنها كافل الإمام المستور وحجته الكبرى . وسار على نهجها كل داع مطلق فى الدعوة إلى الآن » .

وإننا نرى وجاهة فى رأى صديقنا الفاضل الذى ذكرناه آنفا ، وأن من حق الباحث أن يتساءل ويناقش ويشكّ ، حتى يصل إلى معرفة الحقائق أو ما قرب إليها . وإننا نرى أن ما روى عن الطيب بن الآمر يكتنفه بعض الغموض من حيث مسألة استتار الإمام واختفائه فى ظروف خاصة ، كمسائل أخرى تتعلق باستتار الأئمة الفاطميين . ونقول إن استتار الإمام لا يبقى سترا إذا كانت أحواله وأموره مكشوفة واضحة . والذى يدهشنا أن الآمر لم يعلن ولاية عهد ابنه الطيب فى دار الخلافة بمصر بالرغم مما روى اليمنيون أنه نص على تعيين الطيب للإمامة بعده . ونحن لا نستطيع أن نفسر هذا إلا أن الإمامة يخصها رياسة الدعوة وأهلها ، وأما الخلافه فلم ير أنه جاء الأوان لإعلان ولاية عهده ، واغتيل فجأة .

وبالرغم من ذلك نؤيد وجهة نظر الدعوة اليمنية على أساس وثيقة معاصرة هامة — وهى السجل الآمرى الموجه إلى الملكة الحرة . وهذا السجل أورده المؤرخ الفقيه عمارة اليمنى الحكمى (٥١٥ — ٥٦٩ ؟) فى كتابه تاريخ اليمن . وقد عاش الفقيه فى اليمن ، ثم انتقل فى سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة فى عهد الخليفة الفائز الفاطمى إلى مصر ، ورفض أن يتخذ مذهب الدعوة دينا ، بالرغم من حبه للفاطميين ومغريات المناصب والمكاسب المادية . ولم يكن هذا المؤرخ طيّبيّا ولا مجيديّا بل ولا فاطميّا فى ميوله الدينية ، بل تمسّك بمذهب أهل السنة ، ولكنه كان ملمّا بحقائق الأمور فى المسرحين اليمنى والمصرى . ويزيدنا اعتمادا عليه أنه تحدّث عن الطيب بن الآمر وذكر سجل الآمر الموجه

إلى الملكة الحرة وهو بين أصحاب الدعوة المجيدية المصرية التى كانت تحارب الدعوة الطيبية بكل شدة . فلم يخف عمارة من إتيان الوثيقة فى كتابه ، ولم يتملّق أو يلفّق، بل ذكرها بكل بساطة كعادته . والظاهرة هذه أدنته إلى مشنقة الأيوبيين. فنرى أن علماء الدعوة الطيبية لم ينفردوا بالتحدث عن الطيب الإمام المستور ، بل تحدث قبلهم هذا المؤرخ السنّى الفقيه الثقة الجليل القدر .

والظاهر من رواية المقريزى التى ذكرناها آنفا أن الآمر كان له أولاد غير الذى كانوا يتوقعون ولادته . ولو صحت رواية المقريزى نستطيع أن نقول إن الطيب كان من هؤلاء الأولاد . ولم يذكر أحد من المؤرخين أسماءهم ولا نعرف شيئا عنهم إلا أن المقريزى أشار إلى أن عبد المجيد « كان كفيلا لمنتظر فى بطن أمه من أولاد الآمر » . ولو صحت رواية المقريزى فإنه لجائز أن الأولاد كانوا أناثا ، ولكننا لا نعرف عنهنّ شيئا ؛ ويجوز أن الأولاد كانوا ذكورا . وليس الأمر بعيدا لأن الآمر كان كمثله من خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين لم يقتصر على زوجة واحدة . وإننا نعتقد أن الأمير عبد المجيد كان كفيلا للطيب ، لا لمنتظر من أولاد الآمر . وذلك لأن المقريزى ليس دقيقا دائما فى تسجيل الحوادث .

ولم نعثر فى كتب الدعوة التى تحت أيدينا ما يثبت أن الصليحيين قالوا إن السيدة الملكة الحرة كانت كفيلة الطيب وأنها سترته . ولم يذكر صديقنا المحقق مصادره . ولقد روى مؤرخو الدعوة اليمنية معلومات هامة عن هيئة الدعاة الذين كُلّفوا كفالته وستره ، ومما لاقوا فى هذا السبيل من القتل على أيدى الوزير أبى على بن الأفضل الذى أظهر مذهب أهل السنة بعد أن أقام الدعوة للخليفة المزعوم أبى القاسم المنتظر القائم فى آخر الزمان المهدى . وليس هناك تناقض بين كفالة ابن عم الآمر الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر لخلافة الطيب وبين كفالة الدعاة لإمامته. فقد وجد الأمير بعد خروجه من المعتقل أن الدعاة قد قتلوا ، وأن الطيب قد استتر فى فترة اعتقاله فى السجن ؛ ومن المحتمل أنه لم يكن يعرف ملجأه ولا مثواه ، فأصبح طريقه إلى الخلافة ممهدة ، وأظهر الخلافة والإمامة معا لنفسه ، مع أن هذا العمل ينافى مبدأ الإمامة منذ الفاطميين ويردها إلى القهقرى.

وقد ذكرنا فيما سبق ما قال ابن الفرات عن الآمرية فى الشام واليمن والطيب ابن الآمر ، ولكننا اعتمدنا فى تأييد وجهة نظرنا على سجل الآمر نفسه وعلى تسجيل المؤرخ المعاصر القاضى الفقيه عمارة اليمنى ، وبين هذا وذاك أوردنا تفاصيل ذكرها علماء اليمن .

هذا من الناحية التاريخية . وأما بقية الاعتراض فنقول إن الصليحيين كما أوضحنا لم يخفوا الطيب بل الدعاة فى مصر أخفوه . وإن سلطان الصليحيين فى أواخر عهد السيدة الملكة الحرة أخذ فى الزوال ، ولم يبق فى دولتها إلا بعض الحصون والمعاقل ، وانقرض أمرهم بعد وفاتها . ونسب الأستاذ العليم إلى الصليحيين وإلى ذكاء الملكة ودهائها وضع قصة الآمر هذه « على أن تجمع فى يدها السلطتين السياسية والدينية إلى أن تقول بأنها كافل الإمام المستور وحجته الكبرى» الخ . إذا كانت مملكتها فى أواخر عهدها أخذت تنهار ، فإننا نرى أن قبولها دعوة الخليفة الحافظ عبد المجيد يساعدها على استرجاع بعض نفوذها وفى تقوية سلطتها السياسية إلى حدٍّ كبير ، لأن الفاطميين فى أيام الحافظ عبد المجيد كانوا لا يزالون يملكون أمبراطورية قوية الجوانب . وكان الملك سبا الزريعى استطاع أن يوطّد مركزه فى اليمن الأسفل بفضل مساعدات الخليفة الحافظ وسفيره المقيم باليمن . ولكنها لم تفعل هذا ، بل رفضت دعوى الحافظ ، وهى تعرف أنها تخسر صداقة دولة قوية ، وتعرف أن ما بقى من مملكة الصليحيين تنتهى بعد موتها إذا لم تكسب حلفاء أقوياء ، وبقيت الملكة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته والأئمة الفاطميين من قبله ، وتقول : « حسب بنى الصليحى ما علموه من أمر مولانا الطيب » كما رواه عمارة اليمنى . فهذا يدل على أنها لم تكن ترمى إلى هدف سياسى لما فصلت دعوة اليمن من الخلافة المصرية .

وقد عرفنا من المصادر التاريخية أن ملكتنا السيدة الحرة كانت إمرأة كسائر النساء إلا أنها امتازت بعلمها وفضلها وتقواها وعبادتها حتى فاقت الرجال ، وأنه لم ينسب إليها الكذب والخديعة والغدر والخيانة وما شاكلها من الرذائل . ومن الطبيعى أن سيدة عظيمة كهذه يكون لها ولأمرها أولياء ومؤمنون

يحبونها إلى درجة العبادة ، ويكون لها أعداء يريدون القضاء عليها وعلى أمرها . أضف إلى ذلك أنها كانت ترأس مجتمعا يتمتع بقسط كبير من السؤدد والنسب والإباء والشرف والحرية حتى سميت باسم « سيدة ملوك العرب » . وكان فى هذا المجتمع سلاطين بنى الصليحى وحولان ويام وهمدان واليعابر ذوو بأس وشهامة ، وبالرغم من ولائهم للملكة كانوا يعارضون أحيانا خططها السياسية والحربية ، كما شاهدنا فى معارضتهم للأمير ابن نجيب الدولة مستشار الملكة المصرى ، وفى قول السلطانين الخولانيين ابنى الزر شامتين فى سقوط المستشار المصرى ونصرتها له : « صدق الفقيه فى قوله : قال عبد الله بن عباس : كنا ندخل نسمع الحديث من عائشة ، فلا نخرج حتى نعلم أنها إمرأة » . وكان فى هذا المجتمع اليمنى علماء ومفكرون امتازوا عن غيرهم بمعارفهم الواسعة وتفكيرهم وخبرتهم بأحوال الناس أمثال الشيخ يحيى بن لمك الحمادى والحبر الذؤيب بن موسى الوادعى والسلطان الخطاب الحجورى والشيخ إبراهيم الحامدى وعلماء آل الوليد العبشمى . فإنا نستبعد أن إمرأة مهما بلغت فى الدهاء والذكاء تستطيع أن تخدع مثل هذا المجتمع بأسره ، وفى كل زمان . ولم نسمع أن أحدا من هؤلاء السلاطين والملوك والزعماء والمشايخ والعلماء احتج أو أشار إلى اختراعها هذه « القصة » . ولم نسمع أن ملوك بنى حاتم اليامبين الهمدانيين الذين تحرّروا من اختلاف المذاهب وانفصلوا عن الدعوة الفاطمية ، أو السلطانين الخولانيين سليمان وعمران ابنى الزر اللذين اشتهرا بمعارضتهما للملكة ومستشارها المصرى ، أو السلطان سبا بن أبى السعود بن زريع الجشمى صاحب عدن الذى استماله سفير مصر القاضى الرشيد أبو الحسن أحمد بن على الفسانى الأسوانى[1] إلى دعوة الخليفة الحافظ عبد المجيد ، أو السفير المصرى نفسه الذى كان يحارب الملكة ودعوتها إلى الطيب بن الآمر بمالله وعلمه ،

---

(١) هو أبو الحسن أحمد بن على بن محمد بن الحسين بن الزبير الفسانى الأسوانى . وكان من أهل الفضل والنباهة والرياسة ، كما كان أوحد عصره فى الفقه والرياضيات والهندسة . وله كتاب « الجنان ورياض الأذهان » . وقد قال الجندى : « إنه قدم اليمن رسولا من صاحب الديار المصرية الحافظ ، وأقام فيها مدة وانتفع به وبعلمه كثير من أهل اليمن (بالخرمة : ثغر عدن ٢/٤٠) .

أو غيرهم تكلموا أنها أو الصليحيين وضعوا قصة الطيب هذه .

وقد حاول الأمير عبد المجيد (الخليفة الحافظ) بعد اختفاء الإمام الطيب أن يتصل بالملكة الحرة ، فراسلها ليستميلها إلى قبول خلافته ، وإعلان ولائها لشخصه ، ولكنه أخفق فى جميع محاولاته . وفى ذلك يقول إدريس[١] « .. وكان عبد المجيد يكاتب الحرة الملكة ابنة أحمد حجة الأئمة فى الجزيرة اليمنية ذات الرتبة السنية ، من ولى عهد المسلمين وابن عم المؤمنين » ، ثم كتب إليها : « من أمير المؤمنين » فقالت : « أنا أروى ابنة أحمد ، بالأمس ولى عهد المسلمين ، واليوم أمير المؤمنين . لقد جرى فى غير ميدانه ، وادعى أمرا يبعد عن مكانه » . وأعلمت أهل دعوتها أنه قد نكث عهده وخالف رشده ، وادعى ما ادعاه الظالمون من قبله ، وارتقى لمقام ليس من أهله » .

ولما عجز عن استمالتها أرسل القاضى الرشيد داعيا له باليمن ، فاستطاع استمالة بعض السلاطين بالوعود والمال . ولم تقف عرقلة الحافظ للدعوة اليمنية عند هذا الحد ، بل اتصل ببنى زريع[٢] فى عدن واستعان بهم فى نشر الدعوة باسمه . وكان القائم منهم فى هذا الوقت هو سبا بن أبى السعود بن زريع الجشمى الهمدانى ، الذى نصبه داعيا له فى اليمن . ويقول إدريس[٣] : « وكان السلطان سبا بن أبى السعود يظهر الدعوة إلى الحافظ . . . وقد ذكر أنه لم يجب عبد المجيد ويدع إليه إلا تقية وخوفا . . . لخاف سطوته وصولته وعدوانه ، وإنه كان باقيا على طاعة الإمام الطيب » . فاستاءت الملكة الحرة من عمل عبد المجيد هذا ، وفى ذلك يقول صاحب الأنباء[٤] : « إنه وصل العلم بقتل الخليفة الآمر سنة ٥٢٤ بمصر

---

(١) عيون ٧/٢٠٧ .

(٢) هم رؤساء همدان وهم من جشم ثم من يام بن أصبا . وكان لجدهم زريع بن العباس جهاد واجتهاد فى قيام الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن فى عهد الملك على بن محمد الصليحى وابنه المكرم ، وإليهم يرجع الفضل فى مساعدتهم ضد الدولة النجاحية . ثم ظلوا على ولائهم للدعوة المستعلية بعد وفاة المستنصر (راجع بالمخرمة : ثغر عدن ٤٠) .

(٣) عيون ٧/٢٠٤ .

(٤) أبناء / دار ٤٧ .

وقيام الحافظ بعده ، فأضافت السيدة دعوته إلى الزريعيين » . ويقول صاحب العيون : « ورأت أن الإمساك عنه ، والإغضاء أجدر ، ولم تظهر الإنكار عليه ، تقية من السلطان عبد المجيد .. على دينها ، ورعاية لأهل دعوتها ومملكتها وأهلها »[١] .

فإذا كانت الملكة الحرة هى التى اخترعت أسطورة الطيب ، فلماذا لم ينتهز القاضى الرشيد فرصة وجوده فى اليمن ليبين حقيقة هذه الأسطورة ، فيسهل عليه المهمة التى أرسل من أجلها ؟ ولماذا لم يرسل الحافظ لسلاطين اليمن — الناقمين منهم على الملكة — ليفهمهم مبلغ تجرؤ الملكة على مقام الإمامة ؟ ولماذا سكت المؤرخون اليمنيون المعروفون بكرههم للفاطميين والصليحيين عن هذه الأسطورة ؟

ومهما يكن من أمر ، فإن مجهود الحافظ عبد المجيد وسفيره باليمن قد نجح إلى حد ما ، فضعفت الدعوة الطيبية ، وتفككت أوصال الدعوة الصليحية بسبب هذه المناورات والخلافات .

وليس من المعقول أن الملكة السيدة تخدع الناس كلهم وتخدع نفسها فى أواخر أيام حياتها . وذلك لأن الإمامة مسألة لها خطر وقداسة عند جميع فرق الشيعة . ومما لا شك فيه أنها كانت تؤمن إيمانا صادقا مخلصا بوجود إمامها المستور ، بل تعلم هى وبعض أوليائها مثوى الإمام ومقامه ، كما هو ظاهر فى نص وصيتها[٢] .

استقلال دعوة اليمن عن مصر

ثم إن دولة الصليحيين لم تكن فى يوم من الأيام تابعة سياسيا للدولة الفاطمية ، بل إن حبهم وإخلاصهم لمذهبهم الدينى هو الذى جعلهم يفرضون على أنفسهم تبعيتهم المذهبية للفاطميين . ولم نر طوال مدة حكم الصليحيين أن الخلفاء الفاطميين تدخلوا سياسيا فى شئون هذه الدولة . وعلى ذلك فالملكة الحرة ومن سبقها من

---

(١) عيون ٧ / ٢٠٥ .

(٢) عيون ٧ / ٢٠٩ — ٢١٨ ؛ انظر الملحق رقم ٩ .

سلاطين الصليحيين كانوا مستقلين سياسيا ببلادهم ، ولكن ولاءهم للأئمة الفاطميين فى مصر يجعلهم يخضعون لرغبات أئمتهم صاغرا وكابرا .

أما فصل الدعوة اليمنية عن الدعوة الفاطمية باسم الدعوة الطيبية ، فلم يكن الغرض منه كذلك هو الاستقلال الدينى . ولم تكن الدعوة الطيبية دعوة جديدة ، كما يقول صديقنا الفاضل ، وإن كان هناك بعض الفوارق ، لأنه هو نفسه عاد ، فقال : « . . . إنَّ آراء الفاطميين فى التوحيد هى نفس آراء الدعوة الطيبية » . ثم قال فى مكان آخر : « . . فالعبادتان الظاهرة والباطنة هما أسس المذهب الفاطمى ، وعنهم أخذ الصليحيون هذه الأسس ولم يغيروا فيها شيئا » . فثبت أن دعوة اليمن بالرغم من أنها انفصلت عن الخلافة الفاطمية القائمة فى مصر سياسيا بقيت مستمرة فى عقائدها ومحتفظة بآدابها على ما كانت عليه الدعوة الرسمية فى مصر .

وكانت الملكة الحرة حجة إمامها الفاطمى فى الجزيرة اليمنية ، فلذلك كانت تتمتع بقسط كبير من السلطان المطلق فى أمور الدعوة حتى قبل انفصال الجزيرة عن مركزها الرئيسىّ بالقاهرة . وقد نصبت الملكة الذؤيب بن موسى الوادعى فى حد « الداعى المطلق » ، فأصبح مركزه بذلك عظيما ، لأنه ينوب عن حجة الإمام بل عن الإمام نفسه . وأصبح هو المصدر الذى تستقى منه علوم الدعوة ، فلا نجد داعيا من الدعاة يكتب فى التأويل إلا بعد الرجوع إليه ، بعد أن كان هذا مباحا لعلماء الدعاة فى دور الظهور ، وبعد أن كان باب الاجتهاد مفتوحا كذلك لهم بإذن الإمام وحججه . وأما الآن (دور الستر) فلا يسمح لأحد إلا بدراسة علوم الدعوة وجمعها وتنقيحها ، وذلك أيضا بإذن الداعى المطلق .

السلطان الخطاب بن الحسن الحجورى

عاضد الداعىَ الذؤيب بن موسى الوادعى فى إقامة الدعوة مأذونه السلطان

الخطاب بن الحسن بن أبى الحفاظ الحجورى[١] الهمدانى ، ومركزه فى الدعوة يلى الداعى المطلق الذؤيب . وفيهما قال إدريس[٢] « وهما فى العلم مناره وعلمه الذى لا تخبو ناره » وقال أيضا[٣] : « وكان الخطاب بن حسن أخا الملكة من الرضاع — ذا منزلة جليلة ، وهو أرفع الدعاة بعد الداعى الذؤيب بن موسى ، وعاضده فى إقامة الدعوة الآمرية والطيبية فى أوان الحرة الملكة السيدة الصليحية وبعد وفاتها ؛ وكانت له عندها مزية جليلة ومرتبه وفضيلة . وهو من دعاة أيام الظهور والستر » . وكان الخطاب معروفا بالفضل والعلم والشعر والحكمة ، وبالبأس عند الشدائد والإقحام فى الحروب ، وبالورع والزهد ، وبالملك والسؤدد[٤] .

وقال بامخرمة وإدريس نقلا عن صاحب المفيد[٥] : « ومن شعراء اليمن المجيدين الخطاب بن الحسن بن أبى الحفاظ » وله ديوان شعر[٦] ، فهو من الشعراء المعروفين فى اليمن . وقد شاركه أخوه الأكبر سليمان بن الحسن الحجورى فى هذه

---

(١) حجور حى من همدان ، وهم ولد حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب ابن جشم بن حاشد . وحجور حى عظيم باليمن والشام والعراق يقارب نصف حاشد . ومنهم بنو الصليحى ببيت الأخروج ، وهم من بنى عبيد بن أوام بن حجور (هامش العيون ٧/٢٢٢ ؛ إكليل ١٠/٩٧ — ٩٩) والخطاب من ولد حريث بن شراحيل ثم من ولد مولة بن حجور ثم من قدم من ولد عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد . . ابن حران بن نوف بن همدان (إكليل ١٠ / ٩٧ — ٩٩ ؛ عيون ٧ / ٢٢٢ ؛ نزهه ١/٨٦) وذكر أبو محمد الهمدانى فى صفة ١١٣ بلاد حجور من جبال حاشد ، وقال حجور أربعون ألفا . وفى انتسابه إلى حجور يقول الخطاب (د الخطاب ١١١) :

قومى حجور جناح لى أطير به ... وأهل عزى من دون الورى قدم
لا يبدلون لرسم حين أرسمه ... ولا أبدل رسما غير ما رسموا

(٢) عيون ٧ / ٢٢٢ .

(٣) نفسه ٧ / ٢٢٦ .

(٤) وذكر إدريس (٧ / ٢٢٤) نقلا عن عمارة اليمن فى كتابه المسمى بأنموذج ملوك اليمن مايوصف من أحكام السلطان الخطاب صاحب مدينة الجريب وفطنته وذكائه فى معرفة القضايا التى كانت ترفع إليه .

(٥) بامخرمة : قلادة النحر ٣ / ٢ ورقه ٦٣٥ — ٦٣٦ ؛ عيون ٧ / ٢٢٢ . والظاهر هو كتاب المفيد لعمارة .

(٦) مخطوط ديوان الخطاب محفوظ بالمكتبة المحمدية الهمدانية . وسنذكر مصنفاته فى الباب العاشر .

الناحية الفنية . وقال إدريس[١] : « إن ديوان سليمان معروف جيـــدا ولا يزال موجودا »[٢] . وقال إدريس[٣] نقلا عن مؤلف ديوانهما : « إن الخطاب وسليمان كانت لهما معرفة قوية حتى عرفا باسم « مِقْوَلَىْ قحطان »، وأجيز لسليمان فى ست مئة كتاب قراءة ، ولأخيه الخطاب فى أربع مئة، وركب سليمان أيامه فى ثلاث مئة فارس ، وركب الخطاب أيامه فى خمس مئة فارس » .

ومعظم قصائد الخطاب كانت فى مدح آل بيت الرسول والأئمة ، وفى الحكم والحقائق ، وفى الرد على المعترضين على الدعوة ، والمفاخرة . ولم يمدح أحدا من معاصريه إلا الحرة الملكة ابنة أحمد « وصاحب الرتبة السابق » (ولم يذكر اسمه) ، وهذا على سبيل الاعتراف بالجميل وتلقى العلم . ولعله يريد بالسابق الذؤيب بن موسى الوادعى .

ونورد هنا بعض الأبيات التى تشف عن أسلوبه فى الشعر ، وولائه للملكة الحرة وللأئمة الفاطميين بمصر ، وعقيدته فى النظام الفكرى الفاطمى ، وإخلاصه وحماسته للدفاع عن حوزة الدولة الصليحية ، والتى تلقى ضوءا على شخصيته الفذة ، فلنقتطف من غر قصائده الأبيات الآتية[٤] . قال :

مَلِلْتُ بدار الحِسِّ طولَ ثَوائى ... وسجنى وتعذيبى بها وبلائى
وجَمْعَ لطيفى بالكثيف ولَزَّه ... إليه لإشقائى وطول عنائى
ومالى سِوى فوز المَعَاد إرادة ... وخلْعى من الأجسام كلّ غِشاء
لَعَلّى بدار القدس أرجع كالذى ... وجدت به من عزّة وعلاء

---

(١) عيون ٧ / ٢٢٣ .

(٢) ذكر الأصبهانى فى خريدة القصر (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٣٣٢٩ ورقة ٢٧٥) سليمان بن أبى الحفاظ من شعراء اليمن ؛ وأورد بيتين من شعره :

كنتم تمنون ريحاً أن يهب لكم ... من النسيم ولو يومين تتصل
فجاءكم مثل ما عاد به هبلت ... من العقيم التى عاد بها هلكوا

وقد بحثنا عن ديوان سليمان بدون جدوى .

(٣) عيون ٧/٢٢٣ — ٢٢٤ .

(٤) وقد لخص ستروطمان فى Miscellany ١٣٨ — ١٣٩ موضوعات هذه القصيدة .

ولألاء نور واقتدار وغبطة ... ومحض جلال باهر وسناء
حننت إلى تلك المقامات والتقى ... فؤادى بحرّ الشوق والبرحاء
أرى الموت جسرا والأحبة خلفه ... وعابره من أسعد السعداء
وهل يكره الموت امرؤ متعلّق ... بعروة إخلاص وحبل ولاء
غداراضيا فى كلّ أمر مسلّما ... لمولاه دينا ليس فيه يُرائى
نَحَضْتُ لإخوانى صريح نصيحة ... تعرّفهم أنى من النصحاء
وأودعتها روحا من القدس ساريا ... إلى كلّ داء منهم بشفاء
وذلك أنّى قد بلَوْت فلم أجد ... مذاهب هذا الخلق غير هباء
سراب كما قال الإله بقيعة ... تراءى لقوم مُضْجرين ظِماء
ولا شىء إلاّ ماعلقتم بحبله ... وعروته للعترة النجباء
ألا واغسلوا من كلّ حقد قلوبكم ... عليكم فداءُ الحقد أخبث داء
ولا تجعلوها للحقود أوانيا ... فإنّ إناء الحقد شرُّ إناء
وإيّاكمُ والكبرَ والحسد اللذَيْن هدّا من الإيمان كلّ بناء
دعوه وسوءَ الخلق والعجب أنها ... خلائق أعداء لكم لُعَناء
فلا تستهينوا بالحدود وعظّموا ... مقامات تلك الصفوة العظماء
تَلقَّوْا بحسن السمع والطوع أمرهم ... بما جاءكم لو جاءكم بفَناء
ولا تسألوا لم ذاك ، وارضَوا وسلّموا ... بغير اعتراض منكمُ ومراء
فتلك صفات المؤمنين وسَمْتهم ... وسيرتهم نقلا عن العلماء
ورأى لكم أن لا تُخِلّوا بشرطها ... إذا كنتُمُ ممّن يُصوّب رأى[1]
بذلت لكم نصح الأمين لأننى ... على كلّ خُلصان من النصحاء
فمن شاء فلْيأخذْ ومن شاء فلْيَدَعْ ... نصائح لم تبذل لأخذ كفاء

(١) رأى : رأيى .

ولا طلباً للشكر من آخذٍ بها ... ولا الذكر لى أنى من الفصحاء

لَحَبت بها الطموس من سبل الهدى ... لحيران فى تيه الضلالة نائى

وأيقظتُ من نوم الجهالة أنفساً ... إن استيقظتْ لى أنفس الجهلاء

عسى تنجلى منهنّ نفسٌ صدية ... بصقلى وتهذيبى بها وجلائى

فيصبغ إكسيرى مهيّأ ذاتها ... صباغاً به تضحى من البلغاء

وتخلص من سجن الهيولى الذى غدتْ ... بظلمائها فى جملة السجناء

ولن يدرك الحال الذى أنا واصفٌ ... فتىً ليس معدودا من العقلاء

أريد به عقل المعارف ، لم أرد ... به عقل طبعٍ ذا عمىً وعَياء

شبيهاً بعقل فى البهائم همُّهُ ... دفاعُ مضرٍّ واجتلاب غناء

فمن كان مهتزاً لما أنا واصفٌ ... به فليلازم سنّة الفضلاء

ولا يعتمد خرق الشريعة تابعاً ... بذلك أضداداً من القدماء

وسمّوه ديناً عندهم وادّعوا به ... مقاماً وشدّوا أيدياً بهواء

وأوّلَ كلٌّ منهُمُ بقياسه ... له من كتاب الله عدّة آئى

ألا كل من هذا السبيلُ سبيلُه ... فإنّى له من أبغض البغضاء

وقالوا كذا قول الأئمة واعتزوا ... إليهم بمكْر منهم ودهاء

لقد قال إفكاً فى الذى قال عنهم ... وزوراً مبيحا منهم لدماء

وأجفل عنهم ذا السواد الذى غدا ... كمهمل مَعْز فى الغلاء وشاء

به امتدّتَ الأيدى إليهم وأصبحت ... رعاياهم فى جملة النظراء

نوافر من راعٍ شفيق يصونها ... فتضحى وتمسى فى كلاً وكِلاء

ويوردها العذب الفرات وشربها ... أمين ويسقيها بحوض رَواءِ

وما يتّقى بطشَ السباع رعيّة ... تشيع من أشياعه بِرِعاء

وما ذاك إلاّ زُبْد مَخضهم الذى ... له مَخَضوا فى الكفر شرّ سقاء
أبا ليس من نسل ابن مرّة أصلهم ... تسمّوا لمن كادوه بالخلفاء
عليهم شعار المؤمنين وسَمْتهم ... وسيماءُ قومٍ جلّةٍ حُلَماء
أضلّوا بما جاءوا فريقىْ غوايةٍ ... وأدلوهم فيها بغير رشاءِ
فريقاً نحا ما قد نحوه مقلّداً ... عقول أولاك السادة الكبراء
وثانٍ رماهم والإمام الذى اعتزوا ... إليه من الفحشا بكلّ خَناء
وأصبح من يدعو إليه لديهم ... تهيماً بهم من جملة التهماء
تبادره الدهماء فى كلّ مشهدٍ ... وترميه من شَتم بكلّ بَذاء
حلفت بمولاى الذى كفروا به ... وهم مُدّعو نصح له وصفاء
لأنهم بالقتل من كلّ حيّةٍ ... أحق ولا كانوا من الشهداء

وقال يخاطب أهل الدعوة فى أنحاء اليمن[1] :

أبلغا لى تحيّتى واغنما الشكْـ ... ـر كثيراً يا أيّها الراكبانِ
مَنْ ثوى ساكنا بصَنْعاء فالبَوْ ... نِ فما بينها إلى نَجْرانِ
فإلى حازٍ فالبوادى فعِزّا ... نٍ فعالى الذّراءِ من كَوْكبانِ
فَشِبامٍ فمَسْوَر فإلى الغَرْ ... بِ [فـ]من حمير ومن هَمدانِ
مؤمنيها خُصّا ذوى الاعتقادا ... ت التى لاتزول والأديان
كلّ صافى اليقين مُوفٍ ربما عا ... هَدَ لله مخلص الإيمان
صَفْو صفو الأفلاك لُبّ الهيولىَ ... من قديمٍ وزبدة الأزمانِ
أنْ سلامٌ عليكمُ أولياءَ اللّـ ... ـه حقاً ياشيعة الرحمنِ
هل أتاكم ما كان منى من الكشْـ ... ـف لأهل الضلال والطغيانِ

---

(١) د الخطاب ١٠٥ — ١٠٧ .

وقيامى بدعوة الآمر المنصور جهراً فى موضعى ومكانى

فنفَيتُ الأصنام والجَبْت والطا غوت عنها وسائر الأوثانِ

وأيضا يذكر ما أقام من الدعوة إلى الآمر بأحكام الله الفاطمى وإقامة الخطبة له وباسمه وضرب السكة حيث يقول[1] :

حرامٌ علىّ النوم غير غِرارى يلمّ بجفنى بعد طول نفارِ

وأظهر أعلام الهدى مستطيلةً أشعة أقمار بها وذرارى[2]

وأظهر للمنصور مولاى دعوةً موطدّة فى مسكنى وقرارى

وأعلنها كشفا بغير تستّر وأكشفها جهرا بغير سرارِ

أمثلى يلهيه فيلهو بلذّة ترنّم أوتار وشرب عُقارِ

ويرضى بما يرضى به من معيشة من الناس فى دنياه كلُّ حمارِ

فمن مُبلغ مولاتنا ابنة أحمدٍ نهايتىَ القُصْوى وقطب مدارى

سلامى وإلمامى وزاكى تحيتى وإن بعدت دارى وشطّ مزارى

أمولاتنا حقّت لديك نصيحتى حقيقة علم ليس فيه تمارى

وما كان من كشفى القناع لمذهبى جهاراً فلم أخش العدا فأدارى

خطبت لمولانا وأظهرت سكةً عليها اسمه طارت بكل مطارِ

لدى معشر حبل الضلالة عندهم مغار وحبل الدين غير مغارِ

وفارقت أولادى وأهلى وما حوت جميعا يدى من فضّة ونُضارِ

ورُمت رضا المنصور فيما أتيته إذا فارقَتْ درّى قشورُ صُحارِ[3]

---

(١) لا توجد هذه القصيدة فى نسخة ديوانه الموجودة فى مكتبتنا المحمدية الهمدانية ، فنقلنا هذه الأبيات من عيون ٧/ ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٢) وفى رواية : مستطيرة أشعة أقمار لها البيت .

(٣) صحار ، بلد فى أرض حجور فى سراة اليمانى (صفة ٦٩ و٧٢) .

فهل لى يامولاتنا منك عاضد ... معين به يضحى زنادى وارى
أمولاتنا لا تتركينى بقفرة ... وحيداً لأعدائى تروم دمارى
وقومى بأمرى والحظينى بلحظة ... فلحظك غادٍ بالسعادة جارى
ولى غرض لا بدّ لى من مناله ... بلا رقبة منى ولا بحذارِ
سأمضى لها عزمى فإمّا منيّة ... تحين بفكّ من وثاق أسارى
وأنْ لا علَتْ بى دعوة آمريّة ... بها وإليها نسبتى وشعارى

الحرب بين الخطاب وإخوته

وكان الخطاب يسكن مع إخوته فى مدينة الجريب[٢] . وبعد وفاة أبيه حدث نزاع بينه وبين أخيه الأكبر سليمان الشاعر ، أدّى إلى قيام حرب بينهما دامت مدة طويلة من سنى الخمس مئة إلى أربع عشرة وخمس مئة . فغلب الخطاب على الأمر وجعل الجريب مسكنه ومقر مملكته . ويذكر إدريس[٣] نقلا عن مؤلف ديوانهما أن « سليمان ركب أيامه فى ثلاث مئة فارس ، وركب الخطاب أيامه فى خمس مئة فارس . وانتزح عنه سليمان إلى قومه من حجور بنى أفلح بالعَرِق[٤] ، ثم إلى الأمير أبى الغارات على بن يحى بن حمزة بن وهاس السليمانى بالساعد[٥] ، ثم إلى الحبشة آل نجاح بزبيد وإلى قوّادهم الفواتك مفلح ومنصور بن مفلح ومنّ الله وإسحاق بن مرزوق وأبى محمد سرور وأحمد بن مسعود الجزلى ، فجيش مستنصرا بهم على أخيه ، فاستغار بغارات عليه » . ولكنه لم يتمكن من أخذ البلد الجريب ، لأن الخطاب تعلق بآل الصليحى بذى جبلة أيام الحرة الملكة السيدة ابنة أحمد .

---

(٢) عيون ٧ / ٢٢٢ : الحريث . والصواب الجريب كما جاء فى د الخطاب ونزهة ١ / ٠٨٦ وهو بلد فى سراة قدم وسوقهم الأعظم يتسوقه يوم وعده مايزيد على عشرة آلاف إنسان ؛ والجريب من بلاد حجور هى سوق لأهل تهامة وعثر وجميع بلد همدان كما ذكرها أبو محمد الهمدانى فى صفة ٦٩ و١١٣ .

(٣) عيون ٧ / ٢٢٤ .

(٤) كذا فى عيون ٧ / ٢٢٣ . وفى صفة ٦٩ و ١١٣ : العرقة بلد فى سراة قدم .

(٥) سبق أن ذكرنا نسب الأشراف السليمانيين القاطنين بتهامة عير فى ص١٥٢ .

وأخيرا تمكن الخطاب من سليمان فقتله غيلة ، رماه بحربة تسمى المريحة ، ولبث فى الأمر بعده وبعد قتل أخيه أحمد بن الحسن[١] . وكان أحمد بن الحسن « قد قتل أختهما جميعا ظلما وعدوانا ؛ وكانت امرأة مؤمنة صالحة »[٢] . فيدل قول إدريس على أنها كانت تميل إلى الدعوة وتنسب إلى حزب أخيها السلطان الخطاب ، فلذلك قتلها أخوها أحمد بن الحسن . ويظهر أيضا أن أحمد بن الحسن احتضنه أخوها الأكبر سليمان لا لحبه ، بل لبغض الخطاب . وذلك « ذنبه الذى فرق بينه وبين أخيه سليمان »[٣] وأدّى هذا النزاع إلى الحرب بين الخطاب وإخوته وطرده إياهم من مقر مملكة أبيهم السلطان الحسن بن أبى الحفاظ الحجورى — الجزيب . وهناك سبب آخر أكثر خطورة من قتل أختهم الحرّة البرّة . وهو انتساب السلطان الخطاب إلى الدعوة وحماسه فى تدعيمها ونشرها فى اليمن . وفسر صاحب العيون حربه لإخوته قائلا[٤] : « إنهم كانوا مخالفين له فى المذهب والسيرة ، مباينين للدولة الصليحية مناصبين لها ، كثيرى البغى على الخطاب » . وقد تفاقم الخلاف بين الإخوة بسبب التجاء سليمان إلى أعداء الدولة الصليحية وخصوصا الألد منهم آل نجاح بزبيد . ومع ذلك كان الخطاب متألما بهذا النزاع الدموى بينه وبين من يربطه الرحم حيث يقول متضرعا إلى الله[٥] :

يامن رضيتُ مسلِّما لقضائه ورضيت حُكمهُ
وعلمت أنّ جميع ما يأتى به عدلٌ وحِكْمَهْ
مولاىَ كم من نعمة أوْليتَنى فى زىِّ نِقمَهْ
فافرُجْ بمنِّك عن وليِّـــك مُسرِعا ماقد أغمَّهْ

---

(١) عيون ٧ / ٢٢٣ .
(٢) نزهة ١ / ٨٧ .
(٣) نفسه .
(٤) عيون ٧ / ٢٢٦ .
(٥) د الخطاب ١١٨ — ١٢٠ .

وارْحمْ تضرّعه ونفّسْ كَرْبَه عنه وغمّهْ
وانصرْه نصراً يستقيـــد من العدا عاصي الأزمّهْ
وأذِلْه منهم إنهّم أعداءُ غَدْرٍ للأئمّه (١)
لا يحفظون لمؤمن عهداً ولا يرعون ذمّهْ
فترى الولىّ بهم حليـــف كآبةٍ وأخا مهمّهْ
تطوى محامده بهـــم وتشيّعُ الأنجاس ذمّه
لو يعضـــدون بقوّة لتقاسموا دَمَهُ ولحمَه (٢)
لاينظرون له وَشيـــجَ قرابةٍ وأكيدَ حرْمَهْ
قد صـــيّروا إيمانه وولاءه لله حـــرْمَهْ
فتألبوا غَصْبًا عليـــه وأكثروا بالغيب رَجمه (٣)
ورَموْه عن قوس العدا وَة طالبين بذاك ظُلمَه
متناصرين عليـــه يُطْـــلق كلهم بالكيد سهمهْ
فإليك يا مولاىَ يَدْ عو رافعا يده ووَهْمَه
متوسلا بمن ارْتضَيْـــت من الهداة المستئمه (٤)

فترى أن السبب الحقيقى الذى أدّى إلى الحرب بين الإخوة كان النزاع حول « إرمهم » الجريب عاصمة بلاد أبيهم السلطان الحسن بن أبى الحفاظ الحجورى .

أقسمت بالله رب الناس كُلهمُ أن الجريب لمشكالٌ لساكنها
لكننا قد نراها أنها « إرمُ » (٥)

وقد اشتدّ الخلاف كما ذكرنا آنفا بمقتل أختهم الصالحة ، ثم بالتجائهم إما إلى الصليحيين أو إلى النجاحيين ، فصار الخلاف سياسيا ؛ ثم أخـــذ

(١) هامش الديوان : أداله الله من عدوه أى جعل له الدولة عليه .
(٢) فى رواية : لم يعضدوه بقوة . (٣) تألبوا عليه أى اجتمعوا عليه .
(٤) المستئمة أى الداعية إلى الأئمة . (٥) د الخطاب ١١٣ .

صبغة دينية ، وقد تغالى الفريقان فى حب الأباعد وبغض الأقارب ، فيقول الخطاب مفتخرا بموالاته للأئمة[١] :

وأقصوا مناويهم ولو كان والدا
أو ابنا وخصّوه بكلّ جفاء
ووالوا مواليهم بصفو محبّة
ولو أنه من أبعد البُعداء

فهكذا نرى كثيرا من الحوادث فى تاريخ اليمن ترجع إلى أسباب شخصية أو سياسية ثم تنتهى إلى التحزب المذهبى والتعصب الدينى وتأليب المسلمين بعضهم على بعض . فياحبذا لو اجتمع الأخوان سليمان والخطاب — مقولا قحطان — واتحدت قواها وائتلفت مواهبهما فى إعلاء كلمة قحطان !

وقد انتصر الخطاب على إخوته وكان الانتصار فى الحقيقة فشلا وهزيمة . وأراد أن يتدارك بعض ما ذاته من أهل بيته وصلة الرحم : فضم إليه أولاد أخيه سليمان وآواهم وقام بأمرهم ورباهم . فلما كبروا أطفأهم بعض الناس وذكروهم مقتل أبيهم سليمان وإدراك الثأر . ففتكوا به على غرة وقتلوه بمضجعه[٢] .

ووجدت بعد مقتله قصيدته الميمية[٣] التى كان قد قالها وكتبها قبل وفاته ، مطلعها :

الدهر يعتد ما يجرى به القلمُ[٤] والمرء يلحقه النعماء والألمُ[٥]

ومنها :

يا أيّها الناطق الناهى يحذرنى إنّ الحذير من المقدور محترمُ
إن كان قد حلّ حقّا ما أحاذره فليس لى من قضاء الله معتصمُ[٦]

---

(١) د الخطاب ٥١ .
(٢) ولم يمت الخطاب فى ميدان القتال ، كما ذكره ستروطمان فى Miscellany ١٣٦ .
(٣) الخطاب ١١٠ — ١١٥ ؛ نزهة ١ / ٨٨ — ٩٠ .
(٤) رواية نزهة ١ / ٨٨ : يتبع ما يأتى به القلم .
(٥) كما فى نزهة . ديوان : تحفظه . (٦) نزهة : إن كان حقاً قضى ما كنت أحذره .

كم مُفسد مردٍ لم يدر ذى مَرَح ... إلا وقد حلّ من بأسى به النقمُ
كم من أعاد ذمَرْتُ الخيلَ نحوهم ... بكلّ أروع فى عرنينه شَممُ(١)
حتى تركتهم والناس قولهمُ(٢) ... كانوا وكان لهم عزّ له حَرَمُ(٣)
فإن أصِرْ مثل ماقد صيرته يدى ... فالله أكبر وهْوَ العادل الحكمُ
ولستُ أجزع من موتٍ على كرم ... وذاك أكرم شىء فاسمه الكرمُ
أقسمت بالله ربّ الناس كلهم ... بارى الأنام ومن يُخشَى به القسمُ(٤)
أنّ الجريب لمشكالٌ لسا كنها ... لكننا قد نراها أنها إرَمُ
هذا لآخر منا من يحلّ بها(٥) ... فسوف يبقى على أفعاله الندمُ(٦)
يا أيها الدهر كم تلهو بغرتنا ... أشكو إلى الله دهراً ليس يلتزمُ(٧)
وهكذا الناس دنياهم تبددهم ... وهكذا قد مضى من قبلنا أمَمُ
ويذهبون شتيتا فى الورى مِزَقا ... بين البرية لا عُرْب ولا عَجَمُ

ويظهر أنه قال هذه القصيدة وكان ألمه أشد ما يكون بعد وفاة الملكة الحرة ، وكانت هى قطب مداره ، فوجد نفسه «وحيدا بقفرة لا تلحظه بلحظاتها ولا تقوم بأمره » . وظل الخطاب يعاضد صاحب الرتبة السابق الذؤيب بن موسى الوادعى بعد وفاة الحرة الملكة فى إقامة الدعوة حتى وافته المنية .

---

(١) ذمره الرجل أى حضه على الأمر ليجد فيه . وفى رواية : زممت الخيل نحوهم وكل أروع البيت . والأروع الشهم الذكى الفؤاد ومن يعجبك بجهارة منظره .
(٢) كما فى نزهة . ديوان : حتى تركت يقول القائلون لهم .
(٣) نزهة : له كرم .
(٤) كما فى نزهة . ديوان : بارى النفوس يحيى به السقم .
(٥) نزهة : من يقيم بها وسوف يبكى البيت . وفى هامش نزهة : قوله قس لآخر منا من يقيم بها فصل فيه بين المضاف وهو قوله لآخر وبين المضاف إليه وهو قوله من يقيم بها ، فصل بينهما بقوله منا .
(٦) نزهة : وسوف يبكى البيت .
(٧) كما فى نزهة . ديوان : ليس ينصرم .

مآثر الملكة أروى الجليلة

وإذا كانت الدول الناهضة فى العصر الحاضر تعمل على تنمية اقتصادياتها بشتى الوسائل ، لإسعاد شعوبها وتوفير الرخاء لأكبر عدد من سكانها ، ورفع مستوى المعيشة بين أفرادها ، وهى بذلك لاتدع ناحية من نواحى الإنتاج إلا أولتها عنايتها المرموقه لتصل إلى هدفها المنشود ، فتهتم بالزراعة والصناعة والتجارة والمواصلات . ويعتبر هذا العمل من قبل هذه الدول عملا مشكورا ، كما يعتبر من أهم الأسباب التى تساعد على تقوية مركز الحكومات فى نظر الرعايا . فإذا كان مدى تقدم الدول الآن يقاس بمقدار ما تقدمه الحكومات من إصلاحات فى سبيل رفع مستوى المعيشة للشعوب ، فإننا نقف معجبين عند ما نعرف أن ملكتنا الحرة السيدة أروى بنت أحمد ، قد سبقت الحكومات المتحضرة المعاصرة فى اهتمامها لتنمية اقتصاديات اليمن ، فقد اهتمت الملكة برعى المواشى وتحسين النسل لكى توفر للشعب بمختلف طبقاته اللحوم والألبان ، بل توفر القوة والغنى . فقد أثر عنها أنها وقفت أراضى واسعة فى نواحى جبلة وحقل قتاب ، تصرف غلاتها فى شراء الفحول من البقر كما أوقفت أراضى كثيرة ثمينة خصبة لرعى المواشى ، وهذه الأوقاف لا تزال موجودة إلى الآن ومعروفة باسم « صلبة السيدة » . حدث هذا فى العصور الوسطى مما يدل على أن الملكة أروى سبقت فى تفكيرها ووعيها دول العصر الحديث التى تعمل بشتى الوسائل على تنمية اقتصادياتها ، وتصرف الأموال الطائلة فى سبيل ذلك .

وشىء آخر لا يقل أهمية عما ذكرنا يدل على سبق ملكتنا فى تفكيرها لعصرها ، وهو الاستعانة بالمستشارين من الدول الأخرى ، على الرغم من وجود شخصيات وزعماء وسلاطين ممتازين فى بلادها . فقد أثر عنها أنها أرسلت إلى الخليفة الآمر تطلب منه إرسال أحد رجاله المشهود لهم بالكفاية والقدرة ، وأجابها لذلك بأن أرسل إليها ابن نجيب الدولة[1] ، وهذا ما تفعله الدول فى العصر

---

(١) انظر ص ١٦٨ .

الحديث، فتستعين بالخبراء الأجانب، على الرغم من توافر رجالها الممتازين وتقدمها فى مضمار الحضارة.

وعرفت الملكة كذلك أن التجارة تعتبر مرفقا هاما من مرافق الاقتصاد الوطنى، وأن هذا المرفق يعتمد على المواصلات التى تعتبر الدعامة الأولى لتسهيل نقل التاجر، فعبدت الطريق من رأس جبل سمارة (نقيل صيد فى عهدها) إلى السيانى على مسافة ثلاثة مراحل. ويعتبر هذا أول الطرق الزراعية المهدة فى اليمن ومن أفيدها إلى الآن.

وأولت الملكة عنايتها لحركة التعمير والبناء التى تعتبر دعامة قوية من دعائم استقرار الحكم ورضا الشعوب، فأنشأت الكثير من المدارس، ومنها مدرسة لتدريس الصحيحين بذى جبلة، وأنشأت المصالح العامة المتعددة. وبنت المساجد، فهى التى وسعت جامع صنعاء الجناح الشرقى منه وصححت عمارته وزينته، وأمرت أن يكتب فيه أسماء جميع الأئمة من على بن أبى طالب إلى إمام عصرها وأثبتت ذلك فى الحائط القبلى من المسجد الجامع، وكان اسمها مكتوبا على الأحجار البيضاء التى بين أبواب الجامع، ولكن العصبية لم تترك من الكتابة غير البسملة[1]، وأعيد بجص وأشراس فى دولة الملك حاتم بن أحمد اليامى الهمدانى ثم كشط فى عهد دولة آل يحيى من الأشراف[2]. وبنت كذلك مسجد الضَّرْبة فى بلاد يريم، والمسجد الجامع فى جبلة؛ ولها علاوة على ذلك أعمال جليلة وآثار باقية لا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمر.

كان من نتيجة سياستها الرشيدة ومنحها لرعاياها حرية العقيدة أن أصبحت سمعة اليمن عالية، لعمل الحاكم لمصلحة الشعب وإتاحة الفرصة لجميع الكفايات أن تشترك فى بناء هذا الوطن، ولأن السيدة اعتبرت أن اليمن ملكا للشعب لا لنفسها ولا لأسرتها فقط، فقامت «فى أرض الله، لا لعلو، أو لما يستفاد».

---

(١) عيون ٧ / ٢٨٨.

(٢) نفسه؛ انظر الملحق رقم ٩.

وصية الملكة

وقد أورد صاحب العيون فى السبع السابع من كتابه وثيقة هامة هى وصية السيدة الملكة[١]. كتبتها قبل وفاتها بسنة، أى سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، وعهدت عهدها، وأجرت علامتها، وأخرجت جميع الأشياء التى ذكرت فى الوصية، وعاينها شهود، « وإنما فعلت السيدة ذلك قربانا تقرّبت به إلى إمامها الطيب لما ترجوه من ثواب الله، وتأمله من رضوانه، ولأن تكون يوم الفزع الأكبر من الآمنين، يَوْمَ لا يَنْفَعُ مال ولا بَنُون إلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ[٢]. وجعلت السيدة الملكة ولى وصيتها، والقائم بها والمنفذ لها، السلطان أحمد بن أبى الحسين بن إبراهيم بن محمد الصليحى، وأن يقوم بتنفيذ ما جاء فى الوصية، ويوصلها بجملتها إلى باب الإمام الطيب، ويأخذ عليه الخط الشريف الإمامى بوصول جميع ذلك. وقبل السلطان أحمد بن أبى الحسن إبن ابراهيم بن محمد الصليحى ما أسند إليه.

وفاة الملكة الحرة

وفى غرة شهر شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة توفيت الملكة الحرة عن اثنين وتسعين سنة من العمر، ودفنت فى جامع ذى جبلة أيسر القبلة، فى منزل متصل بالجامع. وكانت هى التى تولت عمارة هذا الجامع، وهيأت موضع قبرها فيه[٣] وذكر إدريس[٤]: أن بعض ملوك اليمن أراد أن يخرج جثتها من قبرها حين ظن بعض الفقهاء كونها فى الجامع. ففتحوا عن قبرها حتى انتهوا إلى التابوت، فوجدوا فيه قفصا مقفلا ففتحوه، فأصابوا فيه كتبا وأحكاما تشهد أنها استثنت فيه ذلك المنزل الذى دفنت فيه عن المسجد لقبرها فيه، ووجدوا بذلك علامات القضاة وشهادة

---

(١) عيون ٧ / ٩٠ ٢ — ٢١٨؛ انظر الملحق رقم ٩.
(٢) نفسه ٢١٨. (٣) نفسه ٢٢٨. (٤) نفسه ٢٢٨.

الشهود الثابتة عند الحكام . فردُّوا قبرها على ما كان عليه وردُّوا تربته وحجارته إليه.

ويقول إدريس[١] : « وقبرها إلى اليوم ، يزوره جميع فرق الاسلام ، ويعترف بفضلها الخاص والعام ، ويأتى إلى قبرها من أصيب بظلم ، أو حاجة أو علة فى بدنه ، أو بليَّة ، فيتشفعون بها إلى الله تعالى فى كشف ما انتابهم بفضلها » .

وقد رثى الملكة الحرة بعد وفاتها كثير من الشعراء . فزار قبرها القاضى حسين ابن عمران بن الفضل اليامى فى ذى جبلة ، وقال قصيدة جاء فيها[٢] :

وقفت على قبر الوحيدة وقفةً ... وقد زين منها مسجدٌ وستورُ

فقبلتُه واستَفت رَيَّا ترابه ... وعاودَ قلبى رنَّةٌ وزفيرُ[٣]

وسالَتْ دموع العين منّى كأنها ... بشطٍّ مجارى المقلتين سطورُ

ولله منها روحُ قُدْسٍ تميزّت ... فصارتْ بأعلى الدائرات تطيرُ[٤]

خلا القصرُ فى ذى جبلةٍ من مكارم ... يحنّ إليها بائس وفقيرُ

ومن جود بحرٍ بالعطايا نواله ... على معتفيه عسجدٌ وحريرُ

ومن دَرْسِ ماضمّ الكتابُ وبعده ... صلاةٌ وتسبيحٌ معاً وطُهورُ

وما سمعتْ أذنى ولا راعَ ناظرى ... تجاوبُ قينات بهنّ وخمورُ

ولو كان داعى الموت يَثْنيه دونها ... قبيلٌ وينجى من سطاه عسيرُ

لقام له من حِمْيرٍ كلُّ أرعن ... سحاب المنايا حيث حلّ مَطيرُ

وصار له من صِيد كَهْلانَ جحفلٌ ... تسير الجبال الشُّمُّ حيث يسيرُ

ولو حال دون الموت عنها مبلَّطٌ ... منيعٌ يردُّ الطَّرْف وهو حَسيرُ

---

(١) عيون ٧/ ٢٢٨ .

(٢) نفسه ٧ / ٢٢٩ .

(٣) ساف الشىء يسوفه ويسافه سوفا وساوفه واستافه كله شمه ، والاستياف الاشتمام (ل / سوف) .

(٤) يريد بالدائرات الدرجات فى المعاد .

لكان لها فى حصن قَيضان مَعقلٌ ... تُقصِّر عنه فى العلوِّ طيورُ (١)

ولكن أبى إلاّ خفيّا بشخصه ... حقيرٌ وما يسطو عليه كبيرُ

وقال القاضى محمد بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامى يرثيها :

نَأَتْ رَبّةُ القَصر الشريف عن القصر ... فأيْأسَ راجى النصر فيه عن النصرِ

إذا اجتثَّ دهرُ الشرّ دوحةَ روضةٍ ... فقضبانها لا تستقيم على الهَصْر

سَخِطْتِ على أهل الزمان لفعلهم ... حقيقون أهل العصر يا ربّةَ العَصْر

فصاروا بلا نور يتيهون فى العمى ... وذلك تمثيلٌ لما كان فى مصر (٢)

فكم ظلمة يغشَونها ومَضَلَّة ... وكم إصْر ذنب يحملون على إصْرِ

رَجَوْنا بها بدءَ الظهور ونشره ... فعُدْنا إلى السِّتْر الحقيقىِّ والحصر (٣)

وقد ينقص التَّيار من بعد مدِّهِ ... ويُضطرّ حرف المدِّ حينا إلى القصرِ

فذاك كسوف الشمس قد طال مَكثُهُ ... وهذا خسوف دائم المكث للبدرِ

وذاك سِرارٌ لا انجلاء لليله ... وهذا مِحاقٌ ليس يُسفر عن فجرِ

ونرجو فروعا ثمَّر الله نَبْتَها ... وأيَّدها بالنصر والفتح والقهر

لهم وبهم رجاؤنا وسُلُوُّنا ... لأنّ رجاء اليُسْر فى عَقِب العُسْرِ

وأوْرَثَ أملاكُ الأنام وسيطهم ... علىُّ بن عبد الله عالى ذُرَا الفَخْرِ (٤)

---

(١) استولى على الحصن الأمير المفضل الحميرى بعد أن طرد على بن سبأ بن أحمد الصليحى سنة ٤٩٥ . فدخلت حصون بنى المظفر فى مملكة السيدة الحرة (انظر ص ١٦٣ و ٢٤٠) .

(٢) يشير إلى اغتصاب الحافظ عبد المجيد الإمامة والخلافة فى مصر .

(٣) يبدأ دور الستر باختفاء الإمام أبى القاسم الطيب بن الآمر .

(٤) أغلب الظن أنه السلطان على بن السلطان عبدالله بن محمد الصليحى . وعلى بن عبدالله هذا هو ابن عم الملك المكرم . فورث أملاك بيت الصليحى بعد وفاة السيدة . وقد قيل إن الأميرة أروى ابنة على بن عبد الله كانت مقيمة فى قصر الملكة الحرة حينما طلقها منصور بن المفضل الحميرى وتزوجها الملك محمد بن سبا الزريعى (انظر ص ٢٤٠ — ٢٤١)

فصـــبرا على رَيْب الزمان وصَرْفه
فأوفرُ أهل الأجر حظّا أولو الصبرِ

ومما قاله السلطان الخطّاب بن الحسن بن أبى الحفاظ الحجورى فى قصيدة يرثيها[1] :

عليكِ سلامُ الله والصلَواتُ ورحمته ما شاءَ والبرَكاتُ
وكافاكِ عنّا بالذى لكِ عنـــدنا إلهٌ لديه تُضْعَفُ الحسناتُ
كفلتِ جميع المؤمنين كفالةً عَلتْ لهمُ فى ظلّها الدَّرَجاتُ
وقمتِ بأمر الله فيهم فأخلصَتْ سرائرُ فى طاعاته ونِيَاتُ
أمولاتنا يا من بباهر نورها تَجلّينَ عن أبصارنا الظلماتُ
أجلّكِ عن موت بروحكِ نازلٍ وأنتِ لأرواح الأنام حَيَاتُ
بَصُرتُ بأمرٍ منك ما بُصرتْ به عيونٌ لهم فى غيّها وَسَنَاتُ
ولاحَ لىَ السرُّ الذى حجَبتهُمُ عقولٌ لهـــم من نوره وذواتُ
فقالوا مقال الجهل ، غِبْتِ بمَيْتةٍ عليهم فما الأنباءُ مشتبهـــاتُ
وهل غاب عنّا أو يغيب الذى اغتدتْ
لهُ رُتبٌ فى الدين مُنحفِظاتُ
أما نورُه سارٍ ، أما لَحظاتُه بنا وهْوَ ناءِ الدار متّصلاتُ ؟
أليس لنا منه إليه مُحـــرّكٌ ومنّا وعنّا تصدرُ الحركاتُ ؟
أما قال مولانا على ســـلامه علينا مقالاً أسندَتْه ثقاتُ :
نعلّمكم منكمُ وعنكم نفيدكم أشىءٌ سوى هذا المقال فهاتوا
وأزعم أنّ الأولياء تقـــدّمَتْ مقاماتُهم كفرٌ مقالىَ : ماتوا

---

(١) د الخطاب ٧١ — ٧٥ .

فكيف بمن هم فى كفالته غَدَوْا وظلّوا بها مستكْفَلين وباتوا ؟

فلا غرو أن ذكريات سيدتنا وملكتنا ستبقى خالدة فى قلوب اليمنيين مدى الدهور ، كما بقيت إلى يومنا هذا مآثرها وأعمالها الجليلة التى تنطق بعظمتها ، وستظل وحيا ونورا فى حياة الشعب مهما اختلفت الطرق واشتدّت الأزمات وبعدت المسافات وتخلّفت القوافل ، لأنّها وحيدة كلّ زمان وسيّدة اليمن والعرب ولحظاتها متصلة بهذه البلاد العربية الغير السعيدة .

أما نوره ساري ، أما لحظاته بنا وهو ناءِ الدار متّصلاتُ

أليس لنا منه إليه مُحرِّكٌ ومنّا وعنّا تصدر الحركاتُ

الباب السابع

العلاقات بين الدولتين الفاطمية والصليحية

مظاهرها وآثارها

الألقاب

حرصنا على أن يكون التسلسل التاريخى متصلا إلى حد الإمكان ؛ لذلك بقيت بعض المعلومات التى أفردنا لها هذا الباب . ويلاحظ أنه لم يكن هناك فى أيام الخليفه المعز لدين الله تنافس على الألقاب من الوزراء وكبار رجال الدولة ، كما كان فى أيام من أتى بعده من الخلفاء ، فقد لقب هؤلاء بألقاب كثيرة . ولعل ذلك يرجع إلى حيطة المعز من أن تخلق هذه الألقاب طبقة ممتازة لها نفوذ سياسى واجتماعى . ولكن ليس معنى هذا أنه لم تكن هناك ألقاب للوزراء فى عهد المعز ، بل كانت هذه الألقاب محدودة ، وتنسب إلى الدولة أو الخلافة أو الملة أو الإمامة . ويدل اهتمام الوزراء وكبار رجال الدولة بهذه الألقاب وحرصهم عليها فيما بعد على :

١ — ضعف الخلفاء ، ورغبتهم فى استرضاء من يمنحونهم هذه الألقاب ، كما يدل على قوة من تُمنح إليهم ونفوذهم ؛

٢ — أن الخليفة كان يمنحها للمقربين إليه إرضاء لهم إما لقوة نفوذهم أو لخدماتهم ؛

٣ — أن الوزراء وكبار رجال الدولة كانوا يعتبرونها مظهرا من مظاهر علو شأنهم فى نظر الرعية ، بل دليلا على ثقة الإمام بهم ؛

٤ — أن هذه الألقاب شجعت الذين مُنحوها على الاستبداد بالأمر ، دون الخلفاء ، مما أدى إلى زوال ملكهم فى النهاية .

ولما كان سلاطين الصليحيين قد قاموا بخدمات جليلة للدولة الفاطمية وجد الخلفاء أن فى منح الألقاب لسلاطينها وأمرائها خير وسيلة لاكتساب ولائهم . وكانت هذه الألقاب تطلق على أبناء هذا البيت كما كانت تمنح على الأمراء والوزراء فى مصر . فالخليفة المستنصر لقب الملك على بن محمد الصليحى بلقب الأوحد[١] ، ومنحه لقب عمدة الخلافة تقديرا له على الخدمات التى قام بها فى مكة وغيرها[٢] ، كما منحه لقب تاج الدولة[٣] ، وأول من تلقب بهذا اللقب فى عهد الدولة الفاطمية الوزير بهرام الأرمنى النصرانى[٤] .

وكان الخليفة المستنصر يذكر فى مكاتباته[٥] ألقاب الملك على الصليحى على النحو الآتى : « السلطان الأجل ، الملك الأوحد ، أمير الأمراء ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، ذو المجـــدين ، سيف الإمام ، المظفر فى الدين ، نظام المؤمنين ، شرف المعالى » .

ولما أمر الخليفة المستنصر بجعل الأمير محمـد بن على بن محمد الصليحى ولى عهد أبيه ، منحه الألقاب الآتية : « منتجب الدولة وصفوتها ، ذو المجدين ، الأمير الأعز ، شمس المعالى » ، كما لقب الابن الأوسط بلقب الأمير المكرم ، ولقب الأصغر بلقب الأمير الموفق[٦] ، وأرسل سجلا آخر إلى الصليحى[٧] ، لقب فيه ابنه الأكبر بلقب ذى المجدين ، ولقب الأوسط بلقب ذى السيفين ، ولقب الأصغر ذى الفضيلتين .

---

(١) عيون ٧ / ١٦ . وأول من لقب بهذا اللقب فى الدولة الفاطمية هو الوزير أبو القاسم على بن أحمـد الجرجرائى (الصيرفى : الإشـارة إلى من نال الوزارة ٣٥) ، كما تلقب به أبو محمد بن على بن عبد الرحمن اليازورى سنة ٤٤٢ (نفسه ٤٠) . ولقب به كذلك الحسن ابن القاضى ثقة الدولة وسنائها المعروف بابن كدينة حين تولى الوزارة سنة ٤٥٥ (نفسه ٥١) ، كما لقب به الوزير أبو سعد منصور المعروف بابن زينون سنة ٤٥٨ (نفسه ٥٤) .

(٢) السجلات رقم ٤ .

(٣) عيون ٧ / ١٦ .

(٤) النويرى : نهاية الأرب ١٦ ورقة ٥٠ .

(٥) عيون ٧ / ١٦ ، ٨٠ ، ١٥٢ ؛ السجلات رقم ٤ ، ٨ .

(٦) عيون ٧ / ٧٦ ؛ انظر الملحق رقم ٢ .

(٧) السجلات رقم ٣ .

ولما توفى الأمير الأعز فى الثانى والعشرين من شهر المحرم سنة ٤٥٨ أرسل المستنصر سجلا[١] إلى الملك على الصليحى فى شهر جمادى الآخرة سنة ٤٥٩ ، جاء فيه أن الإمام ولى المكرم وليا للعهد ، وزاد فى ألقابه شرف الأمراء ، عزا للملك ، كما زاد فى ألقاب أخيه الأصغر لقب شرف الملك .

ومما جاء من ألقاب المكرم فى سجلات المستنصر نذكر : « الملك الأجل ، الأوحد ، المنصور ، سيف الإمام ، عظيم العرب ، عمدة الخلافة ، شرف الأمراء ، عز الملك ، منتجب الدولة وغرسها ، ذو السيفين ، تاج الدولة ، عماد الملة وغياث الأمة ، أمير الأمراء ، سلطان أمير المؤمنين ، وعميد جيوشه » وغيرها[٢] .

ورزق المكرم ابنه محمدا فأرسل المستنصر سجلا إلى الملكة الحرة فى ١٥ رمضان سنة ٤٦١ يهنئها بالمولود السعيد ، ويمنحه لقب الأمير نجيب النجباء[٣] ، كما لقبه فى سجل آخر أرسله فى ربيع أول سنة ٤٨٠ بلقب : سليل الدعوة ونجلها[٤] .

وما جاء فى السجل الذى أرسله المستنصر بإقامة الطفل على بن أحمد الصليحى ملكا بعد وفاة أبيه الملك المكرم سنه ٤٧٧ الألقاب الآتية : « الملك الأجل الأوحد ، المنصور ، العادل ، المكرم ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، سيف الإمام ، المظفر فى الدين ، نظام المؤمنين ، عماد الملة ، وغياث الأمة ، شرف الإيمان ، مؤيد الإسلام ، عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين ، وعميد جيوشه »[٥] .

---

(١) عيون ٧ / ٨٢ — ٨٦ ؛ انظر الملحق رقم ٥ .
(٢) نفسه ٧ / ٨٠ ؛ انظر الملحق رقم ٤ ؛ السجلات ٤٢ و ٦٠ .
(٣) السجلات رقم ٦٥ .
(٤) نفسه رقم ٣٧ .
(٥) عيون ٧ / ١٢٦ — ١٣٥ ؛ السجلات رقم ١٤ .

وقد أراد المستنصر بهذه الألقاب الرنانة أن يشد عزم الملكة الحرة والدة هذا الطفل وأن يظهره أمام شعبه بأنه ملحوظ بالعناية .

وذُكرت الملكة فى السجلات الواردة إليها من مصر بالألقاب الآتية[1] : « الحرة ، السيدة ، السديدة ، الرضية ، الطاهرة ، المخلصة ، المكينة ، ذخيرة الدين ، عصمة المسترشدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، كافلة أوليائه الميامين ، ولية أمير المؤمنين ، عمدة الإسلام ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن » .

من ذلك نستطيع أن نقرر أن هذا المظهر من مظاهر العلاقة بين الدولتين ، له ناحيتان :

أولا : أن خلفاء الفاطميين كانوا عادة يمنحون هذه الألقاب كبار رجال دولتهم . وقد رأوا أن السلاطين والملوك الصليحيين لا يقلون فى نظرهم عن هؤلاء ، لأنهم يضطلعون بتأدية رسالة مهمة لدولتهم . لذلك كان الخلفاء يمنحونهم هذه الألقاب الرنانة تشجيعا لهم على الاستمرار فى صدق وفائهم وإخلاصهم للفاطميين .

ثانيا : أن هذه الألقاب كانت تقابل من جهة الصليحيين بالارتياح والشكر للإمام على هذه العناية وهذا الاهتمام وكانت من جهة أخرى تظهرهم أمام رعاياهم بمظهر القوة . فكان المخلصون للدولة والدعوة يتفانون فى نصرتهم ، لأنهم رسل الإمام ودعاته الذين يعملون على إعلاء كلمته . وكان الآخرون من الرعايا ، كلما وجدوا اهتمام الخليفة بهذه الدولة ، وأنه يشد أزرها بما يعمل على بقائها ، يخافون الخروج عليها ، لأنها تستند إلى قوة دولة كبيرة ، كان لها من السلطان والجاه ما لم يكن لدولة بنى العباس فى ذلك الوقت .

التعزية

تعتبر المجاملات مظهرا من مظاهر حسن العلاقة بين الدولتين ، وقد تجلت هذه المجاملات فى مناسبات أربع ، هى : التعزية ، والتهنئة بالأعياد ، والتهنئة بالمواليد وتبادل الهدايا .

---

(١) عيون ٧ / ١٤٣ ؛ عمارة / كلى ٣٥ .

فعند وفاة الأمير الأعز فى الثانى والعشرين من شهر المحرم سنة ٤٥٨ ، كما تقدم ذكره ، أرسل المستنصر إلى الصليحى سجلا [١] يعزيه فى ابنه وولى عهده ، كما أرسل سجلا آخر [٢] يعزيه فى ابنه هذا وابنته ميمونة [٣] .

ولما سمع الخليفة بخبر قتل الملك علىّ الصليحى استدعى القاضى لمك ، وكان بالقاهرة فى ذلك الوقت ، وعزاه وسمح له بإقامة العزاء على هذا الفقيد فى حضرة الإمام [٤] . وأرسل إلى المكرم سجلا [٥] تلطف فيه كثيرا ، كما أرسل له سجلا [٦] آخر أظهر فيه أسفه الشديد لفقد الملك علىّ بن محمد الصليحى .

وكذلك فعل المستنصر ، عند وفاة المكرم سنة ٤٧٧ ؛ فأرسل إلى ابنه على بن المكرم سجلا [٧] يعزيه فى والده ، ويدعو له بالبقاء .

ولما توفى الأمير محمد بن الملك المكرم أحمد ، جاء سجل الخليفة إلى الملك على بن المكرم يعزيه فى أخيه ، ويدعو للفقيد بالجنة ، ويعده حسن الثواب [٨] . وبعد قليل توفى الملك علىّ بن المكرم فى نفس السنة ، فأرسل الخليفة إلى الملكة الحرة يعزيها فى ابنها ، ويشد أزرها بالدعاء لها وبالتوفيق وحسن الثواب [٩] .

التهنئة بالأعياد

وتعتبر التهنئة بالأعياد عنصرا آخر من عناصر المجاملة بين الدولتين ، وقد

---

(١) عيون ٧ / ٧٩ ؛ انظر الملحق رقم ٤ .
(٢) نفسه ٧ / ٨٢ — ٨٦ ؛ انظر الملحق رقم ٥ .
(٣) توفيت بعد وفاة أخيها حزناً عليه (نفسه ٧ / ٧٨) .
(٤) نفسه ٧ / ١٠٣ .
(٥) السجلات رقم ٦٠ .
(٦) نفسه رقم ٤٠ .
(٧) عيون ٧ / ١٢٦ — ١٣٠ ؛ السجلات رقم ١٤ و ٤٦ .
(٨) السجلات رقم ٢٤ .
(٩) عيون ٧ / ١٤١ .

جاء فى السجلات المستنصرية[1] عدة سجلات إلى سلاطين اليمن تهنئة بالأعياد ، ووصفا لهذه المناسبات السعيدة .

فأرسل المستنصر إلى الملك على محمد بن الصليحى سجلا يهنئه بالعيد ويكلفه نشر هذه التهنئة فى ربوع دولته ، وذلك فى عيد الفطر سنة ٤٥١ ، كما أرسل إليه فى عيد الفطر سنة ٤٤٥ ، ويحوى وصف عظمة المستنصر عند ذهابه إلى المصلى لأداء سنة هذا العيد ، ثم عودته إلى قصره . ووجه كذلك إلى الملك أحمد المكرم سجلا بمناسبة عيد الأضحى سنة أربع وسبعين وأربع مئة ، يقدم فيه المستنصر التهانى بالعيد ، ويذكر أنه صلى صلاة العيد بصحبة الوزير بدر الجمالى ، ويسأل المكرم أن ينشر التهنئة فى أنحاء اليمن .

التهنئة بالمواليد

وأما النوع الثالث من أنواع المجاملة فهو التهنئة بالمواليد . ولما رزقت الملكة الحرة بابنها محمد أرسل المستنصر إلى الملك المكرم سنة إحدى وستين وأربع مئة سجلا[2] أظهر فيه سروره بسماعه عن المولود الذكر الذى أنعم الله به عليه ، ومنح المولود لقب الأمير نجيب النجباء ، وكتب بخط يده شبه العوذة ليشد بها عضده ، داعيا له أن يجعله الله مبارك الناصية ، ويتولاه بالعيشة الراضية بمنه .

وهكذا بعث المستنصر عند ولادة ابنه أحمد القاسم فى المحرم سنة سبع وستين وأربع مئة والذى لقب باسم المستعلى بالله فيما بعد إلى الملك المكرم سجلا[3] ، يزف له فيه البشرى ، ويخصه بهذا الخبر لما للملك المكرم من المنزلة الممتازة عند الخليفة ، ولأنه يرى إدخال السرور عليه بهذه المناسبة ، ثم يعرفه أن هذا الابن

(١) السجلات رقم ١ ، ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٦٤ .
(٢) السجلات رقم ٦١ .
(٣) عيون ٧ / ١٥٢ — ١٥٣ ؛ انظر الملحق رقم ٧ .

هو الذى سيتولى أمر الإمامة والخلافة من بعده . وقد جاء فى السجل : « وقد وهب الله غلاما زكيا شد به أزر الإمامة ودل على بقاء كلمته فى عقبه إلى يوم القيامة ... » الخ

وقد أرسل الخليفة الآمر بأحكام الله عندما رزق بابنه الطيب أبى القاسم فى الليلة المصبحة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة إلى الملكة الحرة سجلا[1]، ينقل فيه هذه البشرى ، لتأخذ « من المسرة بها بأوفى نصيب » ، ويكلفها أن تذيع هذا الخبر « إذاعة يتساوى بالمعرفة بهـا كل بعيد منهم (أى المؤمنين) وقريب » .

الهدايا

ويعتبر تبادل الهدايا بين الدولتين مظهرا من مظاهر العلاقات الودية بينهما ، إلا أن الملك على بن محمد الصليحى والسيدة الحرة الملكة كانا يتهافتان فى تقديم الهدايا الثمينة والمتنوعة ، ولم يأت من مصر إلا السجلات المنمقة والتشريفات والكساوى المحلاة بأسماء « الأئمة الطاهرين وآبائهم الأكرمين » ، مع ما كان الخلفاء الفاطميون يتمتعون به من ثروة لا تعد ولا تحصر .

ولما استقر أمر الملك على بن محمد الصليحى فى اليمن بعد وفاة نجاح ، وجه إلى صاحب مصر المستنصر بالله فى سنة أربع وخمسين وأربع مئة « هدية جليلة منها سبعون سيفا قوائمها من عقيق » الخ[2] . وعنها يقول إدريس[3] : « هدية ... عظيمة القدر ، لم يسمع بمثلها ، كما ذكر أهل السير ، فيها فنون كثيرة من الذهب والفضة والسلاح والوشى والمسك والعنبر والكافور والعود الهندى الرطب والأستاذين والجوارى وكثير من الأمتعة ، يبعد حصرها ، ويعظم أمرها » . فلما انتهت الهدية إلى أسوان أخذ سلطان العرب أخوابن حمدان ناصر الدولة فى شحن

---

(١) عمارة / كلى ١٠٠ — ١٠٢ ؛ عيون ٧/١٩٢ — ١٩٣ ؛ انظر الملحق رقم ٨ .
(٢) كشف ٤٣ ؛ كفاية ٤٨ .
(٣) عيون ٧./ ٦٦ — ٧٢

الهدية فى المراكب ثلاثين يوما ، يظل راكبا فيها من الصباح إلى المساء » ونقلت الهدية إلى القاهرة ثم إلى قصر المستنصر بالله بعد كثير من التنافر والتكالب والفتن التى حدثت بين الأتراك والعبيد والكتاميين . وكان الصليحى بعث بالهدية ، كما رواه الخزرجى[١] ، « رجلين من قومه أحمد بن محمد ، والد السيدة الصليحية ... وهو الذى انهدم عليه الدار بعدن ، والثانى أحمد بن المظفر ، والد السلطان سبا بن أحمد» . فأنزل الخليفة السفيرين منازل الإكرام ، وأخرجت إليهما الكُسا والتشريفات ، وأمر للصليحى برايات ، وكتب له الألقاب ، وعقد له الولاية على جميع اليمن[٢] .

وفى سنة تسع وخمسين وأربع مئة لما عزم الملك على بن محمد الصليحى على الحج وزيارة الخليفة فى القاهرة استعد لذلك الأمر وعول على أن يقدم للإمام هدية تليق بالمقام . وفى ذلك يقول إدريس[٣] : «فجعل يضم إليه الأموال ، ويقدم فى ذلك الأحمال ، من خالص الورق والنضار ، والطرف الحسنة التى تزهى فى أعين النظار ، ويرتفع خطرها على الأخطار » .

وكان الخليفة الفاطمى قد يرسل الكساوى إلى سلاطين اليمن وأمرائها . وقد أرسل المستنصر إلى الأمير أحمد المكرم ولى عهد الدولة الصليحية بعد موت أخيه الأمير الأعز فى عهد الملك الصليحى تشريفا ، وكما جاء فى السجل الخاص بذلك المؤرخ ربيع الأول سنة ٤٥٨ إلى الملك علىّ بن محمد الصليحى : « ... ... وقد أمر أمير المؤمنين بالرجوع إلى ولدك الأوسط كان ، وهو اليوم الأكبر حفظه الله ... ... وأنشأ من التقليد ما يكون لفؤادك مثبتا ... وعزز بإنفاذ تشريف من ملابسه يظهر عليه بين الأولياء رونق جماله .. .» الخ[٤] .

---

(١) كفاية ٤٨ .

(٢) عيون ٧ / ٦٨ (ولم يذكر صاحب العيون أسباء الرسل) ؛ كفاية ٤٨ ؛ الكبسى : اللطائف السنية ١١ .

(٣) عيون ٧ / ٦٨ .

(٤) نفسه ٨/٨٠ ؛ انظر الملحق رقم ٣ .

وهذه الكساوى كانت تحمل عادة عبارات كهذه : « بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين » الخ[١].

ويلاحظ أن ما يتم بالإيحاء والتلميح أبعد أثرا مما يتم بالطرق الصريحة المباشرة . ولا ريب أن الخلافة الفاطمية ما كانت لتنفق نحو ست مئة ألف دينار سنويا[٢] فى هذه الناحية إلا إذا كانت ترجو من وراء ذلك كسبا أدبيا وماديا كبيرا من حيث استمالة الناس واجتذاب قلوبهم بمظاهر الإنعام والعطف ، إذ أن المادة والمظاهر والمناصب ذات أثر كبير فى حياة أغلب الناس ، تفعل فى نفوسهم أكثر مما تفعل المثل العليا أو تواضع طلبة العلم وتقشف المثاليين . ثم إن هذا الإنعام يجعلنا نميل إلى اعتبار ذلك العمل ضربا من الإنعام بالأوسمة والأوشحة التى يمنحها رؤساء الدول فى العصر الحديث .

وقبل خروج الصليحى للحج ، يقول صاحب الأنباء[٣] : « ... برز جهازه ، وما أعد من الأموال والذخائر إلى المسجد الجامع بصنعاء ، وجعلة كالخزانة . ولقد كان ملء جانب المسجد الذى كان عليه السقف ، غربيه ، صناديق مملوءة من الذهب والفضة » .

وتعتبر وصية الملكة أروى ، التى تركت بمقتضاها كل ما تملكه من جواهر وحلى ، بل كل ما تملكه من ثروة منقولة ، إلى الإمام الطيب ، لتكون « لها قربانا وشفيعا يوم الفزع الأكبر » ، تعتبر هذه نوعا من الهدايا ودليلا واضحا على مقدار إخلاصها وولائها لإمامها المستور .

وكانت هذه الهدايا تقابل من خلفاء الفاطميين بالرضا التام ومنح الألقاب على أبناء الدولة الصليحية .

---

(١) Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe ج ٧ / رقم القطعة ٢٥٠٦ / سنة ٤٤٦ . وراجع أيضاً المرجع نفسه ج ٧ / القطع : ٢٦٠٨ / سنة ٤٥٠ و ٢٦١١ / سنة ٤٥٠ و ٢٦٨٤ / سنة ٤٦٥ و ٢٧٥٣ / سنة ٤٧٨ .

(٢) المقريزى : خطط ١ / ١٢٦ .

(٣) أنباء / دار ٤٠ .

أثر العلاقات داخل اليمن

وقد يلاحظ أن السبب الرئيسى فى سرعة انتشار نفوذ الصليحيين فى اليمن ، فضلا عن سيرتهم الفاضلة واتحاد معظم قبائل همدان وحمير تحت لوائهم ، يرجع إلى الفوائد التى كسبتها دولتهم بفضل اتصالهم بالخلافة الفاطمية وبمنظمة الدعوة بمصر ، لأن الدعاة أنفسهم كانوا يعترفون بأن المستجيبين لم يدخلوا حظيرة الدعوة إلا رغبة فى تكوين دولة أهل بيت النبى . فنرى أن ولاءه للأئمة الفاطميين واتصاله بالخلافة الفاطمية بمصر ساعد الملك على بن محمد الصليحى عند ما قام بتأسيس دولته . فقد ساعدته الدعوة فى امتداد نفوذه وتقوية مركزه حتى تمكن بهذه الطريقة وبقوة عزيمته وبعظيم همته أن يكون سيد اليمن الكبرى . وكان هذا الاتصال بالخلافة المصرية فى نفس الوقت نقطة ضعف لكيان الدولة وبقائها . وهذا سنذكره فى فصل عن سقوط الدولة الصليحية .

نفوذ اليمن خارج حدودها

(الحجاز) أما عن امتداد نفوذ الصليحيين فى خارج بلاد اليمن ، فقد ذكرنا فيما سبق[1] ما حدث بعد دخول الملك على بن محمد الصليحى مكة سنة أربع وخمسين وأربع مئة من إقامة الخطبة للخليفة الفاطمى المستنصر ، ورد بنى شيبة عن قبيح أعمالهم ، وتأديب الشريف ، وإصلاح ما أفسده بنو الطيب الحسنيون فى الحجاز ، وترخيص الأسعار ، ونشر الأمن والطمأنينه فى البلاد المقدسة ، ثم ترك البلاد للأشراف بعد ذلك ، وعودته إلى اليمن ظافرا غانما رضا المسلمين .

(عمان والبحرين والأحساء) فقد كان انتصاره فى الحجاز وسياسته الرشيدة وحماسته للدعوة جعله ومن تولى رياسة الدولة بعده موضع الثقة عند الخلفاء الفاطميين الذين كلفهم الإشراف على شئون الدعوة فى البحرين والأحساء والهند والسند .

---

(١) انظر الباب الرابع ص ٨٨ — ٩٣ .

فى عهد الملك أحمد المكرم ، لما علمت الدوائر الحكومية بضعف حكام عمان ، نتيجة للثورات التى قامت فيها على حكوماتها الموالية للخلفاء العباسيين ، وأن هذه البلاد كانت منذ أيام أبى طاهر الجنَّابى واقعة تحت تأثير القرامطة ، وأن حكم القرامطة لم ينته فيها إلا تحت تأثير ضغط العباسيين ، عولت على مد نفوذ الخلافة الفاطمية عليها . فمنح الملك المكرم رياسة بلاد عمان الدينية والسياسية معا ، على الرغم من أنها كانت خارجة عن نطاق حكمه ، كما عهد إليه بالإشراف على الدعوة فى الأحساء والبحرين . ويتبين ذلك من السجل المستنصرى الموجه إلى الملك المكرم المؤرخ فى شهر ربيع الآخر من سنة تسع وستين وأربع مئة[1]، فيجعل فيه المستنصر « ولاية تلك الأعمال (الأحساء وعمان) جميعها ، دانيها وقاصيها ، مطيعها وعاصيها » مردودة إلى المكرم ؛ ويأمره أن يكون الأمير عبد الله بن على العلوى الملقب بمستخلص الدولة العلوية أمير الأحساء نائباعنه فيها وأن يمده من جهته ، وذلك لأن له مواقف حميدة فى إقامة الدعوة العلوية ونصرتها على أعدائها من الخوارج وانتزاع جل تلك الأعمال منهم .

ولما انصرف الداعى إسماعيل بن إبراهيم عن الدعوة فى عمان فى عهد الملكة الحرة باحترافه التجارة ، أخبرت الحرة المقام الإمامى بذلك ، واقترحت تعيين حمزة سبط حميد الدين المتوفى ، بأمر الدعوة فى هذه البلاد ، فجاء سجل الإمام[2] إلى الملكة بتقرير وجهة نظرها ، وشكرها على حسن رعايتها لما تحت يدها من أقطار .

(السند وشمال الهند) أما الدعوة فى الهند ، فنظرا لأن هذه البلاد ستصبح بعد اليمن وارثة لهذا التراث الدينى الأدبى ، وجب علينا الرجوع إلى الوراء قليلا ، لكى نعرف متى وصلت الدعوة إلى تلك البلاد .

سبق أن عرفنا أنه فى نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أى قبيل

(١) السجلات رقم ٥٤ .

(٢) عيون ٧ / ١٢٣ — ١٢٥ ؛ السجلات رقم ٥٠ .

قيام الطولة الفاطمية فى شمال إفريقية بقليل ، كان الأئمة الفاطميون يرسلون دعاتهم إلى كثير من البلاد ، ومن بينها الهند . فقد رأينا أبا القاسم منصور اليمن يرسل ابن أخيه الهيثم داعيا إلى بلاد السند ، حيث استجاب له كثير من أهلها[١] .

يقول عباس الهمدانى ما معناه[٢] : بدأت الدعوة فى السند ، وأخذت من هذا الوقت تنمو تدريجيا حتى انضم إليها أهل ملتان وكجرات (البنجاب) ، وفى عهد الخليفة المعز كثر دخول المستجيبين فى الدعوة ، كما يتضح ذلك من قول القاضى أبى حنيفة النعمان[٣] حيث قال: « ودعوة اليمن فاشية فى السند» . وكرر هذا القول ابن حوقل[٤] ، وزاد عليه دى خويه[٥] قائلا : «إن النفوذ الفاطمى وصل إلى بلوخستان (بلاد مكران) . وقال إدريس[٦] : « إن الخليفة المعز أرسل إلى الهند داعيا تمكن من تحويل عدد كبير من المجوسية، ولكنه سمح لهم بإبقاء بعض معتقداتهم الغير الإسلامية » ، ثم تولى داعيا آخر وهو حلم بن شيبان[٧] ، ولقد أرسل إليه الخليفة المعز رسالة فى رمضان سنة أربع وخمسين وأربع مئة[٨] ، وقد تمكن هذا الداعى من قتل حاكم السند وهدم معبد هناك وبناء مسجد فى مكانه[٩] . وقد ذكر هذا الحادث البيرونى فى كتابه الهند[١٠] حيث قال : إن حلم ابن شيبان هجم على ملتان ، ثم على حدود السند ، وخرب بلاده ، وحطم معبدا هناك ، وبنى مسجدا مكانه .

ولما غزا محمود الغزنوى الهند لأول مرة سنة ٣٩٢ اتجه نحو ولاية ملتان

---

(١) راجع الباب الثانى ص ٣٨ ؛ افتتاح ١٨ ؛ عيون ٦ / ٣٨ .

(٢) وقد استنطنا محتويات هذا الفصل من رسالة الدكتور عباس الهمدانى (جامعة لندن سنة ١٩٥٠) ببعض التصرف وتركنا التفاصيل والمراجع الواردة فيها .

(٣) افتتاح ١٨ .

(٤) المسالك ٢ / ٤١٠ .

(٥) De Goeje : Memoires, 176

(٦) عيون ٦ / ١١٧ .

(٧) نفسه ٦ / ١٠٠ .

(٨) نفسه ٦/ ١١٤ — ١١٧ .

(٩) نفسه ٦/ ١١٧ .

(١٠) البيرونى : الهند ٥٦ .

حيث كان يحكمها أبو الفتح داؤود بن ناصر الذى قام بالدعوة الفاطمية فى أوائل القرن الرابع الهجرى . ولما اقترب محمود الغزنوى هرب الأمير داؤود بجواهره إلى سيلان ، وقضى الغزنوى على الدولة الفاطمية هناك . وقد انتقم الغزنوى من أولى الدعوة شرَّ انتقام ، فقتل منهم آلافا[1] . وما لبث أبو الفتح داؤود أن رجع إلى بلاده ، فعزَّ به جانب الدعوة ، وانتعشت الفاطمية فى ملتان بعد وفاة الغزنوى . ولما تولى السلطان معز الدين الغزنوى عاد إلى اضطهاد الفاطمة مرة ثانية . مالبث أن حدث فى سنة ٦٣٤ فى عهد السلطانة رضيَّة أن تجمع الفاطميون من جهات الهند مثل كجرات والسند وغيرها فى عدد كبير جدا ، ولكنهم فشلوا فى محاولتهم لإعادة دولتهم .

(غربى الهند) هذا فيما يتعلق بانتشار الدعوة فى الجهات الشمالية من شبه قارة الهند . وأما عن انتشارها فى كجرات والدكن على الساحل الغربى ، فإن ذلك يرجع من غير شك إلى نشاط الدعوة اليمنية فى عهد الصليحيين .

يرى عباس الهمدانى أن داعى الدعاة المؤيد فى الدين الشيرازى (المتوفى فى شوال سنة ٤٧٥) باب الإمام المستنصر هو الذى أمدّ القاضى لمك بن مالك الحمّادى الهمدانى مدة إقامته بمصر (٤٥٥ — ٤٦٠) بالتعليمات التى تتعلق بضرورة نشر الدعوة فى الهند تحت إشراف الدعوة اليمنية ، وأنه من أثر هذه التعليمات أن أرسل لمك داعيه عبد الله إلى الهند فى سنة ستين وأربع مئة . وقد ذكر خَوْج بن ملك فى مجموع الرسائل[2] ما معناه : إن وصوله (يعنى

---

(١) البغدادى : الفرق ٢٧٧

(٢) والشيخ خوج من كبار حدود الدعوة بالهند توفى فى سنة ١٠٠٢ . وقد ألف عما ألف رسائل ست وهى سرور الأولياء ، وبذر المحبة والشفاء ، وحديقة النعم المشتهاة ، وبذر البداية ، وحديقة الجنان ، ورسالة فى خصائل داؤود بن قطب شاه . جمعها ولخصها ورتبها سيدى عبد العلى بن عبد القادر فى كتاب سماه مجموع الرسائل الست لسيدى خوج بن ملك ، وترجم الكتاب الأخير باللغة الكجراتية بعنوان كوكب الملك .

عبد الله) كان بأمر من درّس عليه وأخذ عنه واقتبس منه ، وهو بعض علماء اليمن المسمى لمك بن مالك الحمّادى . وروى خوج بن ملك أن مولاى عبد الله العربى (أغلب الظن كان يمنيا) وزميليه الهنديين بالم نات[1] (مولاى أحمد) وروب نات (مولاى نور الدين) كانوا بمصر أيام إقامة القاضى لمك فى القاهرة ، وأسلم الأخيران بيد داعى الدعاة المؤيد . ثم وجّه المؤيد هؤلاء الدعاة إلى اليمن تحت قيادة لمك ، وسيّرهم لمك بعد وصولهم إلى اليمن لنشر الدعوة فى الهند فى السنة المذكورة .

ويروى[2] أن الدعاة الثلاثة وصلوا إلى الساحل الغربى من كجرات الهند بميناء كمبايت . وتسرّب عبد الله العربى فى المزارع والبساتين والقرى فى تستّر شديد ، وتعلّم اللغة المحلّية المسماة بالكُجراتى ، حتى تمكّن أن يقنع مضيفه الفلاح كاكا أكيلا (العم وحيد) وامرأته كاكى أكيلى (العمة وحيدة) ، ثم كاهن المعبد ذا النفوذ الكبير ، ثم الوزير تارمل ، ثم عاهل ولاية فتن الملك سدهراج جيسنغ بن بهارمل ، ببطلان عبادة الأوثان . وقبل هؤلاء دعوته إلى الإسلام . فانتشرت الدعوة فى كثير من بلدان كُجرات .

وتوجّه مولاى أحمد (بالم نات) ومولاى نور الدين (روب نات) إلى دهن كَام ، وهى بلدتهما فى الدكن بمقتضى التعليمات التى أصدرها لهما رئيس الدعوة اليمنية وقاضى قضاة اليمن لملك الحمادى . « فانتشر الإيمان من هذه القرية حتى عمّ

---

(١) وفى رواية : لام نات . ويظهر أنه اسم مولاى أحمد الهندوكى .

(٢) ولم نعثر على هذه الرواية فى كتب إدريس التاريخية ولا فى المصادر اليمنية إلا أن المصادر الهندية أوردتها نقلا عن رسائل خوج بن ملك بتفاصيل كثيرة يخالف بعضها بعضا وأدخلت فيها عناصر الأسطورة . وإننا لانشك فى صحة هذه الرواية عامة ، ومن الممكن أن إدريس لم يكن يعرف تفاصيل هذه القصة ، فاعتمد على ما وجد فى الوثائق الموجودة فى اليمن وأهمها السجلات من معلومات ومن تعيين مرزبان بن إسحاق للدعوة بالهند حوالى سنة ٤٧٦ . ويرى عباس الهمدانى أن كتاب عيون الأخبار لم ترد فيه تفاصيل كثيرة . ويرى أيضا أن « عدة من الدعاة بعثهم الصليحيون ورؤساء الدعوة اليمنية إلى الهند حتما ، ولكن ليست عندنا مصادر وردت فيها أسماؤهم ، إلى أن نقل فى سنة ٩٤٤ مركز الدعوة من اليمن إلى الهند » .

الحى » ، كما حكاه خوج بن ملك ، فقد دخلت الدعوة فى الدكن (الهند) سنة ستين وأربع مئة[١] .

وكانت الدعوة الهندية متصلة اتصالا مستمرّا بمركزها فى اليمن ، ورؤساء الدعوة باليمن كانوا متصلين ، كما يظهر من رسالة الملك المكرم أحمد الصليحى الموجّه إلى إمامه المستنصر ، يطلب من الإمام السماح والإذن لدعاة الهند بإظهار الدعوة جهرا . قال فيها[٢] :

« . . . فالمملوك ينهى أن رسل داعى الهند عنده مقيمون . كانوا فى هذه الفتنة قد عادوا من بلدهم بالأجوبة عن التشريف الصادر إليهم من الحضرة قدسها الله ، عن يد الأجل الأوحد . فأخذت [با] لأجوبة والزكوات من أيديهم . وكان مضمون الأجوبة لسؤال فى الإذن بالقيام وإظهار الدعوة بالقهر . وأما باللسان فقد سبق لهم الإذن [من] المملوك لرغبته فى انتشار أمر مولاه وعلوّ دعوته يسأل [فى] تشريفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والإذن لهم فى القيام [با]ظهار الدعوة جهرا . والله سبحانه يؤيدهم بتأييد وليّهم [و]ينصرهم على عدوهم . والسلام على مولانا وسيدنا [مع]د أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين عليه وعلى [آبا]ئه الطيبين الطاهرين وأبنائه الأكرمين المنتجبين [أف]ضل الصلوة والتسليم . صدر غرة ذى الحجة سنة ستين [وأر]بعمائة . . . » .

وقد أجاب المستنصر عن إحدى رسائل الملك المكرم الصليحى فى سجله المؤرخ فى ربيع الأول سنة ثمان وستين وأربع مئة بقوله[٣] :

« . . . وأما ما أوردته من شأن الداعى المقيم بالهند ومضيّه لسبيله ، فالله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ، وقولك فى دعاء الحاجة إلى من يسدّ مسدّه ، ويحفظ نظام المؤمنين بتلك الديار جاهدا جهده ، فأنت أقرب الناس من ذلك الخط ،

---

(١) عباس الهمدانى : بحث ١٧٤ .

(٢) رسائل اليمى ٧١ .

(٣) عيون ٧ / ١٢٣ ؛ السجلات رقم ٤١ .

وأولاهم بالقبض فيه والبسط ، فافسح فى ذلك وفى سواه غاية الأمل واللحظ ، ولك من سكون أمير المؤمنين إليك أوفر الحظ . فدبّر من يسدّ مسدّه ، وكاتب بذكر من يقع الاعتماد عليه لنعضّده بالمكاتبة ونشدّه . . . » .

ولمّا وقع اختيار المكرم على تعيين مرزبان بن إسحاق بن مرزبان للدعوة بالهند ، سنّت القوانين بالقاهرة ، وأرسلت إلى اليمن ، على يد الأمير معز الدولة طوق بن ناسك فى سنة ست وسبعين وأربع مئة[١] .

وتوفى مرزبان بن إسحاق . فأرسلت الملكة الحرة تخبر الإمام بذلك ، فأجابها المستنصر فى سنة إحدى وثمانين وأربع مئة بالموافقة على تعيين أحمد الابن الأكبر للداعى المتوفى بدلا من أبيه للقيام بالدعوة فى بلاد الهند[٢] .

ثم أخذت الدعوة فى الهند تنتشر وتكسب أرضا وأعوانا ، وظلت تابعة للدعوة اليمنية ، حتى انتقلت فى سنة أربع وأربعين وتسع مئة إلى الهند .

فالدولة الصليحية فى اليمن وما انضاف إليها من بلاد أخرى صارت أداة فعالة لنشر نفوذ الخلافة الفاطمية ؛ أو بعبارة أخرى : إن هذه العلاقة التى قامت بين الدولتين كانت ذات فائدة مزدوجة لهما . فبينما كانت من جهة سببا فى مدّ نفوذ الفاطميين إلى كل هذه الجهات ، كانت من جهة سببا فى توسع رقعة نشاط الدولة الصليحية فى داخل اليمن وخارجها ؛ وفى نفس الوقت كانت سببا من أسباب ضعف دولتهم ، كما سنذكره فى باب سقوط الدولة الصليحية .

العلاقات الاقتصادية

بدأت علاقة مصر التجارية ببلاد اليمن منذ أيام الفراعنة لحاجة هؤلاء إلى حاصلاتها وخاصة البخور اللازم للمعابد ولتحنيط الموتى . وكان لهذه السلع سوق نافقة فى ثغر ظفار على الساحل الجنوبى من جزيرة العرب . وزاد اتصال المصريين ببلاد بُنْت[٣] ، وبالتالى ببلاد اليمن ، فى عهد تسلط دولة معين عليها أيام الأسرة

---

(١) السجلات رقم ٦٣ .

(٢) نفس المرجع رقم ٥٠ ؛ عيون ٧ / ١٢٣ — ١٢٥ .

(٣) بنت ، هى بلاد الصومال والجهات المقابلة لها من بلاد الحبشة .

الثامنة عشرة الفرعونية . ولما انتقلت السيادة فى بلاد اليمن إلى دولة سبا ، أصبحت اليمن جسرا بين الشرق والغرب ، وكان لها مع بطليموس الثانى (٢٨٣ — ٢٤٥ ق . م .) علاقات تجارية خطيرة .

ولما سقطت مصر فى يد الرومان سنة ٣٠ ق . م . حاول هؤلاء القضاء على تجارة حمير ، فأعاد الإمبراطور تراجان حفر قناة سيزوستريس[١] التى كانت قد طمت بالطمى فى أواخر عهد البطالسة ، كما تحالف مع الأحباش ، وأصلح ثغور البحر الأحمر ، وحاولت حمير المقاومة ولكن بدون جدوى ، فتدهورت العلاقات التجارية واضمحلت ، كما حدث لسبأ ومعين من قبل .

هذا ما كان من أمر علاقة مصر التجارية باليمن فى العصور القديمة . أما فى العصور الوسطى فإن العلاقات بين الدولتين العباسية والفاطمية كانت دائما علاقات عدائية ، لأن الفاطميين لم يستطيعوا تأسيس سلطانهم السياسى والدينى إلا على حساب العباسيين . وقد نجح الفاطميون بالدعاية تارة ، وبقوة السيف ، وبذل المال ، واستغلال مطامع الأفراد تارة أخرى ، فى بسط نفوذهم على شمال إفريقية وصقلية ومصر والشام وآسيا الصغرى وعلى سواحل البحر الأحمر ، كما اعترف بسلطانهم حكام اليمن وأمراء الموصل وبلاد ما وراء النهر ومكة والمدينة ، بل وبغداد حاضرة العباسيين .

ولقد أخذ النزاع بين الدولتين مظاهر مختلفة ، تخص منها المنافسة التجارية ، لأن الدولة العباسية كان يهمها دائما أن تعمل على عرقلة سياسة الدولة الفاطمية فى جميع نواحيها . ولكن نظرا لأن النزاع بين الدولتين لم يحتدم فى الفترة التى سبق حكم الخليفة المستنصر الفاطمى فقد اعتمد كل من الدولتين فى تجارتها الخارجية على ناحية معينة من غير التعرض لتجارة الدولة الأخرى . فكان اعتماد

---

(١) وسميت هذه القناة باسم قناة أمير المؤمنين عند فتح العرب بقيادة عمرو بن العاص ، وهى تصل النيل بالبحر الأحمر .

الفاطميين على التجارة مع دول البحر المتوسط ، لأن الدول الغربية فضلت الطريق من الشرق إلى الغرب عبر مصر على الطريق المنافس له عبر بلاد الجزيرة والشام ، لأنه يستغرق وقتا أقل . ولذلك كانت تكاليف النقل أقل بكثير ، مما أدى إلى رخص أسعار السلع بالنسبة إلى السلع التى كانت تنقل عن طريق بلاد الشام . ومهما يكن من شيء ، فإن تجارة الفاطميين قبل القرن الخامس الهجرى كانت رائجة مع المدن الإيطالية وفرنسا وأسبانيا وصقلية بل مع الدولة البيزنطية فى حالة استقرار السلام بينهما . وقد أدى الاتصال التجارى بدول البحر الأوسط إلى إهمال طريق الجنوب ، بل إلى إهمال بلاد اليمن والهند .

ويمكننا أن نعلل عدم اهتمام الفاطميين باليمن والهند بعد قيام دولتهم تعليلا اقتصاديا . ذلك لأنهم لم يهتموا بالتجارة فى هذه البلاد اهتماما كافيا ، وقد دفعهم إلى ذلك أن الدولة العباسية لم تكن قد بدأت تنافس الفاطميين بصورة جدية فى هذه الناحية ، لأن تولى البويهيين السلطة فى بغداد أوجد بينهم وبين الفاطميين تفاهما يقوم على أساس اتفاقهم فى المذهب الدينى . ومع ذلك فإن التجارة بين مصر والهند والصين كانت قائمة فى أيام ابن خرداذبه ، وذلك عن طريق البحر الأحمر ، إلا أنه لم تكن هناك عناية كافية بهذه التجارة . وكان هذا الطريق على ما ذكره ابن خرداذبه معروفا من قديم الزمن إلا أنه لم يكن حيويا ولم يكن مركز ثغر عدن فى الأهمية كما هو الآن .

ولما استولى السلاجقة على بغداد تغيرت الأوضاع فى الشرق إزاء الفاطميين ، فقتل السلاجقه عددا من الموالين للفاطميين فى بلادهم ، كما قتل محمود الغزنوى عددا كبيرا منهم فى السند ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تحالف المسلمون مع الدولة البيزنطية ضد الفاطميين ، ومنع البيزنطيون القمح عن مصر .

وإذ قيل لنا إن الخليفة المستنصر الفاطمى « قد نظر إلى بلاد اليمن فى عهد الصليحيين نظرا كليا ، وأظهر فيها البرهان جليا » لاعتبارات سياسية ودينية وأدبية ، فإننا نرى أن الناحية التجارية لم تكن فى مقدمة هذه الاعتبارات ، مع كونها ناحية حيوية تتصل بصميم الحياة .

وأمّا المصادر والوثائق التى عثرنا عليها فلا تذكر شيئا عن النشاط التجارى أو التعامل المالى أو التعاون الاقتصادى بين مصر واليمن فى عهد الصليحيين . بل كل ما نجد فى السجلات ومصادر أخرى يمنية ومصرية هو اهتمام الفاطميين بنشر دعوتهم فى اليمن والمناطق التابعة لها . وكانت مصر قد اجتازت أزمة اقتصادية شديدة فى عهد المستنصر ، فتزعزعت أركان الدولة ؛ ولكن المياه رجعت إلى مجاريها بعد أن تولّى بدر الجمالى منصب الوزارة ، وانتعشت اقتصاديات مصر مرة أخرى ، واستقرت الأمور ، وتوثقت الروابط السياسية والدينية بين مصر واليمن كما تظهر من هذه الوثائق ، إلا أننا نتفقد فيها بدون جدوى ذكر مسائل اقتصادية أو مساعدات مالية بين الدولتين الواليتين . وقد رأينا فيما سبق أن الملك على بن محمد الصليحى كان يبعث إلى إمامه بمصر « هدايا جليلة القدر لم يسمع بمثلها » ، ورأينا أن الملكة الحرة الصليحية تركت بمقتضى وصيتها كل ما تملكه من المجوهرات والمصوغات بل كل ما تملكه من ثروة ، منقولة إلى إمامها المستور أبى القاسم الطيب . وقد رأينا أيضا أن مصر لم تمنح على الصليحيين إلا ألقابا رنّانة وجلاليب فضفاضة من النوع الدبيقىّ ، ولم تبعث إليهم إلا تشريفات وتهانى وتعازى وغيرها من المجاملات ، بل لم تساعد الدولة الصليحية فى أشد أزماتها وأنكد أزمانها بالمال ولا بالجيش ؛ وتركت أعباء الحروب فى داخل اليمن وخارجها على عاتق حلفائها المخلصين . ولما طلبت الملكة فى أواخر عهدها حينما تدهورت الحالة باليمن من إمامها مساعدات بعثت مصر إليها فى سنة ٥١٣ الأمير الموفق على بن إبراهيم بن نجيب الدولة مستشارا يصحبه عشرون فارسا إلى اليمن ليقوم بهذه المساعدة . وأمدّ الوزير مأمون البطائحى ابن نجيب الدولة مندوب مصر باليمن « ببعض المال وأربع مئة قوس أرمنى وسبع مئة أسود » . فهذا كل ما عرفناه من عون عسكرى لليمن . وأغلب الظن أن هؤلاء الأرمن والسود كانوا مرتزقة أو عبيدا أراد الوزير أن يتخلص منهم. وإذا وجدنا أن الملك المكرم أحمد الصليحى سكّ الدينار الملكى أو أن الأمير الخطاب بن الحسن الحجورى ضرب سكة باسم الخليفة المنصور أبى على الآمر بأحكام الله فهذا يدل على أمرين : أولا مدى ولاء الصليحيين للفاطميين ، وثانيا

فوائد محققة لرواج التجارة المحلية والنهوض بالحالة الاقتصادية بدون علاقة بالمعاملات المالية بين البلدين .

ولقد أفادت اليمن فى هذا العصر لو تحولت طريق التجارة إلى جنوب جزيرة العرب . ولكن الخلافة الفاطمية لم تبذل باليمن عناية تامة ، لتكون علاوة على الاعتبارات السابقة قاعدة تجارية تقع على الطريق بين مصر والشرق ، مع أنها اهتمت بأمر الهند لغرض دينى بحت ونشر نفوذ الدعوة الفاطمية فى أقصى البلاد ، لا لإنعاش التجارة بطريق اليمن .

فيمكننا أن نقول إن إهمال الدولتين فى إيجاد التعاون الاقتصادى والتعامل التجارى الذى يربط البلاد اقتصاديا ويقوّيها ويغذّيها كان سببا من أسباب ضعف الدولة الصليحية .

الباب الثامن

أسباب ومظاهر سقوط الدولة الصليحية

أسباب سقوط الدولة الصليحية

لقد أصبح للدولة الصُّلَيحية بفضل مؤسسها على بن محمد الصليحىّ مركز ممتاز فى العالم الإسلامى . فقد تمكن الصليحىّ من جمع اليمن كله تحت لواء دولته ، كما مدّ نفوذها إلى البلاد المقدسة فى الحجاز شمالا وحضرموت جنوبا . وفى عهد خلفه أحمد المكرّم صارت عُمان والأحساء والبحرين والهند والسند تحت النفوذ الروحى للدولة الصليحية ؛ فبلغ هذا النفوذ أبعد غاياته فى عهد الملك المكرّم. وهذه الدولة التى حاولت أن تسعد رعيتها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، ما لبثت أن أخذت فى الضعف ، شأنها فى ذلك شأن كل كائن حىّ .

وإذا أردنا أن نعرف أسباب هذا الضعف ، وجب أن نرجع ذلك إلى أصول بعيدة ، لا يمكن أن نتغاضى عنها .

نظام الاقطاع

ولقد استفادت هذه الدولة من غير شك من الحالة التى سبقتها . وكانت اليمن ، كما ذكرناه فيما سبق ، تسود فيها الفوضى والانحلال قبل ظهور الملك على بن الصليحى ، ويحكم عليها الأمراء والسلاطين وبخاصة أقواهم بنو النجاح العبيد فى تهامة اليمن ، فباستيلاءهم على حكم تهامة وما جاورها وجد روح التمرد والتذمر بين القبائل العربية التى عبرت عن عدم ارتياحها لهذه الحالة بالانضواء تحت راية ملك عربى ينتمى إلى صميم قحطان ، وقبول بعض القبائل الدخول فى الدعوة الفاطمية مع كونها تخالف إلى حدّ ما عقيدتهم ، بعد أن رأوا من علوّ همة الصليحى وانتصاراته

وحسن سياسته وحرصه على مصالح رعيته . ولعل انتشار نفوذ الصليحى فى البلاد يرجع إلى رغبة تلك القبائل فى التخلّص من حكم العبيد ، بل من الحكم مطلقا .

ولكن هل ارتاحت العرب واطمأنت بعد هذا ؟ وقد صيّر الصليحى شتات أمرهم وحدة يمنية جامعة ، وقضى على الدويلات وأطماع سلاطينها ، وأدخل نظاما من نوع آخر بدل الفوضى والانفرادية واستقلال النظام القبلى . بقدر ماترتب على هذه الوحدة (وحدة اليمن) من منافع محققة للشعب ، وما بذله الصليحيون من جهد لإسعاد شعبهم طوال مدة حكمهم ، ومافعلته هذه السياسة من تثبيت مركز دولتهم ، فإن عوامل الانحلال والتذمر أخذت فى الظهور مرة أخرى ، بعد أن وجدت هذه القبائل وزعماؤها أنها فقدت ما كانت تتمتع به فى ظل النظام القبلى المستقل ، الذى كان منتشرا فى الجهات المختلفة وحلّ محلّه نظام الإقطاع فى عهد الدولة الصليحية ، لتستعيض به عن الحكومة المركزية ابتغاء الحصول على قسط من الأمن .

أضف إلى ذلك ما ذكرنا فيما سبق من إهمال الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية فى تحقيق التعاون الاقتصادى والتبادل التجارى بينهما ، بل استنزفت الدولة قسطا كبيرا من مالية الدولة فى الحروب الداخلية والخارجية بسبب العداء القائم بين هذه الدولة وأصحاب المذاهب الأخرى .

ومما لا شك فيه أن الزراعة والفلاحة هما قوام هذا المجتمع ، وأن جمهور ذلك المجتمع يتكون من الفلاحين . وبذلك تكونت طبقة من المستأجرين ضخمة العدد ، ولم تكن هذه الطبقة إلا من القبائل الفقيرة التى لم ترض بحكم الصليحيين . ولما كانت ثروة الدولة تعتمد الاعتماد الكلى على المتحصل من هؤلاء المستأجرين ، فإن عدالة سلطان الصليحيين كانت تقتضيه أن يسهر على مصلحتها ويضرب على أيدى الولاة المخالفين لتعاليمه ، ليحول بذلك دون انتشار روح التذمر بينهم . وقد رأينا أن الملك عليّا الصليحى وعد عماله بالتنكيل إذا رفع إليه شىء مما نهاهم عنه ، كما أمر جميع الرعية أن يرفعوا إليه ما يكون من العمال من فعل القبيح والحسن ، حتى ينزل بهم من إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم [1] .

(١) عيون ٧/١١ ؛ انظر ص ٨١ من الباب الرابع .

وقد دعاه إلى ذلك خوفه من أن ظلم الولاة قد يثير حنق الرعية، وتعلم ذلك ممن سبقه حكم اليمن ، فعرف أنه بسياسة اللين المقرونة بالحزم يمكنه أن يحفظ دولته من أعاصير الفتن والثورات . وكان الصليحى قد وزع السلطة فى البلاد بين من يثق فيهم من الصليحيين والزواحيين ، فأصبح كل حصن يحكمه أحد أعوانه ، غير أننا نرى أن هؤلاء الولاة كانوا مقيدين بسياسة خاصّة ، رسمها لهم الصليحى ليسيروا على نهجها ، ولكن على الرغم مما يبدو فى هذه السياسة من المنافع لمصالح الرعية ، ولحرص الصليحى على استقرار الأمن فى ربوع دولته ، مالبثت الأمور أن تغيرت بعد قتله فى المهجم سنة تسع وخمسين وأربع مئة، وذلك لأن مدة حكم المكرم استنفدت كلها فى الحروب ، فلم يقدر أن يلتفت كثيرا لمصالح الرعيّة . فأخذ نفوذ حكام الحصون يزداد ، وأخذ روح التذمر والاستياء من هذا النظام يزداد تبعا لذلك . هذا إلى ما استتبعه ذلك من الأعباء الثقيلة التى كان يقع عبؤها على طبقات الشعب الفقيرة وحدها ولم يكن هذا التذمر يرجع إلى عدم تعودهم هذا النظام الجديد ، وحده ، بل كان يرجع إلى حرمانهم الامتيازات والمنافع التى كانت تتمتع بها طبقة رؤساء الإقطاع الذين كانوا يختارون من قبائل أرستقراطية معينة كالصليحيين أو الزواحيين أو اليامين ، لتضمن الدولة الصليحية تنفيذ سياستها . ولعل كثرة الحروب التى قام بها الملك المكرم ترجع إلى الاستياء الذى جعل حكمه غير مستقر ، مما استنفد كثيرا من الجهد والمال . وقد تمكن مع ذلك من حفظ دولته من هذه الأعاصير المضطربة ، بفضل ما أوتى من شجاعة وعزم .

ولما توفى الملك المكرم سنة سبع وسبعين وأربع مئة ، وانفردت زوجته الملكة الحرة بالحكم ، وأنس حكام القلاع ضعفها ، تاقت نفوسهم إلى الاستقلال بما تحت أيديهم . وعلى الرغم من أنها استعملت الحكمة والدهاء ، وسيرت الأمور فى الصدر الأول من حكمها ، باعتمادها على رجال ذوى كفاية وعلى معاضدة الخلافة الفاطمية لها ، كانت عوامل الانحلال والضعف أقوى من هذه السياسة . فأخذت مظاهر الضعف تظهر بوضوح كلما تقدمت الملكة فى السن ، واستفحل أمر الولاة الطامعين .

عداء أهل المذاهب

أضف إلى ذلك أن الصليحيين استطاعوا أن يكونوا دولتهم وسط بحر خضم من السنيين، وأن هذه الدولة كانت تحكم مجتمعا يدين معظمه — ما عدا الزيدية — برياسة الخلافة العباسية على العالم الإسلامى، وكان يحنق على نفوذ الخلافة الفاطمية ودعوة الفاطميين فى اليمن، وأن الفقهاء والعلماء بالخصوص تمادوا بدون هوادة أن يثيروا الجماهير إلى تكفير أهل الدعوة، ونسبوا إليهم ظلما وعدوانا تحليل الحرام وتحريم الحلال[1]. فالتفّت الجماهير بفضل مسعى الفقهاء حول بنى النجاح الذين صاروا فى نظرهم رمزا للمذهب السنّى، وفضّلت حكم العبيد الحبشة على وحدة اليمن تحت ظل دولة الصليحيين العربية. وقد ساعد بنى النجاح وجود آلاف مؤلفة من الحبشة الذين استعمروا تهامة اليمن وبعض الجزائر الواقعة على الساحل الغربى من اليمن، والذين كانوا يتكتّلون لمعاضدة دولتهم فى تهامة. وقد أهمل الصليحيون اتخاذ إجراءات حاسمة للقضاء على هذا الاستعمار الأجنبى، بعد تجارب عديدة من تكتلهم ضد العرب. ولا يمكننا أن نعزو هذا العداء كله إلى النظام الإقطاعى، الذى أوجدته الدولة الصليحية وحده، بل إن رغبة النجاحيين فى إعادة سلطانهم، ورغبة الأهالى فى حكمهم، لأنهم يمثلون مذهب أهل السنة، كان سببا جوهريا فى إثارة الحروب بين الفريقين وإضعاف الدولة الصليحية. وكان النصر فى النهاية لبنى النجاح،

---

(١) راجع كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة تأليف الفقيه محمد بن مالك الحمادى من فقهاء أهل السنة باليمن فى أواسط المئة الخامسة، وما نسبه إلى أبى القاسم منصور اليمن وعلى بن محمد الصليحى وإلى الدعوة من الأكاذيب والأباطيل، من غير أصل ولا أساس، بعد أن ادعى أنه دخلها، وعرف أسرارها، واطلع على كتبها، وتصفح جميع مافيها. وقد وقفنا على ما بلغ من حقد هؤلاء الأفاضل الفقهاء الذين ثاروا على الأمير المفضل الحميرى بالتعكر، حتى أخرجوا حظاياه من السراري وجعلوا بأيديهن طارات وأطلعوهن على سقوف قصوره بحيث يشاهدهن ويسمع أصواتهن، لكى يموت من الغيرة والغيظ، ووقفنا أيضا على ذهاب الملكة إلى باب التعكر للمفاوضة، وعلى إبقائها شروطا اشترطوا عليها. والمعروف إلى الآن أن الملكة وقفت أوقافا جليلة القدر تصرف منها على تدريس صحيح البخارى مع كونها فاطمية المذهب، وذلك لكى يرضى بهذا العمل الفقهاء ورعاياها السنيون. فكافأها الفقهاء بمطالبة إخراج جثتها بعد وفاتها.

تخلص لهم حكم تهامة . ولم يتمكن الأمير المفضل ابن أبي البركات الحميرى ، وبعده الأمير الموفق على بن إبراهيم بن نجيب الدولة من فتحها ، واستمرت الدولة النجاحية فى تهامة حتى سنة أربع وخمسين وأربع مئة ، حين استولى عليها على ابن مهدى الحميرى[١] وبقى بها حتى أزال ملك بنى مهدى السلطان توران شاه الأيوبى سنة تسع وستين وخمس مئة .

وكان أئمة الزيدية ورؤساؤهم ، كما كان الحبشة ، مثار اضطراب شديد فى عهد الدولة الصليحية . فقد ظلوا فى حالة حرب معهم طوال مدة حكمهم لليمن . وذلك يرجع إلى العاملين الدينى والسياسى معا . وكان الأئمة الزيدية ينافسون الخلفاء الفاطميين فى الإمامة والحكم . وأيد الصليحيون دعوى الفاطميين برياسة المسلمين . فاحتكوا بالصليحيين برغم اشتراكهم فى التشيع وحب أهل بيت النبى الذى كان يجمع الفريقين . وكان العامل السياسى أقوى من الاختلاف الدينى ، لأن الدعوة الفاطمية وقفت من يوم حضور الإمام الهادى إلى الله يحيى ابن الحسين باليمن حجر عثرة إزاء توسع الدعوة الزيدية باليمن . فما استطاع الأئمة نشر دعوتهم بالتى هى أحسن . وذلك لأن الدعوة الفاطمية رمت إلى نفس الهدف ، وهو إنشاء دولة موالية لأهل بيت النبى باليمن بعد ما كابدوا من ظلم واعتساف بأيدى الأمويين والعباسيين ، وأدركت مطالبها فى أيام منصور اليمن[٢] ، ثم فى عهد الصليحيين بصورة أوسع وأقوى من المجهود الزيدى . فاشتبك الفريقان أو الدعوتان فى صراع دموى ، للوصول إلى نفس الغاية . وإننا نرى أن هذه الغاية كانت سياسية أكثر من أن تكون دينية بحتة ؛ والدليل على ذلك ما رأينا من انضمام رؤساء الزيدية لدولة الحبشة العبيد السنيين والتحالف معهم ضد الصليحيين ، كما فعل الإمام أبو الفتح الديلمى حين استولى الملك على بن محمد الصليحى على صنعاء أو كما فعل أشراف المخلاف السليمانى حينما دعوا الغز الذين احتلوا مصر أن يحتلوا اليمن .

---

(١) كان من حمير من قرية العنبرة فى قرب زبيد . وكان ظهوره سنة ٥٣١ . قضى على الدولة النجاحية فى تهامة سنة ٥٥٤ حتى قضى على ملكه توران شاه الأيوبى سنة ٥٦٩ (عمارة / كاى ٩٢ — ٣٠) .

(٢) الباب الثانى من هذا الكتاب .

وقد وقفنا على الحوادث التى حدثت بسبب احتكاكهم بالدولة الصليحية فى عهد الملك على بن الصليحى وفى عهد ابنه الملك المكرم ؛ وذكرنا ما كان من انضمام الشريف يحيى بن حمزة السليمانى إلى النجاحيين فى موقعة الكظائم وما كان من هزيمة العرب تحت راية الصليحيين[1] . وظلت صعدة نتيجة لهذا النزاع منطقة للتجاذب بين القوتين ، حتى عهد الملكة الحرة سنة ٥١١ ، حيث ثار الأمير المحسّن ابن الحسن[2] داعى الإمام أبى طالب يحيى بن أحمد بن الحسين الهارونى الديلمى[3] واستولى على نجران والجوفين والظاهر وحصن ثلا ، وقاتل الصليحيين حتى قتل السلطان سليمان بن عامر بن سليمان الزواحى فى وقعة نشبت بين ثلا وكوكبان فى سنة ٥١١ . ولم يقو الصليحيون بعد ذلك على إعادة نفوذهم فى اليمن الأعلى .

وهذا العداء الذى رسخ فى قلوب أهل المذاهب يفسر لنا الأسباب التى جعلت حكم هذه الدولة لليمن حكما غير مستقر ، بل جعلت حكمهم كأنه قائم على فوهة بركان ، لا يستقر له قرار ، كما يفسر لنا الحروب المستمرة التى قامت بها الدولة الصليحية . وكانت الدولة النجاحية من جهة ، والفقهاء من جهة ، والأشراف من جهة ، من أهم العوامل التى أضعفت الدولة الصليحية ، لأنهم ظلوا طوال حكم الصليحيين (٤٣٩ — ٥٣٢) فى حالة حرب معهم ، مما جعل الدولة تستنفد الكثير من جهودها فى سبيل مقاومتهم .

عدم التعاون بين الحاكم والمحكوم

فإذا كانت الحكومات التى تمثل الأغلبية فى الشعوب لم تتمكن من تحقيق العدل السياسىّ والاجتماعىّ فى مجتمعاتها من أقدم العصور إلى الآن ، فإنه لا ينتظر من أقلية فاطمية المذهب تحكم أكثرية سنية أن يتحقق هذا العدل على يديها .

---

(١) ص ١٥٢ — ١٥٤ .

(٢) هو المحسن بن الحسن بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم المختار ابن الناصر أحمد بن الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى ، قام بدعوة الإمام أبى طالب باليمن . ولم يزل على إمارته حتى قتله الحدادون بصعدة .

(٣) هو أبو طالب الصغير يحيى بن أحمد بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهارونى من بلاد الجيل والديلم .

ولكن يمكن أن نقول إن بلاد اليمن كانت أحسن حالا تحت حكم الصليحيين مما كانت عليه قبل ذلك الحكم ، وذلك نتيجة للوحدة التى أوجدتها الدولة الصليحية ؛ بل إن الصليحيين عملوا إلى حد كبير على إسعاد شعبهم طوال مدة حكمهم ، بما خولتهم الظروف المحيطة بهم . ولكن إذا كانت هذه الدولة لم توفق إلى ماقصدته ، فذلك يرجع إلى أن معظم الرعية كانوا يعتقدون فى كفر رؤسائهم . وليس من السهل أن ينزع هذا الاعتقاد من صدورهم مهما قدم لهم الصليحيون من خدمات .

كما ينبغى ألا يفوتنا أن أمور الحكم إنما تستقيم حينما يكون التعاون والتضامن بين الحاكمين والمحكومين فى الأصول التى يقوم عليها النظام . فليس يكفى أن يكون الحاكم نقى الضمير ، مؤثرا للعدل ، مصطنعا للمعروف ، حريصا على رضا الله ، كافيا بعد ذلك لمشكلات السياسة ، خراجا منها إذا ادلهمت ؛ وإنما يجب أن يكون لرعيته حظ من هذا الضمير الحى اليقظ ، ومن حب العدل ، وإيثار المعروف . وهذه المشكلة واجهتها الدولة الصليحية فى اليمن ، فلم يكن هناك تضامن صحيح بين ملوك هذه الأسرة والكثرة الضخمة من رعاياهم .

مظاهر سقوط الدولة

على الرغم من أن هذا التضامن كان قائما بين السلاطين من آل الصليحى وبين الطبقة الأرستقراطية التى أوجدها النظام الإقطاعى فى عهد الصليحيين من الزواحيين واليامين وغيرهم ، وعلى الرغم من أن الملكة الحرة قد استعانت ببعض الشخصيات فى إدارة شئون دولتها ، إلا أن الحالة أخذت فى الضعف والانحلال لأسباب ذكرناها آنفا .

فقد استقل النجاحيون كما رأينا بتهامة وزبيد بعد موقعة الكظائم سنة تسع وسبعين وأربعمئة . ثم استولى على بن مهدى الحميرى الرعينى [1] سنة أربع وخمسين

---

(١) من حمير من أهل قرية العنبرة من سواحل زبيد وحاصر ابن مهدى زبيد ، « واستنجد أهل زبيد الشريف الرسى أحمد بن سليمان صاحب صعدة ، فأنجدهم طمعا فى الملك . واشترط عليهم أن يملكوه عليهم وأن يقتلوا مولاهم فاتكاً فقتلوه . ثم عجز الإمام الشريف عن نصرهم وهرب » كما رواه عمارة / كاى ٩٦ .

وخمس مئة ، وقام بعده ابناه مهدى بن على وعبد النبى بن على حتى انتهت دولة بنى مهدى بتهامة بزحف السلطان توران شاه الأيوبى سنة تسع وستين وخمس مئة .

وبعد وفاة السلطان أبى حمير سبا بن أحمد الصليحى سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة خرجت صنعاء من الدولة الصليحية . واستولى عليها السلطان حاتم ابن الغشم المغلسى الهمدانى[١] وناصرته قبائل همدان ، وصارت بعده إلى ابنه عبد الله بن حاتم ، ثم إلى أخيه معن بن حاتم . ثم خلعته همدان وولت مكانه كلا من هشام وحماس ابنى القُبَيب الهمدانى . ثم اختارت همدان السلطان حاتم بن أحمد (المجيدى) بن عمران بن الفضل اليامى الهمدانى[٢] بأمر صنعاء وأعمالها فى سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة . وملكها بعده ابنه السلطان على بن حاتم . وضربت باسمهما السكة وأقيمت لهما الخطبة[٣] . وانتصر على بن حاتم اليامى فى وقعة ذى عُدَيْنه على جيوش عبد النبى بن على بن مهدى الحميرى نصرا عظيما وفرّ عبد النبى إلى زبيد . فاتسعت رقعة دولة الهمدانيين على معظم اليمن الأعلى فى عهد السلطان على بن حاتم ، حتى أزاله وأخاه السلطان بشر بن حاتم اليامى الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب عن صنعاء وذمرمر وغيرها من الحصون والمعاقل[٤] .

وصارت عدن ونواحيها إلى تعِزّ والجَنَد وجبلة وما يليها فى ملك بنى زريع ابن العباس بن الكرم الجشمى الهمدانى إلى أن استولى عبد النبى بن على ابن مهدى على التعكر والجند وتعز وجبلة وغير ذلك من المعاقل والمدن . فبقيت عدن فى أيديهم حتى أزالهم عنها الملك المعظم توران شاه بن أيوب ، وتسلم بعده الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب الدملوة وحب بعد أن حاصرها أربعة عشر شهرا . وخرج منهما جوهر المعظمى والى بنى زريع ، وكان معه فيها ابنا عمران ابن محمد بن سبا الزريعى الصغيران .

---

(١) من بنى المغلس ثم من مذكر ثم من يام (عيون ٧ / ٢٣١) .

(٢) كان القاضى عمران بن الفضل اليامى جد السلطان حاتم بن أحمد واليا على صنعاء فعزله الملك المكرم الصليحى ؛ ثم قتل فى وقعة الكظائم فى عهد الملكة .

(٣) عيون ٧/٢٣١ .

(٤) نفس المرجع ٧/٢٣٢ .

وكان سليمان وعمران ابنى الزر من خولان قد استقلا بحصنى خَدِد والتعكر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، وذلك بعد أن غادر ابن نجيب الدولة سواحل اليمن . ثم استولى عليهما بنو زريع ، ثم ابن مهدى إلى أن طوى الغز بلاد اليمن .

وقد انتهت معارضة الصليحيين للدولة الزيدية بصعدة بعد وقعة ثلا فى سنة إحدى عشرة وخمس مئة . وبعد أن قتل الحدادون الأمير الحُسَّن بن الحسن بصعدة قام بأمر الحسبة الأمير على بن زيد بن إبراهيم[١] فى سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة . وفى السنة التالية قام المتوكل على الله أحمد بن سليمان[٢] بأمر الإمامة فصارت صعدة وما يليها لبنى الهادى ، وشهارة وما يليها لبنى القاسم العيانى ، وتهامة الشام إلى وادى عين للأشراف من بنى سليمان[٣] . ولما صار أمر المخلاف السليمانى بيد الشريف غانم بن يحيى بن حمزة قامت بينه وبين عبد النبى بن على بن مهدى حروب كثيرة قتل فيها غانم بن يحيى سنة ستين وخمس مئة[٤] .

مصير حصون آل الصليحى وأموالهم

وكان منصور بن المفضل بن أبى البركات الحميرى مستوليا على ذى جبلة وملك بنى المظفر فى أشيح وحصونهم بعد وفاة أبيه المفضل سنة أربع وخمس مئة . وكان يدين بالطاعة إلى الملكة الحرة حتى وفاتها سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة . وبعد ذلك استولى على ما كان تحت يدها من حصون وذخائر وأموال . ولما تقدمت به السن وصار لايقدر على حماية هذه الحصون من الطامعين ، وأعيته الشيخوخة عن التحرك ، باع حصون بنى الصليحى ومدنهم سنة سبع وأربعين وخمس مئة[٥] ، وهى ثمانية وعشرون حصنا ومدائن ، منها مدينة ذى جبلة وحصن

---

(١) هو على بن زيد بن إبراهيم المليح بن المنتصر محمد بن القاسم المختار بن الناصر أحمد بن الهادى يحيى بن الحسين .

(٢) هو أحمد بن سليمان بن المطهر بن محمد بن المطهر بن على بن الناصر أحمد بن الهادى يحيى بن الحسين .

(٣) أنباء / دار ٥٢ .

(٤) المقتطف ٧٣ .

(٥) عيون ٢٠٧/٧ . وذكر صاحب العيون (٢٣٢/٧) أن بقى فى أيدى بنى الصليحى حصن أشيح وحصن قيضان ألى أن أزالهم عنهما سيف الإسلام طغتكين .

التعكر وذى أشرق وإب . وقد ابتاعها المتوج محمد بن سبا بن أبى السعود الزريعى بمئة ألف دينار . وطلّق منصور زوجته الصليحية الأميرة أروى بنت على بن عبدالله بن محمد الصليحى . فتزوّجها الملك محمد بن سبا[١] ، فانتقلت حصون آل الصليحى وذخائرهم وماورثت الأميرة أروى الصليحية من الثروة إلى محمد بن سبا الزريعى ، ثم إلى ابنه عمران ابن محمد بعد وفاة أبيه فى سنة ستين وخمس مئة . فقوى نفوذ الملك محمد بن سبا الزريعى تبعا لذلك ، وطاش فرحا لماصار إليه من المال والقوة والمعاقل والعقائل[٢] . ونزل منصور بن المفضل إلى حصن تعز وصَبِر ، ولم تزل صحته تتدهور حتى وافاه الموت سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة . فخلفه ابنه أحمد ، واستمر هذا مالكا لتعز وصبر حتى سنة ثمان وخمسين وخمس مئة ، حيث اشتراها منه على بن مهدىّ . وانتقل أحمد إلى الجَنَد فسكنها إلى أن توفى سنة ثلاث وستين وخمس مئة[٣] . وبقيت هذه الحصون والمدن فى أيدى ملوك بنى زريع إلى أن استولى على بلادهم عبد النبى بن على بن مهدى وتملك بلادهم غير عدن ، فإنهم صالحوه فى تركها فى أيديهم[٤] حتى أزالهم عنها توران شاه بن أيوب .

فتح الأيوبيين لليمن

وقد كان فتح الملك المعظم توران شاه الأيوبى لليمن سنة تسع وستين وخمس مئة بدعوة من الشريف قاسم بن يحيى بن حمزة بعد أن قتل صنوه الشريف غانم ابن يحيى وهزيمته فى حروبه مع الملك عبد النبى بن على بن مهدى الحميرى . « وقد استنجد الشريف قاسم صاحب بغداد الخليفة الناصر بن أحمد المستضىء العباسى على عبد النبى . فأمر الخليفة السلطان صلاح الدين بن أيوب بنصرته »[٥] . فامتثالاً

---

(١) عمارة / كاى ٥٦ .
(٢) نفسه ٥٦ .
(٣) قرة ٢٧ .
(٤) عيون ٢٠٧/٧ .
(٥) المقتطف ٨٣ .

لأمر الخليفة أرسل صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن ومعه ثلاثة آلاف مقاتل ، وعند ما وصل توران شاه إلى ناحية صبيا من بلاد تهامة انضم إليه الأشراف[1] .

وبعدئذ قصد زبيد وأخذها عنوة وقضى على دولة بنى مهدى ، وقضى على دولة بنى زريع ، وقضى على دولة الهمدانيين ، وقضى على الفوضى التى كانت باليمن بعد انقراض أمر الدولة الصليحية . فلم يبق لآل الصليحى ولا للأشراف ولا لغيرهم نفوذ ولا سلطان . وبقضائه على ملك بنى مهدى الحميرى انقرض ملك العرب فى اليمن ، وصار للغز ومواليهم . وخطب للخليفة العباسى فى جميع البلاد التى فتحها . وولّى سيف الدولة مبارك بن منقذ على زبيد ، وعز الدين عثمان بن الزنجبيلى على عدن ، كما عين فى كل قلعة من قلاع اليمن التى دخلت فى حوزته نائبا من أصحابه .

وهكذا انتقلت السيادة فى اليمن من أيدى اليمنيين إلى الأيوبيين ، الذين حرصوا على إظهار ولائهم للخلفاء العباسيين ، وأقاموا الخطبة لهم فى جميع أنحاء اليمن التى دخلت تحت رايتهم .

---

(١) المقتطف ٧٣ .

الباب التاسع

آداب الدعوة الفاطمية وتحولها إلى اليمن

مميزات الحياة العلمية في القرنين الثالث والرابع

يمتاز القرنان الثالث والرابع بناحيتين متباينتين فى تاريخ العالم الإسلامى ؛ فبينما كانت الحالة السياسية من جهة مضطربة جدًا ، لإزدحام الأهواء والشهوات ، صلحت من جهة أخرى حياة الناس العقلية صلاحا لم يعرف له مثيل من قبل .

ولعل ذلك يرجع إلى أن المجتمع الإسلامى لم يكن فى حقيقة الأمر وحدة سياسية . وإنما كان شعوبا مختلفة أشدّ الاختلاف ، متباينة أشدّ التباين ، جمعها الإسلام تحت لواء واحد ، وحاول أن يمزجها ويلغى ما بينها من الفروق . فوُفق إلى تكوين حضارة إسلامية شاملة ؛ ولم يتح له العمل على إنشاء مجتمع له منهج سياسىّ اقتصادىّ ثقافىّ واحد فى جميع تفاصيلها وفى جميع أنحاء العالم الإسلامى .

وكانت الحياة السياسية تتحسّن بتحقيق العدل ونشر الطمأنينة بين الناس . وقد يحمل الظلم والحروب كثيرا من عظماء الرجال وذوى العقول الراجحة أن يفرّوا من العمل السياسىّ إلى العمل العلمىّ ، لأنهم كانوا يجدون أنّ العمل السياسىّ يعرّضهم إلى إزهاق أرواحهم ، وإلى أخطار ماديّة جسيمة ، على حين يحوطهم العمل العلمىّ بجوّ خاص هادىء .

والخلاصة أنّ الحالة العلمية فى القرنين الثالث والرابع كانت فى العالم الإسلامى أنضج منها فى العصر الذى قبله ، فأخذ علماء هذا العصر ما نقله المترجمون من قبلهم من علوم اليونان والفرس والهند ، فشرحوها وهضموها ، وأخذوا النظريات المبعثرة فرتّبوها ، وورثوا ثروة من جاء قبلهم فى كثير من فروع العلم ، ثم حاولوا أن يطبّقوا معارفهم بالديانة الإسلامية ، وأن يدافعوا عنها بطريق العلم والتجربة

والعقل لا بطريق النقل فقط ؛ فنشأ فيهم علماء سمّوا بالمعتزلة والفلاسفة والمتكلّمين وإخوان الصفا، وأهل التصوّف وغيرهم من أصحاب المدارس العلمية والمذاهب الدينية .

تمسك علماء الدعوة بظاهر الشريعة

وقد دخل الأئمة الفاطميون ودعاتهم العلماء فى هذا المضمار ؛ وذلك لأن الدعوة الفاطمية تقوم كثيرا على مباحث العلم والجدل والمناظرات ؛ وبها استطاعت الدعوة أن تنتشر فى كثير من أنحاء العالم . وقد سبقهم المعتزلة فى استخدام العلم فى تفسير القرآن ، واستخدام بعض النظم الفكرية اليونانية فى تكوين نظام فكرىّ خاص ، يتفق مع آرائهم الدينية وعقائدهم الإسلامية . وقد اختلفت الأسباب والطرق التى أدّت إلى هذا العمل ، من مزج الفلسفة بالدين وتطبيق العلم على العقيدة ، كما اختلفت نتائج محاولاتهم . وقد اختلفت العلماء المعتزلة أنفسهم أمثال النظام وأبى الهذيل والجبائى فى مطابقة المحسوس بالمعقول . وكان المعتزلة يعملون هذا لا لمجرد المتعة العلمية ، بل دفاعا عن حوزة الإسلام . وكذلك ما استطاع الفلاسفة أن ينسّوا العقيدة الإسلامية ، فأتوا كثيرا فى مباحثهم بكلام فلسفىّ دينىّ . وقد سلك العلماء الصوفية المسلك نفسه للوصول إلى غاياتهم ، بل بالغوا فى السير حتى اضطر المحافظون أن يقفوهم فى حدود العقيدة . ونرى أن الصوفية والفاطميين اتفقا بوجه خاص على تقسيم المعرفة فى الظاهر والباطن ، ففيه اعتراف منهم أن الظاهر هو الإسلام ، وهو الأساس الثابت . فلذلك نرى أن الدعوة الفاطمية تتمسك كل التمسك بالشريعة وتكاليفها ، ولا تترك أى مجال للهوادة فيها ، وتعتبر الاشتغال بعلم الباطن عبادة علمية ، لا وجوب لها إلا على من أرادها واستحقها بالطاعات ، وتقدم فى العلوم الظاهرة . وأثبت الشيخ يعقوب السجستانى فى الإقليد الثالث والستين من كتاب المقاليد أن « الوقوف على الحقائق فى الشرائع لا يسقط الأعمال ؛ إذ أن الأعمال الشرعية من الدين ، وتاركها تارك الدين والدين عند الله الإسلام » . وقد ذهب علماء الدعوة إلى تكفير القرامطة وغيرهم من الجماعات التى حادت عن الدعوة الرسمية ، وفضّلت الباطن على الظاهر ، وقالت بتعطيل التكاليف الشرعية . ومما يدل على أن الباطن لا يحل محل الشريعة ، إذ لا خلاف فيها ، اختلاف علمائهم أمثال أبى حاتم

أحمد بن حمدان الرازىّ ، والشيخ محمد بن أحمد النسفىّ ، والشيخ أبى يعقوب السجستانىّ ، فى تقديم القَدَر على القضاء ، وفى بعض نظرياتهم فيما وراء الطبيعة ، ومحاولات الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى ، ومن أتى بعده من علماء اليمن الذين سنذكرهم ومؤلفاتهم فيما بعد[1] فى التوفيق بين الآراء المتصادة المتباينة .

ومع هذا فقد اشتهر الفاطميون باسم الباطنية ، واتهموا بتعطيل الشريعة ؛ وذلك يرجع إلى نشأة القرامطة أولا ، ثم الدروز ، ثم النزارية ؛ وخروجهم جميعا فى أول الأمر على الدعوة الفاطمية الرسمية ؛ واتخاذ الناقضين مبدأ الباطن أساسا لمذهبهم ، وتعطيلهم الشريعة وتكاليفها ، وغلوهم فى أشخاص الأئمة الذين قاطعوهم وحاربوهم . فنسب التعطيل إلى أهل الدعوة كلّهم ، وسموا بالباطنية ، إما جهلا أو ظلما . وقد رأينا أن الملكة الحرة حجة الإمام فى الجزيرة اليمنية ، ورؤساء الدعوة اليمنية ، تمسكوا بأصول الدعوة الفاطمية القديمة الرسمية . ومن مبدأ هذه الدعوة القديمة احترام الظاهر قبل كل شىء ، وتأدية الأعمال الشرعية بأسرها ، واعتبار الحياد عنه كفرا وخروجا عن الدعوة ، بل عن الدين الحنيف . وبالرغم من أنها أرادت قلب النظام السياسىّ المسيطر على الإسلام فى أواخر القرن الثالث ، وبالرغم من أنها شجّعت الجمعيات السرّية ، وأيدّت الحركات الانقلابية ، كما بيناه فى مقالنا عن مؤلفى الدعوة ومؤلفاتهم[2] ، أصبحت الدعوة بعد قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب فى سنة سبع وتسعين ومئتين تحمى حمى الإسلام ، وتتحصن فى حصن الشريعة ، كما يتضح فى كتب الشيخين أبى حاتم الرازى وأبى يعقوب السجستانى ، وتقوم بدعائم الإسلام ، كما فعل القاضى أبو حنيفة النعمان فى عهدى المنصور بالله ، والمعز لدين الله ، والشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى فى عهد الحاكم بأمر الله ، والمؤيد فى الدين الشيرازى فى عهد المستنصر بالله ؛ فنرى أن رؤساء الدعوة صاروا ، بطبيعة الحال ، محافظين أشدّ المحافظة على ظاهر الشريعة ، بعد أن كانوا دعاة إلى قلب النظام السياسىّ والفكرىّ ، وحاربوا الناقضين والخارجين عن حوزة الشريعة من القرامطة والدروز والنزارية .

---

(١) انظر الباب العاشر . (٢) راجع JRAS (١٩٣٣) ص ٣٦٧ .

رأى عالم سنى عن عقائد الصليحيين

وقد أيدنا فى هذا الرأى الدكتور محمد كامل حسين بمقال قيم عن عقيدة الفاطميين والصليحيين[١] نقتطف منه بعض الفقرات . قال : « إن دعاة الفاطميين نادوا بالتوحيد ، وتوحيد الله عندهم ينفى جميع مايليق بمبدعاته عنه ، فهم ينزهون الله سبحانه وتعالى عن جميع ما يوصف به خلقه من الصفات والنعوت ، فهم يقربون فى التنزيه من آراء المعتزلة ، وكما أن المعتزلة أوّلوا الآيات القرآنية التى يشتبه فيها التجسيم والتشبيه تأويلا يتفق والتنزيه ، كذلك أوّل دعاة الفاطميين هذه الآيات لنفى التشبيه عن الله . وبذلك قال دعاة الدعوة الطيبية اليمنية أيضا ، فإبراهيم ابن الحسين الحامدى يقول : « أوّل الديانة لله تعالى معرفته ، وكمال معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفى الصفات عنه »[٢] . ويقول على بن الوليد فى رسالة جلاء العقول : « وصفه تشبيه ، ونعته تمويه ، والإشارة إليه تمثيل ، والسكوت عنه تعطيل ، والتوهم له تقدير ، والإخبار عنه تحديد »[٣] . وهكذا لا يقول الدعاة بالتشبيه ، ولا بالتجسيم ، ولا بالتعطيل . وهم فى ذلك على نحو ماقال المؤيد فى الدين :

نوحـــدُ اللهَ ولا نشبّهُ قد انتفت فى ذاكَ عنا الشُّبَهُ

« فالاعتراف بوجود الله تعالى ووحدانيته وتنزيهه أصل الدعوتين الفاطمية والطيبية ، وهم فى ذلك يشتركون مع أكثر المسلمين من أصحاب الفرق الأخرى » .

« وهم يعترفون بالأنبياء والرسل ، وسمّوا الأنبياء بالنطقاء ، والأنبياء عندهم معصومون فى كل قول وعمل ، لأن الله اجتباهم فظهرهم ، حتى يقتدى بهم غيرهم من البشر وإمعانهم فى القول بعصمة الأنبياء جعلهم يؤولون قصص الأنبياء التى وردت فى القرآن الكريم تأويلا يتفق مع العظمة التامة الذاتية ، التى خصهم الله تعالى بها . ولهم الفصول الطوال فى إثبات النبوة وفضل الأنبياء والرد على من ينكر الأنبياء من أمثال الراوندى وغيره ، وهم فى حديثهم عن النبوة والأنبياء لا يغالون

---

(١) من مقال أرسله لنا صديقنا الكريم فى هذا الموضوع .

(٢) الحامدى : كنز الولد ورقة ١٥٩ (مخطوط بمكتبة الدكتور محمد كامل حسين) .

(٣) مخطوط بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ١٥٤٣٣ .

فيهم غلوّ أصحاب بعض الفرق والمذاهب ، بل الأنبياء من البشر ، خصهم الله بهذه المرتبة لهداية البشر إلى الصراط المستقيم ، فهم فى ذلك أيضا يشتركون مع غيرهم من المسلمين . وفى اتباع الفاطميين للأنبياء يقول المؤيد فى الدين :

فكيف شرعَ الأنبياء ندفعُ ... وما لنا إلا النبىّ مَرجعُ
بنوره فى الدرجات نرتقى ... وبالكرام الكاتبين نلتقى
فالعن إلهى جاحدى الشرائع ... وارمهمُ بألعَنِ الفواجع
فإننا لأهلُ علم وعمل ... لله دِنّا بهما عزّ وجل[1]

«فكل ماجاء به الأولياء والمرسلون هو الحق والصدق ، والتصديق بالكتب السماوية ، وأنها منزلة من الله على أنبيائه ، كل ذلك قال به الفاطميون والصُّليحيون. وهاهو أحد دعاة الصليحيين ، وهو شرف الإسلام الخطاب بن الحسن بن أبى الحفاظ[2] المتوفى سنة ٥٣٣ يقول فى إحدى مناجياته :

يا عالم الغيب منّا والشهادة يا ... بارى البرية تركيبا وتصويرا
شهدتُ أنك فرد واحد صمدٌ ... شهادة لم تكنْ مَينا ولا زورا
وجهتُ وجهىَ فى سرّى وفى عَلَنى
إليك حمدا وتهليلا وتكبيرا
عبادةٌ هى عين الحقّ خالصةٌ ... وكان ذلك فى القرآن مسطورا[3]

«فإذا كان رأيهم فى الأنبياء بهذه المثابة ، فلا شك أنهم يؤدون الفرائض التى جاء بها الرسول الكريم ، وسمّوا القيام بهذه الفرائض بالعبادة الظاهرة ، تمييزا لها عن العبادة العلمية أو التأويل الباطن ، الذى تقول به الإسماعيلية على اختلاف فرقها وأحوالها . فالعبادتان الظاهرة والباطنة هما أسس المذهب الفاطمىّ ، وعنهم

---

(١) د المؤيد ، القصيدة الأولى .
(٢) انظر الباب السادس ص ١٩٣ — ٢٠٤ .
(٣) د الخطاب ص ١٧ (م.م.ه) .

أخذ الصليحيون هذه الأسس ولم يغيروا منها شيئا إلا ما نراه من بعض اختلاف فى التأويل. والذى يهمنا الآن هو أنهم كانوا يقولون بالعلم والعمل معاً، أى بالباطن والظاهر.

« وإذا نظرنا إلى آرائهم فى العبادة الظاهرة، رأينا أنهم لا يختلفون عن غيرهم من المسلمين من أهل السنة والجماعة فى القول بأن الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد فى سبيل الله هى أركان هذه العبادة، وعلى المسلم أن يؤديها حسب ما جاء فى الكتاب والسنة، ولا خلاف بين دعاتهم وعلمائهم فى ذلك؛ فالقيام بأمر هذه القواعد فرض واجب، لا يجوز إهماله بأى حال من الأحوال، ويجب أن تؤدى هذه الفرائض فى أوقاتها المعلومة التى رسمت لها، ولعنوا كل من طرح الشرائع أو جحدها.

« ويقول صاحب كتاب تاج العقائد[1]: « الإسلام محمول على القول والنطق بالشهادة وترك المعصية، وهو الباب المدخول منه إلى تطلب حقائق ما جاء به الرسول، ومنه التعلق بجميع الطاعات، وانطلاق النفس إلى الفكرة فى أوامر الله، والتزام ما جاءته شريعة الخالق ».

« وهكذا نرى الصليحيين ومن ورثهم من أتباع الدعوة الطيّبيّة يقومون بجميع الفرائض الإسلامية التى فرضها الله على عباده، وينهجون نهج السنة المحمدية، مثل غيرهم من المسلمين فى كل البقاع. ولكن الشىء الذى خالفوا فيه أهل السنة، وخالفوا فيه الشيعة، على اختلاف فرقها، هو القول بولاية الإمام من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وأن ولاية هذا الإمام هو محور الديانة عندهم، فلا دين لمن لا يوالى إمامهم.

« والتقارب شديد جدا بين الزيدية والدعوة الفاطمية والصليحية فى كل ما يتعلق بالتوحيد والعبادات الظاهرة؛ ولكن الفرق شديد جدا فى ما جاء به الفاطميون من تأويلات باطنية لم يقل بها سواهم، فالتأويل الباطن وهو أخص

---

(١) الاعتقاد الثانى والسبعون.

ما يتميز به الفاطميون ومن تبع مذهبهم من الصليحيين وغيرهم ، يختلف تمام الاختلاف عما قال به مفسرو فرق الشيعة الأخرى وعما قال به جمهور أهل السنة ، على أن بعض فرق الإسماعيلية ذهبت فى التأويل الباطنى مذاهب أبعدتهم عن الإسلام وعن الخلق الاجتماعى العام ، وهذه الفرق أحلت المحارم بدعوى التأويل ، ولذلك ترى السلطان الصليحى الخطاب ابن الحسن يتبرأ من هذه الفرق ، فيقول :

دِينِيَ لَعنُ الباطنيِّ الذى ... يصدُّ عن نهج الهدى الواضح
وكل من دان بمن دانه ... أحل جارى دمه السامح
قوم فروض الشرع قد عطلوا ... وصيروها هزءا لمازح

« من ذلك نستطيع أن نقول أن ما جاء فى كتاب كشف أسرار الباطنية لابن مالك الحمّادى اليمانى ولصق بالصليحيين هذه البدع إنما هى عن فرق أخرى غير الصليحيين » . وانتهى ما ذكره الدكتور محمد كامل حسين عن عقائد الصليحيين .

لماذا التجأت الدعوة إلى التستر

وسموا مع هذا باسم الباطنية ، ولعل ذلك يرجع أيضا إلى التستر الشديد الذى فرضته الدعوة على آرائها وعلومها وأهدافها وأعمالها ، خوفا من اضطهاد المضطهدين ونقض الناقضين . وقيل إن حركة قد قامت فى التركستان لاستئصال شأفة الدعوة كان بين ضحاياها العلمان الشيخ محمد بن أحمد النسفىّ والشيخ أبو يعقوب السجستانى . وقد قتل العابد العالم الصوفىّ حسين بن منصور الحلاّج ، متهما بمزج الفلسفة بالدين وبالزندقة . وكان القرامطة فى هذا الوقت يقومون بنشاط كبير فى العراق والبحرين[1] . ثم أعلن على بن الفضل الجيشانى اليمانى خروجه على تعاليم الدعوة ، ومال إلى اتجاه القرامطة فى تعطيل الشريعة ، فحاربه ، كما ذكرنا فيما سبق[2] ، أبو القاسم منصور اليمن ، فخرج المهدى عبدالله بن الحسين ، الذى أراد أن ينشىء دولته باليمن ، بعد أن سمع بخروج على بن الفضل على منصور اليمن ، واتجه إلى المغرب حيث

(١) ابن الأثير : الكامل / حوادث سنة ٣٠٤ إلى ٣٤٣ ؛ البغدادى : فرق ٢٦٧ — ٢٧٧ .
(٢) انظر الباب الثانى ص ٣٩ — ٤٦ .

هيأ أبو عبد الله الشيعى الصنعانى سبيله لذلك الغرض . وقد شدّدت الدعوة هذا التستر ، بعد أن رأت العداء المستمر ، وتضييق الخناق على التفكير الحرّ ، ومقتل المفكرين العلماء من المعتزلة والزيدية والإمامية والصوفية والفاطمية ، وبعد أن رأت خروج القرامطة والدروز والنزارية الحشاشين ، واستعمالهم مبادىء علم الباطن للمروق عن الدين ، وللتعطيل والفوضى الخلقية ، وبعد أن رأت تطرف بعض المتصوفين ، وغلو بعض فرق الشيعة .

فلما انتقل أمر الدعوة إلى اليمن فى أواخر عهد الملكة الحرة وبعد مقتل الإمام الخليفة الآمر بالله ، التجأت الدعوة بمرور الزمن إلى التستر أكثر فأكثر . وذلك أنها فقدت تأييد الدولة ، وعاشت طوال هذه القرون تكافح بين الحياة والموت . ولقد كانت الدعوة تصير نسيا منسيا لو لم يلتجئ أهلها إلى التستر بمعاقلهم المنيعة فى جبال حراز ونجران واليمن الأسفل ، وأخيرا وليس آخرا بمعاقل عقيدتهم الراسخة وسيرتهم الفاضلة .

وقد استخدم العلماء الفاطميون — كما فعل المعتزلة والصوفية والمتكلمون والفلاسفة مع بعض الاختلاف — ماوجدوا من نظم فكرية كثيرة فى الفلاطونية الحديثة ، وفى مباحث أنصار هذه المدرسة من المسلمين ، وفى كلام المانوية ، وفى نظريات الهند ، وأنشئوا نظاما خاصا يتفق مع آرائهم فى التوحيد والإبداع والخلق والكون والبشر والنبوة والإمامة والقيامة والبعث ، وفسروا التنزيل تفسيرا يتفق مع عقيدتهم فى إمامة سيدنا على بن أبى طالب وإمامة أهل بيت النبوة ، فأطلقوا على هذا النظام الخاص اسم علم الحقائق ، أو علم الابتداء والانتهاء ، أو علم المبدأ والمعاد ، وعلى تفسير التنزيل وقصص الأنبياء وأركان الشريعة اسم علم التأويل ، وسموا الاثنين علم الباطن وعلوم أولياء الله .

علماء الدعوة المؤلفون

ونظر لأن الدعوة اليمنية ونشاطها العلمى ليست إلا استمرار مجهود الدعوة الفاطمية فى تكوين علومها ونشرها يحسن بنا أن نذكر لمحة عن بعض العلماء الذين كوّنوا هذه الثروة الأدبية مع ذكر مؤلفاتهم :

وقد حمل لواء العلوم المتداولة فى القرنين الثالث والرابع علماء أجلاء من دعاة الفاطميين أمثال الشيخ أبى حاتم أحمد بن حمدان الرّازى[١] والشيخ أبى عبد الله النسفى[٢] والشيخ أبى يعقوب السجستانى[٣] وغيرهم ممن اتخذ الفلسفة وسيلة إلى الإقناع . فقد بلغ نشاط الدعاة فى نشر مبادئهم وعلومهم فى بلاد فارس وما وراء النهر مبلغ التفوق على منافسيهم حتى طلب أهل طبرستان النجدة العلمية من بغداد[٤] . وقتل الشيخ محمد بن أحمد النسفى صاحب كتاب المحصول وتلميذه الشيخ أبو يعقوب السجستانى فى سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة ، وقد انتشرت علوم الدعوة الفاطمية على أيديهما فى خراسان وبخارى .

أبو حاتم الرازي

فأبو حاتم الرازى كان من أعلام النهضة العلمية الإسلامية فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع . وكان يلجأ إلى النـــاحية العلمية الـكلامية والفلسفية ، ويعمل حينا لنشر العلوم العربية . ومن أقدم آداب الدعوة التى احتفظت الدعوة اليمنيـــة بها ، مؤلفـات الشيخ أبى حاتم ، ومن أهمهـا كتاب الزينة فى الأحرف ومعانيها[٥] وهو كتـاب جليـل فى الـكلمات العربية والدخيلة التى نطق بها القرآن وسنها المسلمون والتى صارت المصطلحات الإسلامية . وله أيضا كتـاب أعلام النبوة[٦] ويحتوى على ما جرى بينه

---

(١) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان اللبنى الورسنانى الرازى المتوفى سنة ٣٢٣ من علماء الدعوة فى بلاد الرى ، ثم انتقل إلى بغداد (ترجمه الحافظ فى لسان الميزان رقم ٥٢٣) ، واتهمه البعض بالباطنية والزندقة والثنوية والدهرية ، ولا ترى شيئا من هذا فى مؤلفاته . وذكره صاحب الروضات من الإمامية ، ودعا له الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين برضوان الله ، وينقل عنه السيوطى والعينى من علماء السنة فى تفاسيرهما . وكان على صلة وثيقة مع المبرد وثعلب .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفى أو النخشبى البزدعى ، قتل سنة ٢٣١ .

(٣) هو أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزى أو السجستانى ويلقب بدندان ، قتل سنة ٢٣١ .

(٤) نظام الملك : سياست نامه ٢/٢٧٤ .

(٥) فهرست ابن النديم ١٨٩ ؛ م . م . ه ؛ ونستعد الآن لنشر هذا الكتاب .

(٦) نشر جزءا منه كراوس(Kraus) فى Raziana II, Orient. V على أساس النسخة المخطوطة الموجودة فى م . م . ه .

وبين الفيلسوف الشهير محمد بن زكريا الرازى من مناظرة فى مسألة النبوة وأمر الدين[١] . ويعتبر كتابه المسمى بالإصلاح تهذيبا لكتاب المحصول للشيخ محمد بن أحمد النسفى ويقصد به إصلاح ماجاء فى المحصول .

أبو يعقوب السجستانى

وقد نصر الشيخ أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزى فى كتاب النصرة[٢] أستاذه المفيد صاحب المحصول، وصار بصحة قوله وسلامة آرائه شاهدا . فقد اتخذ من الفلسفة سلاحا شهره على أقرانه، فكان علما من أعلام العلماء الفاطميين ، وأحد المفكرين الذين نهضوا بتوفيق المسائل الفلسفية بالديانة الإسلامية . وقتل لذلك السبب هو وأستاذه النسفى بعد اضطهاد مؤلم بتركستان كما ذكرناه آنفا. وكان كثير التأليف ، ونذكر منها كتابه الينابيع[٣] ويحتوى على خطوط أساسية اتبعها العلماء بعده فى مؤلفاتهم فى تكوين النظام الفكرى الخاص بالدعوة الفاطمية ، وهو أربعون ينبوعا ، يتضمن معنى الينبوع وهوية المبدع وبيان عالم العقل والنفس وأن العقل قائم بالقوة والفعل ومخاطبة العقل للنفس وكيفية اتصال فوائد العقل بالنفس وأن الأيس لايصير ليسا وأن الأيسيات كلها ذوات غايات وأن السؤال لم خلق الله العالم محال ممتنع وإثبات النفس الكلية وأن ما فى البشر جوهره من النفس الكلية وأن الأفلاك ونجومها وحركاتها فى أفق النفس وبيان كيفية ابتداء الإنسان وأن القوى الطبيعية لا قدر لها عند القوى الروحانية وأن الثواب هو العلم ومعنى الجنة والنار وكيفية التفاضل بين المثابين وبيان والشهادة ومعنى الصليب واتفاق الصليب مع الشهادة ورتبة صاحب القيامة وكيفية اتصال التأييد بالمؤيدين ... الخ .

---

(١) ولم يذكر أبو حاتم اسم الملحد فى كتابه هذا ، فقد عرفنا من كتاب الأقوال الذهبية للكرمانى أن الذى ناظره أبو حاتم كان معاصره ومواطنه الفيلسوف الرازى (راجع مقالة حسين الهمدانى عن كتاب الرياض للكرمانى ، حيدراباد الدكن ١٣٥٨) .

(٢) وكتاب المحصول وكتاب النصرة مفقودان لا أثر لهما .

(٣) فهرست إسماعيل ١٩٧ — ٢٠٠ م.م.ه .

ومن أهم مؤلفاته كتاب إثبات النبوة ، وكتاب الموازين ، وكتاب الافتخار وكتاب القلائد ، وكتاب مسيلة الأحزان ، وكتاب سلم النجاة ، وكتاب سرائر المعاد والمعاش ، وكتاب كشف المحجوب . وهذه الكتب حفظتها الدعوة اليمنية[١] ، وورد ذكر بعضها فى فهرست الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول .

القاضى النعمان

ويعد القاضى أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمى المغربى المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاث مئة من أشهر أساطين الخلافة الفاطمية الذين خدموا الدعوة والدولة ، وشهرته قد عمّت العالم الإسلامى فى جميع العصور ، وله مؤلفات كثيرة يقصر عن إحصائها الإلمام هنا[٢] . والفضل يرجع إلى الدعوة اليمنية لبقاء كثير من أهم مؤلفاته . وقد كتب القاضى النعمان فى الفقه الفاطمى كثيرا من الكتب والأبحاث ، نذكر منها : كتاب دعائم الإسلام فى ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام[٣] ألفه بأمر من الخليفة الإمام المعز لدين الله . وسبب تأليفه كما ورد فى السبع السادس من العيون أنه حضر القاضى النعمان وجماعة من

---

(١) ومخطوطات معظم هذه الكتب موجودة فى مكتبتنا المحمدية الهمدانية . وقد شرح الداعى على بن حاتم بن إبراهيم الحامدى فى رسالته روضة الحكم الصافية بعض أقوال أبى يعقوب السجستانى من كتابه المسمى بالبشارات . ولم نعثر على كتاب البشارات . وقال الشيخ إسماعيل فى الفهرست ٢٧ إن كتاب سرائر المعاد والمعاش يشتمل على سبعة فصول غامضة التصور جدا . وينسب إليه رسالة خزائن الأدلة من مجموعة الرسائل الثلاث عشرة تأليف الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى ، وقد ذكر الشيخ إسماعيل (فهرست ٢٠٤) أنها تأليف بعض الحدود فى وقت الحاكم بأمر الله .

(٢) وردت فى عيون ٣٦/٦ — ٣٩ أسماء مؤلفاته ، عددها يبلغ اثنين وأربعين . وأضف إلى هذا كتابين له ذكرهما الشيخ إسماعيل فى الفهرست . وترجم له ابن خلكان فى الوفيات ١٦٦/٢ ، والحافظ فى رفع الإصر ورقة ١٣٦ ، والداعى إدريس عماد الدين الأنف فى الجزء السادس من العيون . وراجع ملحق Guest على كتاب الولاة والقضاة للكندى ٥٨٦ ، ومقال Gottheil فى JAOS ٢١٧/٢٧ ، ومقال حسين الهمدانى فى JRAS (١٩٣٣) ٣٦٨ — ٣٧٠ ، وتقدمة محمد كامل حسين لكتاب الهمة ٥ — ١٤ ، ومقال آصف فيضى فى JRAS (١٩٣٤) ١ — ٣٢ ، وإيوانوف ٣٧ — ٤٠ .

(٣) فهرست إسماعيل ٢٥ — ٣٩ ؛ م.م.ه ؛ وقد نشر أخيرا آصف فيضى النصف الأول من الكتاب .

العلماء الدعاة عند المعز . فذكر اختلاف المذاهب فى الفقه وافتراق الفرق فى مسائله وذكر قول النبى « إذا ظهرت البدع فى أمتى فليظهر العالم علمه » الخ . ونظر إلى القاضى فقال : أنت المعنىّ بذلك فى هذا الأوان ، يانعمان ! ثم أمره بتأليف كتاب دعائم الإسلام ، وأصل له أصوله وفرع فروعه ، فأمره ، فابتدأ ببيان ولاية مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب وولاية الأئمة ، وأن الإمامة لاتكون إلاّ بالنص والتوقيف ، والبيان ببراءة الأئمة ممن غلا فيهم ، ثم ذكر فرائض الإسلام من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد ، وهى سبع دعائم الإسلام . ويلى ذلك فى النصف الثانى من الكتاب ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام والأشربة والبياعات والمأكولات والمشروبات والطلاق والمناكحات والمواريث والشهادات وسائر أبواب الفقه . وكان القاضى كما رواه صاحب العيون يعرض على الإمام الخليفة المعز « فصلا فصلا وبابا بابا ، فيثبت الثابت منه ويقيم الأود ويسدّ الخلل حتى أتمّه ؛ فجاء كتابا جامعا مختصرا على غاية الإحكام » . إذا كان التشريع من أساس الدين اعتبرت الدعوة هذا الكتاب أساسا لحياة الأفراد والجماعة . ولا يقلّ من الدعائم أهمية كتابه المسمى الينبوع[١] وكتاب مختصر الآثار[٢] وكتاب الإخبار[٣] ، وهى تشرح وتكمل بعض المسائل الفقهية الواردة فى الدعائم . وله أيضا فى الفقه كتاب الاقتصار[٤] سماه بهذا الاسم لاقتصاره « على الثابت مما أجمعوا عليه واختلفوا فيه بمحل من القول لتقريبه وتخفيفه » ، وقصيدة فى رجز مزدوج سمّاها المنتخبة[٥] « التى أنتجها لمن أراد حفظها » ، والمدار والمرجع هو كتاب دعائم الإسلام فى الفقه[٦] ، كما نرى من أمر الخليفة الحاكم بأمر الله للقائم بالدعوة فى اليمن الداعى هارون بن محمد بن قيس فى قوله :

---

(١) فهرست إسماعيل ٤٢ — ٤٤ ؛ م.م.ه .
(٢) نفسه ٣٩ ؛ م.م.ه .
(٣) نفسه ٤٠ ؛ م . م . ه .
(٤) نفسه ٣٩ ؛ م . م . ه .
(٥) فهرست إسماعيل ٤١ ؛ م.م.ه .
(٦) وفى الفقه أيضاً له كتاب سماه الإيضاح بسط فيه أبواب الفقه حتى بلغ زهاء ثلاثة آلاف ورقة . وهذا الكتاب الذى ذكره المؤلف فى كتاب الاقتصار غير موجود فى خزائن أهل الدعوة .

« ويكن فتواك فى الحلال والحرام من كتاب دعائم الإسلام دون ماسواه من الكتب المفتعلة[١] » .

وله كتب فى التاريخ والآثار والأخبار والسيرة . منها كتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة[٢] . وقد أمره الخليفة المعز بجمع أخبار الدولة ليبقى ذكرها فى الباقين، فألف هذا الكتاب بدأ فيه بذكر ابتداء الدعوة باليمن والقائم بها وهو أبو القاسم منصور اليمن الكوفى وظهوره فيها حتى نفذ إليه الداعى أبو عبد الله الشيعى الصنعانى وخرج منه إلى المغرب بعد ما أخذ عنه وما الذى كان من أمره بعد وصوله إليها إلى أن هاجر إليها المهدى عبد الله بن الحسين وابنه القائم بأمر الله . ومن مؤلفاته فى التاريخ كتاب شرح الأخبار[٣] فى أربعة مجلدات وستة عشر جزءا عرضه على الخليفة المعز وأثبت فيه مما أثبته ، وصح عنده ، ويتضمن تفسير الحديث «أنا مدينة العلم وعلى بابها» وعلى فضائل على ومناقبه وجهاده الناكثين والقاسطين والمارقين ، ووفاة النبى ، وفضائل سيدتنا خديجة بنت خويلد وسيدتنا فاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين ومن قتل مع الحسين من أهل بيته ، ثم ذكر فضائل الأئمة من ولد الحسين بن على إلى جعفر الصادق ، وذكر إسماعيل بن جعفر ومحمد بن إسماعيل والأئمة المستورين ، وذكر معالم المهدى وصفات شيعة على .

ومن مؤلفاته فى العقائد : كتاب الهمة فى آداب الأئمة[٤] ، وكتاب مفاتيح النعمة[٥] ، وفى علم التأويل : كتاب أساس التأويل[٦] وكتاب تأويل الدعائم[٧] ، وفى علم الحقائق : كتاب التوحيد[٨] ، وفى الوعظ والإرشاد : كتاب المجالس والمسايرات[٩] ، وفى المناظرة : الرسالة المصرية فى الردّ على الشافعى[١٠] ، وكتاب

---

(١) فهرست إسماعيل ٤١ . انظر سجل الخليفة الآمر (الملحق رقم ١) .
(٢) فهرست إسماعيل ٨٦ — ٨٩ ؛ م.م.هـ .
(٣) نفسه ٨٩ — ٩٦ ؛ م.م.هـ .
(٤) نفسه ٦٣ — ؛ م.م.هـ ؛ نشره محمد كامل حسين (٥) نفسه ٢٥٧ ؛ م. م. هـ .
(٦) نفسه ١٨٧ — ١٨٨ ؛ م. م . هـ .
(٧) نفسه ١٨٨ — ١٩٠ ؛ م. م. هـ .
(٨) نفسه ١٥٤ — ١٥٦ ؛ م.م.هـ .
(٩) نفسه ٦٥ — ٦٦ ؛ م.م. هـ .
(١٠) لم نعثر عليها .

فى الردّ على أحمد بن شريح البغدادى[١] ، ورسالة ذات البيان فى الردّ على ابن قتيبة[٢] ، وكتاب اختلاف أصول المذاهب[٣] ، وكتاب المناقب والمثالب[٤] ، وغيرها من الكتب والرسائل التى توجد فى خزائن الدعوة اليمنية .

جعفر بن منصور اليمن

وكان عهد الإمام الخليفة المعز لدين الله يمتاز بوجود الشخصيات البارزة أمثال قائده الأستاذ جوهر الصقلى[٥] ، والشاعرين النابغتين الأمير تميم[٦] وابن هانىء[٧] ، والعالمين الحبرين الشيخ جعفر بن منصور اليمن والقاضى أبى حنيفة النعمان التميمى المغربى . وقد ذكرنا فيما سبق فى باب الدعاة بعد وفاة أبى القاسم منصور اليمن نبذة عن تاريخ ابنه الحبر جعفر[٨] ، وسموّ درجته عند الخلفاء الفاطميين القائم والمنصور والمعز . ولم يصل جعفر إلى هذه الدرجة إلا بأبحاثه العميقة فى الدعوة التأويلية ، كما يتضح ذلك من مؤلفاته . ومنها : كتاب الفرائض وحدود الدين[٩] ، يبدأ بتفسير الآية : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ، ثم يورد ملخص الكتاب الوارد إلى ناحية باليمن من الإمام عبد الله المهدى بعد نزوله فى المهدية ، ذكر فيه المهدى أسماء أسلافه الأئمة المستورين الحقيقية ، والسبب الذى جعلهم يأخذون لأنفسهم أسماء غير أسمائهم ، ثم شرح قصة يوسف وتأويل سورة يوسف وتأويل سورة الكهف . ومنها : كتاب الشواهد والبيان[١٠] وسرائر النطقاء[١١] وأسرار

---

(١) لم نعثر عليها . (٢) ذكرها فيضى فى JRAS (١٩٣٤) ٢٧ ؛ م.م.ه .

(٣) فهرست إسماعيل ١٣٢ — ١٣٤ ؛ م.م.ه .

(٤) نفسه ٨٤ — ٨٦ ؛ م.م.ه .

(٥) فى الكتب المحفوظة بخزائن أهل الدعوة اليمنية كتاب سيرة الأستاذ جوهر ، يقال أملاها الأستاذ لأمين سره الجوهرى .

(٦) نسخ ديوانه الخطية متداولة فى مكاتب أولى الدعوة ، وتستعد دار الكتب المصرية الديوان قريباً .

(٧) وقد حقق الدكتور زاهد على نص ديوان ابن هانىء بمقارنة عدة مخطوطات الديوان التى حفظتها الدعوة ، ونشره بشرح واف بالقاهرة .

(٨) انظر الباب الثالث ص٥٢ — ٥٤ . (٩) فهرست إسماعيل ٢٥٧ ؛ م.م.ه .

(١٠) نسخة خطية بالمكتبة التيمورية بالقاهرة (عقائد ١٨٤) . (١١) م.م.ه .

النطقاء[١] فى بيان تأويل قصص الأنبياء ، كما تعتبر مؤلفاته الأخرى مثل كتاب تأويل الزكاة[٢] ، وكتاب الكشف[٣] ، وكتاب الفترات والقرانات[٤] ، وكتاب العالم والغلام[٥] ، ورسالة فى تأويل سورة النساء[٦] ، وكتاب المراتب والمحيط[٧] ، ورسالة فى معنى الاسم الأعظم[٨] ، ورسالة الرضاع فى الباطن[٩] من أهم كتب الدعوة فى علم التأويل .

أحمد النيسابورى

ويوجد أيضا فى خزائن الدعوة كتاب إثبات الإمامة[١٠] ، ورسائل استتار الإمام[١١] ، والموجزة الكافية فى آداب الدعاة والحدود[١٢] ، والظاهرة فى معرفة الدار الآخرة من تأليف الشيخ أحمد بن إبراهيم النيسابورى الذى عاش فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس فى عهدى العزيز والحاكم .

رسائل إخوان الصفا

وقد أصبحت الفلسفة الكلامية بفضل أبحاث العلماء المتقدمين أمثال أبى حاتم الرازى وأبى عبد الله النسفى وأبى يعقوب السجستانى أساس النظام الفكرى الخاص بالدعوة . وظهرت رسائل إخوان الصفا و خلاّن الوفا بفلسفتها الكلامية ، ولا ندرى متى وأين ظهرت ومن ألفها ، إلا أن العلماء قد أثبتوا علاقتها بالدعوة

---

(١) لم يذكر الشيخ إسماعيل هذا الكتاب فى الفهرست ؛ مخطوط فى م. م. ه .

(٢) م.م.ه ؛ ومخطوط بمكتبة الجامعة بليدن (ذى خويه : Leiden (De Goeje cod. 1971) ؛ راجع مقال حسين الهمدانى فى JRAS (١٩٣٣) ٧١٢ .

(٣) وقد نشره ستروطمان (Strothmann) فى سلسلة منشورات جمعية البحوث الإسلامية بومبائى .

(٤) فهرست إسماعيل ٣٩٤ ؛ م. م. ه .
(٥) نفسه ١٨٨ .
(٦) نفسه ٢٦١ ؛ م.م.ه .
(٧) نفسه ٢٥٨ .
(٨) نفسه ٢١١ ؛ م.م.ه .
(٩) نفسه ١٩٣ ؛ م.م.ه .
(١٠) فهرست إسماعيل ١٦٨ — ١٧٠ ؛ م.م.ه .
(١١) نفسه ١٢٢ ؛ نشرها إيوانوف (القاهرة ١٩٣٩) .
(١٢) نقلها حاتم بن إبراهيم الحامدى الهمدانى فى كتابه تحفة القلوب (انظر ص ٢٧٩) .

الفاطمية[١] . وبالرغم من أنها لم تذكر ولو مرة فى الكتب التى ألفت فى عهد الفاطميين — لأسباب ذكرناها فى بحثنا عن مؤلفى الرسائل[٢] — ، اهتمت الدعوة اليمنية بهذه الرسائل اهتماما بالغا ، ابتداء من عهد الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنه ٥٥٧ ، فهو أول من ذكرها والرسالة الجامعة من مؤلفى الدعوة فى كتابه المسمى بكنز الولد[٣] . ويلاحظ أن الرسالة الجامعة اعتبرها أهل الدعوة اليمنية جزءا من رسائل إخوان الصفا على حين ينسبها غيرهم إلى مسلمة المجريطى[٤] . وشرعت الدعوة اليمنية تدرس هذه الرسائل الإحدى والخمسين والرسالة الجامعة المشار إليها فى الرسائل ، وحاولت أن توفق بين نظرياتها وأهدافها الكلامية وبين النظام الفكرى الذى قدمه المؤلفون فى عهد ظهور الأئمة .

أحمد حميد الدين الكرمانى

ظهر فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله عالم فيلسوف فى أفق الدعوة وهو الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى الملقب بحجة العراقين . وكان مقامه فى العراق فى مرتبة حجة الجزيرة من قبل الإمام الحاكم بأمر الله . واستخدم الحاكم الشيخ أحمد الكرمانى وجعله رئيس الدار الحكمة التى كانت مغلقة منذ زمن . وقد استدعاه ختكين الضيف الملقب بالصادق المأمون داعى الدعاة إلى مصر ، عندما اشتدت الفتن الدينية وخمد النشاط العلمى ونسب الغالون الألوهية إلى الحاكم . فألف فى سنة ٤٠٨ رسالته المسماة بالواعظة[٥] فى الرد على الحسن الفرغانى الذى قال بتأليه الحاكم

---

(١) راجع مقال كزانوفا فى JA (١٨٩٨) ص ١٥١ وبعدها ؛ الطيباوى : جماعة إخوان الصفا ٧١ ؛ ديبور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ٩٦ ؛ عبد الكريم خليفة : إخوان الصفا ٢٤ — ٢٩ ؛ عمر الدسوقى : إخوان الصفا ٨٨ — ١٢٢ . وقد أنكر عمر فروخ (إخوان الصفا ١٢ — ١٣) علاقة الرسائل بالشيعة .

(٢) راجع مقال حسين الهمدانى عن رسائل إخوان الصفا فى Der Islam (١٩٣٢) .

(٣) انظر الباب العاشر ص٢٧١ .

(٤) بحث تاريخى لحسين الهمدانى ٧ — ١١ . والجزءان من الجامعة فى خزائن دعوة اليمن وفى م . م . ه . ونشر جميل صليبا الجزء الأول منها بدمشق سنة ١٩٤٨ .

(٥) وهى من مجموعة الرسائل الثلاث عشرة من تأليف الكرمانى إلا الرسالتين الأخيرتين ؛ فهرست إسماعيل ٢٠٠ — ٢٠٥ ؛ ومقال حسين الهمدانى فى JRAS (١٩٣٣) ٣٧٣ ؛ إيوانوف ١٣٤ .

وأبرأ فيها الحاكم من دعوى الألوهية قائلا إن الحاكم إنما هو عبد الله ، له يسجد . ولم تنفع هذه المحاولة والاحتجاج ، لأن حمزة الدَّرْزِيّ قاد الدروز فى السنة التالية ، وانفصل عن الدعوة الرسمية وتمسك بمبدأ ألوهية الحاكم . والكرمانى فى رسالته مباسم البشارة[١] وكتابه المصابيح[٢] تمكن أن يثبت وجوب الإمامة وبالخصوص إمامة الحاكم ببراهين عـــدة حتى من الكتب المقدسة[٣] ، واستعمل آراء الفلاطونية الحديثه وأنظارها بمهارة لم يسبقه فيها أحد من الدعاة فى توطيد صرح النظام الفكرى الذى اشترك فى بنائه علماء الدعوة السابقون ، بل حاول أن يرفع هذا الصرح الدينى الفلسفى إلى قمته القصوى حتى لا يترك مجالا للخلاف والنقاش. فلذلك نراه فى كتابه المسمى بالرياض[٤] يوجه عنايته إلى الحكم بين الصادَين ، صاحب الإصلاح (أبى حاتم الرازى) وصاحب النصرة (أبى يعقوب السجستانى)، بشأن كتاب النسفى المتنازع فيه المسمى بالمحصول ، لأن الذى تنازعا فيه لم يكن من « الفروع التى يجوز أن يختلف فيها مع سلامة أصولها » ، ولأن الذى تنازعا فيه « أمر كان مؤديا فى توحيد الله ومعرفة حدوده إلى نظام اعتقاد الموقنين ». ولذلك أيضا نشاهده فى كتابه المسمّى بالأقوال الذهبية فى الطب النفسانى[٥] يتوجه إلى ما أهمل الشيخ أبو حاتم الرازىّ فى مناظرته الفيلسوف الشهير محمد بن زكريا الرازىّ فيما يتعلق بوجوب أمر النبوة ، وأراد أن يكمل ما نقص فى أعلام النبوة للشيخ أبى حاتم ويدافع عنه ، وجعل الكرمانىّ كتابه على بابين ، أحدهما فى إبانة « الخطأ المستمرّ » على ابن زكريا فى طبه الروحانى ، وفيما جرى بين الرازيَّين ، وفيما أهمل الشيخ أبو حاتم ، وثانيهما فى إبانة « الحق المستمرّ » فيما هو حق الطب النفسانى .

---

(١) وردت فى مجموعة الرسائل الثلاث عشرة .

(٢) فهرست إسماعيل ١٧٠ — ١٧٢ ؛ م.م.ه .

(٣) راجع مقال پاول كراوس (Kraus) عن العبارات العبرية والسريانية فى مؤلفات الكرمانى فى مجلة Der Islam (١٩٣١) ٩ / ٢٦١ .

(٤) فهرست إسماعيل ٣٨١ — ٣٨٣ ؛ م . م. ه ؛ ومقالة حسين الهمدانى فى المؤتمر الثانى لدائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٨ ؛ مقال حسين الهمدانى فى JRAS (١٩٣٣) ٣٧٤ .

(٥) فهرست إسماعيل ٢٤٠ — ٢٤٤ ؛ JRAS (١٩٣٣) ٣٧٤ ؛ م.م.ه .

وكان الشيخ أحمد رجعيا إلى حدّ ما ، واستعمل نظم الفلاطونية الحديثة وآراء الشيخين الصادين الكلامية لتوطيد بناء الإمامة الفاطمية ، وبذل كل جهد فى جميع مصنفاته لإثبات أمر النبوة والإمامة من الوجهتين الفلسفية والدينية . وفى هذا نستطيع أن نقرن الكرمانى بحجة الإسلام الغزالى فى استخدامه نظم الفلاسفة لتأييد التصوف والباطن . فأيد الشيخين بكل ما يملك من مهارة فلسفية فائقة فى مبدأ التمسك بظاهر الشريعة والعبادة العلميـــة ، واقتصر العبادة العلمية والاشتغال بالتأويل والكلام الفلسفى على الحدود المأذونين . فهذه الظاهرة نشاهدها فى مصنفاته الموسومة بالوضية[١] ، والمصابيح فى إثبات الإمامة ، وتنبيه الهادى والمستهدى[٢] ، وراحة العقل[٣] . وللشيخ أحمد الكرمانى فضل كبير فى تطور النظام الفكرى والكلام النظرى الخاص بالدعوة ، لأنه أثبت فى كتابه راحة العقل — وهو من الكتب الكبار فى الأدب الفاطمى ألفه سنة إحدى عشرة وأربع مئة — هذا النظام الفلسفى الدينى الذى قدم أصوله علماء الدعوة السابقون. يدل على ذلك إشارة الكرمانى ، فى المشرع الثالث من السور الأول فيما يجب أن يقرأ قبل قراءة هذا الكتاب، إلى قراءة كتب القاضى النعمان بعد كتاب الله وكتب جعفر بن منصور اليمن وكتب أبى حاتم الرازى ومحمد بن أحمد النسفى وأبى يعقوب السجستانى وقراءة كتبه التى ذكرناها آنفا . «فدلّ بأنه ما أتى بكتابه راحة العقل إلا بحقائق ما أتى به هؤلاء الدعاة»[٤] . ثم أضاف إليه عناصر جديدة، ووسع بعض موضوعاته ، وحدد ما كان مطاطا أو سائلا أو قابلا للتفسير والتناقض والتشابه . فلذلك صار كتاب راحة العقل فى الأدب الفاطمى بمثابة كتاب إحياء علوم الدين للغزالى الذى قرر فيه وحدّد الأسس والأصول للتصوف الإسلامى . فيستند عليه علماء الدعوة اليمنية فى أبحاثهم عن مسائل علم الحقائق استنادهم على كتاب دعائم الإسلام للقاضى النعمان فى المسائل الفقهية . وفيه قدّم الكرمانى مذهبه

---

(١) فهرست إسماعيل ١٧٩ — ١٨١ ؛ م.م.هـ . (٢) نفسه ٦١ ؛ م.م.هـ .

(٣) م.م.هـ . والكتاب حقق نصه محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمى فى سلسلة مخطوطات الفاطميين رقم ٩ (القاهرة ١٩٥٢) .

(٤) من الشموس (على هامش مخطوط راحة العقل ١/١٢٤) .

وهو مذهب الدعوة فى الوجود ، وأيد علماء الدعوة السابقين فى نفى الأيسية والليسية عن الله ، ومذهب الدعوة فى التوحيد ونفى الصفات عن الله نفيا مطلقا، ومذهب الدعوة فى الأصلين الإبداع والانبعاث . لقد تأثر فى هذا كله تأثرا شديدا بما أتى به الشيخ أبو حاتم الرازى والشيخ أبو يعقوب السجستانى وغيرهما من علماء الدعوة، وقدّم نظم الدعوة وأنظارها فى أسلوب منطقىّ بحت . ولم يقف الكرمانى عند هذا الحد ، بل جمع لأوّل وهلة الأصلين الأوّلين العقل الفعال والنفس الكلية مع نظام العقول العشرة الفلوطينية التى عرضها المعلم الثانى الفارابى ببعض الاختلاف ، وأبان المقابلة والمطابقة بين عالم الإبداع (وهو عالم العقول أو العالم الروحانى اللطيف)، وبين العالم الجرمانى (وهو عالم الأفلاك والكواكب) ، وبين العالم الجسمانى (وهو ما دون فلك القمر) ، وبين عالم الدين (وهو معرفة مراتب حدود الدين) ، لأن العوالم كلها مرتبة تحت سياسة قانون « الميزان » حذو النعل بالنعل . فاتخذ علماء الدعوة اليمنية هذا الكتاب الجليل القدر وكتب علماء الدعوة السابقين ورسائل إخوان الصفا أساسا تدور عليها مباحثهم ودراساتهم .

المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى

وكانت اليمن تواصل اتصالها بمركز الخلافة والدعوة الفاطمية بالقيروان والمهدية ثم مصر من أيام ظهور المهدى، حتى فى أيام الحاكم نرى أن سجلاته كانت ترد إلى رياسة الدعوة باليمن على الرغم من زوال الدولة الفاطمية الأولى منها ؛ وقد ازدادت هذه العلاقات بين اليمن ومصر فى عهد الخليفة المستنصر حينما ظهر الملك على بن محمد الصليحى على مسرح اليمن . وقد ذكرنا فيما سبق وفى مقالنا فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية البريطانية[1] أن الملك على بن محمد الصليحى أرسل قاضى قضاة اليمن لملك فى وفد من أوليائه إلى مصر مع رسالة خطيرة وأن لملك أقام بمصر خمس سنوات . وفى مدة إقامته كان القاضى متصلا اتصالا وثيقا بداعى الدعاة وباب الأبواب المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى

---

(١) JRAS (١٩٣٣) ٣٦١ — ٣٦٢ ؛ JRAS (١٩٣٢) ١٣٥ .

المتوفى سنة ٤٧٠ ؛ وكان يحضر مجالسه بدار العلم ويأخذ عنه علوم الدعوة حتى استوعب ماعنده . وذكرنا أيضا أن المؤيد وجد أن نفوذ الوزراء يزداد بضعف الخليفة ، فلذلك رأى أن مصير الدولة بهذا الوضع ينحدر إلى الضعف والزوال ؛ فقرر تحويل تراث الدعوة العلمى الدينى إلى جزيرة اليمن ، لأنها هى الوحيدة التى ظلت متمسكة بمبادئ الدعوة الفاطمية الرسمية بعد أن فقدت نفوذها فى كل من شمال إفريقية ومصر والشام والعراق وفارس ، وفوض إلى مركز اليمن أمور الدعوة فى الأحساء والبحرين وما جاورها من البلاد وفى الهند والسند .

وكان المؤيد علما من أعلام الدعوة العلماء ، نابغة من نوابغ عصره ، شاعرا فيلسوفا سياسيا مغامرا غازيا ، وقد سرد فى كتاب السيرة حوادث أيامه وحياته ومغامراته ومفاوضاته وعلاقاته بالوزراء والقواد والحكام بين سنة ٤٢٩ وسنة ٤٥٠ . وتعد سيرة المؤيد وثيقة من أهم الوثائق التاريخية[١] .

وقد احتفظت الدعوة بمجموعة محاضراته التى بلغ عددها ثمان مئة محاضرة ، كل مئة منها فى مجلد ، وتسمى هذه المجموعة بالمجالس المؤيدية[٢] . وقد قسم الداعى السلطان حاتم بن إبراهيم الحامدى الهمدانى هذه المجالس ورتبها على حسب الموضوعات فى ثمانية عشر بابا فى كتابه المسمى بجامع الحقائق[٣] ، وقد وردت فى المجالس رسائل المؤيد وأبى العلاء المعرى فى تحريم اللحوم والألبان الذى فرضه المعرى نفسه[٤] .

وأما ما قاله من الشعر فى مدح الأئمة وبالخصوص الخليفة المستنصر وفيما جرى عليه بمصر من حوادث الأيام وماناله من أذى الناس وكابده من امتحان إمامه

---

(١) فهرست إسماعيل ١٢١ ؛ م . م . ه . ؛ نشرها محمد كامل حسين بالقاهرة سنة ١٩٤٩ .

(٢) فهرست إسماعيل ٢٣٦ ؛ م . م . ه .

(٣) نفسه ٢٣٦ ؛ م . م . ه . ؛ انظر ص ٢٧٨ من هذا البحث ؛ ذكر إيوانوف (٤٧ — ٤٩) مؤلفات المؤيد وأخطأ فى تسمية الكتاب بجامع الحقائق فى تحريم اللحوم والألبان ونقلها منه محمد كامل حسين (د المؤيد ٥٨) .

(٤) ذكرها ياقوت فى معجم الأدباء ، ونشرها مارجليوث (Margoliouth) فى JRAS (١٩٠٢) ٢٨٠ — ٢٩٠ .

وغير ذلك من افتخاره بطاعته أئمته ومناجاته لله فمحفوظ فى ديوانه[١]. وأغلب الظن أن يكون القاضى لملك بن مالك الحمادى جمع قصائده وأتى بها إلى اليمن .

واحتفظت الدعوة اليمنية أيضا ببعض مؤلفاته ، ومنها مجموعة الأدعية والخطب التى قرأها المؤيد فى الجمعات[٢] يضمها كتاب يسمى بالصحيفة اليمانيـــة[٣]. وهذه الأدعية بحاجة إلى التحقيق والتمحيص ، لأن بعضها قد تكون نسبت إليه ، كما يظهر من الإشارة فيها إلى أسماء الأئمة حتى الطيب بن الآمر ، أو ربما أضيفت إليها أسماء الأئمة بعد المستنصر .

ومنها كتاب نهج الهداية للمهتدين[٤] ويتضمن إحدى عشر بابا ، الأول فى إثبات التوحيد وما يمكن أن يقال فيه وإن عظم ذلك إلا بمقدار الإثبات المنزه عن التشبيه والتعطيل ؛ والثانى فى معرفة الإبداع والكلمة والوحدة والعقل والأمر ما يرجع هذه الأسماء مع اختلافها من معنى واحد ؛ والثالث فى معرفة المبدع الأول وما يخصه من الأسماء مثل العقل الأول والعلم والسابق والمعقول والمعلول الأول والشىء والوجه والعرش وغير ذلك ؛ والرابع فى معرفة المخلوق الثانى والمنبعث من الأول وما يخصه من الأسماء مثل النفس واللوح والثانى والتالى والكرسى وغير ذلك ؛ والخامس فى معرفة الهيولى والصورة والطبائع المفردة ؛ والسادس فى معرفة الطبيعة الكلية والجزئية ؛ والسابع فى معرفة الرسول والرسالة وكيف مجراها فى الحكمة وما الموجب لهما ؛ والثامن فى معرفة الوصى والوصاية وما الموجب لهما فى الحكمة ؛ والتاسع فى معرفة الإمام والإمامة وكيف مجراها وما الموجب فى الحكمة ؛ والعاشر فى معرفة مبدأ البشر ومعاده وما الغرض فى وجوده وعدمه ؛ والحادى عشر فى معرفة الثواب والعقاب . والظاهر من هذه العناوين أن الكتاب يحتوى على مصطلحات علم الحقائق التى اتبعها علماء اليمن فى مؤلفاتهم .

---

(١) فهرست إسماعيل ٣٩ م. م. هـ . ؛ وحققه محمد كامل حسين وله تصدير مفيد (القاهرة ١٩٤٩) .

(٢) م.م.هـ .

(٣) إيوانوف ٥٨٥ ؛ م.م.هـ .

(٤) م.م.هـ .

وله كتاب الابتداء والانتهاء[1]، وجملة فصول الكتاب ثلاثة وأربعون فصلا، ويشتمل على ذكر الإبداع والعلة والوحدة والكلمة والفعل والفاعل والمفعول والواحد والأحد والأمر والخلق وكن فيكون والعقل والنفس والحركة والسكون والهيولى والفرق بين جميع ذلك، وذكر القائم ومايكون منه ومايفعله، وذكر الأنبياء عليهم السلام، وذكر الأئمة وعددهم من دور سيدنا محمد صلى الله عليه، وذكر حجة القيامة وغلق باب التوبة وانقطاع الدعوة، وذكر شهر رمضان وليلة القدر وعيد الأضحى والنحر والضحايا، وذكر الولد التام الذى يقوم مقام والده إذا تم، وذكر خروج النفس من حد القوة إلى حد الفعل، وذكر النفس الناطقة وما كسبت من العلم والعمل، وذكر الثواب والعقاب، وذكر الملائكة بالفعل وبالقوة، وذكر المعاد ورجوع النفس الناطقة إلى مأمنها، وذكر النفخة والصور وكيفيتهما، وذكر مزدلفة والصلاة فيها، وذكر الثلاثة الأيام التشريق بعد العيد فى النحر، وغير ذلك من موضوعات الدعوة الحقيقية أو علم المبدأ والمعاد.

وربما أخذ علماء اليمن اسم هـــذا النوع من البحوث من اسم هذا الكتاب مع أن البحث يدور حول نفس الموضوعات التى قدمها العلماء السابقون. والغالب أن اليمنيين أطلقوا على هذا البحث اسم علم المبدأ أو المعاد أو الابتداء والانتهاء، نقلا عن المؤيد فى تسميته كتاب الابتداء والانتهاء وفى شرحه لمعرفة مبدء البشر ومعاده من كتاب نهج الهداية الذى ذكرناه آنفا. وأشار المؤيد فى هذا الكتاب إلى كتابه المسمى « بإثبات الإمامة من بعد جعفر وفى اختلاف الشيعة بعد موت إسماعيل فى حياة جعفر »، واستطرد قائلا : « وقد ذكرنا حالة الأئمة المستورين الثلاثة ومواضعهم واختلاف الدعاة وقد ذكرنا أساميهم وكيف كان حالهم والكتاب خاص موجود لمن طلبه ». ولم يذكره الشيخ إسماعيل فى الفهرست ولم نعثر عليه أو على ذكره فى فهارس كتب الدعوة. وأشار فيه أيضا إلى كتاب

---

(١) فهرست إسماعيل ٢٨٠ ؛ م.م.ه.

تأويل الدعائم وكتاب أساس التأويل وكتاب تأويل الشريعة وكتاب حدود المعرفة وكتاب المعاد فى خلاص النفوس وكتاب افتتاح [الدعوة] من تصنيف القاضى النعمان ، والظاهر أن المؤيد تأثر كثيرا بآراء القاضى فى الدعوة التأويلية . ومن مؤلفاته فى التأويل المسائل السبعون[١] ويتضمن تفسير الآيات القرآنية والمسائل الدينية ، وكتاب المسألة والجواب[٢] ، كتاب بنياد تأويل[٣] وهى ترجمة فارسية لكتاب أساس التأويل[٤] للقاضى النعمان .

وكان المؤيد كثير التأليف ووصلت مؤلفاته كلها أو معظمها إلى اليمن ، واهتم علماء اليمن بها اهتماما بالغا ، لأنها ذكرت كثيرا واعتمدعليها فى مباحث اليمنيين. وقد ذكر صاحب كنز الولد المؤيد أكثر من أربعين مرة مقتبسا من مجالسه ومناجاته وشعره ، وصاحب كتاب الأنوار اللطيفة ذكر المؤيد ثلاثين مرة[٥] . وكان اليمنيون قريبى العهد بالمؤيد ، واتصل به شيخهم القاضى لمك اتصالا مباشرا وأخذ عنه ، بالرغم من اهتمامهم بدراسة مباحث الدعاة أجمعين .

ومما يدل على مكانة المؤيد عند علماء اليمن واستفادتهم من علومه ومعارفه ماجاء فى سجل الإمام الخليفة المستنصر المؤرخ فى شهر رمضان سنة إحدى وستين وأربع مئة الموجه إلى الملك المكرم أحمد : « وأما ماسألت فيه مما يتعلق بالوفى شهريار بن حسن فإن الشيخ الأجل داعى الدعاة المؤيد فى الدين عصمة المؤمنين ، صفى أمير المؤمنين ووليه أبا نصر هبة الله بن موسى — سلمه الله وأحسن توفيقه وتسديده — يفعل فى ذلك ما يوجبه حكمه ويقتضيه »[٦] .

---

(١) م.م.ه. .
(٢) فهرست إسماعيل ٤٠٥ — ٤٠٦ م.م.ه. .
(٣) م.م.ه. .
(٤) انظر ص ٢٥٥ .
(٥) كما حكاه محمد كامل حسين (د المؤيد ١٨٦) .
(٦) السجلات رقم ٦١ .

شهريار بن حسن

وكان الشيخ شهريار بن حسن من علماء فارس و كرمان، فالتحق بالدولة الصليحية. وأوفده الملك المكرم الصليحى إلى مصر فأخذ عن المؤيد علوم الدعوة حتى عاد إلى اليمن . وهو صاحب الرسالة فى رد من ينكر العالم الروحانى، وهى تضمها مجموعة رسائل الكرمانى الثلاثة عشر ومجموع التربية للشيخ محمد بن طاهر الحارثى[١]. وله أيضا رسالة فى معنى قول الله إنا فتحنا لك فتحا مبينا صنفها جوابا على مسئلة السلطان عامر ابن سليمان الزواحى[٢]، وقصيدة أوردها الداعى سليمان بن حسن فى كتاب النخب[٣] .

مصنفات أخرى

وتوجد أيضا فى خزائن كتب الدعوة اليمنية :

مجموعة السجلات المستنصرية، وقد ذكرناها فى مقدمة هذا الكتاب[٤]. وأشرنا إلى أهمية هذه الوثائق التاريخية التى حفظتها اليمن فى جبالها وخزائنها ، واستفدنا منها كثيرا فى هذا البحث .

وكتاب المجالس المستنصرية[٥] وهى خمس وثلاثون مجلسا ألقيت باسم الإمام الخليفة المستنصر عن المسائل الفقهية والتأويلية ، ونسب الشيخ إسماعيل تأليفها إلى الوزير بدر الجمالى .

وديوان حسن بن محبوب فى مدح الإمام المستنصر والمواعظ[٦].

ورسالة الهداية الآمرية[٧] تأليف الإمام الخليفة الآمر بأحكام الله فى تثبيت إمامة أبيه المستعلى والرد على النزارية .

---

(١) انظر ص ٢٥٨ (هامش ٦) وص ٢٧٢.

(٢) إيوانوف رقم ١٦٧ .

(٣) نفسه رقم ١٦٩ .

(٤) انظر ص ٦ .

(٥) فهرست إسماعيل ١٩٠ — ١٩٢ ؛ م.م.ه ؛ وحققها محمد كامل حسين ونشرها (مصر بدون تاريخ) .

(٦) فهرست إسماعيل ٥٦ .

(٧) فهرست ١٦٠ ؛ م.م.ه ؛ ونشرها آصف فيضى (بومبائى ١٩٣٨) .

وكتاب المجالس للشيخ أبى البركات بن بشر الحلبى[1] صاحب الرتبة البابية فى عهد الإمام الخليفة الآمر ، وهى ستون مجلسا فى المواعظ والتفسير والعقائد .

وقد ذكرنا فى هذا الباب مشاهير علماء الدعوة وأهم مصنفاتهم ، ولا يستغرق البحث جميع ما حفظت اليمن من التراث العلمى الفاطمى أو ما ذكر من مؤلفاتهم الموجودة والمفقودة . وهذه اللمحة تكفينا أن نأخذ فكرة عن الثروة العلمية التى انتقلت إلى اليمن ، ومدى مركزها فى تاريخ تطور آراء المسلمين ونظمهم الفكرية .

---

(١) فهرست إسماعيل ٣٩١ ؛ م ٠ م ٠ ه ٠ .

الباب العاشر

دعوة اليمن ونشاطها العلمى

من أواخر عهد الملكة الحرة إلى ظهور دولة آل رسول

الداعى الذؤيب بن موسى الوادعى الهمدانى (٥٢٠ — ٥٣٦)

وقد سبق أن ذكرنا[١] أن اليمن هى الوحيدة التى ظلت موالية لدعوة الفاطميين القديمة الرسمية ، وأن القاضى لمك بن مالك الحمّادى عند عودته إلى اليمن كان مكلفا من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه المؤيد تنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ، ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن ، وأنه لقّب بلقب داعى القلم فى عهد الملك المكرم أحمد الصليحى وبلقب داعى البلاغ فى عهد الملكة الحرة . وقد اختار لمك نخبة من التلامذة الأفذاذ البعيدين عن أمور الملك أمثال ابنه يحيى ابن لمك والذؤيب بن موسى الوادعى وإبراهيم بن الحسين الحامدى ، وسلّم إليهم كل ما كان أخذه من علوم الدعوة أيام إقامته بمصر . ويقول صاحب العيون[٢] ، نقلا عن الشيخ حاتم بن إبراهيم الحامدى : ولم يسمح من حقائق علمه إلا بالشىء القريب للداعى المكرم والحرة الملكة وأحمد بن قاسم بن دلى لا غيرهم » ؛ وذلك لاشتغالهم بشئون الملك والإدارة والحروب المستمرة . فتحوّلت آداب الدعوة الفاطمية وعلومها بيد لمك إلى شيوخ اليمن العلماء الذين تفرّغوا لدراسة هذا التراث العلمىّ الدينىّ .

وظل الشيخ يحيى بن لمك[٣] يعمل بعد وفاة أبيه فى نشر علوم الدعوة وإيضاح

---

(١) انظر ص ١٧٧ ، ١٧٨ — ١٨٢ ، ١٩٢ — ١٩٣ .
(٢) عيون ٧/١٠٤ .
(٣) انظر ص ١٨١ .

معالم الدين وإحياء مراسمه حتى توفى فى سنة عشرين وخمس مئة . وله كتاب يسمى بفصل فى بيان الأرض وما عليها من المعادن [١] .

فأقامت الملكة الحرة فى رياسة الدعوة بعده الشيخ الذؤيب بن موسى الوادعى ، ثم قررت الملكة — فى فترة شغور بعد اغتيال الإمام الخليفة الآمر واختفاء ابنه الصغير الطيب من عدوان الوزير أبى على بن الأفضل — إعلان استقلال اليمن من سيطرة مصر وانفصال هيئة الدعوة من مركزها بالقاهرة انفصالا باتا . ولما رأت الملكة فى أواخر عهدها أن دولتها أصبحت غير قادرة على حماية هذه الهيئة الدينية ، وازدادت مؤامرات الخليفة الحافظ عبد المجيد فى شئون بلادها ، فصلتها أيضا عن شئون ملكها وإدارة حكومتها فصلا نهائيا . فعينت الشيخ الذؤيب بن موسى الوادعى داعيا مطلقا للإمام المستور . وذلك لأنها كانت حجة الإمام ، ومن حقها أن تعين من يقوم بأمر الدعوة فى جزيرتها — اليمن . وكان بقاء الدعوة يهمها أكثر من بقائها أو بقاء أسرتها فى الحكم . فكان الذؤيب أول الدعاة المطلقين فى دور الستر الذى ابتدأ باختفاء الإمام الطيب بن الآمر ؛ فالشيخ الذؤيب لذلك يعتبر من الدعاة المخضرمين الذين أدركوا عهدى الظهور والستر . وكان الذؤيب علما من أعلام اليمن العلماء ، وسمّى « فراص الكتب » لاستخراجه دفائنها وفكّه رموزها ، كما حكاه صاحب النزهة [٢] . وله رسالة تسمى برسالة النفس [٣] ، وتتضمن بعض آراء إسكندر الأفروديسى التى تتفق مع مسائل الدعوة الحقيقية ومع الأساس أن لا يوصل إلى معرفة النفس إلا بعد معرفة الجسم ، ورسالة فى معرفة الموجودات أوردها الشيخ محمد بن طاهر فى كتاب مجموع التربية [٤] .

وعاضده وآزره تلميذه السلطان الخطاب بن الحسن بن أبى الحفاظ الحجورى الهمدانى [٥] فى إقامة الدعوة ، وبعد وفاة الخطاب آزره السلطان إبراهيم بن الحسين

---

(١) ايوانوف رقم ٣٢ و ٣٤ .
(٢) نزهة ١/ ٨٦ .
(٣) م.م.هـ .
(٤) فهرست إسماعيل ١٨١ — ١٨٧ ؛ م.م.هـ ؛ انظر ص ٢٧٢ .
(٥) انظر الباب السادس ص ١٩٣ وما بعدها .

الحامدى . ومن تصانيف الخطاب كتاب غاية المواليد[١] ، ورسالة النفس[٢] ، وكتاب منيرة البصائر[٣] ، ورسالة فى بيان إعجاز القرآن[٤] ، ورسالة النعيم[٥] ، وديوان شعره[٦] .

الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى (٥٣٦ — ٥٥٧)

ولما توفى الذؤيب خلفه السلطان إبراهيم بن الحسين بن أبى السعود الحامدى الهمدانى[٧] داعيا مطلقا للإمام المستور فى اليمن وما جاورها من البلاد والهند والسند[٨] فى سنة ست وثلاثين وخمس مئة . وكان مقره صنعاء ، وذلك لأن رياسة الدعوة لم تجد بعد وفاة الملكة الحرة حلفاء أقوياء يحمونها من اعتداء المعتدين إلا الدولة الهمدانية بصنعاء يرأسها الملك حاتم بن أحمد الهمدانى اليامى حفيد القاضى عمران بن الفضل اليامى وكان للقاضى سوابق حميدة وجهاد فى تأييد الملك على بن محمد الصليحى والملكة الحرة ، كما ذكرنا سابقا[٩] . وقد مضت على الدعوة وأهلها أيام عصيبة ، لأن ملوك آل زريع الهمدانيين فى عدن قد مالوا إلى الدعوة المجيدية التى انتشرت فى أنحاء اليمن حتى فى معاقل الدعوة — حراز ونجران واليمن الأسفل ، ولأن ملوك همدان اليامين فى صنعاء وبلاد همدان قد تحرروا من جميع هذه المذاهب والدعوات ، وأرادوا تكوين دولة شعب همدان واليمن ، ولم يتمكن لهم هذا بظهور الغز على مسرح اليمن . فاتبع الشيخ إبراهيم

---

(١) م.م.ه .

(٢) م.م.ه .

(٣) م.م.ه .

(٤) يضمها كتاب مجموع التربية (انظر ص ٢٧٢) .

(٥) النصف منها موجود فى م.م.ه .

(٦) فهرست إسماعيل ٥٠ ؛ و م . م . ه ؛ وصورة شمسية من المخطوط المحفوظ بمكتبتنا المحمدية الهمدانية موجودة فى مكتبة الأستاذ كونس (kuentz) بالقاهرة .

(٧) الحامدى نسبة إلى بنى حامد ، وحامد وحماد أخوان من همدان (انظر ص ١٧٥ هامش ١).

(٨) تطلق على هذه المناطق فى مصطلح الدعوة كلمة « جزيرة اليمن » .

(٩) انظر ص ٩٥ — ٩٦ ، ١١٥ ، ١٣٧ — ١٣٨ ، ١٥٢ — ١٥٤ .

ابن الحسين الحامدى سياسة عدم التدخل والمواظبة على دراسة علوم الدعوة ونشرها، تلك السياسة التى رسمتها الملكة الحرة ورؤساء الدعوة فى أواخر عهدها وبعد وفاتها .

وقد جعل الحامدى الشيخ على بن الحسين بن جعفر[١] الأنف القرشى العبشمى من آل الوليد مأذونا له ، فكان له معاضدا على أمره ، قائما بنشر الدعوة فى سره وجهره ، كما حكاه صاحب النزهة[٢] . ولم يعمر على بن الحسين القرشى طويلا ، فقد وافته المنية فى سنة أربع وخمسين وخمس مئة . فاستعان الداعى إبراهيم الحامدى بابنه حاتم حيث جعله مأذونا ، كما استعان بالشيخ محمد بن طاهر بن إبراهيم الحارثى[٣] . وفى الشيخ على بن الحسين القرشى قال الشيخ محمد بن طاهر الحارثى قصيدة جاء فيها[٤] :

أبا حسن أنقذت بالعلم أنفسا ... وآمنتها من طارق الحَدَثانِ
فحُزتَ بالحسنى وكوفيت بالمُنَى ... ودمتَ سعيدا فى أعزِّ مكانِ
عَمَرْتَ بصنعا دعوة طيِّبيَّةً ... جعلت لها أسّا وشِدْتَ مبانِى

وكان الدعاة الأربعة من علماء اليمن الأعلام ، واشترك القرشى والحارثى وحاتم الحامدى مع أستاذهم إبراهيم الحامدى فى نشاطه العلمى وجمع التراث العلمى والدينى من عهد الفاطميين وفى بحوثه الكلامية والدينية . فترك كل منهم كتبا ومؤلفات لها شأن خطير فى تطور آداب الدعوة اليمنية .

وقد ألف إبراهيم الحامدى كتابه الجليل فى علم الحقائق الموسوم بكنز الولد[٥] ، وذكر فيه لأول مرة فى آداب الدعوة رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا والرسالة الأخيرة الجامعة منها ، وأشار إلى نظرية الشخص الفاضل

---

(١) ورد اسم جد الشيخ على بن الحسين باختلاف : أحمد وجعفر (نزهة ١/٩١و٩٢) .
(٢) نزهة ١/٩١ . وكان الشيخ على القرشى ابن عم الداعى على بن محمد بن الوليد القرشى .
(٣) من بنى الحارث بن كعب ، وهو من بنى محرز بيت رياستهم (نزهة ١/١٠٤) .
(٤) نزهة ١/٩١ .
(٥) م.م.ص.

مؤلف الرسائل والجامعة ، فأخذ علماء اليمن بعد ذلك اتجاه الحامدى فى درس الرسائل والجامعة وفى اعتبارهم إياها بمثابة القرآن بعد القرآن[١] . وله أيضا كتاب الابتداء والانتهاء[٢] ، وكتاب تسع وتسعين مسألة فى الحقائق[٣] .

وأما رسائل الشيخ على بن الحسين القرشى فقد وردت فى كتاب مجموع التربية[٤] ، وهو كتاب جامع ألفه الشيخ العلامة محمد بن طاهر الحارثى وقد أورد فيه مقالاته ورسائله وبحوثه ورسائل العلماء الدعاة من دورى ظهور الأئمة واختفائهم والمقتبسات من كتبهم ، نحو فصل فى الفرق بين الملائكة بالقوة والملائكة بالفعل للنسفى[٥] ، وفصلا فى تأويل الصلاة من كتاب الشواهد والبيان[٦] لجعفر بن منصور اليمن ، ورسالة فى وجوب الإمامة للشيخ أبى الفوارس أحمد بن يعقوب[٧] ، ورسالتين فى المبادى العقلية والحدود والرسوم من رسائل إخوان الصفا ، ومجلسا فى بيان علة التكاليف من مجالس المؤيد فى الدين الشيرازى ، ورسالة فى إثبات العالم الروحانى لشهريار بن حسن[٨] ، ورسالة المطبع فى المبدأ والمعاد للشيخ محمد ابن على بن أبى يزيد[٩] . ورسالة فى معرفة الموجودات للداعى ذؤيب بن موسى الوادعى ، ورسالة فى إعجاز القرآن والأعمال الشرعية للسلطان الخطّاب بن الحسن الحجورى ، ورسالة الداعى الحسن بن محمد المهدى[١٠] إلى أهل الرى ، ورسائل معاصره والمأذون

---

(١) حسين الهمدانى : بحث تاريخى فى رسائل إخوان الصفا ١٤ .

(٢) إيوانوف ١٨٩ .

(٣) فهرست إسماعيل ٣٥٥ — ٣٥٧ ؛ م.م.ه.

(٤) نفسه ١٨١ — ١٨٧ ؛ م.م.ه .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفى (انظر ص ٢٥١ ، هامش ٢) .

(٦) انظر ص ٢٥٦

(٧) هو الشيخ أبو الفوارس أحمد بن يعقوب الداعى بجزيرة الشام فى عهد الحاكم بأمر الله .

(٨) انظر ص ٢٦٦ .

(٩) من علماء الدعوة فى عهد الآمر بأحكام الله الفاطمى .

(١٠) قال إيوانوف ٤١ : لعله الميبذى من ميبذ المدينة الواقعة بين يزدوكرمان .

الشيخ على بن الحسين بن الوليد الأنف القرشى فى البسملة وفى البحث على الفرقة النزارية وفى المبدأ والمعاد وفى إثبات إمامة الطيب بن الآمر ، ورسالة تحفة الطالب وأمنية الباحث الراغب (وتسمى برسالة الضلع) ، وقصيدة للشيخ على بن الحسين ابن الوليد فى مدح الإمام الحادى والعشرين الطيب، والرسالة الموسومة بملقحة الأذهان تأليف الشيخ على بن محمد بن الوليد القرشى . ويتضمن الكتاب أقوال أرسطاطاليس وسيدنا على بن أبى طالب ، والسجل الوارد إلى اليمن بالبشارة بالمولود الطيب بن الآمر . ولولا هذا الكتاب لما عرفنا بعض هذه الرسائل والمقالات .

ومن مؤلفات الشيخ محمد بن طاهر الرسالة الحاتمية فى الرد على بعض المارقين[١] ، وكتاب حدائق الألباب[٢] ، ورسالة فى أربع عشرة مسألة[٣] .

وظل الشيخ محمد بن طاهر الحارثى والشيخ حاتم بن إبراهيم الحامدى على ولائهما للدعوة ونشاطهما العلمى تحت إشراف الداعى إبراهيم الحامدى حتى توفى الداعى إبراهيم بصنعاء فى شهر شعبان سنة سبع وخمسين وخمس مئة .

الداعى حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدي الزهرانى (٥٥٧ — ٥٩٦)

قام بالدعوة فى جزيرة اليمن بعد وفاة أبيه . وكان عالما فقيها كثير الاطلاع وكثير التأليف والإنتاج الأدبى . وقد عرف الناس فضله وبيان حجته فمال إليه كثير منهم . والتفت حوله بعض قبائل حمير وهمدان ، وملكوه حصن كوكبان[٤] . ولما رأى السلطان على بن حاتم اليامى صاحب صنعاء وما يليها ميل الناس إلى الداعى حاتم بن إبراهيم ، وإقبالهم عليه ، داخلته المنافسة ، وخاف منه على ملكه ، وأخذ يستميل همدان ببذل المال ، وضاعف إليهم العطاء ،

---

(١) م.م.ه. .
(٢) فهرست إسماعيل ٣٦٩ ؛ م.م.ه. .
(٣) نفسه ٢٧٣ — ٢٧٨ .
(٤) نزهة ١/٩٣ .

حتى دخل فى طاعته أحمد بن الحبير الهبرى[١] . وكان ممن يثق فيهم الداعى حاتم ، وممن أخذ عليه أكيد أيمانه وعهده . فطلب هذا إلى السلطان أن يقدمه على همدان . وتمكن السلطان على بن حاتم من جلب الكثيرين ممن كان مع الداعى حاتم فى كوكبان . فخرج عن الحصن واتصل بمشائخ هبرة فى لولوة وريعان . فقصدهم الملك على بن حاتم اليامى لمحاربة الداعى وأنصاره من بنى هبرة ، وكتب فى نفس الوقت إلى الداعى حاتم « يعاتبه ويلاطفه ويقول له : أظهر دينك ، واجمع أهل دعوتك ؛ ولا تفرق همدان وتحملهم على العداوة والشنآن . وضمن ذلك شعرا »[٢] . فأجابه الداعى حاتم بقصيدة جاء فيها[٣] :

أتانى من أبى زيد كتاب ... تضمّنه من العُتْبى فنونُ[٤]
فكنْ فى أمرنا حَكَما وعدْلا ... فأنت لكل مكرمة خدينُ
مقالك فيم تصدع عود يامٍ ... وأنت بلمِّ شعثهم قمينُ
أما والمصطفى إنّى ليام ... بمالى والذى أحوى أصونُ
وأنتم يا غطارف شُمّ يام ... مكانكُمُ من العليا مكينُ
لكم فى الدعوة الغرّاء قِدْماً ... سوابق كلّما نشرتْ تزينُ
ولكن حلتُمُ عنها فنكم ... لها الضدُّ المعاند والقرينُ
فإن أنتُمُ رجعتم واستقلتم ... فقد لاح الصباح المستبينُ
ووالتيم إمام العصر صدْقا ... صفا ما بيننا الماء المعينُ
وإن بِنْتم وعاندتم كما قد ... فعلتم آل عمرانٍ فبينوا[٥]

ووجد الداعى حاتم أن همدان بعضها معه وبعضها عليه ، فخشى أن يكون افتراقهم

(١) آل هبرة من همدان (نزهة ١/ ٩٤) .
(٢) وكان الملك على بن حاتم اليامى كأبيه الملك حاتم وعمه القاضى محمد وجده القاضى عمران شاعرا مجيدا فصيحا . ومع الأسف لم يأت إدريس فى النزهة بكتابه المنظوم شعرا .
(٣) نزهة ١/ ٩٤ — ٩٦ .
(٤) العتبى والاعتاب : رجوع المعتوب عليه إلى مايرضى العاتب (ل / عتب)
(٥) عمران هو القاضى عمران بن الفضل اليامى .

على يديه ، وقصد صاحب بيت ردم وهو من بنى شهاب وزوّج ابنته، واستقرّ عنده بعض الوقت ، ثم اتجه الداعى إلى حراز . فوصل إلى موضع يسمى شعاف ، ووجد الناس هناك قد مالوا إلى الحافظ عبد المجيد ، فأخذ يدعوهم إلى ما يدعو إليه . ولما رأوا فضله وزهده وفصاحته وحسن موعظته وعذوبة قوله ، وما نشر عليهم من فضائل على بن أبى طالب ، دخلوا تحت لواء الدعوة . وطلع من شعاف إلى الظَّهرة ، ثم تسلّم حصن الحُطَيب ، وهو من معاقل حراز الرفيعة ، وحصونها المنيعة . وهناك توالى عليه أهل دعوته ، وكان زعيمهم السلطان سبا ابن يوسف اليَعْبُرى ، الذى ساعد الداعى حاتما على فتح حصن شبام[1] .

وفى ذلك يقول القائل[2] :

أنصار مولانا الإمام الطيّب ... من كلّ ليث شمّرىٍّ أغلبِ
فتحت شِباما بالمواضى جهرةً ... وسمت لذروته بكلّ مشطّبِ
لله درّ عصابة يمنيّة ... فيها اليعابر كلّ عالى المنصب
قوم لهم فى المكرمات أوائلٌ ... مشهورة وشجاعة لم تغلب
فاستبشروا يا مؤمنين وشمّروا ... من فتح مولاكم بأيسر مطلب

ثم اتجه سبا بعد ذلك إلى حصن لهاب ففتحه . وفى ذلك قال الشاعر[3] :

حلّت بسُوحك رحمةُ الغفّارِ ... فاستخدمت لك ناقدَ الأقدار
الْهبْتَ نارا فى لهاب فأحرقت ... عُصب الضلال معا بتلك النار
وبعثت نحوهم بجيش أغلبٍ ... تزجى المنون وجحفل جرار
من صيد همدان بن زيد خير من ... يرجى لشيد عُلا ومنع ذِمار

---

(١) أحكم الداعى حاتم الحامدى بعد هذا الفتح عمارة حصن شبام اليعابر وبنى فى القفلة السفلى وحصنها لأنها كانت القفلة العلياء التى بنيت فى أيام الملك على بن محمد الصليحى . وأما الجوب فكانت عمارته بعد (تزهة ١/١٠٣) .

(٢) نفسه ١/٩٧ .

(٣) نفسه ١/٩٨ — ٩٩ .

الطائعين لأحمد ووصيّه ... وبنى البتول السادة الأطهار
والناصرين دعاة آل محمد ... والقاطعين أواصر الفجّار
والشمّ من جَنْب وعَنْس والذُّرا ... من يَعْبُرٍ ومجَيّح وكَرار

ثم حارب حصن حمضة حتى ملكه عنوة وهو أرفع طود فى لهاب . وفى ذلك قال حنظلة بن على قصيدة جاء فيها[1] :

أبا طيّىء يا داعى اليمن الذى ... به أمنت من كلّ خوف ومن ذعر
حراز بفضل من أياديك أحرزت ... حظوظا فقد صارت على قمة النسر
وحصن شبام قد سما بك طوده ... فأسفله يسمو علوّا عن القدر
بسعدك قام اليعبرىّ ابن يوسف ... وأقوام صدق لا تميل إلى الغدر

وما زال سبا اليعبرى يرمى أعداء الداعى حاتم بالموت حتى فتك به بنو حكم وقتلوه . وفى ذلك قال الشيخ على بن محمد بن الوليد الأنف قصيدة يحرض فيها على وجوب الأخذ بثأره جاء فيها[2] :

فيا أيها الغادى تحمّلْ ألوكةً ... إلى يعربٍ طرّا وبلّغْ مقاليَا
وخُصّ أباة الضيم أبناء يعبر ... وصيد حراز الغر أسمِعْ ندائيا
أجدّوا طلابا للعدوّ فإنهمْ ... على غدرهم لا يظفرون معاليا
وشنّوا عليهم غارة يعبريّةً ... تصيرهم بالمرهفات أضاحيا

فتحمّس اليعابر وقاموا واحتشدوا لأخذ الثأر من بنى حكم . وانضمّ إليهم الداعى حاتم ، فأخذ يحرضهم ، وأوصاهم بالصبر لينالوا ثأرهم . وقصدوا أكمة العلوّ[3] بهوزن حيث كان بنو حكم ، ووقع القتال بين الطرفين واشتدّ ، وتأسّد

---

(١) نزهة ١/٩٩ — ١٠٠ .
(٢) نفسه ١/١٠٠ — ١٠١ .
(٣) فى نزهة ١/١٠٢ قال: أكمة العلو هى إلى اليوم خراب يباب .

اليعابر حتى دخلوا على الأعداء دورهم قهرا ، وأحصوهم قتلا وأسرا .

وفى ذلك النصر قال الشيخ على بن محمد بن الوليد قصيدة جاء فيها[١] :

أجل هكذا تقفى العلا والمفاخرُ وتنقم أوتارٌ ويثأر ثائرُ

فلا شرف إلاّ اندى حِيزَ بالظُّبا ولا مجْدَ إلاّ ما حوَتْه اليعابرُ

وكان مقر الداعى حاتم فى الحطيب ، وكان يعاضده فى إقامة الدعوة الشيخ محمد بن طاهر الحارثى ، فعينه رئيسا للدعوة فى صنعاء ، وجعل فى كل صقع من أصقاع اليمن مأذونا . فواصله أهل الدعوة من السند والهند وأقطار اليمن . وكان يجتمع بأهل دعوته فى كهف كبير يقع تحت حصن الحطيب يزودهم بعلمه .

وكان الشيخ محمد بن طاهر الحارثى قد توفى فى شهر شوال سنة أربع وثمانين وخمس مئة . فأقام الداعى حاتم بعده الشيخ على بن محمد بن الوليد الأنف القرشى مأذونا وصيّر إليه أمر أهل الدعوة فى صنعاء . وكان يسافر إلى الداعى حاتم بحراز وإليه يرجع الفضل فى تعليم ابن الداعى حاتم على بن حاتم حتى بلّغه مرتبة أهلته لأن يوليه داعيا مطلقا من بعده[٢] .

وقد رأينا أن الداعى حاتم بن إبراهيم حاول بدون نجاح أن ينشىء مُلكا فى بلاد همدان ثم فى حراز ، وأراد أن يحمى الدعوة بالدولة كما كان الحال فى أيام الصليحيين . فقد وجد الداعى حاتم نفسه أمام عقبات ما استطاع أن يذلّلها . والأهمّ منها انقسام همدان بين تأييد السلطان على بن حاتم اليامى الهمدانى ملك صنعاء وما يليها وبين مناصرة الداعى حاتم بن إبراهيم الحامدى الهمدانى فترك الداعى منافسة الملك على بن حاتم اليامى نظراً للأخطار التى واجهتها الدعوة من كل صوب وبالخصوص من تهامة حيث استولى الملك عبد النبى بن على ابن مهدى الحميرى على معظم الحصون والمعاقل التى كان يملكها أهل الدعوة . ثم انسحب الداعى حاتم عن الميدان تماما ، واكتفى بنشر علوم الدعوة من كهفه

---

(١) نفسه ١/١٠٢ — ١٠٣ .

(٢) نزهة ١/١٠٤ .

الواقع تحت حصن الحطيب بعد أن مات قائده السلطان سبا بن يوسف اليعبرى. وبعد دخول بنى أيوب اليمن تحت قيادة توران شاه ثم طغتكين ، فتغلبوا على اليمن وقضوا على جميع الممالك والدويلات والقبائل .

فتفرّغ الداعى حاتم بن إبراهيم الحامدى للتأليف ، « ونقل الروايات على صحتها من المحدثين ، وله فى الدعوة السهم المعلّى ، وكتبه وتآليفه مشهورة »[١] . ومن أهمّ مؤلفاته التى ورد ذكرها :

كتاب تنبيه الغافلين[٢] فى الأخلاق وذمّ الرذيلتين ، التحاسد والتباغض ، وضمّن الكتاب رسالتين من رسائل إخوان الصفا فى آداب الإخوان وحسن المعاشرة ، وفصلا من مجلس العزيز بالله الفاطمى .

ورسالة النقد على أهل المخاط فيما ارتكبوا من الفسق والخباط[٣] فى ذم المنكرات واتباع الشهوات وقد اقتبس فيها المؤلف من الرسالة الموسومة بالواعظ لأبى يعقوب السجستانى ومن أقاويل سيدنا على بن أبى طالب وألفاظ المؤيد فى الدين الشيرازى داعى الدعاة وقصيدة الخطاب بن الحسن الحجورى مطلعها « إن صحّ ما قالوا وما شعرا »[٤] .

وكتاب المجالس[٥] والموجود منه اثنان وخمسون مجلسا من المجلس السابع والسبعين فى مناقب سيدنا على بن أبى طالب وشىء من قضاياه وغزواته .

وكتاب جامع الحقائق[٦] وهو تلخيص للمجالس المؤيدية وهى ثمان مئة مجلس وجعل كتابه هذا فى ثمانية عشر بابا فى مجلدين .

وخمسة عشر مجلسا[٧] تعالج مسائل مختلفة مثل المحنة والامتحان وشأن

---

(١) نزهة ١/٩٣ .
(٢) فهرست إسماعيل ٥٩ — ٦٠ ؛ م.م.ه.
(٣) فهرست إسماعيل ٦٧ .
(٤) لم ترد هذه القصيدة فى نسخه د الخطاب الموجودة فى مكتبتنا الحمدية الهمدانية .
(٥) فهرست إسماعيل ٨٩ .
(٦) فهرست إسماعيل ٢٤٦ ؛ م.م.ه ؛ انظر ص ٢٦٢ .
(٧) نفسه ٢٦٢ ؛ م.م.ه .

العلماء ومعنى النفس وحقيقتها ووجوب الإمامة فى كل زمان والولادة الدينية وامتثال أمر أولياء الله والنصائح وتفسير بعض الآيات والأحاديث وغيرها .

ورسالة التذكرة[١] تشتمل على آراء المؤلف وأفكاره عن المبدأ والمعاد والثواب والعقاب والوصول إلى ولاية أولياء الله ، ثم يتلو ذلك فصول ومقتبسات من مؤلفات الدعاة السابقين . ومنها فصل للداعى يحيى بن مالك فى بيان الأرض وما فيها من طيّب وخبيث .

ورسالة زهر بذر الحقائق[٢] ، وتشتمل على ثمانى عشرة مسألة فى علم الحقائق .

وكتاب تحفة القلوب وفرجة المكروب[٣] فى الحقائق ، وهو كتاب جليل ، وفيه فصل « فى بيان جزيرة اليمن حرسها الله تعالى وكيف كان قيام الدعاة فيها من أول الزمان إلى وقته بمختصر من القول » ، وفصل فى أسماء حدود وقته الذين ألّف لأجلهم الكتاب .

وكتاب مفاتيح الكنوز[٤] ألّفه جوابا على المسائل التى وردت عليه من بعض الإخوان ، مثل دور الكشف ، والردّ على من قال إن المهدى عبد الله من ولد الحسن ابن على بن أبى طالب ، والتوحيد جوابا على قول السائل « أجزلى يامولاى عن الله هل هو فى الدار أم الدار فيه » ، وتسمية العقل عقلا وما شابهها من المسائل .

هذه الكتب ورد ذكرها فى فهرست الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول . وله مؤلفات أخرى لم يذكرها الشيخ إسماعيل ، ومنها كتاب الشموس الظاهرة[٥] فى الحقائق ذكره الشيخ حسن بن نوح البهروجى الهندى فى كتابه الأزهار .

وظل هذا العلامة الباحث حاتم الحامدى تتقدم به السنّ حتى توفى فى حصن الحطيب فى يوم السبت السادس عشر من شهر المحرم سنة ست وتسعين وخمس مئة[٦] ؛ وكان قبره تحت حصن الحطيب بحراز من بلاد اليعابر يزوره الناس إلى وقت قريب ثم هدم — فلا أثر له الآن .

---

(١) نفسه ٢٧٦ ؛ م.م.هـ .
(٢) نفسه ٧٨ ؛ م.م.هـ .
(٣) نفسه ٣٨٨ ؛ م.م.هـ .
(٤) نفسه ٤٠١ ؛ م.م.هـ .
(٥) م.م.هـ .
(٦) نزهة ١/١٠٦ .

صورتا ضريح حاتم بن إبراهيم الحامدى بالحطيب أخذناهما فى سنة ١٩٣١ .
وأما الآن فالبالغ أن عامل حراز سابقا نقل التابوت إلى صنعاء ، ثم وضع التابوت فى الجناح الشرقى من جامع صنعاء :

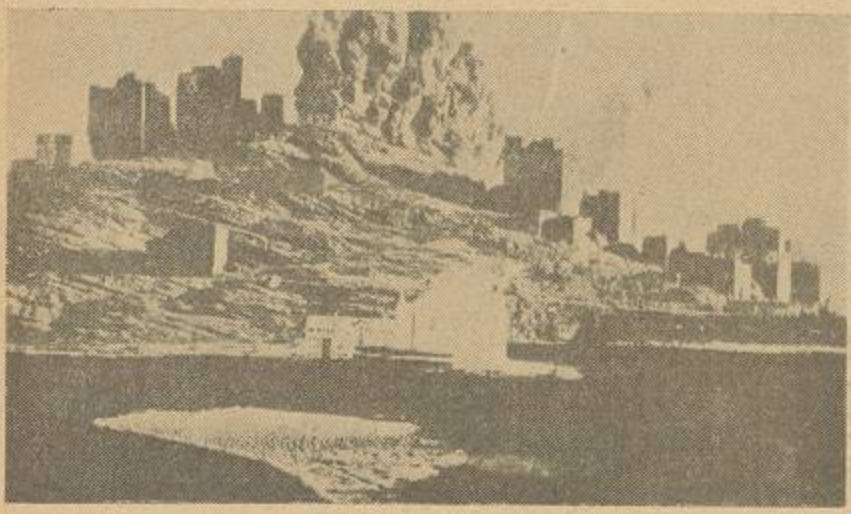

[تصوير : حسين الهمدانى]

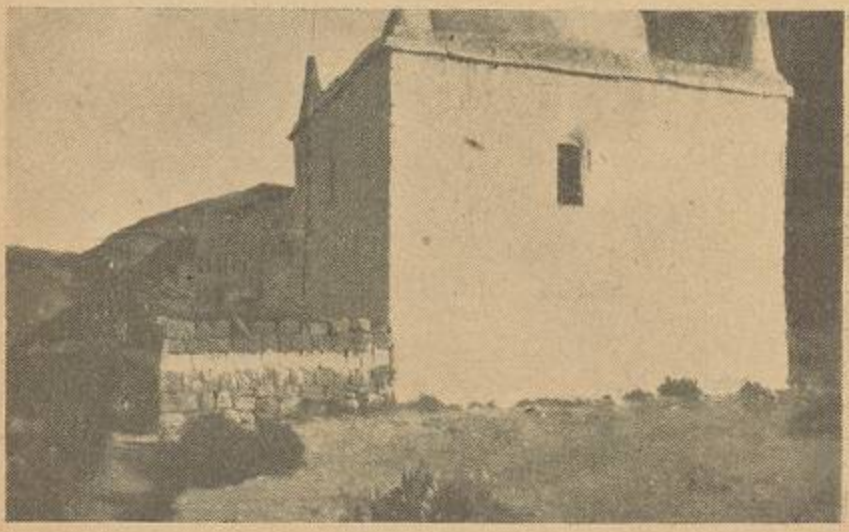

[تصوير : حسين الهمدانى]

الداعى على بن حاتم بن إبراهيم الحامدى (٥٩٦ — ٦٠٥) -

قام بأمر الدعوة بعد أبيه وأخذ يرسل دعاته لنشر الدعوة فى الأصقاع . وافترقت عليه أمور أهل دعوته بحراز من اليعابر وسواهم وخالفوا أمره مما دعاه إلى ترك حراز والذهاب إلى صنعاء . وبينما كان سلاطين همدان من بنى حاتم مقيمين على حمايته والدفاع عنه وأهل دعوته كان أهل حراز قد عصوا نائبه وزعيم اليعابر السلطان حاتم بن سبا بن يوسف وتحالفوه وحالفوا أعداءه . وما زال الشيخ على ابن محمد بن الوليد يرسل إليهم رسله ويعرفهم سوء العواقب ويناشدهم الائتلاف . فكتب إليهم شعرا ينهاهم عن الاختلاف جاء فيه[1] :

نسيم الصبا ألمِم بسُوح اليعابر ... ليوث الشرى البانين أعلى المفاخر

ذؤابة قحطان بن هود ولبّها ... وأسرة ذى العلياء عمرو بن عامر

وقل يا أباة الضيم يا صيد يعبر ... أفى الحزم أن ترضوا بهذا التشاجر

وإن تهملوا إصلاح ما أن غفلتم ... عن إصلاحه أبتم بصفقة خاسر

ولكن لم ينفعهم الوعظ والتذكير ، ووقع بينهم الخلاف ، وأعرضوا عن حراسة الحصون ، حتى قتل السلطان حاتم بن سبا بن يوسف اليعبرى .

وظل الداعى علىّ مقيما للدعوة فى صنعاء وأعمالها غير مكترث بملوك الغز ومايطرأ من أهوالهم مصادقا لملوك همدان . ثم طلع حصن ذمرمر إلى سلاطين بنى حاتم مفتقدا لأحوالهم . ثم أدركته العلة فأنزل محمولا إلى صنعاء ، وتوفى فى يوم السبت ٢٥ من ذى القعدة سنة خمس وست مئة . ويقال إنه مات مسموما[2] .

وله رسالة روضة الحكم الصافية وبستان العلوم الشافية[3] ، وهى تتضمن سبع

---

(١) نزهة ١/١٠٨ — ١٠٩ .

(٢) نفسه ١/١٩١ .

(٣) فهرست إسماعيل ٣٦٤ ؛ م . م . ه .

عشرة مسألة فى الحقائق . وفيها شرح بعض أقوال أبى يعقوب السجستانى من كتابه المسمى بالبشارات وشرح بعض مناجاة المؤيّد فى الدين الشيرازى .

الداعى على بن محمد بن الوليد الأنف العبشمى القرشى (٦٠٥-٦١٢)

تقلد مراسم الدعوة فى بلاد اليمن وما انضاف إليها ، بعد وفاة الداعى على ابن حاتم الحامدى . وكان له مع الداعى حاتم وابنه الداعى على الرتبة السامية واليد الطولى . وقال عنه حاتم الحامدى[١] : « ... أمّا شرف النسب فإنه من أشرف أهل الوقت نسبا ، وأعلاهم حسبا ، وأقدمهم فى الدعوة الهادية ، وأسبقهم إلى الأفعال المرضية ، وذلك أن جدّه إبراهيم بن أبى سلمه لسَبْقِه وشَرَفِه سفّره على بن محمد الصليحىّ إلى الحضرة الشريفة المستنصرية . . وإنهم من أشرف قريش وأعلى العرب من بنى عبد مناف ، بن قُصى . وأما الطهارة والورع والعبادة والعفة والنسك والولاية والآداب ، فلا يقاس أحد به من أهل زمانه . . ولذلك أضفت أمر الدعوة الهادية سلام الله على صاحبها فى الجزيرة اليمنية إليه ». وكان جده إبراهيم يلقب بالأنف « لتقدمه على أضرابه تقدم المارن على الوجه »[٢] وهو جدير بما وصف الحطيئة قومه من قبل :

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ
ومن يُساوى بأنف الناقة الذنبَا

وكان الشيخ إبراهيم بن أبى سلمة بن الوليد العبشمى القرشى الأنف من كبار رجال الدولة الصليحية ، فمدحه الشاعر الحسين بن على القمى بقصيدة ، جاء فيها[٣] :

فياشبه الخليل ندىً وتقوى لخالقه وحلما واعتزاما

---

(١) نزهة ١/١١٢ .
(٢) نفسه ١/١١٣ .
(٣) نفسه ١/١١٣ — ١١٤ .

فإبراهيم إبراهيم أضحت به صنعاءُ البلد الحراما
فيا نجل الوليد ورثت مجدا من الآباء يتّسق انتظاما
فإن يكن الخليل أتاه وحيٌ فقد أصبحتَ فى العليا إماما

وقال أيضا يمدحه[1] :

وأغرف من اليمّ لا ماءً كما زعموا لكن درًّا ومرجانا وياقوتا
جُدْ بالسلام عسى نارُ الغرام به تعود بَرْدا إذا حَيّيتَ حُيّيتا
أنت الخليل وصنعاك الحرامُ ووا م ديك السرار بها لو كنت نُبّيتا
يا سيّدا مانسينا عهد صحبته أنسيت فى أجل هل كنت أنسيتا

ولم يزل الداعى على بن محمد بن الوليد قائما بأمر الدعوة ، فاتسقت به أمورها وتحسنت أحوال أهلها ، واجتمعت على تأييده ونصرة دعوته بعض السلاطين والزعماء من همدان . وكان الحبر العالم على بن حنظلة بن أبى سالم المحفوظى الوادعى الهمدانى من المعاضدين للداعى والمؤازرين له ، بل كان النائب منابه فى كثير من الأحيان ، وأقام الداعى الشيخ عبد الله بن عبد الله أبى منصور بن أبى الفتح على أهل الدعوة فى الحقل حقل يحصب وذمار وأصاب وما ينضاف إليها ومخلاف جعفر والجند وأعمالها وبلاد ذخر والمعافر ولحج وأبين وعدن وتهامة وما يليها بعد أن عزل الشيخ محمد بن أحمد الأحورى[2] من ولاية هذه البلاد . وقد ساسهم الداعى جميعها سياسة حاسمة حازمة لها شأن ، مع مانالوا من قوة الغز . وظل الداعى مقيما بصنعاء ، ويتردد إلى ذمرمر والعروس وبهما السلاطين من آل حاتم الهمدانيين.

وكان الملك المعز إسماعيل بن طغتكين قد قتله مماليكه من الأتراك فى سنة ثمان

---

(١) نزهة ١/١١٣.

(٢) وكان الأحورى ممن كان له باع فى الدعوة وقت الداعى حاتم بن إبراهيم الحامدى وولده على بن حاتم الحامدى . فحينما أفضيت الدعوة إلى الشيخ على بن محمد بن الوليد داخلته المنافسة والحسد ، وكانت صيهاب موضع استقراره .

وتسعين وخمس مئة بمدينة زبيد . وقام بعده الأتابك سنقر نيابة عن الملك الطفل الناصر بن طغتكين . ولما توفى سنقر سنة عشر وست مئة قام الملك الناصر بأمر الملك ، وطلع إلى صنعاء ، ولكنه توفى فيها مسموما سنة إحدى عشر وست مئة . وبقى أمر اليمن على غير نظام .

فقوى موقف الإمام عبد الله بن حمزة المنصور[1] ، ورام كل مرام ، كما يظهر فى قوله من قصيدة :

لا تحسبوا أنّ صنعا كلّ مأربتى

ولا تَعِزّ ، ولا أشجيتُ حُسّادى[2]

واذكر إذا شئت تلهينى وتطربنى[3]

كرّى الجياد على أبواب بغداد

فاستولى على صنعاء وما يليها . وحارب فرقة من الزيدية تدعى بالمُطرّفيّة وكفّرهم وعمّر مسجدا بظفار[4] ، وكتب فيه :

لا يدخلنّك ما بقيتُ مطرّفى

---

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان / ورور : هو عبد الله بن حمزة بن سليمان ، زعم أنه من ولد أحمد بن الحسين بن القاسم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . ورواة الأنساب يقولون إن أحمد بن الحسين لم يعقب اه . وذكر القاضى عبد الله الجرافى فى المقتطف ١١٦ النسب الصحيح للامام وهو : المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن حمزة بن أبى هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب اه . وكان الإمام المنصور شاعرا فصيحا ذا لسان عالما لا يسمح باختلاف الرأى قائدا طموحا ذا شخصية جبارة ؛ دعا فى بلاد الجوف وسكن بها ، وفتح صنعاء ، ثم انحاز إلى حصن كوكبان عند طلوع ابن فليتة إلى اليمن الأعلى ، ودفن بظفار .

(٢) فى رواية ياقوت : جل مأربتى ولا ذمار ولا شمت حسادى .

(٣) فى رواية ياقوت : تشجينى وتطربنى .

(٤) وفى نزهة ١/١٢٠ قال : أظنه بظفار اه . والظاهر هو حصن ظفار ذى بين ويقال له ظفار داود فى شمال صنعاء على نحو ثلاث مراحل .

فأجابه بعضهم بشعر يقول فيه :

أوَ ما علمتَ بأنّ كلّ مطرّفى ... عمّا عملتَ من الكنائس مكتفى

أنتم وقبلتكم ومسجدكم معاً ... كذبالة فى وسط مصباح طفى

فلما حاربهم واتبعهم[1] خرج ابن النّساخ[2] إلى بغداد وخاطب الخليفة العباسى بقصيدة مشهورة مطلعها :

لنشى الملك ذى الملكوت حمدى ... رداء الحمد أفضل ما تردّى

ومنها قوله :

نيامٌ يا بنى العبّاس أنتم ... وهذا ثوب أسرتك تُرُدّى

ويرميكم ببغداد بجيش ... أجشّ متبعا برقا برعد

ينادى يا لثارات بفخّ ... وباخَمْرا ووقعة يوم مهدى

ويدعو أين إدريس ويحيى ... وعبد الله أين أبى وجدى

فكتب الخليفة العباسى إلى الملك الكامل الأيوبى صاحب مصر يحرضه على حفظ اليمن ، وأن لايتهاون بأمره . فأرسل الملك الكامل ولده المسعود وأتابك جمال الدين ابن فليت إلى اليمن . فوصل الأخير زبيد فى مستهل سنة اثنتى عشرة وست مئة . وقبض على الملك الأعظم سليمان الأيوبى الذى تولى الحكم بعد وفاة الملك الناصر الأيوبى[3] ورجع به أسيرا ، فأرسله المسعود إلى مصر ، وسلمت إليه الحصون

---

(١) يقال إن عددا ضخماً من المطرفية قتلهم الإمام المنصور بالله حتى أبيدت الفرقة جميعا ودورهم وبلدانهم وهى خربة إلى الآن .

(٢) هو حسن بن محمد بن النساخ من المطرفية من بلاد آنس . وقام الأمير محمد بن منصور بن المفضل المشرقى أخو الأمير محمد العفيف الوزير بنصرة المطرفية ضد الإمام المنصور . هذا مارواه صاحب المقتطف ١١٨ .

(٣) وكان قد تزوج سليمان هذا والدة الملكين الأيوبيين المعز إسماعيل والناصر ابنى الملك العزيز عثمان بعد وفاتهما ، ولقب بالملك الأعظم .

والمدن باليمن الأسفل ، وابن فليت مقدم عسكره . ثم طلع ابن فليت إلى ذمار . وكان الإمام المنصور أخرب دور الغز فى صنعاء ، ثم انحاز إلى حصن كوكبان . ووصل ابن فليت صنعاء فى عساكر جمة فدخلها فى جمادى الأخرى من السنة المذكورة . وكانت تلقّته بنو حاتم فى همدان . فتلقّاهم بالإجلال والإحسان . وأقام ابن فليت بصنعاء يجهز العساكر حتى اجتمع له من أهل اليمن البادى والحاضر .

وكانت وفاة الداعى على بن محمد بن الوليد القرشى بعد دخول الغز صنعاء بشهرين فى شهر شعبان سنة اثنتى عشرة وست مئة . وكان عمره قد أوفى على التسعين عاما وهو صحيح الجوارح يؤلف الكتب ويقوم بالعبادة ويشتغل بالدرس والتدريس وكان الداعى على من أنشط الدعاة يذبّ عن حمى الدعوة ويكافح عنها بقلمه ولسانه فى ظروف غير ملائمة . وكان الكفاح مريرا منذ سقوط الدولة الصليحية ، ولم تجد الدعوة معينا ولا ناصرا من سلاطين اليمن يحميها من وطأة الحروب القائمة بين ملوك الغز والسادة الأشراف . فتمسك الداعى بسلاطين آل حاتم اليامين الهمدانيين الذين كانوا يعطفون على أهل الدعوة ، لا من أجل عقيدتهم ، بل احتراما لاتصال جدهم القاضى عمران بن الفضل اليامى بالصليحيين وبالدعوة واحتراما لحقوق الجوار . وفى هذه الظروف القلقة استطاع رؤساء الدعوة جمع شمل أهل الدعوة باليمن . وذلك بفضل عدم تدخلهم فى سياسة البلاد ، وتحصنهم بالمعاقل والحصون أحيانا ، والتجائهم إلى التستّر الشديد أحيانا عند عدوان المعتدين ، وأخيرا وليس آخرا بفضل نشاطهم العلمى وحفظ التراث الأدبى والدينى السابق وضبطه . وهكذا وضعت أسس متينة لمؤسسة الدعوة ، فاستطاعوا أن يوطدوا بها مكانهم وموقفهم فى المجتمع اليمنى . وكان الداعى على بن محمد ابن الوليد القرشى قد شارك الدعاة السابقين أمثال الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى والشيخ محمد بن طاهر الحارثى والداعى حاتم بن إبراهيم الحامدى ، فاضطلع بقسط وافر فى وضع الأسس للحركة العلمية داخل منظمة الدعوة . ويدل على ذلك مؤلفاته العديدة التى نذكر منها :

كتاب تحفة المرتاد وغصّة الأضداد[١] فى الرد على الفرقة المجيدية وإثبات إمامة الطيب بن الآمر وذكر تسلسل الإمامة. وفيه نبذ من علم الحقائق ·

رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول[٢]، وهى تنقسم ثلاثة أبواب تحتوى على ثمانية وعشرين فصلا . الباب الأول فى التوحيد والخلقة الجسمانية وكيفيتها، والباب الثانى فى الخلقة النفسانية وكيفية تربيتها، والباب الثالث فى تسلسل الولادة الدينية وتأويل بعض الآيات من القرآن يتضمن ذكر الثواب والعقاب .

الرسالة المفيدة فى إيضاح ملغز القصيدة[٣]· وهى شرح القصيدة التى يروى أن قالها الحكيم أبو على سينا مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزّز وتمنّع

وأورد فيها من رسائل إخوان الصفا فصلا فى علة كراهية الجميع الموت ومحبتهم البقاء بتمامه وكماله ·

· كتاب ضياء الألباب المحتوى على المسائل والجواب[٤] ويشتمل على اثنين وثلاثين مسألة والجواب عنها . وهذه المسائل أثارها الفقيه محمد ابن إبراهيم بن أبى عمر من أهل الدعوة المخلصين فى عهد الحرة الملكة الصليحية · وقد ذكر الداعى يحى بن لمك بن مالك الحمادى « هذا الفقيه ذات يوم وفود عدة المؤمنين بصنعاء شاهدا بفضله ورتبته السامية فى الدعوة»[٥]· ويتضمن الكتاب على بيان التوحيد والإبداع والسابق والتالى ومعرفه الابتداء والانتهاء ودورى الكشف والستر وما شاكلها من مسائل علم الحقائق الخاصة بالدعوة · وقد عالج فيه بعض المسائل التى ردها الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى على صاحب المحصول ، وشرح فيه ما أورد الشيخ أبو تمام[٦] من المسائل فى أرجوزته المسماة بالشجرات .

---

(١) نفسه ٢١٠ ؛ م.م.ه .؛ نشره ستروطمان (Strothmann) تحت عنوان «أربعة كتب إسماعيلية» . (٢) نفسه ٢٧٧ ؛ م.م.ه .

(٣) فهرست إسماعيل ٢٧٨ ؛ م.م.ه .

(٤) نفسه ٣٤١ ؛ م.م.ه . (٥) نفسه ٣٤١ .

(٦) من الدعاة المعاصرين للداعى على بن محمد بن الوليد .

ديوان شعره[١] فى مدائح الداعى حاتم بن إبراهيم الحامدى وأستاذه الشيخ محمد بن طاهر الحارثى . وفيه أشعار فى الرّد على الفرقة المجيدية وفى عتاب المشائخ اليعبريين لما وقع بينهم من التنافر وفى مديح الأئمة وإمام زمانه الطيب بن الآمر وفى أجوبة الكتب المرسلة من أهل الدعوة وفى المراثى وغيرها .

كتاب دامغ الباطل وحتف المناضل[٢] فى الردّ على الغزالى فى كتابه المستظهرى[٣] .

كتاب مختصر الأصول[٤]، ويشمل شرح المقالات وكيفية انقسامها ، والرد على فرق الحشوية والجبرية والمعتزلة والفلاسفة .

كتاب تاج العقائد ومعدن الفوائد[٥] يتضمن مئة مسألة فى معتقدات مذهب الدعوة ، « فإنها قواعد الدين، وما وجد خارجا عن هذه العقيدة فإنما هو اختلاف على هذا المذهب » . هذا قوله .

كتاب مجالس النصح والبيان[٦] ، والموجود منه أربعون مجلسا من المجلس الأول والمئة إلى الأربعين والمئة ، وسمى به لأنه ابتدأ فى كل مجلس منها أولا بالنصائح ثم بالبيان وهو صميم الموضوع . وتشمل الابتداء والانتهاء وغيرها من مسائل علم الحقيقة والدعاء والمناجيات إلى الله وتأويل الآيات من التنزيل الكريم .

رسالة الإيضاح والتعيين فى كيفية تسلسل ولادتى الجسم والدين[٧] فى علم المبدأ والمعاد وإثبات إمامة الطيب بن الآمر .

---

(١) فهرست إسماعيل ٥٠ ؛ م.م.ه .

(٢) نفسه ١٢٩ ؛ م.م. ه .

(٣) نشره غولد تسير (Goldziher) فى كتابه Streitschrift des Gazali gegen die Batinija – Sekte ١٩٦ .

(٤) م.م.ه . (٥) فهرست إسماعيل ١٧٣ — ١٧٩ ؛ م . م.ه .

(٦) نفسه ١٩٥ ؛ م .م. ه .

(٧) نفسه ١٠ ؛ م.م . ه . ؛ نشرها ستروطمان (Strothmann) فى مجموعة « أربعة كتب إسماعيلية » .

رسالة لب المعارف[١]، وهى سبعة مسائل : الأولى عن القائم وعن الشريعة فى دوره ، والثانية عن الهيولى والصورة ، والثالثة عن قول الله تعالى يخرجون من الأجداث الآية، والرابعة عن قول الإمام المعزإذا كانت هذه السموات والأرض فانية فما ظنك بما دونها ، والخامسة عن قول الإمام المستنصر فى القائم بأنه سابع النطقاء ، والسادسة عن الإمام وحدوده الداعين إليه ، والسابعة عن قول القاضى النعمان فى كتاب أسرار التأويل إن النطقاء يأخذون عن الحدود وعن قول الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى فى كتاب راحة العقل إن النطقاء يأخذون من حد جسمانى ، فكيف المخلص من كلامهما .

رسالة لباب الفوائد وصفو العقائد[٢] فى المبدأ والمعاد .

كتاب الذخيرة[٣] يتضمن بحوثا عن التوحيد والإبداع والانبعاث والنبوة والإمامة والقائم والانتهاء والمعاد وغيرها من المسائل فى عقائد الدعوة . ويعتبر هذا الكتاب من أمّهات الكتب فى هذا الفن .

وله بحوث ورسائل أخرى مثل رسالة ملحقة الأذهان أوردها أستاذه الشيخ محمد بن طاهر فى كتاب مجموع التربية ، ونظام الوجود فى ترتيب الحدود فى أسماء حدود الدعوة باليمن فى عهده . وقد تنسب إليه رسالة فى معنى الاسم الأعظم . ووصلت الدعوة اليمنية إلى أوجها فى النشاط العلمى فى مؤلفات الشيخ على ابن محمد بن الوليد القرشى ، وتمتاز بسعة الاطلاع ، والتحقيق الذى لايخلو من الجدة والابتكار .

الداعى على بن منظور بن أبى سالم المحفوظى الوادعي (٦١٢ — ٦٢٦)

قام بالدعوة بعد الداعى على بن محمد بن الوليد ، وله فى الدعوة الاجتهاد القديم . وكان يقصده القصاد طلبا للعلم المشهور . ولا يختلف فى تقدمه من همدان اثنان .

---

(١) فهرست إسماعيل ٣٦٥ ؛ م.م. ٥ .

(٢) نفسه ٣٨٣ ؛ م . م . ٥ .

(٣) لم يذكره الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول فى الفهرست ؛ م. م. ٥ .

وكان مقامه فى صنعاء أو فى ذمرمر . وكان على المنزلة عند بنى أيوب وبنى حاتم اليامبين . وقد بعث إلى أصقاع اليمن والهند والسند الدعاة وأقام فيهم شريعة الإسلام[١] . واتبع فى عهده السياسة المرسومة وهى عدم تدخل الدعاة فى شئون البلاد السياسية .

وكان الأتابك ابن فليت تمكن من عقد الصلح فى سنة ثلاث عشرة بين الملك المسعود الأيوبى والإمام عبد الله بن حمزة المنصور على أن يقدم الإمام للسلطان عشرين حصانا وعشرين جملا . وقد توفى الإمام بعد ذلك فى سنة أربع عشرة فى حصن كوكبان ودفن فى ظفار . فقام ولده محمد عز الدين بن عبد الله ابن حمزة فحارب ابن فليت أياما لأن ابن فليت مات فى السنة المذكورة . ثم إن الملك المسعود تقلّد إمرة الجيوش وطلع بعد وفاة قائد قواته ابن فليت إلى حصن كوكبان وتسلمه وصالح الأشراف ثم عاد إلى اليمن الأسفل . وكان تارة يحارب الأشراف وطورا يصالحهم . وخرج الملك المسعود إلى مصر لزيارة والده الملك الكامل فى سنة ثمانى عشرة وست مئة وولّى على البلاد رجلا يدعى الحسام لؤلؤ أقامه فى زبيد ، وفى صنعاء الأمير الحسن بن على بن رسول . وقد قامت الحرب بين قوات ابن رسول والأشراف مدة حتى حطّ الأشراف فى صنعاء ، فخرج الحسن ابن على بن رسول إليهم من باب السَّبحة[٢] ، ووقع القتال وغشيهم المماليك بالدبابيس ، وانهزم عسكر الأشراف وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصيب عز الدين محمد بن الإمام عبدالله فى علية وعقر حصان أخيه شمس الدين أحمد بن الإمام ، فعاد الأشراف مهزومين . وكان الغز إذا ملكوا صنعاء ، كما ذكر الداعى إدريس[٣] ، شملوا أهل الدعوة بالأمان . وكان لهم لديهم المرتبة والمكان . ووصل عز الدين إلى ثلا وافترق عسكره . وفى ذلك يقول عز الدين (ع)[٤] وأخوه شمس الدين (ش) ارتجالا وقد تعارضا:

---

(١) نزهة ١/١٢٣ .

(٢) نفسه ١/١٢٤ . وكان الباب فى الجانب الغربى من صنعاء وتسمى هذه المنطقة السبحة والمتداول على الألسن الآن باب السبح الموصل بين صنعاء وبئر العزب .

(٣) نزهة ١/١٢٦ .

(٤) نفسه ١/١٢٧ .

ع : فلو نظرتنا يا بنة العـــمّ أعين

ونحن بيوم ابن الرسول استهلّتِ

ش : عشيّة أرمى جمعهـــم بلبانة

ونفسىَ قَـــد وطّنتهـــا فاطمأنّتِ

ع : فقل لأمير الدين صبرا فإنّهـا

صروف الردى مهما ادلهمّتْ تجلّتِ

ش : وما دام عزُّ الدين فينا فإنّنا

على ذروة فى المجـــد أشرف ذروة

وسأل الأمير الحسن بن على بن رسول السلطان مدرك بن بشير بن حاتم اليامى الهمدانى شعرا فى هذه الوقعة . فقال مدرك على لسانه ، فكتب بها إلى الملك المسعود فى مصر[1] :

ســـلا ذات سمط الدرّ والمارن الأقنى

لدى عَصُرٍ من أصدق الضرب والطعنا[2]

ومن شهـدت صنعاء لولا بلاؤه لما فارقت رعبا ولا رافقت أمنا

إلى قوله :

فلا زالت الأخبار عنكم تسرُّنا كما سرَّ كم فى مصر مخبركم عنّا

فقال السلطان الكامل لابنه الملك المسعود : يا يوسف ! من هذا الذى يخاطبك بنونٌ العظمة ؟ فقال : هذا أمير لى . قال أبوه : ما هو أمير ، بل هو نظير ، إن لم تثب عليه وثب عليك . فأسرّها الملك المسعود فى نفسه حتى دخل اليمن فى سنة أربع وعشرين وست مئة . فنزل الأمير بدر الدين الحسن بن على

---

(١) نزهة ١٢٨/١ .

(٢) عصر بفتح العين وضم الصاد ، اسم قرية وجبل غربى صنعاء على مسافة أربعة كيلو مترات تقريبا .

ابن رسول للقاء الملك ومعه أخواه شرف الدين موسى بن على وفخر الدين أبوبكر ابن على فقبض عليهم الملك وأرسلهم إلى مصر[١]. وقرر خاطر أخيهم نور الدين عمر ابن على وطمأنه قائلا: لابد بعد أن يصلوا مصر من إطلاقهم والإحسان إليهم . ورفع قدر نور الدين عمر . ثم عزم على السفر إلى مصر فى سنة ست وعشرين وست مئة وولّى ، بعد أن اعتذر الحسام لؤلؤ ، نور الدين عمر بن علىّ على اليمن . وقال الملك المسعود لنور الدين ، كما روى الخزرجى[٢] : « إنى قد عزمت على السفر ، وقد جعلتك نائبى فى اليمن . فإن مت فأنت أولى بملك اليمن من إخوتى لأنك خدمتنى وعرفت منك النصيحة والاجتهاد ، وإن عشت فأنت على حالك . وإياك أن تترك أحدا يدخل اليمن من أهلى ولو جاء الملك الكامل والدى مطويا فى كتاب» . وقال إدريس[٣] : « وقال (الملك المسعود) لعمر بن على بن رسول : « قف فى اليمن عاملا حتى يأتيك أمرنا » . فأجابه عمر بن على بالقبول » . ويروى أنه عاد إلى مصر ، لأن عمه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر أيوب توفى ، وكان يومئذ صاحب دمشق ، فكتب الملك الكامل إلى ابنه الملك المسعود يوسف يستدعيه إليه ليعطيه دمشق . ففرح فرحا شديدا حتى أنه سافر وقد ابتدأ به المرض[٤] .

فلمّا انتهى الملك المسعود إلى مكة وافته المنية بها فى يوم الاثنين من جمادى الأولى من سنة ست وعشرين وست مئة . ووصل العلم بوفاته إلى أبيه الملك الكامل وهو خارج الديار المصرية . فأعلن الأمير نور الدين عمر بن على ابن رسول استقلال اليمن لمّا أتاه خبر المسعود ، وعيّن لدولته الأمراء والرؤساء والجنود ، واتخذ مدينة تعز عاصمة له ، وتلقّب بالملك المنصور . وابتداء مملكته

---

(١) جاء فى نزهة ١/١٢٨ شمس الدين الحسن بن على . وقد ذكر الخزرجى (عقود ١/٣٩) أن المسعود تقدم من تعز إلى الجند وأنه وثب على بنى رسول وقبض على بدر الدين بن على وفخر الدين أبى بكر بن على وشرف الدين موسى بن على ، فقيدهم وأودعهم السجن . ولا يذكر الخزرجى أن الإخوة أرسلوا إلى الديار المصرية .

(٢) عقود ١/٤٠ — ٤١ .

(٣) نزهة ١ / ١ . أرى أن رواية إدريس أقرب إلى المنطق من تمجيد الخزرجى لآل رسول .

(٤) عقود ١/٤٠

من جمادى الأخرى من سنة ست وعشرين وست مئة ، فكان هذا ابتداء دولة بنى رسول . فلا غرو أنهم كانوا أحق بملك بلادهم من غيرهم (١) .

وكان الداعى على بن حنظلة المحفوظى الوادعى فى أثناء هذه الأحوال المضطربة قائما بأمور دعوته ، وأقام الشيخ أحمد بن المبارك بن الوليد القرشى والشيخ الحسين بن على بن محمد بن الوليد القرشى لمعاضدته فى نشر مبادئ الدعوة وعلومها وإصلاح أمور أهلها ، وكان قد وجد فى أثناء مدة دعوته مجالا لتأدية واجبات منصبه وتشجيعا وأمانا من قبل الأمراء الأيوبيين وبالخصوص من أمراء آل على ابن رسول . وكان سلاطين بنى حاتم اليامبين ومشائخ همدان يحمون أهل الدعوة من عدوان المخالفين . واتبع الداعى على بن حنظلة وأعوانه سياسة عدم التدخل فى الخلاف القائم بين الملك المسعود وأعوانه آل على بن رسول وبين الأشراف ، وعلى الرغم من هذا لم ينج الداعى وأهل دعوته من مخالفة الأشراف . فكان الداعى مثل من سبقه من رؤساء الدعوة مضطرا أن يلتجىء إلى حماية السلطان وأمراء آل رسول طبقا لقانون المحافظة على البقاء .

ونذكر من مؤلفات الداعى على بن حنظلة المحفوظى الوادعى :

قصيدته الموسومة بسمط الحقائق (٢) وهى تحتوى على ست مئة وثلاثة وستين بيتا تبدأ بقوله :

الحمد لله العلىّ السامى ... عن صفة الكمال والتمام
إذ التمام والكمال صنعته ... سبحانه تقدّمت هويّته
فوصفه كما أتى تشبيهُ ... وحدّه ونعته تمويهُ
والعجزُ عن إدراكه إدراكُ ... والنفى تعطيلٌ به الهلاك

(١) آل رسول ينتهى نسبهم إلى الملك جفنة بن عمرو الغسانى الذى رحل من اليمن إلى بلاد الشام بعد خراب سد مأرب . وكان جدهم رسول واسمه محمد بن هارون من أعوان الدولة الأيوبية وأعيانها . وقد وفد أولاد على بن رسول من مصر إلى اليمن مع بنى أيوب .

(٢) فهرست إسماعيل ٢٧٢ ؛ م. م. ه ؛ وقد حققها المحامى عباس عزاوى ونشرها المعهد العلمى الفرنسى بدمشق سنة ١٩٥٣ .

جلّ عن البحث بَهلْ ومَنْ ولِمْ وعزّ أن يحصُرَه لفظ الكَلِمْ

ويتلو الحمد أبيات فى التوحيد والصلوات والنصيحة فى محاسبة النفس بالنفس وإطاعة أولى الأمر والحدود وذكر مفيديه السابقين الداعى السلطان حاتم ابن إبراهيم الحامدى الهمدانى وابنه الداعى على بن حاتم والداعى على بن محمد ابن الوليد القرشى وفيهم يقول :

. . . . . مستسلما لطاعة الحدود

فى عصره كحاتم فى عصرنا حجّة مولانا ولىّ أمرنا

داعى الإمام الطيّب الزكىّ ونجله من بعده علىّ

طَوْد الفخار الشامخ المنيف وابْن الوليد الطاهر العفيف

علىّ ذى الفضل الشريف المحتدِ نجم الهدى نجل الرضى محمد

ثم أنى بسؤال السائل حيث يقول :

سألتَ وُفّقتَ إلى الرشاد عن أصل بدءِ الكَوْن والإيجاد

وكيف كان الأمر فى البدايَهْ وما إليه ينتهى فى الغايَهْ

وما الذى أوجب للنفوس رباطها فى العالم المعكوس

حتّى اغتدَتْ لابسةً بالجسم مَبْلوّةً فيه بطول الهمّ

وما الذى ينزع ما عراها من ظلمة الجهل الذى أنساها

مَحلّها بالعالم الروحانى فاستغرقَتْ فى العالم الظلمانى

حتّى تَفى إلى جوار ربّها راجعة تائبة من ذنبها

راضية إذ ذاك مطمئنّهْ مسرورة فائزة بالجنّهْ

ثم يرد السؤال بالكلام عن التوحيد ، وعالم الإبداع ، والأفلاك ، والأركان ، والمزاج والمتزج ، وأدوار الكواكب السبعة ، وأهل الجنة الإبداعية ، ودور الكشف وأهله ، ودور الستر وأهله ، والمعاد المحمود ، والناسوت واتحاده

باللاهوت ، والمعاد المذموم ، والبعث والحساب ، والخلود فى الثواب والعقاب . وكأنّ هذه الأرجوزة تقدّم فى نظم سلس مستساغ خلاصة ما أورده المؤلفون الدعاة فى علم المبدأ والمعاد .

وله رسالة تسمى بضياء الحلوم ومصباح العلوم[1] ، وقد ذكرها الشيخ إسماعيل فى الفهرست من الكتب الكبار فى علم المبدأ والمعاد . وهى مبوبة على أربعة أبواب : الباب الأول فى التوحيد ، ومعنى التنزيه والتجريد ؛ والباب الثانى فى مسائل المبدأ مثل إبداع العالم الروحانى لا من شىء ، ووجود العالم الجسمانى من الهيولى والصورة ، ووجود المواليد الثلاثة ، ووجود القامة الألفية ، وقيام الدعوة الزكية ، وتسلسل الذرية الإمامية ، ودور الكشف ، ودور الجرم ، ودور الستر ؛ والباب الثالث فى المعاد المحمود ، واجتماع المقامات بالأفق المبين ، وظهور قائم القيامة ؛ والباب الرابع فى معاد الصور النافرة المضرّة المستكبرة ، وكيفية العذاب الأدنى والعذاب الأكبر وما شاكلها من مسائل المعاد المذموم . وهذه الرسالة لا تختلف فى موضوعاتها عن محتويات أرجوزته سمط الحقائق إلا أنها أكثر شرحا وإيضاحا من المنظوم .

وتوفى الداعى على بن حنظلة المحفوظى الوادعى فى يوم السبت الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ست وعشرين وست مئة . وذلك قبل أن يستقل اليمن عن حكم الغز تحت قيادة الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول بشهر .

الذروة العلمية الفاطمية فى اليمن

نرى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية فى اليمن فى مرحلة تمتاز بنشاط علمى وجمع شتات التراث الفكرى وتسجيلها فى كتب ومؤلفات وحفظ ماتركه المؤلفون الدعاة فى عهد الخلفاء الفاطميين . وقد بدأت هذه الحركة العلمية فى حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضى قضاة اليمن لمك بن مالك الحادى من الديار

(١) فهرست إسماعيل ٣٩٩ ؛ م.م.ه .

المصرية إلى مقر الدولة الصليحية . وقد سبق أن ذكرنا أن داعى الدعاة المؤيد فى الدين الشيرازى قرّر فى أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى خطوط برنامج الدعوة العلمى ، وكلف القاضى لمك تنفيذ هذا البرنامج ؛ ونقل القاضى كتب الدعوة وما احتوته من العلوم إلى اليمن . ثم قرّرت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضى إلى اليمن فصل الدعوة من شئون الملك ، وعينت الملكة ويحيي بن لمك الداعى الذؤيب بن موسى الوادعى للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمى البعيد عن التيارات السياسية . فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض فى عهد الداعى الذؤيب ابن موسى الوادعى ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجورى ، ثم أظهر الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى ومأذونه الشيخ على بن الحسين بن جعفر ابن الوليد القرشى والشيخ محمد بن طاهر الحارثى نشاطا بليغا فى هذا الصدد ، وبلغ الداعى حاتم بن إبراهيم الحامدى والداعى على بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبى مبلغا لا يستهان به . وأثبت الداعى على بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة فى رسالته وأرجوزته . وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمى فى القرون التالية إلى عهد الداعى إدريس عماد الدين الأنف القرشى المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة ، بل إلى أيامنا هذه . ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية فى خزائن كتب الدعوة اليمنية .

قسم الملاحق

تضم هذه الملاحق سجلات تاريخية ووثائق ذات قيمة ، ولذلك آثرنا أن نثبتها فى هذا الكتاب ، بعد أن بذلنا الجهد فى تحقيقها ، وإن لم نصل إلى القراءة الصحيحة لبعض عباراتها ، لغلبة التصحيف عليها ، واعتمادنا فى أكثرها على مخطوطة واحدة .

ملحق رقم ١

سجل الخليفة الحاكم بأمر الله إلى هارون بن محمد القائم بالدعوة باليمن
(عيون الأخبار ٦ / ٢٧١ — ٢٧٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الإمام المنصور بالله أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين إلى هارون بن محمد . سلام الله عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى على من أطاع وعصى ، فذو الطاعة لما به من نعمة يملا ، وذو المعصية إلى حد ماله يملا . يستفيد هذا بشكره رحمة ورضوانا ، كما يستزيد ذلك بكفره إثما وعدوانا ، وكل سوف يؤتى كتابه ثم لا شك يوفى حسابه . فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا .

وإن الذي كتبت به ياهارون بن محمد عنك وعن المؤمنين بأرض اليمن على يد المعروف بأبي الخير بن محمد بن يوسف بتاريخ يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر شوال سنة تسعين وثلثمائة قد وصل ، فأما ما شرحت من خبر من طلبت ما لم يكتب له ويقسم فأمره لابد أن ينقم وذكره بعار له سوف يوسم .

وأما ما ذكرت إنفاذه على يد رسولك من قرابين المؤمنين فهو من الذهب وزن سبعين درهما ومن الورق ألفا درهم . فالله يتقبل لمن عمل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون . وعليك أن تسلك بالمستجيبين الواجب ، وتتجنب بهم كل طريق مجانب ، لكتاب الله وسنة نبيه جدنا محمد ، والمأخوذ عن آبائنا الأئمة المهديين صلوات الله على النبي ووصيه وعليهم أجمعين ، والمسموع من أفواه المحققين ، لا المأخوذ عن ألسن المتخرصين ، وليكن فتواك للمستفيدين في الحلال والحرام من كتاب الدعائم دون ما سواه من الكتب المفتعلة .

وأما ما سألت إنفاذه إليك من الدواء المبارك فسيأتيك منه ما يجب في وقته على يد من يوثق بتأديته وأمانته . وقد كتب إلى الحضرة مظفر بن زياد كتابا ذكر حامله أنه ضاع منه في طريقه . وسئل عما تضمنه فحكى أن الذي يحفظه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة ، فأجيب إلى الرجوع إليك في هذا إذ كنت منه قريبا ، ولما هذه سبيله منصوبا . فاعرف ذلك ، واطلع ما عند مظفر وفقه الله ، وطالع الحضرة إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب لعشر ليال خلون من ذي القعدة من إحدى وتسعين وثلثمائة . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم عليه وعليهم أجمعين .

ملحق رقم ٢

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك على بن محمد الصليحى
(عيون الأخبار ٨٦/٧) .

ولما بلغ الأمير محمد بن على الصليحى مبلغ الرجال ، ورأى فيه والده دلائل الفضل والكمال ، أقامه لينوب عنه فى جميع دعوته ، وجعله الخلف له ، واستند إليه فى وصيته ، وكتب بذلك إلى الإمام المستنصر بالله عليه السلام ، واستورد أمره فيه ، وبركة رأيه ، والإذن له فى ما يرتجيه ، فورد إليه سجل من أمير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام يقول فيه :

« ومما نظر إليك أمير المؤمنين نظر مثله ، ممن ينظر بنور الله لمثلك ، ممن بإخلاص ولائه يستظهر ، أن يتخذ ولدك منتجب الدولة وصفوتها ، ذا المجدين ، خليفة لك ، يخلفك فى حياتك ، ويكون خلفا صالحا عند حضور وفاتك ، وأن يصطنعه لنفسه ، ويلبسه من لباس الأكرومة مايرتقى إلى ذروة الشرف بلبسه ، ويفيض عليه من خاص الملابس مايفيض عليه الأقدار بإذن الله سعودها ، وتنجز له أقاصى الأمانى وعودها ، ويسميه بالأمير الأعز شمس المعالى مضافا إلى قديم ألقابه ، ويأذن أن يدعو فى تراجم كتبه ويدعى به ، ويفسح أن يذكر به على فرق منابر بلادك فى أمجاز ذكرك وأعقابه ، وأن يلقب أخويه بلقبين زائدين فى ألقابهما المتقدمة ، لينالا بهما مزيدا من الاصطناع والكرامة . فالأوسط منهما الأمير المكرم ، والأصغر الأمير الموفق ، والله تعالى يسدد كلا منهما ويوفق » .

فكان وصول هذا السجل إلى الداعى على بن محمد الصليحى وهو فى مدينة صنعاء فى رجب سنة ست وخمسين وأربعمائة .

ملحق رقم ٣

سجل الخليفة المستنصر بالله إلى الملك على بن محمد الصليحى يعزيه فى وفاة ابنه الأكبر محمد الأعز وتولية ابنه الأوسط أحمد المكرم ولى عهد لأبيه .

(عيون الأخبار ٧/٧٩ — ٨٠) .

« إن أمير المؤمنين يعزيك فى ولدك الأكبر الأمير الأعز شمس المعالى منتجب الدولة وصفوتها ذى المجدين رحمه الله ، الذى اخترت له خير الأولى ، واختار الله له خير الأخرى ، وألحقه بالملأ الأعلى ، سوى أن أمير المؤمنين يألم مما ألم بك ، وما اعترى قلبك من الحرقة بسببه ، وحكم الله سبحانه الذى لايغالب ، والحتم الذى لا ينجو منه هارب ، وأنت ربط الله على قلبك بالصبر ، وأجزل لك حظك من الثواب والأجر ، أرجح فى ميزان العقل وزنا ، أن يدخل عليكم الهم فيما لا ينفع الهم به وهنا ، فالتق سلاح البلوى بجنة المالكين للصبر القادرين ، وانتظم فى سلك من عناهم الله بقوله : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . وقد أمر أمير المؤمنين بالرجوع إلى ولدك الأوسط كان وهو اليوم الأكبر ، حفظه الله تعالى لكسر فى أخيه رحمة الله عليه ، يجبر فى ولاية عهدك ، وسد مسدك ميتا ، وأنشأ من التقليد ما يكون لفؤادك مثبتا ، فلينشر فى المحافل والمحاضر ، وليقرأ على فروق المنابر ، ليكون لداء الناكبة دواء ، أو للهب نار الحزن إطفاء ، وعزز بإنفاذ تشريف من ملابسه يظهر عليه بين الأولياء رونق جماله ، ويكون له جنة يوم حشره ومآله . فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ورسمه ، واعمل عليه بحكمه ، وطالع حضرته بذكر ثبوت مراسى صبرك ، بما تعرب به عن مكانتك من الحلد ومقرك ، ويسرى عن نفس أمير المؤمنين فكرها بتقسيم فكرك ، إن شاء الله تعالى ، وكتب فى شهر ربيع الأول سنة ٤٥٨ » .

ملحق رقم ٤

سجل الخليفة المستنصر إلى الأمير أحمد المكرم بن على الصليحى .
(عيون الأخبار ٧ / ٨٠ — ٨١) .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير المكرم شرف الأمراء منتجب الدولة وغرسها ذى السيفين أحمد بن الأمير الأوحد أمير الأمراء عمدة الخلافة تاج الدولة سيف الإمام المظفر فى الدين نظام المؤمنين على بن محمد الصليحى .

أما بعد ، فالحمد لله البعيد من حيث تناوله بيد الأوهام ، وهو ببدائع قدرته دان ، الباقى وجهه الكريم سبحانه ، وكل من عليها فان ، لا إله إلا هو كل يوم هو فى شأن . وصلى الله على من رفع فى النبوة مكانه على كل مكان ، محمد المبعوث إلى الإنس والجان ، وعلى وصيه أشرف ترجمان ، على بن أبى طالب خير صاحب تأويل وبيان ، وعلى الأئمة القائم منهم إمام فى كل زمان ، هداة يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان . وقد كان رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه أن ينصب أخاك رحمة الله عليه ولى عهد لوالده نصره الله ، وأظفره فى حياته ، وارثا له بعد مماته ، جمعا منه لشملكم ، ووصلا منه لحبلكم ، وحفظا لبيتكم المبارك ، المتبرج بزينة الإيمان ، المنتهج منهاج بيت أسس على التقوى من الله ورضوان . وكان من قضاء الله السابق فى الاستئثار به ما ليس عليه معترض ، ونزل به نازلة ما كل جسم له عرض . فألم أمير المؤمنين ما ألم به ، وضاق ذرعا بسببه ، ونزع فى التسليم لمن بيده ملكة البسط والقبض ، ذلكم الله سبحانه فاطر السموات والأرض . ولما كانت الصورة هذه ، أجمع هذه الرتبة إليك ، وطرح شعاع شمس الاصطناعة فيها عليك . فاتق الله فيما قلدك من هذه الأمانة حق تقاته ، وشمر لابتغاء مرضاته ، وقم بالمحافظة على سائر أركان الشريعة ، وتحصن بحصونها المنيعة ، وابسط بساط العدل والإنصاف ، واقصص جناح الجور والاعتساف ، واسهر لترقد رعيتك رقاد الأمن ، وانزل عليهم من سماء عدلك شبه السلوى والمن ، وكن من أبر الناس بالوالدين ، واحمل الكلف عن قلوبهما بكلتا اليدين ، وارقب من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وائتل قول الله تعالى : « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » ، والبس ما شرفك من ملابسه التى تحوز بها فى الدارين المنى والسرور . هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاقبله(١) بقبول حسن ، وأقبل عليه إقبال أمين على شرائطه مؤتمن . والله يوفقك ويسعدك ، وإلى صالح الدارين يرشدك ، برحمته إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على جدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) فى الأصل : فقبله .

ملحق رقم ٥

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك على بن محمد الصليحى

(عيون الأخبار ٧ / ٨٢ — ٨٦)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير الأجل الأوحد أمير الأمراء عمدة الخلافة شرف المعالى تاج الدولة سيف الإمام المظفر فى الدين نظام المؤمنين أبى الحسن على بن محمد الصليحى نصره الله وأظفره واحسن توفيقه ومعونته .

سلام عليك . فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله المقصوص جناح الفكر دونه فى هبوطه وإصعاده ، جاعل عالم كونه وفساده ، سلما إلى محل رضوانه ودار معاده ، يحمده أمير المؤمنين أن مهد له من مجد الإمامة فى خير مهاده ؛ ويسأله أن يصلى على غوث عباده وغيث بلاده ، محمد جده المقلد من شرف النبوة أشرف نجاده ، المصطفى الهادى صفوة أغواره وأنجاده ، وعلى أخيه وأبى أولاده ، المخضرة به روضة الحكمة اخضرار الروض بصوب عهاده ، على بن أبى طالب مفترس الفرسان يوم الضراب والطعان تحت سنابك جواده ، وعلى الأئمة من ذريته أكارم الدهر وأجواده ، الذين من اقتدى بهم فقد هدى لرشاده .

وكان عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك الوارد على أيدى رسلك ، وهم عبد الأعلى ابن عبدالمجيد ومحمد بن على وعبدالواحد بن بشارة ، وكتاب جماعة المؤمنين قبلك ، كثرهم الله ، بذكر استئثار الله تعالى بوليك الأمير الأعز شمس المعالى وأخته ، رحمهما الله ، وأن الفجيعة بهما وهنت منك العظم ، وأنحلت الجسم ، فآلم أمير المؤمنين ما آلمك ، وثلم فى جسم نشاطه ماثلمك ، وترحم على الماضيين ترحما يفضى بهما الله معه إلى الروح والريحان ، ويرفعهما إلى غرف الجنان ، ودعا بإلهامك حسن الصبر والاحتساب ، ربا يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ، ولى أمير المؤمنين فيك لنداء دعوتك ودعوة المؤمنين قبلك فى رد ولاية عهدك والخلافة لك فى حياتك ومن بعدك إلى أخيه الملك المكرم ، شرف الأمراء ، عز الملك ، منتجب الدولة وغرسها ، ذى السيفين ، أحمد . ولاشك فى وصول ماأصدره أمير المؤمنين من سجله ، ووقوع الإسعاد لمسابقة السؤال بفعله . ويلى ذلك وصول كتابك على يد القاضى عمران بن الفضل ، ونجيب بن عفير ، ويوسف بن محمد ، وعنتر بن غشم ، المعرب عن ديانتك التى تسفر إسفار الصبح ، وتقضى بمواجهتك فى مساعيك لنصر الله والفتح ، وانتدابك لما يرفع الله به راياتنا أهل بيت النبوة إلى منطقة الجوزاء ، ويسمع منطقه سكان السماء ، ووقف عليه أمير المؤمنين وقوف ملتفت إليك بقلبه ، ملتف عليك بحبه ودعا بحسن التوفيق لك ربا يسمع دعاءه ويجيب نداءه ، ودعا لولدك ومن فى جملتك بالإسعاد والإرشاد ، والتوفيق لك بصلاح المبدأ والمعاد ، وهو ولى الإجابة بمنه . وأما ما أنهيته من ظهور

الفساد فى الحرم المعظم والمقام المكرم ، بالخلف والتحارب بين الفريقين والتنازع ، حتى صارت الدماء فيه تسفك ، وأستار قول الله تعالى : « أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم » تهتك ، إذ صارت الأرواح فيه تتخطف ، وعاصفات النهب والظلم تعصف ، وما سألت فيه من إذن أمير المؤمنين أن تصلح فساده ، وتقوم منآده ، وتقيم للعدل عماده ، وتعمر طرقه للسفار ، وتطهرها من دنس المفسدين والزعار ، فقد عرف . وعزيز على أمير المؤمنين ما يجرى فى ذلك البلد الأمين ، وهو منسك من مناسك الدين ، لاجرم أن الأرض راجفة كلها برجفانه وهو قلبها ، ومتألمة بألمه وهو صفوتها ولبها . وحقيق أن يقيض الله صلاحه — وهو خير البقاع — على يديك ، وأنت خير من لحظته عين الإمامة بالاصطناع ، سوى أن أمير المؤمنين يشفق من وقوع جرح على جرح ، وقرح على قرح ، يتصدى قوم لقتلك ، إذا رأوك عليه مطلا ، فيحدث حادث فساد ، قتالا وقتلا ، وما يؤثر أمير المؤمنين أن يوجد من ذلك مثقال ذرة ، ولا أن ينال طالبيا خاصة وخز إبرة . وإن أمكنك ذلك المكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب . فوابرد ذلك على الأكباد ، إنه لآية المراد ، وغاية قصد القصاد . فتأمل أحسن الله توفيقك هذه الحالة تأملا شافيا ، واعمل فيها بما يكون للثقة فى دينك ويقينك موافيا .

وأما ما أنهيته من حال رسل غرس الدين يوسف بن حسين الضمرى ، وحصولهم عندك منذ سنة ، متوسلا بك إلى حضرة أمير المؤمنين ، باستخدامه فى الدعوة الهادية ، أدامها الله فى بلاده ، واعتماده فى الاصطناع مكانبة وتلقيبا وتشريفا ، بما يكون مقيما لعباده ، فقد أجاب أمير المؤمنين سؤالك ، وحمد فيه أقوالك وأفعالك ، وبركاتك فى أقاصى البلاد وأدانيها منتشرة ، ووجوه سعادتك ضاحكة مستبشرة ، وعناية أمير المؤمنين فيك بتواليها وتتابعها مبشرة بمشيئة الله تعالى وعونه . أما إزعامك — قرن الله الخير بعزماتك ، ولقاك النجح فى تصرفاتك — التوجه إلى حضرموت لفتح أغلاقها ، ونشر دعوتنا فى آفاقها ، فالله يمدك بالمعونة واردا وصادرا ، ويحدد لك من سيف نصرته ما يكون لأعدائك قاهرا ، عنه .

وأما تجديدك السؤال فى الإلمام بنا ، إذا قضيت من أمن الحرم الشريف وطرا ، وانفسح لك فيه بما يكون لغرس قديم عنايتك مثمرا ، فلا شىء أحب إلى أمير المؤمنين من أن يشبع إلى أوليائه مثلك نظرا ، لكن الشقة بعيدة ، ومتاعب النافذ فيها شاقة شديدة . وأمير المؤمنين يرجح ما يراه من الصلاح فى مقامك ، على ما يهواه من قدومك والمامك ، إجماما لنفسك أن تكدح وتتعب ، وإشفاقا على ما تخلفه وراءك أن يضطرب ويذهب . وسوى هذا فأنت بين أن ترد فى كثر لا تحملهم الطريق ، أو قل يمنعك عن التعرض للغرر فيه إمامك البر الشفيق . والذى تأمل بلوغه برأى العين ، فإنك بالغه بحمد الله برؤية القلب ، ونائله من إمام زمانك على ظهر الغيب . فاحمد الله على ما قدره فى ذلك لك من الخير وقضاءه ، وقل : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى ، وأن أعمل صالحا ترضاه » .

وأما تكرير سؤالك فى معنى ولدك ، حفظه الله ، وأن تندبه مسد أخيه ، رحمه الله ، فقد تقدم القول بأنه سابق فعل ذلك من أمير المؤمنين سؤالك ، وإنه كتب فى الكتاب بما ينعم بالك ، وأصدر ذلك على أيدى رسلك مقرونا بالتشريف والتقليد له بالسجل الذى يرقيه إلى المحل الشامخ المنيف ، لتعلم أن اهتمام أمير المؤمنين بشأنك مثل اهتمامك ، واعتزامه على ما تنال به سعادة الدنيا والدين موف على طلبتك ومرامك . وإن أمير المؤمنين ، لمكانتك من نفسه ، ووقوع

ما يرفعك ويعليك فى أهم موقع منه وأمسه ، رأى تشريفك بالتكنية فى المكاتبة ، تاليا لنعوتك وألقابك الرائبة ، وأن يزيد فى نعوت ولدك الأكبر شرف الأمراء عز الملك ، مقرونا بملابس تجدد ملابس الفخر ، وتشيد مناقب عزه باقى الدهر ، وفى نعوت أخيه الأصغر شرف الملك ، وفى نعوت عقيلتك الصالحة أم الأمراء المنتجبين . والذى يعتقد أمير المؤمنين فيك فهو على ما ظهر زائد ، وسائق إليك خير الدارين وقائد ، بمشيئة الله . فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ورسمه ، واعمل عليه بحكمه ، وطالع حضرته بأنبائك ، وما يتشوقه من تلقائك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب فى شهر ربيع الأول من تسع وخمسين وأربع مئة .

والحمد لله وحده ، وصلواته على جدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

وقال صاحب العيون :

فوصل إليه الرسل بهذا السجل وهو فى قرية من قرى حراز ، تعرف ببيت جميع ، وذلك فى جمادى الآخرة من تسع وخمسين وأربع مئة ، ومازالوا معه حتى وصل صنعاء ، لست بقين من رجب من هذه السنة .

ملحق رقم ٦

رسالة من مجموعة رسائل الشاعر المنشىء حسن بن على القِمّى ، على لسان الملك المكرم أحمد بن على الصليحى ، وهى موجهة إلى الخليفة المستنصر الفاطمى

(رسائل القمّى ٣٦ — ٧٢)

بسم الله الرحمن الرحيم . سلام الله وصلواته ، وبركاته الطيبات وتحياته ، على ينبوع العلم والحكمة ، ووعى الإحسان والنعمة ، ووارث الأنبياء والأئمة ، المفترض طاعتهم على الأمة ، باب العصمة المقصود ، ومنهل الرحمة المورود ، ومطلب الفوز الموجود ، ومعدن الفضل والجود ، وحبل النجاة الممدود ، وسدر الهداية المخضود ، وبيته الذى أوحى فيه إلى والد ومولود ، « وأن طهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » ، سماء الله الواكفة على العالمين ، ويده الباسطة لبريته أجمعين ، وسلسبيله المعين ، لسان الصدق فى الآخرين ، ووارث أصحاب اليمين ، الثمرة المجتباة من شجرة النبيين ، المكنى عنه بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، مولانا وسيدنا معد بن أبى تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، معالم الإيمان ، ومعادن البيان ، ومناهى البرهان ، وأسباب الرضوان ، وأمناء الرحمن ، وقرناء القرآن ، وسادة الأنفس والجان ، وعلى أبنائه الأكرمين الذين جعلهم لآفاق النبوة ضوءا مضيئا ، ووهب لهم لسان صدق عليا ، وعناهم بجنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا ، ما أورق غصن ، [و] وكف مزن(١) .

والحمد لله القديم ، الرحمن الرحيم ، المبدئ البديع ، القوى الرفيع ، الفرد الأحد ، العزيز الصمد ، الذى جل أن تدركه الظنون ، وعلا أن تبلغ أدنى صفاته الواصفون ، .... (٢) بالإلهية لنفسه وملائكته المقربون ، واحتج باستحالة ما ادعاه المشركون ، بقوله الذى عجز عن الإتيان بمثله القائلون : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » ، قاصم كل جبار عنيد ، وقامع كل شيطان مريد ، وبالغ كل ذى أيد شديد ، الذى (٣) لم يبتل أولياءه بما ابتلاهم تعنتا ولاهضما ، بل اختبارا وإن كان قد أحاط بكل شىء علما ، ووسع أعداء دينه أناءة وحلما(٤) ، ليحتقبوا بالاستدراج حوبا وإثما ، كما قال جل جلاله تباركت أسماؤه : « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما » .

وصلى الله على محمد نبيه سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، ورسوله إلى الجن والإنس أجمعين ، وشفيعه الشفيع يوم الدين ، هادى المهتدين ، ومردى المعتدين ، الذى قرن بفرض طاعته (٥) فرض حبه ، وختم لأوليائه الطيبين به ، وغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه ، وأنزل الفرقان

---

(١) فى الأصل : وكف مريا . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٢) كلمة مكشوطة .

(٣) فى الأصل : الذين .

(٤) فى الأصل : وحدا .

(٥) بطاعته فى الأصل .

على قلبه ، وأسكن من اتبعه جنات عدنه ، وجعله بيتا أخص بأمنه ، وداعيا إلى الله بإذنه ، وأوجب ولاءه على إنسه وجنه ، وعلى أخيه ووصيه على بن أبى طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين ، وأسد الدين وزيره وخليفته، ووصيه [و] محيي شريعته، وأمينه ومأمونه، وصهره (١) وهارونه، ابن عمه الذى [قام] فى أمره ، ووزيره الذى شد به عن أزره ، قمر الشريعة وشمسها، وعماد الإمامة وأسها، وذروة الملة ورأسها ، ساقى شيعته من حوض عترته (٢) بكأسها، « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها » ، وعلى عرسه فاطمة الزهراء المتصلة بحر الوصائل ، معقد رحمة الله الذى يعقد به كل عاقل ، وسدة كل حاف (٣) وناعل ، والحبة التى أنبتت سبع سنابل ، وعلى ابنيها الحسن والحسين فلذتى كبد المصطفى، وثمرة شجرة طوبى ، اللذين أوجب الله لهما المودة فى القربى ، وعلى الأئمة من ذرية الحسين المنقولين إلى محل الرضوان ، والنازلين فى غرف الجنان ، سدنة التنزيل وخزنة التأويل ، وسلام عليهم أجمعين إلى يوم الدين .

المملوك يناجى حضرة الإمامة ، ويناهى سدة الخلافة ، جعل الله عزها باقيا على الأيام، ومجدها غير منقطع الدوام ، عالما أنه يلبس بذلك شرف الدارين ، ويستولى به على الحسنين، شاكما من مولاه برقا مضيا، ومستظلا من سحاب الإكرام ودقا رويا، ومتبوئا من رتب الاختصاص مكانا عليا، ومتعرضا لمنزلة من أدناه وقربه نجيا، إنه قد كان قدم خدمة يطالع بها أنباء جزيرته، وينهى أخبار دعوته وما جرى عليه أمرها من الفتن ودارت فيها من دوائر المحن التى ملأت (٤) قلوب أعداء الدين سرورا، وازداد بها الكافر طغيانا وكفورا ، وأظهر كل منافق ما كان من غد [ر] كامنا مستورا ، « وقال الذين فى قلوبهم مرض ما وعد الله ورسوله إلا غرورا »، حين سطر الأجل الأوحد أبو الأمراء عمدة الخلافة شرف المعالى تاج الدولة سيف الإمامة المظفر فى الدين نظام المؤمنين ، كان قدس الله روحه ونور برضا مولاه ضريحه ، إلى مكة حرسها الله قاصدا الحج [إلى] البيت (٥) الحرام ، راضيا بمشاعره العظام ، وتسهيل الحج لطالبى قصده فى كل عام ، « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ، وعمارة مادرس من آثاره ، وإبانة ماعفا من مناره ، وأمان قاصديه وزواره ، وإجراء مارقأ من أنهاره، وحط المؤن عن سفاره، ومواساة من قطن فى قطن (٦) من مال مولاه، الذى أكسبه إياه وأنماه، بسعادة دولته وأثراه ، طالبا بذلك رضاه ، وسالكا سبيل هداه، راغبا أن يتجر فيه بأربح المتاجر ، ويحوز فى الدنيا شكر الوارد الصادر ، ويستولى فى الأخرى على الأجر الكامل الوافر ، ويكون من الداخلين بقوله سبحانه : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » . ونهوضه فى يوم الاثنين السادس من ذى القعدة ، لا يقطع علما ولا يجاوز جددا ، ولا يطوى بلدا ، ولا يجوب سهلا ولا جلدا ، ولا يقبض ولا يمد يدا ، إلا وعليه من خوف مولاه شعار لا ينزع ، وبيده من طاعته حبل لا تثنيه الأيام ولا تقطع (٧) ، وآما (٨) من رضاه غصنا مورقا، وشائما من نعماه نوى مغدقا، ورائدا من رحمته روضا مونقا، طامعا أن يكون من الذين استقاموا على الطريقة فـ« أسقيناهم ماء غدقا » ، فنزل بقرية العمد فى منقطع السهل من تهامة على جناح الدعة ، وكنف السلامة ، يوم الخميس تاسعه . وكان قد ورد إليه قبل نهوضه من دار دعوته ومستقر حوزته (٩) أن جماعة من العبيد كانوا بحاضرة زبيد قد جانبوا

---

(١) فى الأصل : صهرته . (٢) بغير نقط فى الأصل . (٣) فى الأصل : حافل .
(٤) فى الأصل : مليت . (٥) فى الأصل : البيت . (٦) كذا فى الأصل . ولعلها فى قطره . (٧) فى الأصل : تقطعه . (٨) فى الأصل : والما . (٩) فى الأصل : حوزتهم .

الائتلاف ، وتعرضوا للخلاف ، فأقاموا فيه عبدا من بقايا دعاة الدولة الطاغوتية ، وأساءوا [إلى] السيوف المستنصرية ، فأعطوا صفقة إيمانهم المبايعة سرا ، وأضمروا سبية من أموالهم ومكرا ، ودسوا دسائس الفساد ، إلى من كان معهم بصنعاء منهم من القواد ، والحراية والأجناد ، وحملوهم على كاهل العناد ، فصادفوا منهم لين مقاد ، وسرعة انقياد . فلما تمت إليه نوابى أخبارهم ، واتصلت به قبائح آثارهم ، أحسن الظن فيمن كان منهم بحضرته ، وبعث منهم عبدا كان مختصا بخدمته ، للقبض على ابن نجاح وجماعته ، وكل من دخل ببيعته ، فدخل العبد مدخلهم ، وصافقهم فى الضلال وعاملهم ، فظهر لمن كان بزبيد من المؤمنين ، وأوثقوه تقييدا (١) ، وحملوه إلى العمد مصفودا ، فأمر الأجل قدس الله روحه بقتله ، وأحله محل مثله ممن ساءت (٢) محافظته على عهده ، وقبحت آثاره فى نقض عهـده .

وسار من العمد يوم الخميس ونزل سردد يوم الجمعة العاشر من ذى القعدة ، ما معهم غيرهم إلا جماعة من بنى عمه وذويه و[معه] (٣) الأمير الموفق رحمه الله برحمته ومواليه لثقته بهم أنهم أحب الناس لدولته ، وأرغبهم فى بقاء دعوته (٤) ، وأشدهم ذبا عن مهجته ، لما قدم لهم من نعمته ، وطوقهم من إحسانه ومبرته . وقد كان قدم أمامه قبل نهضته طوائف شيعته وأنصار ملته ، وأنجاد أسرته ، وبنى عمه وعشيرته ، الباذلين (٥) أنفسهم فى محبته ، والمتمسكين (٦) بعهد أئمته ، من رجال الدعوة ذوى البأس والشدة ، والقتال والنجدة .

واختص عبيده دونهم لصحبته . فكلهم قلبه بالغش مدغول ، وصدره بالغل مدخول ، وزند ولائه بالحسد والبغض مغلول ، « يقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيتت طائفة منهم غير الذى تقول » . فلما اتصل بالعبد ابن نجاح ، لا بل الله رمسه ، ولا رحم نفسه ، أن الله عز وجل قد أبان فضيحته ، وكشف سريرته ، عزم على المقر ، وسار معارضا للبحر ، خائفا أن تظفر به أظفار الدين ، وأن تنشب به أنياب المؤمنين ، فخرج مع من ألف إليه من عصابة الغدر ، وأوباش الشر ، بعد أن عملوا على جماعة من المؤمنين بزبيد حيلة ، فقتلوهم خدعة وغيلة . فلما اتصل بالأجل الأوحد فراره ، وانزعاجه من قراره ، أخرج له من كان بحضرته من عبيده ، وأعلمهم بمقصوده ، فحادوا عن طريق العبد عمدا ، وجاروا عن مواجهته قصدا ، إذ كانت أهواؤهم ماثلة [إلى] هواه ، جارية فى الغدر مجراه . فلما صار بإزاء سردد خرج لاستقباله ، وتخلف العبيد عن الخروج لقتاله ، فوافوه عنها معرضا مجتنبا ، ولنازل القضاء متخوفا مترقبا ، فثنوا عن الهرب همه ، وردوا إلى قصد سردد عزمه ، وأعلموه بانفراد الأجل الأوحد ، قدس الله لطيفه ، من أعوانه ، وانحياده عن المؤمنين من إخوانه ، وأنها فرصة إن فاتته وقع فى أشراك الندامة ، وعدموا أسباب السلامة ،

---

(١) فى الأصل : تقييد .
(٢) فى الأصل : ممن سارت .
(٣) مكشوطة فى الأصل .
(٤) فى الأصل : دعوتهم .
(٥) فى الأصل : الباذلون .
(٦) فى الأصل : والمتمسكون .

فقدم على الإقدام ، وفادوه إلى الانتهاز والاغتنام ، ووع[دوه عند قي] (١) امهم وعدا جميلا ، وأوسعوه ترحيبا وتأهيلا ، وجاءوا به على ظهر التجشم والتهور محمولا ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا . فلما سيق الخبر إلى الأجل الأوحد بقى أن يصول بيد عز قوية ، أو ينحيز فينسب إلى الخوف من المنية ، فبسط [إلى] الله عز وجل يده ، وسأله أن ينصره بنصر مولاه ويؤيده ماضيا على يقينه الذى اعتقده ، تاليا قوله عز وجل : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، فبرز مجاهدا عن حريمه ودينه ، طالبا الرضاء من ربه ، مستبشرا بوفاء بيعته عند قضاء نحبه ، آخذا بقوله سبحانه : « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به » ، راجيا أن ينال بجهاده أفضل ما ناله المجاهدون ، ويدرك ببذل روحه فى طاعة وليه ما أدركه الباذلون ، مقدما على بصيرته حيث يحجم المبطلون ، ليفوز بالحياة الأبدية التى فاز بها الطيبون ، ويسعى إليها الطالبون ، ووعد بها أولياء الله المتقون ، إذ يقول تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين » . فاستشهد رحمة الله عليه ومن معه من المؤمنين . فلما أخذ من الأرض مضجعه ، وتبوأ فائزا بالرحمة مصرعه ، عاد الأمير الموفق رحمه الله تعالى ومن اتبعه ، ممن لم يرزق الشهادة معه ، إلى سرادق لحماية والدته ، أمة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، الحرة التقية الزكية الفاضلة الكاملة الصالحة ، كافلة المؤمنين ، الساعية فى مصالح الدين ، أم الأمراء المنتجبين ، ومن معها من بنات عمها الصليحيات ، وقراباتها من المؤمنات ، فلبث يجاهد فيهن ويمانع ، ويحامى ويدافع ، إلى يوم الأربعاء الخامس عشر من ذى القعدة ، ثم قضى الله سبحانه بانقضاء المدة ، وحكم له بالشهادة بالفرح بعد الشدة ، فاستشهدوا أجمعين .

حينئذ أسر الحريم ، وانتهب المال الجسيم ، ونزل البلاء العظيم ، وطارت طوائر الأخبار ، فى جميع الأقطار ، ونمت نوامى الأنباء ، إلى كافة الأحياء ، فثاروا مجلبين ، وقاموا متألبين ، وهاجوا متحزبين ، ونفروا مستكلبين ، يشنون نيران الفساد ، ويثيرون كوامن الأحقاد ، ويخيفون أمن البلاد ، ويمدون أعناق العناد ، يرقبون على أولياء الله ويرعدون ، ويقومون بالمثابذة ويقعدون ، ويبدون ما كانوا يخفون ويكتمون ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . وخرج أمر الدعوة كله من اليمن حزونه وسهوله ، وأجلب الشيطان برحاله وخيوله ، وظنوا أن الأمر غائب لا أوبة لقفوله ، وأذن كل منافق بنقض عهده وبتبديله ، وكيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ؟ ولم يبق غير التعكر ، وقد حصره العبد بجموع كثيرة من العبيد والعشيرة (فيهم أخواه) لا يرحمهم الله ؛ وحصن مسور (وفيه عم المملوك) قد أحاطت الأعداء عليه ، وتجمعت العربان حواليه ؛ وكحلان وهران وحواليهما جمع كثير من العربان ، وهى عنس وزبيد ويحصب ورعين (٢) ؛ وحصن مسار ، وهو معقل استطار منه فجر الدعوة ، وانتشر فيه ضياء الدولة ، وقد مالت الأعداء إلى [حصره] (٣) ، واجتمعوا على اغتصابه وقسره . وبلغ الخلاف إلى مدينة صنعاء والمملوك بها مقيم ، ولما يقض الله سبحانه مستسلم مقيم ، فى عصابة قليلة العدد من خلصاء المؤمنين ، وحنفاء المعاهدين ، يثبتهم على الدين ، ويذكرهم ما وعد الله به عباده الصابرين ، ويبتليهم بما ابتلى به مواليهم الطيبين الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتلو عليهم ما أنزل الله فى كتابه المبين : « الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

---

(١) الأصل ممزق فى هذا الموضع .

(٢) فى الأصل : رعبس .

(٣) ناقصة فى الاصل .

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» . وجعل المملوك يغزوهم شرقا وغربا ، شأما ويمنا ، والله تعالى يعطيه النصر على إعلاء الدين(١) ، ويبسط يده على الجاحدين ،لما علم من نيته ، وأطلعه من سريرته ، في المضى على سنة والده في اتباع أئمته، والذب عن دين وليه ودعوته . فأوقع في بلاد حضور وقعة ، تولاها المملوك سبا بن أحمد ابن المظفر الصليحى ، سلم فيها منازعهم، والتزم الطاعة بها خا[لـ]عهم ، واستقام حائدهم ، وفاء شاردهم ، وبـلاد خولان أخرى ركب جموعهـم فرقا ، وملأت أكبادهم فرقا ، وبناحية كحلان وهران أخرى تولاها إسماعيل بن أبي يعفر ، تولى الله رحمته ، وأنالة برضا مولاه مغفرته . وبينما المملوك على مثل حاله من قلة الأنصار، وتبوء القرار، وانتظار الفرج واستبطائه ، وارتقاب العون واستنبائه ، إذ ورد إليه البشير بسلامة عامر بن سليمان الزواحى، ومدافع بن حسن الجنبى، وموسى بن أبي حذيفة الجنبى، ويوسف بن زائد السنحانى،وجماعةمن معه من المؤمنين،الذين كانوا متقدمين أمام الأجل الأوحد قدس الله روحه . وقـد أوقعوا في طريقهم سبع عشرةوقعة، في كلهايمنحون النصر، على من عاداهم والظفر، ببركة مولاهم ، فخر المملوك به ساجدا ، وشكره ووليه صلوات الله عليه قائما وقاعـدا ، وأثنى عليه بادئا وعائدا ، وقام في طاعة ولى أمره مجاهدا ، وحمد من كان عنده من المؤمنين عنصرهم . وشكروا الله عز وجل على حسن عاقبة أمرهم إذ عاد لهم إخوانهم ونصرهم،وثبتهم على دينه ووقرهم ، وشد أزرهم ، وكانوا قليلا فـكثرهم ، وشكروه عز وجل إذ كف عنهم كربا ، وجعل بلاده إلى مرضاته لهم سببا ، وتبوأ من أخبارهم عجبا ،وقالوا : «لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا» .

فسير المملوك عامر بن سليمان الزواحى إلى بلاد حمير، فاستصلح بعضها سلما،واقتسر الباقين عضبا،وعاد ناجحا أمله ،كاملا عمله . فحين أسفر تواترت الأخبار ونمت(٢) ، وتواصلت عن صحة وتواترت وتناصرت أن رجلا يسمى حمزة بن هاشم ادعى النسب إلى ولد الحسن بن على بن أبي طالب عليهما السلام والإمامة على رأيه ، ورأى من التف إليه من الطغام ، الذين بايعوه على القيام، وتابعوه على هدم شريعة الإسلام، واستحلال الحرام ، وارتـكاب الآثام ، فقام متحليا بالتوحيد ،وهو معتقد للتعطيل ومدع للامامة ، وليس هو من أهل بيت الرسول . لما أراد الله به من حلول عذابه الوبيل ، وزحف إلى مدينة صنعاء في خمس مئة فارس وخمسة عشر ألف رجل من همدان وغيرها من العربان حتى إذا كانو بالملوى (٣) في سواد المدينة، برز إليهم جند الله ،وظهرت لهم أنصاره كالأسود الضارية والذئاب العادية ، وهم دون ثلثهم في العدة، وأكثر من ضعفهم في البأس والشدة ، فما كان أسرع من لمح العين حتى ولوا مدبرين ، وأنزل الله سكينته على المؤمنين . وعثر بعض الأولياء بالمدعى بما ليس له واحتازه وقتله ووافى به صنعاء ، وقتل ولده ، وتفرق عنه عدده . وأحل الله به ما أحل بسواه من المعتدين، الذين ادعوا مراتب الخلفاء المهتدين، وهموا بما لم ينالوا من ميراث النبيين ، وازداد المؤمنون بذلك يقينا وتبصيرا ، وثلجت قلوبهم فرحا وسرورا ، « وكان يوما على الـكافرين عسيرا » ، وكانت أفئدة الطغاة له متوقعة ،ونفوس الغواة لما يكون متطلعة ، ولما يحدث متوفرة معتدة ، وأعناقهم إلى استشرافهم ممتدة . فلما أحل به ما استوجبه ، وأحاط به ما احتقبه ، انجدع أنف الضلال وسكن شيطانه ، وهدأ ضلال الباطل وخمدت نيرانه ، وانقصم فقار البغى وانبتت أقرانه ،وانقطع(٤) شره وتفرقت

(١) في الأصل: يمينا...من على إعلاء الدين. (٢) في الأصل : تمت .
(٣) في الأصل : المنوى . (٤) في الأصل :انقطعت.

أعوانه ، وثلت عروشه وانهدت أركانه .

وسير(١) الملوك جده أحمد بن المظفر الصليحى وعامر بن سليمان الزواحى إلى حصن مسار ، ففلوا من فيه من الحصار ، وحملوا إليه عدد المعاقل ، واستصلحوا من حوله من القبائل . وساروا على وجهتهم تلك إلى ناحيـة بكيل ، وكانت شوكتهم تلك على المنابذة حديدة ، وصولتهم على المحاربة شديدة ، وشدتهم على الجلاد عتيدة ، وآمالهم فى الضلال بعيدة . فأوقعا فيهم وقعة اعتبر بها من شابههم من المخالفين ، وتنكل بسببها من كان بعيد الإنابة من المعاندين . واتصل بابن عم الملوك فى التعكر نبأ هـذه الوقائع المشهورة ، وعـلو رايات المنصورة ، فقويت على قتال من تحت حصنه منته ، وأجمعت لنزالهم عزمتـه . فواقعهم بذى أشرق (قرية من قرى المخلاف) ، وهم فى جموع كثيرة ، وكراديس خيل كبيرة ، وأعداد جمة غفيرة ، من عبيد وفوارس وعشيرة ؛ فولوا عنه منهزمين ، وانقلبوا خائبين ، بنصر الله عز وجل ووليه أمير المؤمنين . ونجا أخوا العبد اللعين ، وانقلبا مطرودين ، لا يلويان على أحد ولا يعرجان على حال ولا مال(٢) وقد عاد عزيزهم بقدرة الله ذليلا ، وكثيرهم(٣) بنصر العزيز قليلا ، وجمعهم بعد القوة مهزوما مفلولا ، وأينما تقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . واتصل بالملوك وبالمؤمنين نبأ هذا الفتح العظيم الذى صعضع ركن الشرك وهده ، وأعز دين الحق وأذل ضده ، فأكبر المؤمنون شكرا لله سبحانه وحده ، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعـده .

ثم عزم الملوك بعد خيرة الله تعالى وخيرة وليه صلوات الله عليه على المسير للعبيد إلى مدينة زبيد ، حين علم أنه قد أصلح صنعاء وحاط أكنافها ، وحصن من الفساد مخلافها ، وهذب أشباحها وأطرافها ، وألزم الطاعة من ارتكب خلافها . واتفق عند مسيره وصول عمر [ان] بن الفضل اليامى وحسين بن عمرو السنحانى ومنصور بن محمد(٤) اليامى بجماعة كثيرة من العرب استصرخوا بهم للملوك . فسار منها يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر سنة ستين وأربع مئة ، وسار معه المؤمنون أجمعون غير من استخلفه (٥) على صنعاء مع إسماعيل بن أبى يعفر(٦) رحمه الله تعالى . فورد مدينة زبيد يوم الاثنين التاسع والعشرين منه . وقد سبق النذير إلى العبد ، وألقاه الملوك صافا على باب الشارق(٧) أحد أبواب المدينة ، قد نفخ الشيطان ريح الطغيان فى أنفه ، وأراه الحياة فى حتفه ، قد عصب برأسه من الكبر تاجا ، ظن أن الله لا يستطيع له نزعا ، وتجلبب من الجبروت بثوب لا يروم له ، ما عاش ، خلعا ، فقطع بالدابرة لنفسه على الله قطعا ، ولم يعلم أن الله قـد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكبر جمعا ، فدلف(٨) إليه الملوك فى جماعة من المؤمنين قاموا لله أنصارا ، واتخذوا الصبر شعارا . والله عز وجل جار المتمسكين بسبب الله الذى لا ينقطع من تمسك بسببه ، جائدين بأنفسهم فى ابتغاء رضاه وطلبه ، وخوف سخطه وغضبه ، حنفاء لله غير مشركين . فلما تراءى الجمعان ، وتدانى الفريقان ، ماجت الصفوف ، وسالت الزحوف ، ولمعت السيوف ، ووكفت الحتوف ، وتزلزلت الأقدام ، وصال الحمام ، واغبر القتام ، وجثا القيام ، وتداعت الأبطال ، وتدانت الآجال ، وكثبت الرجال ، وانقطعت الآمال ، واحمر المحدق ، وفاض العرق ، وشخصت الأبصار ، وألحت الشفار ، وطلبت الأوتار ، ونقم الثار ، وأعوز

---

(١) فى الأصل : وميز (٢) الأصل مضطرب . (٣) فى الأصل : كثير .
(٤) فى الأصل : عمر . (٥) مكشوطة فى الأصل . (٦) بن جعفر فى الأصل .
(٧) فى الأصل : الشارق . (٨) فى الأصل : فرأف .

الفرار ، فاطعنا بالرماح، واضطربنا بالصفاح ، وتجاودنا بالأرواح ، وتدافعنا بالراح . ودعونا نزال ، فأنزل الله سكينته على المؤمنين ، وأوقع الرعب فى قلوب الكافرين ، « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » . وطفقت سيوف الحق تلتحمهم ، وأيدى المؤمنين تقتسمهم ، فتركوهم بين ضريح بدمه ، وهاو ليديه وفمه ، وشارد لم ينجه سعى قدمه ، ونادم لم ينتفع بندمه ، وطريح قد أنفضته الرماح المعدية ، وجريح قد خذلته [ال]سيوف المستنصرية ، ومعفور تطيح ، ومطعون جريح . قد عادوا فريصة لكل واثب ، وأكلة لكل ناهب ، مصرعين مصارع أمثالهم الكافرين ، وواردين موارد أعمالهم خاسرين . قد قطع الله أوصالهم ، وبت من حبله(١) حبالهم ، وسلط عليهم أولياءه ليبيدهم بعنادهم ، وحل بهم نكالهم « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » . وفلت اللعين بمن معه وقد أذن الله قمعه، ورد كيده ودفعه، وألبسه الخزى والعار ومن اتبعه بشلو مأكول ، وجسم مبذول ، وجمع مفلول(٢)، وعسكر مخذول . وكان سبب نجاته ، والموجب فى ذلك لحياته ، أن المملوك جعل أكثر همته، من كان فى الدار من حرمة والد[ه]، أ[مة] مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه عبدته ، فلم يتبع العبد أحيا ، ولا أزمع له طردا ، ولا أقام له فى ذلك صدا ، فطلع المملوك إلى والدته ببركة مولانا أمير المؤمنين وسعادة دعوته، ونصر رايته، وإقبال دولته. وعاد المملوك شاكرا لله ولوليه ، صلوات الله عليه، على ما أهداه من النصر إليه، وفتح له من الظفر على يديه، حامدا له عز وجل على نصر أوليائه الأبرار، وقتل أعدائه الفجار ، « والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » . وبرز المملوك من الدار بوالدته والمؤمنات ، لأنه قد كان أحرقها بالنار ، على جماعة من الكفار ، لجأوا فيه إلى الحصار ، وغنم المملوك من الغنائم ما لا يمكن نعته ولا يتأتى وصفه . وجعل العبد لا رحمه الله يدنو بمن بقى معه من المدينة ويبعد ، ويبرق بغير قوة بأس ويرعد ، ويقوم فى غير عائدة ولا تأثير ويقعد ، يوهم أنه انهزم عن المملوك قصدا ، وحاد عن لقائه عمدا ، وأنه قد أحل المملوك بحيلته سجنا ، ويظهر أنه قد امتلأ بذلك فرحا وقد ملأه الله حزنا ، ويركب فى الإجلاب سهلا وحزنا ، والمملوك يسمع جعجعة ولا يرى طحنا . وأقام المملوك رسم الدعوة الهادية ، بمدينة زبيد على العادة الجارية . وسار إلى العبد وهو على مسافة يوم والعساكر بالغنائم موقرة مثقلة ، وطريقهم بالأنقال والأشياء منتظمة متصلة ، فحين دنا منه المملوك راغ منه يمنة ، وقصده حيث هو فراغ يسرة .

وورد إلى المملوك كتاب وهو فى تلك الحال من مخلفيه بصنعاء ، يذكر أن إسماعيل بن أبى يعفر رحمه الله برحمة مولاه أمير المؤمنين قد أشفى على ضريحه، وآنس من سلامة روحه، وأن رجلا آخر ادعى النسب إلى ولد الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام والإمامة على رأيه ورأى من التف إليه ممن يعتقد اعتقاد الحشوية وينتحل نحلة الزيدية ، ويدعى موالاة أهل البيت عليهم السلام وهو لهم حرب ، ويعتزى إلى شيعتهم وهو عليهم ألب ، اسمه قاسم بن جعفر قد جمع جموعا من أتباعه ودعاته ، واغتر بحلم الله وأناته ، وادعى مراتب كتبه وآياته ، والله [أعلم] حيث يجعل رسالاته ، فيرى المملوك بعد خيرة الله تعالى وخيرة وليه صلوات الله عليه أن يصرف وجهه إلى أشدهما عادية ، وأسرعهما بادية ، وترك ثغرا قد أذن بصلاحه إلى ثغر يخاف من افتتاحه، فصار إلى صنعاء قاصدا ، وخالفه العبد إلى زبيد شاردا ، فقدم المملوك صنعاء أول يوم فى شهر

---

(١) فى الأصل : صلة . (٢) فى الأصل : مفولول .

ربيع الآخر سنة ستين وأربع مئة ، فحين استقر بها توفى إسماعيل بن أبى يعفر ، رحمة الله عليه برحمة مولاه ، ورزقه برضا وليه رضاه ، وخلف المملوك بها عامر بن سليمان الزواحى ، وسار لقاسم بن جعفر الرسى ومن معه وهم بسيره لايشعرون ، فدنا منهم والمؤمنون ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، فأقام المملوك بناحيته أياما يصلح منها ما أفسده ، ويجمع من سيل الطاعة مابدده ، حتى استقام المائل ، وارتدع الجاهل ، وأطاع الخالع ، وسلم المانع . وعاد المملوك من هنالك إلى جبل حملان ، وهو معقل للعرب قديم ، وحصن يلجأون إليه عظيم ، فوجد أهل المغرب جميعا معتصمين فيه ، ألازمين لصياصيه ، فحل المملوك لجوارهم ، وقصد إلى عقر دارهم ، فأوقع فيهم وقعة كانت قطعا لأدبارهم ، وحسما لآثارهم . وعاد المملوك إلى مدينة صنعاء ، وقد أكمد الأعداء ، وسر الأولياء ، وسكن الدهماء ، وحقن سفك الدماء ، فأقام بها ونهض أول يوم من جمادى الآخر إلى بلاد عنس وزبيد وبحصب ورعين ليصلحها إصلاحا يأمن بعده الخلاف ، ويثقف أمرها تثقيفا يبعد بعده الاختلاف ، فألفاهم بين متحصن فى ذروة جبل صعب ، ومتوطن فى واد ضيق المسلك أو شعب ، فأوقع فيهم وقعات عظيمة اشتدت بها النكاية فيهم ، وفاء من كان من أقاصيهم إلى الطاعة وأدانيهم . وأسر المملوك التبعى والسخطى والكلالى والحوالى واستوثق منهم بالأيمان العاصمة ، على الطاعة اللازمة ، وأقر من آمن بناحيته ، ولم يخش من نكيته ، وتابعيه على مثل حالته ، وهرب التبعى بعد عهوده وأذمته ، وإعطائه أكيد صفقته ، فلحق بالعبد وشيعته ، وتقدم المملوك إلى مخاليف جند . فلقيه ابن عمه بالتعكر فقوى المملوك عضده ، وشد يده ، وكثر عدده ، وأصلح له بلده . وعاد إلى صنعاء فدخلها فى اليوم الخامس من شعبان ، والعبد فى هذه الأشغال يستصرخ فى السهول والجبال ، ويجمع حشود الخيل والرجال ، ويعد من معه من الأباطيل والمحال . فكان [فى] يوم من هذه الأيام من أبى السعود بن أسعد بن شهاب الصليحى ، وهو ابن خال المملوك ، غارة على العبيد المخاذيل(١) ، فقتل منهم رجالا ، وصرع منهم أبطالا .

فلم ير المملوك بعد خيرة الله وخيرة وليه صلوات الله عليه إلا أنه جد عزمه ، وأجمع همه ، على قصد العبد المخذول حيث استقر ، وأتباعه والضلال من أشياعه أينما مروا ومر ، حين لم يبق وراء المملوك ثغر ينقيه ، ولاأمر يخاف العاقبة فيه . فلما كان فى يوم الخميس أول يوم من شهر رمضان ، نهض المملوك بأيمن طائر رآه ، ونهض عند إطاعته لمولاه ، وشمر تشميرا رجاء أن يقبله وليه منه ويرضاه ، ويرفعه به إلى رتبة من اختاره واصطفاه ، ويحبوه بأثرة ممن(٢) اختصه واجتباه ، فسار المملوك إلى زبيد قاصدا العبيد . وقد سبق النذير إليه قبل نهوض المملوك بأن المملوك عازم عليه ، فخرج اللعين من زبيد بمن معه لصنعاء بزعمه ، وأخذ طريق الجبل مغترا بسخيف وهمه ، قد غره التبعى بغروره ، ووعده بمواعيد زوره ، وأن العرب كلها(٣) تقبل بالطاعة والنصرة إليه ، وتسير إلى صنعاء لديه . وصبح عند المملوك ذلك وهو بقرب مدينة زبيد ، فطوى المراحل ، وطبق المناهل ، سالكا طريق المخالف ، راكبا ظهر الإعناق والإيجاف ، يصل الأصيل بالغروب ، وينظم التهجير بالدءوب . لما أراد الله عز وجل ووليه صلوات الله عليه من لطف الصنع لأوليائه ، ومن الهلاك لأعدائه ، يطوى الأخبار دونهم طيا ، ويلوى أعناق الأنباء عنهم ليا ، حتى كان يوم السبت السابع عشر من شهر رمضان ، ووقع أول العسكر المقصور على تقلهم فغنموه وانتهبوه ، ومن وجدوا مع الأثقال من الرجال قتلوه وسلبوه . وجاء

---

(١) فى الاصل : للحاذيل . (٣) فى الأصل : من . (٢) فى الأصل : كلما .

إلى العبد اللعين الخبر، فظن أنه عسكر ابن عم المملوك من التعكر ، فلم يثن إليه وجهه استقلالا ، ولا رد إليه عزمه استخفافا واسترذالا . وتواترت الأخبار إلى المملوك من غير أصل أنه مضى هاربا بطريق (١) صيد ، غير الطريق إلى صنعاء ، يريد تهامة ، فأمر المملوك عامر ابن سليمان الزواحي وسبا بن أحمد الصليحي ومقدمات رجال الدعوة من جنب ، عليهم مدافع ابن حسن الجبي ، وسنحان وعليهم حسين بن عمر [و] السنحاني ، وخير وهمدان بالمسير إليه في ليلة السبت من طريق أخرى ليقطعوا عليه . فلما أصبح المملوك بكرة يوم الأحد إذا وهو في جماعة دون ألفي راجل أو يزيدون ووراءهم خمسمائة فارس يذودون ، ما يرى منهم غير العيون ، صفوفهم زاحفة ، وعقبانهم عاكفة ، والأرض بهم راجفة ، فجمع المملوك من بقي معه من المؤمنين وحرضهم على الجهاد ، وأمرهم بالصبر والجلاد وحرضهم على الاستظهار والاستعداد ، وأعلمهم أن الله سبحانه قد وفى لهم بالميعاد ، وأوثق أعداءهم في موارط للهلاك والفقاد ، « ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد » فحين بصروا بالمملوك زحفوا زحفة الجلاد ، وزأروا زئير الآساد ، وجالوا على ظهور الجياد ، فكانوا أطوادا على أطواد ، فلم يكن إلا ريثما دعى المملوك باسم مولاه مستعينا مستنجدا ، متضرعا إلى وليه صلوات الله عليه مستنصرا مستعدا ، حتى لحق أولنا بآخرهم ، فولوا شذر مذر (٢) عباديد طير ، قد [ازدحمت] بهم الشعاب ، وامتلأت منهم الرحاب ، والتحمتهم سيوف الحق ، واقتسمتهم أنصار الصدق ، ومثلت منهم بطون الأودية ، ومتون الأصفية ، وظهور المغارب ، ونجود المقارب . وتناولتهم أيدي الحتوف بمواضي السيوف ، فمن هاو من قبة جبل وعر ، ومغشى عليه من شدة ذعر ، ومنطوحا على صخرة صماء ، يرتكس في حرة رجلاء ، قد عادوا للسيوف جزرا ، ولأولياء الله عبرا ، دماؤهم جارية ، وأجسادهم عارية ، وديارهم خاوية ، وأرواحهم في الجحيم هاوية ، قد ذاقوا عاقبة مكرهم وخاتمة غدرهم ، ذلك بما قدمت أيديهم ، « وأن [الله] ليس بظلام للعبيد » . وولى العبد اللعين يروم سلامة نفسه بسعيه ، وما علم أنه موثق عليه بحبال بغيه ، يروم النجاة والله طالبه ، ويحاول الفلت والله غالبه ، قد أسلمه أعوانه ، وأزله شيطانه . وأحاط به طغيانه ، وأوثقه بهتانه . فلما أدركته سيوف الدين ، وتناولته أيدي المؤمنين ، وأحاطت عليه محيطات ضلاله ، فأوبقته في مهاوي أعماله ، استكان ضارعا ، واسترحم خاضعا ، وجعل يعتصم بغير عصمة ، ويستدم ولات حين ذمة ، فوفاه الله ما اجترمه ، ولقاه ما قدمه ، ونشبته المنية ، وحلت به (٣) وانقضت أنفاسه . واحتز رأسه ، وعاد مقسما بين أقسام ثلاثة : جثة ماثلة للأبصار ، ورأس يطاف به في الأمصار ، وروح تهوي به إلى النار ، عبرة للسامعين ، وآية للناظرين ، ونكالا للظالمين ، وخبرا في الغابرين . وقتل ممن معه من إخوانه أربعة . وأمر المملوك بإشاعة هذه الأخبار ، وإذاعة هذا النبأ السار ، في كافة المدن والأمصار ، وجميع النواحي والأقطار ، وعاد المملوك من هنالك إلى مدينة زبيد ، فدخلها يوم العيد ، بعد أن أقام بها الدعوة الهادية ، على العادة الجارية . وسار يوم الثلاثاء رابع العيد إلى الشام ليستأصل شأفة من بقي منهم ، فلم يزل يتبعهم ويغزوهم ويطردهم ويتلوهم حتى أخرجهم إلى أقصى البلاد ، وأبعدهم عن مطافهم (٤) والبلاد ، وشتت الله شملهم ، وفرق جمعهم . وعاد المملوك فدخل زبيد يوم الجمعة الثالث عشر

---

(١) في الأصل : طريق .
(٢) في الأصل : حيذر .
(٣) في الأصل : بهم .
(٣) في الأصل : طافهم .

من ذى القعدة وقد توطأت الأحوال ، وسكن البال ، وقرت عيون المؤمنين ، وسخنت عيون الملحدين ، فلله الحمد أن صار(١) الدين إلى رب العالمين . ومن عجائب صنع الله سبحانه أن جميع من قتل من المؤمنين ، واستشهد من أنصار الدين فى هذه الوقائع أحد وثلاثون رجلا ، منهم فى وقعة زبيد ثلاثون ، وفى وقعة الشعر التى قتل فيها الأحول رجل واحد لاغير ، بسعادة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وبمن دعونه ، وعز دولته ، لازالت دائمة السعادة ، باقية الزيادة .

وقد كان ورد من الحضرة القدسية أدام الله جلالها ، وحرس سعدها ، وكبت ضدها التشريف بالملطفات ، عن يد الأمير حسام الدولة نادر المستنصرى ، بما شد أزره وقواه ، وجدد عزمه فى جهاده عن دين مولاه . وقرأه على المؤمنين أجمعين ، وعلى والدته الساعية فى مصالح الدين ، فتسلت بما فيه من المواعظ النافعة السابغة ، والحكم الجلية البالغة ، وأجاب المؤمنون أمر مولاهم بالسمع والطاعة ، وبذلوا فى نصره جهد الاستطاعة . والمملوك يشكر موصلها ، وحسن سعيه فى أداء أمانته ، وحرصه فى الخلوص برسالته ، ومخاطرته بمهجته ، يشق الأعداء شقا ، ويخوض المتالف غربا وشرقا(٢) ، والله عز وجل يضفى(٣) عليه بما أطلعه من نبته سترا ، ويجعل له من كل عسر يسرا ، حتى ورد بما زاد القلوب مسرة ، وأهدى إلى العيون قرة ، والمملوك يسأل من مولاه ولى النعم ومعدن الكرم إمداده بدعائه ، المألوف من معروفه المعروف بأن ينصره الله على أعدائه ، ويؤيده تحت ظل لوائه ، فبدعائه صلوات الله عليه كشف الكرب ، وتسهيل كل صعب ، ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات قبله من مضى بالعفو والرضوان ، ومن بقى منهم بالسعادة فى ظل دعوة الإيمان ، والنصر على أعداء الرحمن ، وأحزاب الشيطان ، لا أزال الله عن كافة المماليك ما مده عليهم من ظل مولاهم الظليل ، ولا سلبهم ما قسم لهم من فضله العامر الجليل . فلولا علم المملوك تطلع الأولياء إلى ما يرد من جزيرته من الأنباء لاختصر ما شرحه وقبض ما بسطه . ولرأى الحضرة ، حرس الله عزها على الأيام ، وجعل علوها مقرونا بالدوام ، فى تمهيد عذر المملوك بتطويله وإطنابه ، وبسطه وإسهابه ، مزيد العلو . والمملوك متطلع إلى ما يرد عليه من تشريفه بإعادة أجوبته ، وإكمال سعادته بها ومسرته ، ليغتبط بعزية جلالها ، ويجرر أذيال جمالها . وقد ورد المطلعات إلى المملوك ، عن يدى أبى القاسم بن أبى النور وسجاح بن أبى العسكر ، فناله من الاغتباط بها والفرح بسببها ، ماجاوز صفته ، وتعدى تحديده ومعرفته . وجمع من قبله من المؤمنات إذا كان يستنجد بها قوة قلب وعضد ، وكثرة عز وعدد . ولم يحدث بعد ورودها أمر يجب المطالعة به فينهيه ، ولا خبر ينبغى تقديم الإنهاء فيه . وقد كان ورد مملوك مولانا صلوات الله عليه ، الأمير حسام الدولة نادر المستنصرى ، اليمن إلى المملوك وإلى الأجل الأوحد قدس الله لطيفه ، فوجد له خبرة شريفة لتربيته بالحرم النبوى ، وخدمته بالموقف الأشرف الزكى . وصدرت على يده شفاعة مع مكاتبة . تقتضى السؤال له فى الارتقاء إلى أشرف الرتب وأعلى المحال (٤) ، فشرف لذلك السؤال بالتنقيب والتأمير

---

(١) فى الأصل : أنصار .
(٢) فى الأصل : شرقا وغربا . والتعديل يقتضيه سياق السجع .
(٣) فى الأصل : يصفى .
(٤) فى الأصل : للحال .

والتلقيب ، والمملوك يضرع إلى ولى أمره فى أن يزاد مرتبة على ما تقدم من حاله ، ويمير على أمثاله وأشكاله ، ليكون لسؤال المملوك تأثير ، كما(١) لسؤال المملوك أبيه ، ونباهة تظهر لموضع تشفعه فيه ، ولولى الأمر صلوات الله أسنى(٢) الآراء وأمضاها ، وأعلى الأوامر وأقصاها . والمملوك يرتقب الأجوبة الشريفة عن يده بما ينتهى إليه ، ويستكمل السرور بالوقوف عليه ، وعن أيدى سفرائه المقيمين تحت ظل الحضرة الطاهرة ، ضاعف الله أنوارها ، وأعلى منارها ، مقرونا بمراسمها العالية ، وأحكامها الماضية ، لازالت الأيام جارية بأرسامها ، منصرفة على مقتضى أحكامها.

والمملوك ينهى أن رسل داعى الهند عنده مقيمون ، كانوا فى هذه الفتنة قد عادوا من بلدهم بالأجوبة عن التشريف الصادر إليهم من الحضرة ، قدسها الله ، عن يد الأجل الأوحد ، فأخذت الأجوبة والزكوات من أيديهم ، وكان مضمون الأجوبة السؤال فى الإذن بالقيام وإظهار الدعوة بالقهر ، وأما باللسان فقد سبق لهم الإذن . والمملوك لرغبته فى انتشار أمر مولاه وعلو دعوته يسأل تشريفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والإذن لهم فى القيام بإظهار الدعوة جهرا . والله سبحانه يؤيدهم بتأييد وليهم وينصرهم على عدوهم .

والسلام على مولانا وسيدنا أحمد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين المنتجبين ، أفضل الصلاة والتسليم .

صدر غرة ذى الحجة سنة [إحدى و] ستين وأربعمائة . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبى وعلى مولانا على بن أبى طالب وليه ووصى نبيه ، وعلى الأئمة من ذريته الطاهرين ، وسلامه عليهم أجمعين . حسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) فى الأصل : كمال لسؤال .
(٢) فى الأصل : اسناء .

ملحق رقم ٧

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك المكرم أحمد بن على الصليحى
(عيون الأخبار ٧/١٥١ — ١٥٣) .

[الظاهر أن هـذا السجل يبشر بميلاد أبى القاسم أحمد « الخليفة المستعلى » ، وذلك لأن تاريخ ميلاده أى سنة سبع وستين وأربع مئة يتفق مع التاريخ المعروف المجمع عليه . وأما السجل رقم ٦ الذى ورد فى مجموعة السجلات المستنصرية فيختلف عن هذا السجل فى محتوياته ، وفى اسم المرسل إليه ، وفى تاريخ ولادة المولود «أحمد أبى القاسم» . ولا يبقى لنا بعد هذا السجل ، الوارد فى العيون ، إلا أن نعتبر ماجاء فى السجل رقم ٦ من اسم المولود خطأ من الناسخ . وقد يكون مولودا آخر غير المستعلى ، أراد المستنصر فيه إبلاغ خبر ميلاده إلى الملك على بن محمد الصليحى . ويؤيد ذلك ما ورد فى السجل رقم ٨ من بشرى ميلاد المحسن أبى الفضل فى سنة ٤٥٨ ، وفى السجل رقم ١١ (المقصود به الجزء الأخير) من خبر ولادة ابنه الحسن أبى محمد . لذلك يمكننا أن نعتبر هذا السجل قد أرسله الخليفة ليزف إلى الملك المكرم بشرى ميلاد أحمد أبى القاسم (المستعلى بالله) فى سنة سبع وستين وأربع مئة — حسين الهمدانى] .

وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه معد المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الملك الأجل الأوحد المنصور العادل المكرم عمدة الخلافة تاج الدولة سيف الإمام المظفر فى الدين نظام المؤمنين عماد الملة وغياث الأمة شرف الإيمان مؤيد الإسلام سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه أبى الحسن أحمد بن الأجل الأوحد أمير الأمراء عمدة الخلافة أبى الحسن على بن محمد الصليحى، أدام الله تمكينه وعلوه ، وكبت حاسده وعدوه .

سلام عليك . فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين .

أما بعد ، فالحمد لله موالى نعمه بحضرة أمير المؤمنين وآلائه ، ومظاهرها بالطاهرين النجباء من أبنائه ، ومظهر دينه على الدين كله بتكثير عدد أوليائه ، الذين هم دعائم بيت النبوة والرسالة ، ووسائل من ابتغى إلى ربه سبحانه بهم الوسالة . يحمده أمير المؤمنين أن زين سماء مجده بزهر النجوم ، فرجم بهـا الشياطين كل الرجوم ، ويسأله أن يصلى على جده المصطفى ، الشجر الطيب الزكى الذين هم أغصانه ، والجبل الشامخ العلى الذين هم أركانه ، محمد الفاخر به كل مفاخر ، والطاهر من نجس الشرك به كل طاهر ، والظافر منه بقائم النجاة كل ظافر ، وعلى

وصيه على بن أبي طالب ، الذى آتاه الله ما لم يؤت أحدا من العالمين من فضله ، فجعل ذرية الأنبياء من نسلهم وذرية محمد من نسله ، وعلى الأئمة من ذريته ينابيع العلوم والحلوم ، وحملة سر الله المكتوم ، وتحقيق قوله سبحانه : « فلا أقسم بمواقع النجوم » .

وسجل أمير المؤمنين إليك: وقد وهب الله له غلاما زكيا شديد أزر الإمامة ، ودل على بقاء كلمته فى عقبه إلى يوم القيامة ، مولودا أصبح بمولده كوكب الهدى مضيئا مسفرا ، وعود المنى مورقا مثمرا . أكمل الله بمطلعه المغانم ، وجعل بحلوله المواسم ، سماه أحمد ، وكناه أبا القاسم ، فالمسرة به تعم الدنيا والدين ، وتخص بحضرة أمير المؤمنين . والحمد لله الذى وهب له ذرية طيبة يطول لهم برأفته الأعمار ، ويجعلهم لحرمه العمار ، ويقصم ببأسهم الفجار ، ليكونوا « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

وكانت ولادته فى المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة فى أسعد ساعة من ساعات الليل والنهار وأصحها ، ليسرى الخير بمساعدة الأقدار ، وبمضاعفة العز والاقتدار . أتحفك أمير المؤمنين بهذه البشرى لتأخذ بحظك بها من السرور ، وتواصل لله تعالى ذكره الشكر على ما جدد فيها من إحسانه الموفور . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

ملحق رقم ٨

سجل الخليفة الآمر بأحكام الله إلى السيدة الملكة الحرة الصليحية

عيون الأخبار ٧ / ١٩٢ — ١٩٣

عمارة / كاى ١٠٠ — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الآمن ، المنصور ، أبى على الآمر(١) بأحكام الله ، أمير المؤمنين ، إلى الحرة ، الملكة ، الطاهرة (٢) ، الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، خالصة الإمام(٣) ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، عصمة المسترشدين ، ولية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائها المؤمنين(٤) ، أدام الله تمكينها ونعمتها ، وأحسن توفيقها ومعونتها . سلام عليك . فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله(٥) الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين (٦) وسلم تسليما .

أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا تحصى بعد ، ولا تقف عند أمد(٧) ، ولا تنتهى إلى الإحاطة بها الظنون ، لكونها كالسحاب الذى كل ما انقضى منها سحاب أعقبه(٨) سحاب هتون . فهى كالشمس الساطعة الإشراق ، الدائمة الانتظام والاتساق ، والغيوث المتتابعة الاتصال ، المتوالية فى الغدو والآصال ، ومن أشفها(٩) لديه قدرا ، وأعظمها صيتا(١٠) ، وأسناها جلالا وفخرا ، الموهبة بما جدده الآن بأن رزقه مولودا زكيا رضيا(١١) مرضيا برا تقيا . وذلك فى الليلة المصبحة بيوم الرابع(١٢) من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة

---

(١) فى رواية عمارة (عم) : وليه المنصور أبى على الآمر .
(٢) عم : الملكة السيدة الرضية الطاهرة .
(٣) عم : خاصة الإمام .
(٤) عم: أوليائه الميامين .
(٥) عم : يحمد الله .
(٦) عم : المهتدين .
(٧) عم : لا تحصى لها بعد ، ولا تقف عند أمد ولا حد .
(٨) عم : أعقبها .
(٩) عم : من أشرفها .
(١٠) عم : صيتا وذكرا .
(١١) رضيا ناقص فى عم .
(١٢) عم : بيوم الأحد الرابع .

ارتاحت إلى طيب ذكره المنابر (١) ، وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، فأضاءت بأنوار غرته (٢) وبهجته طلعة ظلم الدياجر ، وانتظمت به الدولة (٣) الزاهرة الفاطمية عقود الفضائل (٤) والمفاخر ، استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور ، ومنح أمير المؤمنين منه ما (٥) قدح به (٦) زناد السرور . وسماه الطيب لطيب عنصره ، وكناه أبا القاسم كنية جده نبي الهدى المستخرج جوهرة من جوهره . وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على [ما] (٧) من به من اطلاعه كوكبا منيرا في سماء دولته ، وشهابا مضيئا في فلك جلاله (٨) ورفعته ، شكرا يقضي باستدامة نعمته ، وإدرار سحائب طوله ورأفته ، ويسأله أن يبلغه فيه كنه الآمال ، ويصل به حبل الإمامة ما اتصلت الأيام والليال (٩) ، ويجعله عصمة للمسترشدين ، وحجة على الجاحدين ، وغوثا للمضطرخين (١٠) ، وغيثا (١١) للمنتجعين ، ووزرا للخائفين ، وسعادة للعارفين ، لتنال الدنيا بسعادته أوفى حظوظها وقسمها ، وتصبح الأيام مفترة عن ناجذ مبسمها . ولمكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين ، ومحلك عنده الذي ارتفع (١٢) عن المماثل والقرين ، أشعرك هذه البشرى الجليل قدرها ، العظيم فخرها ، المنتشر صيتها وذكرها ، لتأخذي من المسرة بها بأوفى نصيب ، وتذيعيها فيمن قبلك من الأولياء المؤمنين (١٣) إذاعة يتساوى (١٤) بالمعرفة (١٥) بها كل بعيد منهم (١٦) وقريب ، لينتظم بها عقد السرور ، ويتضوع عرفها تضوع المندل الرطب في البادين (١٧) والحضور . فاعلمي هذا وأعلمي به إن شاء الله .

والسلام عليك ورحمة الله (١٨) . وكتب في اليوم المذكور (١٩) . والحمد لله وحده (٢٠) وصلى الله على جدنا محمد رسوله وآله الطاهرين وسلم تسليما . حسبنا الله ونعم الوكيل (٢١) .

---

(١) عم : أسرة المنابر .
(٢) عم : عزته .
(٣) عم : للدولة .
(٤) عم : المفاصل .
(٥) عم : بما .
(٦) به ناقص في عم .
(٧) كذا في عم .
(٨) عم : جلالته .
(٩) عم : الأيام بالليالي .
(١٠) عم : عونا للمضطرين .
(١١) عم : غوثاً .
(١٢) عم : ومحلك الذي امتنع .
(١٣) عم : من الأولياء والمستجيبين
(١٤) كذا في عم ، وفي الأصل : تساوى .
(١٥) عم : في المعرفة .
(١٦) عم : منها .
(١٧) في البادين : ناقص في عم .
(١٨) ناقصة في عم .
(١٩) عم : كتب بالتاريخ المذكور .
(٢٠) ناقصة في عم .
(٢١) وفي عم : وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى اله الأئمة الطاهرين وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين .

ملحق رقم ٩

نص وصية الملكة الحرة الصليحية أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم

(عيون الأخبار ٢٠٩/٧ — ٢٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين . هذا ما أوصت به أمة الله تعالى وأمة أوليائه السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم ، وعهدت أنها تحمد الله تعالى على آلائه المتواترة ونعمه الباطنة والظاهرة ، وتشهد أن لا إله إلا الله تعالى مبدع المبدعات وخالق المخلوقات، جل وعلا أن تناله صفة أو تدركه معرفة ، وأن الخلائق فى قبضته ، والأشياء صادرة عن أمره وإرادته ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، وأنه العدل الذى لا يجور ، والحكم الذى لا يحيف ، والصادق الذى لا يخلف ، والعفو الذى لا يؤاخذ ، خالق السموات والأرضين ، وإله الأولين والآخرين ، ذو الأسماء الحسنى والكلمات التامات صدقا وعدلا ، وتشهد أن له ملائكة انتخبهم من بريته ، وانتخبهم للسفارة بينه وبين المصطفين من أمته ، يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ، ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون، وتشهد أن الجنة حق ، خلقها الله للمطيعين من بريته، الحائفين من سطوته ، المؤمنين به المصدقين لوعده ، الموفين بعهده، المتبعين لرسله ، العاملين بمتضمن آياته وكتبه ، وتشهد أن النار حق، أعدها الله لمن جحد أنبياءه وخالف أولياءه ، وأنكر آياته وتعدى حدوده ، وألحد فى سبيله وتمادى فى غيه ، وأسرف فى أمره وأصر على كفره ، وأدى معه سبحانه إلها آخر ، لا إله إلا هو ، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، وتشهد أن البعث حق وأن القيامة حق والحساب حق والصراط حق وأن الله يبعث من فى القبور ، ويحصل ما فى الصدور ، وأن كل شىء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون ، وتشهد أن من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ، وتشهد أن الله أرسل الأنبياء وبعث الرسل والأصفياء بكتب أنزلها وآيات فصلها رحمة لعباده وأمنا لبلاده وإقامة للحجة وإيضاحا للمحجة ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ، جعلهم أسبابا للنجاة من الضلال ، وعرى وثيقة لمن تمسك بهم فى المبدأ والمآل ، لا نفرق بين أحد من رسله وأنبيائه ، ولا نجحد واحدا من خلفائه وأوليائه ، وتشهد أن أشرف الأنبياء عند الله قدرا وأعظمهم خطرا وأجلهم مكانا وأسناهم شأنا هو النبى العربى الهاشمى الأبطحى والسيد الأواه محمد بن عبد الله صلى الله وملائكته عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين صلاة متصلة إلى يوم الدين ، وتشهد أن الله عز وجل اختصه بالاصطفاء وختم به عدة الرسل والأنبياء ، بعثه إلى أمة قد غلب عليها الجهال ، واستولى عليها الضلال ، واستحوذ عليها الهوى ، وغاب عنها الهدى ، فصدع بأمر الله جاهدا ، وقام بنصرة الحق مجاهدا ، فحطم الأوثان ، وأخمد نيران النيران ، وأظهر أمر الله وهم كارهون ، وتشهد أن

أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب صلوات الله عليه وصيه والخليفة من بعده ، نصبه عن أمر الله سبحانه يوم الغدير ، وأحله منه فى ذلك المقام محل الظهير والوزير ، وجعله لدينه قاضيا ، وعلى أمته واليا ، فقضى صلى الله عليه دينه ، وأحسن فى الأمة تدبيره ، وحذا حذو رسول الله فى سيرته ، وقام مقامه فى إحياء سنته ، وتشهد أن فاطمة البتول الزهراء ، الإنسية الحوراء ، خامسة أصحاب الكساء ، والدوحة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، لا يجحد حقها إلا مارق ، ولا ينكر شرفها إلا منافق ، وتشهد أن ولدها الحسن بن على مفترض الطاعة بالنص الجلى من جده وأبيه ، وأنه مستودع مرتبة الحسين بن على أخيه ، وأن الحسين بن على تلوه فى نص الإمامة ، وأن الكلمة باقية فى عقبه إلى يوم القيامة ، وتشهد أن الأئمة الطاهرين من ذرية الحسين بن على قرناء القرآن وحجج الرحمن ، وأنهم نجوم أهل الأرض والدين بهم يقتدون ، وبعلومهم الواضحة يهتدون ، وأن الأول منهم ينص على الآخر ، والماضى منهم يشير إلى الغابر ، « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وأن ذلك النص بتأييد الله وأمره لما سبق فى سابق علمه اختيارا وانتجابا واصطفاء وانتخابا ، وأن أول الأئمة بعد الحسين بن على صلوات الله عليه زين العابدين على بن الحسين ، ثم باقر علم الدين محمد ابن على ، ثم الصادق الأمين جعفر بن محمد ، ثم الكلمة الباقية فى عقبه إلى يوم الدين إسماعيل ابن جعفر ، ثم ذو الشرف الأصيل الإمام الحق محمد بن إسماعيل ، ثم الأئمة الثلاثة المستورون خوف أعداء الله الظالمين ، ثم الإمام المهدى بالله ، ثم الإمام القائم بأمر الله ، ثم الإمام المنصور بنصر الله ، ثم الإمام المعز لدين الله ، ثم الإمام العزيز بالله ، ثم الإمام الحاكم بأمر الله ، ثم الإمام الظاهر لإعزاز دين الله ، ثم الإمام المستنصر بالله ، ثم الإمام المستعلى بالله ، ثم الإمام الآمر بأحكام الله ، ثم الإمام الطيب أبو القاسم أمير المؤمنين نجل الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله وبركاته وتحياته وكراماته عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين .

على ذلك عاشت وعليه تموت وعليه تبعث وبه تلقى الله . وأوصت به من بعدها وبتقوى الله تبارك وتعالى وإيثار طاعته وبما أوصى إبراهيم نبيه ويعقوب : « يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » . وأوصت ، متى حدث بها حدث الموت ، الذى جعله الله حتما على عباده وساوى بين القوى والضعيف والمشروف والشريف ، عدلا فى قضيته ، ونفاذا لحكمه فى بريته ، أخرج عنها من جميع تركتها جميع الأشياء المسلمة الموصوفة فى هذا الكتاب ، وهى الأشياء التي :

منها عصابة ذهب كبيرة مفصصة واسطتها ياقوتة حمراء ، ويليها من يمين ويسار درتان ، ويليها ياقوتتان زرقاوان ، ويلى هاتين درتان لطيفتان ، ويلى هاتين فصا ياقوت أحمران ، ويليهما فى الطرفين أيضا درتان لطيفتان يحيط بالجميع من ذلك خيطا لؤلؤ ، أحدهما لؤلؤ لؤلؤ لطيف عدده مائتا حبة وحبة واحدة ، والآخر لؤلؤ لؤلؤ كبار عدده مائتا لؤلؤة ولؤلؤتان ، وزن جميع ذلك سبعون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب بيضاء ، فيها مائة حبة لؤلؤ وست وعشرون حبة لؤلؤ مفصصة ، واسطتها لؤلؤة لطيفة ، ويليها من يمين ويسار فصان أحمران ، ويلى هذين الفصين فصوص حمر وزرق وخضر ، وزن الجميع من ذلك ثلاثة وأربعون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب أيضا منجمة بلؤلؤ ، فيها واسطتها فص ياقوت أزرق ، وثلاثة فصوص

عن يمينه ويساره ، حتى انتهى إلى فصين أخضرين فى الطرفين ، عدد لؤلؤه مائة لؤلؤة واحدة واثنتان وثلاثون لؤلؤة . وزن الجميع من ذلك تسعة وثلاثون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب أيضا مفصصة بفصوص منجمة بلؤلؤ قد انقطع من فصوصها فص ، عدد لؤلؤها مائة لؤلؤة واحدة وست وعشرون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك ثمانية وثلاثون مثقالا .

ومنها قبلة لؤلؤ ، عدد لؤلؤها مائة لؤلؤة واحدة ، وتسع عشره لؤلؤة بفرائد ذهب ، وزن الجميع منها أحد عشر مثقالا .

ومنها ست وتسعون درة ، من جملة ذلك عشرون درة علامية ، واحدى وتسعون فريدة ذهب ، وزن الجميع من ذلك أربعة وثلاثون مثقالا .

ومنها ست عشرة ضبة بفرائد ذهب ، وخيوط ذهب عدد لؤلؤها مائتا لؤلؤة وثمان وأربعون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك ثلاثة وثلاثون مثقالا ونصف مثقال .

ومنها اثنان وعشرون لوح ذهب ولاجستان فى الجميع من ذلك مائة حبة واحدة ، وثمان وتسعون حبة لؤلؤ بفرائد ذهب ، وزن جميع ذلك خمسون مثقالا .

ومنها ثلاث وعشرون ضبة أيضا بفرائد ذهب مفكن بخرز أخضر ، عدد اللؤلؤ ثلاثمائة وثمان وستون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها أربعة أزواج أقلال ذهب ولؤلؤ ثمان وثمانون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك عشرون مثقالا ونصف مثقال .

ومنها تركيتان لؤلؤ ، فيها ثمان حبات لؤلؤ ، فى أحدهما حبة ياقوت حمراء وفى الآخر حجر بلخش أحمر ، الوزن لجميع ذلك أربعة مثاقيل إلا ربع مثقال .

ومنها زوج مدارى ، فيه عشرة ألواح ذهب ، وهلال ذهب ، ورباعية ذهب ، ولؤلؤ عدده ألفا لؤلؤة وتسعمائة لؤلؤة وثمان وثمانون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك مائة مثقال وواحد وتسعون مثقالا .

ومنها زوج شمارغ لؤلؤ أيضا ، فيه عشرة خيوط لؤلؤ ، وأربعة ألواح ذهب ، وست رباعيات ذهب ، وخرصا ذهب وثلاثة مناوط ، وزن جميع ذلك اثنان وستون مثقالا ونصف مثقال .

ومنها زوج شمارغ لؤلؤ أيضا ، عشرة خيوط ذهب مدار عليها لؤلؤ ، وعشرة مناوط ، وعشرة ألواح ذهب ، فى أطراف المناوط حب ياقوت لطاف ما بين أزرق وأصفر ، وزن جميع ذلك مائة مثقال واحدة ، وأحد عشر مثقالا .

ومنها زوج شمارغ أيضا ، فيه ثمانية خطوط لؤلؤ ، وعشر رباعيات ذهب ، وخرصا ذهب فيهما خيطا قطن مجدولان ، وزن جميع ذلك خمسة وأربعون مثقالا .

ومنها ذبابتان لؤلؤ ، فيهما اثناعشر منوطا ، وزن الجميع ثمانية وسبعون مثقالا ونصف .

ومنها جديلة فيها عقود ، الأول منها عقد واسطته ياقوتة صفراء ، ويليها فريدتا ذهب ،

وفيها أربع بيوت لؤلؤ فى كل بيت سبعة خيوط ، وفى طرفيه ياقوتتان زرقاوان بفرائد ذهب ، والثانى خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والثالث عقد واسطته ياقوتة صفراء ويليها من يمين ويسار زمردتان خضراوان وأربع فرائد ذهب ، وفيه أربع بيوت فى كل بيت سبعة خيوط لؤلؤ ، والرابع خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والخامس عقد واسطته ياقوتة صفراء ويليها من يمين ويسار فى الطرفين زمردتان خضراوان وفيه أربع بيوت فى كل بيت تسعة خيوط لؤلؤ ، والسادس خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء بفريدتى ذهب . والسابع عقد واسطته ياقوتة صفراء ، ويليها من يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وفريدتا ذهب ، وفيه واسطة زمردة خضراء ، وفى جربانى الجديلة ثمانى خيوط لؤلؤ ، فى كل طرف أربع خيوط برباعيتها ، وزن الجميع من ذلك مائتا مثقال وخمسة وثلاثون مثقالا .

ومنها خمسة قارى لؤلؤ مضموم بعضها إلى بعض : الأول منها قرى لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ، ويليها فى الطرفين من يمين ويسار ، ياقوتتان حمراوان ، وفيه سبعة وأربعون لؤلؤة . والثانى قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، ويليها من الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان زرقاوان ، وست فرائد ذهب ، وفيه ثلاث وخمسون لؤلؤة . والثالث قرى لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ، ويليها فى الطرفين عن يمين وشمال حجرا بلخش أحمران ، فيه أربع وخمسون لؤلؤة . والرابع قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، يليها من يمين ويسار ست فرائد ذهب ، فيه خمس وخمسون لؤلؤة ، والخامس قرى لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ، ويليها فى الطرفين عن يمين ويسار حجرا بلخش أحمران وست فرائد ذهب ، فيه خمس وخمسون لؤلؤة . وزن جميع ذلك سبعة عشر مثقالا .

ومنها ست قارى : الأول قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، ويليها عن يمينها ويسارها فى الطرفين زمردتان خضراوان وست فرائد ذهب ، فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ . الثانى قرى لؤلؤ واسطته حجر بلخش أحمر ويليها فى الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان زرقاوان وست فرائد ذهب فيه ثلاث وثلاثون حبة لؤلؤ . والثالث قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويليها فى الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وسبع فرائد ذهب ، وثلاثون حبة لؤلؤ . الرابع قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويليها فى الطرفين عن يمين ويسار زمردتان خضراوان وست فرائد ذهب فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ . الخامس قرى لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ويليها فى الطرفين عن يمين ويسار حجر بلخش وثمانى فرائد ذهب فيه سبع وثلاثون حبة لؤلؤ . السادس قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويليها فى الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان صفراوان فيه خمسون حبة لؤلؤ . وزن الجميع من ذلك ستة وعشرون مثقالا وربع .

ومنها تسعة قارى لؤلؤ أيضا : الأول واسطته زمردة خضراء بفريدتى ذهب . الثانى واسطته ياقوتة زرقاء بفريدتى ذهب . الثالث واسطته حجر بلخش أحمر بفريدتى ذهب . الرابع واسطته زمردة خضراء بفريدتى ذهب . الخامس واسطته حجر بلخش بفريدتى ذهب . السادس واسطته زمردة خضراء بفريدتى ذهب . السابع واسطته حجر بلخش أحمر بفريدتى ذهب . الثامن واسطته حجر خضراء بفريدتى ذهب . التاسع واسطته حجر صفراء بفريدتى ذهب . وزن الجميع تسع عشرة مثقالا .

ومنها لازما لؤلؤ ، فى أحدهما تسعة ألواح ذهب ، وفى الآخر سبعة ألواح ذهب . وزنهما اثنان وعشرون مثقالا .

ومنها لازم لؤلؤ أيضا فيه ثمانية عشر لوح ذهب منظمة بلؤلؤ ، وزنه ستة عشر مثقالا .

ومنها دملجا لؤلؤ برأسى ذهب ، وزنهما اثنان وخمسون مثقالا .

ومنها اثنا عشر سوار برءوس ذهب ، وزنها مائة مثقال واحدة وستة وخمسون مثقالا .

ومنها خلخالا لؤلؤ برأسى ذهب ، وزنهما ثمانية وتسعون مثقالا .

ومنها شبكة إبريسم منظومة بلؤلؤ مكللة بأهلة ذهب . وزنها مائة مثقال واحدة وثلاثة مثاقيل .

ومنها لازم لؤلؤ ساذج فيه ياقوتة حمراء صغيرة ، وزنه ثلاثة عشر مثقالا إلا ربع مثقال .

ومنها لازم لؤلؤ أيضا فيه ثمانية ألواح ذهب ، وزنه خمسة مثاقيل .

ومنها شالا لؤلؤ فيهما أربع جدائل ذهب وجديلتا ذهب ، وزن الجميع أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها تاج ذهب مرصع بياقيت ملونة ودرر مختلفة ، وزنه مائة مثقال واحدة وثمانية مثاقيل .

ومنها تسعة أسورة ذهب مزروعة .

ومنها عشرة أسورة ذهب مفتولة ، وزنها مائتا مثقال واثنان وتسعة مثاقيل .

ومنها سوارا ذهب لطيفان مزروعان ، وزنهما ثمانية عشر مثقالا ونصف وربع .

ومنها زوجا خوص ذهب ، وفرد سوار ذهب مفصص بفصوص ملونة ، وزن الجميع ثلاثة وسبعون مثقالا .

ومنها خوصتا ذهب ، وزنهما ثلاثون مثقالا .

ومنها دملجا ذهب ، وزنهما مائتا مثقال .

ومنها أربع عشرة دقة ذهب : الأولى منها قاقلية بفرائد ، الثانية مار ذهب ، الثالثة دقة ذهب مشبكة ، واسطتها ياقوتة حمراء بأربع فرائد ذهب ولؤلؤة فيما بينهما ، الرابعة دقة ذهب سفرجلية ، الخامسة والسادسة دقتا ذهب متداختان ، السابعة دقة ذهب حسكية بفرائد ، الثامنة دقة ذهب قاقلية دقيقة ، التاسعة دقة ذهب حسكية بفرائد ، العاشرة دقة ذهب عمل الهند فى طرفيها خمس عشرة حبة لؤلؤ ، الحادية عشرة دقة ذهب حسكية بفرائد ذهب أيضا ، الثانية عشرة دقة سفرجلية بفرائد . الثالثة عشرة والرابعة عشرة دقتا ذهب أجريان . وزن الجميع من ذلك ثلاثة وثمانون مثقالا .

ومنها ست عشرة دقة ذهب أيضا يضمها جربان (١) حرير ، فى طرفى الجربان أربعة خيوط

---

(١) جربان القميص والدرع : جيبه ، وقد يقال بالضم ، وهو بالفارسية كريبان . وجربان القميص ليقته فارسى معرب . وفى حديث قرة المزنى : أتيت النبى (صلعم) فأدخلت يدى فى جربانه . الجربان بالضم هو جيب القميص (ل/جرب) .

لؤلؤ فى طرف كل خيط رباعى ذهب . الأول من ذلك قرى لؤلؤ بواسطة ياقوتة صفراء وثمان فرائد ذهب وأربع بواقيت صفر فيه أربع وعشرون حبة لؤلؤ ، ويتلوه مار ذهب ، ويتلوها دقة حسكية ذهب بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية أيضا ، ويتلوها دقة ذهب مشبكة فيها ثمانى عشرة حبة لؤلؤ واسطته ياقوت أحمر وأربع فرائد ذهب ، ويتلوها مار ذهب ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية أيضا . ويتلوها دقة ذهب مثمرة ، ويتلوها دقة ذهب حسكية فيها واسطة ياقوتة صفراء وإحدى عشرة حبة لؤلؤ ، ويتلوها دقة ذهب مداخلة عمل الهند ويتلوها أيضا دقة مداخلة عمل الهند ، ويتلوها دقة ذهب مشبكة بواسطة زمرد ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية ، ويتلوها دقة ذهب مثمنة . وزن الجميع من ذلك مائة مثقال وثمانية وأربعون مثقالا بالحريان .

ومنها ست دقق أيضا : الأولى منها دقة ذهب مشبكة واسطتها ياقوتة زرقاء ، وفيها ثمان حبات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب وثمان حبات لؤلؤ ، ويتلوها مار ذهب ، ويتلوه دقة ذهب قاقلية بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب حسكية بفرائد ، ويتلوها لازم ذهب فيه أحد عشر لوح ذهب فى كل لوح حبة لؤلؤ . وزن الجميع من ذلك ثلاثة وخمسون مثقالا .

ومنها ثمان دقق صغار : الأولى منها دقة ذهب مشبكة بواسطة حجر بلخش حمراء وثمان حبات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب . والثانية دقة ذهب مشبكه بواسطة خضراء وثمان حبات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب وفى الطرفين ثمان لآلىء . والثالثة دقة ذهب حسكية بفرائد . والرابعة دقة ذهب بفرائد ، والخامسة دقة ذهب مشبكة فى الطرفين منها سبع حبات لؤلؤ . السادسة مار ذهب . السابعة دقة ذهب قاقلية فى طرفيها حبتا لؤلؤ . الثامنة مار ذهب . الوزن من ذلك تسعة عشر مثقالا .

ومنها ثلاثة لوازم ذهب دخنية . وزنها خمسة وثلاثون مثقالا .

ومنها عشرة خواتيم ذهب : منها أربع بفصوص ياقوت زرق ، ومنها اثنتان بفصى ياقوت أحمرين إحداها مصرانى ، ومنها اثنتان بفصى ياقوت أصفر مصرانيتين ، ومنها اثنتان إحداها بفص ياقوت أصفر مربع ، والأخرى بفص ياقوت أحمر مربع .

ومنها حلقتا ذهب إحداها بفص ياقوت أحمر بهرمان ، والأخرى بفص ياقوت أزرق مربع .

ومنها حلقتا ذهب إحداها بفص عين الهر مدور ، والأخرى بفص أزرق .

ومنها ثلاث حلقات صغار : إحداها بفص ياقوت أحمر لطيف ، والثانية بفص ياقوت أزرق مربع ، والثالثة بفص بقران .

ومنها خاتم عمل الهند بفص ياقوت أحمر صغير ويطيف به فصوص ما بين صغار (١) ، وزن الجميع من ذلك مائة مثقال واحدة وخمسون مثقالا .

ومنها ثلاث خواتيم ذهب أيضا : إحداها بفص ياقوت مربع أصفر . والثانية بفص أحمر

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها : ما بين صغار وكبار .

مربع . والثالثة بفص أخضر مربع . وزن الجميع من ذلك اثنان وعشرون مثقالا .

ومنها اثنتان وعشرون رباعية ذهب معراة وخمسة مفاتيح ذهب لطاف . وزن الجميع أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها خلخالا ذهب ، وزنهما خمسمائة مثقال .

ومنها مار ذهب ، وزنه ثلاثة عشر مثقالا .

ومنها فص ياقوت أصفر مصرانى ، وزنه ثلاثة مثاقيل وربع مثقال .

ومنها فص ياقوت أزرق مصرانى أيضا ، وزنه مثقال واحد وسدس وثلث ثمن مثقال .

ومنها حبة ياقوت زرقاء مستديرة ، وزنها مثقالان وربع .

ومنها حبة ياقوت زرقاء علامية ، وزنها مثقال واحد وسدس مثقال .

ومنها حق صغير فصه فيه علامة شريفة .

ومنها عقد أيضا واسطته ياقوتة صفراء ، ويليها من جنبيها ياقوتتان زرقاوان بست فرائد ذهب ، وفيه أربع بيوت فى كل بيت أربعة خيوط لؤلؤ عددا للؤلؤ مائة واحدة وثمان وعشرون لؤلؤة ، وفى طرفيه خرزتا مرجان حمراوان . وزن الجميع من ذلك تسعة وعشرون مثقالا ونصف وربع .

* * *

ويقول صاحب العيون (٧/١٨ — ٢٢٠) نقلا عن مصدر معاصر لم يذكره :

أخرجت الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، خالصة الإمام ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، عصمة المسترشدين ، كهف المستجيبين ، ولية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه الميامين ، السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصليحى ، مد الله فى عمرها ، جميع هذه الأشياء المسماة الموصوفة فى هذا الكتاب بعد عينها . وقد عاينها شهود هذا الكتاب وقت وقوع هذه الشهادة ، عن الحرة الملكة السيدة الرضية ولية أمير المؤمنين ، السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصليحى ، أنسأ الله فى أجلها ، قربانا تقربت به إلى ولى الله الإمام الطيب أبى القاسم أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، لما ترجوه من ثواب الله ، وتأمله من رضوانه ، والزلفة لديه ، ولأن تكون يوم الفزع الأكبر من الآمنين ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم » .

وجعلت الحرة الملكة السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم ، أنسأ الله فى أجلها ، ولى وصيتها هذه ، والقائم بها والمنفذ لها بعد غيبتها ، السلطان الأجل أحمد بن أبى الحسين بن إبراهيم ابن محمد الصليحى ، أدام الله عمره ، وأسندتها إليه ، وحملته فى ذلك عهد الله سبحانه وعهد رسوله وعهد وليه ، وقلدته فيها أمانة الله عز وجل ، التى عرضها على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، أنه إذا حدث فيها حادث الموت واستأثر الله بها ونقلها من محل الفناء إلى محل البقاء ، أن يتولى إمضاء هذه الوصية والإنفاذ بها صحبة رجل عدل من المسلمين ثقة مأمون ، يوصلها بجملتها على ما سمت ونعتت ووزنت إلى باب ولى الله المذكور صلوات الله عليه ، إلى من يخرج الأمر المطاع الإمامى أعلاه الله بقبض ذلك منه ، ويأخذ هذا العدل المأمون بحملها إلى الباب الطاهر الإمامى صلوات الله عليه ، الخط الشريف الإمامى ، بوصول

جميع ذلك مما هو مذكور فى هذا الكتاب، ويستمطر الدعاء لها ، والترحم عليها . وقبل السلطان الأجل أحمد بن أبى الحسن بن إبراهيم بن محمد الصليحى أدام الله عزه ما أسند إليه فى هذا الكتاب . وصار ذلك أمانة فى رقبته ، وميثاقا فى عنقه ، لا يفكه منه إلا الإنفاذ بجميع ما ذكر فى هذا الكتاب إلى باب ولى الله المذكور صلوات الله عليه .

وحرمت الحرة الملكة السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصليحى ، طول الله فى عمرها ، وصيتها هذه أن تغير عما ذكرته فى كتابها هذا أو تبدل أو تنقص أو تحول عما شرطته فى كتابها هذا ، بما حرم الله به دماء المسلمين وأموالهم وصدقاتهم ، وبما حرم الله به الكعبة البيت الحرام . « فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم » . ومن سعى فى إبطال هذه الوصية أو فى شىء منها أو تأول فى بعضها أو فى شىء منها بغامض علم أو لطيف مدخل أو خفى حيلة ، أو عمل فى شىء منها بتبديل أو تحويل أو أشار إلى غفلة عنها أو تهاون فى التوجيه بها ، « فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

شهد على إقرار الملكة الحرة .. بما فى هذا الكتاب، على ما كتب فيه ونسب ، وعلى إلزامها ذلك نفسها ، فى صحة منها وجواز أمر ، جميع من حضرها من الشهود ، وذلك بعد أن قرئ عليها هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، فأقرت بفهم ذلك جميعه ومعرفته ، وإتقانه ، وألزمت نفسها ما أقرت به من ذلك .

وقد عاين هذا الكتاب شهود فى غرة رجب من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وهؤلاء الشهود هم : إسماعيل بن عبد الله بن عمرو الصحالى وكتب عنه بأمره وبحضره ، ومحمد بن على بن عبد الله بن محمد الهندى وكتب بخطه ، وسبا بن أحمد بن شهيد بن محمد وكتب بخطه ، وحاتم بن على بن حاتم وكتب بخطه .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد نبيه ، وعلى أهل بيته الأئمة الطاهرين الهداة المهديين وسلم تسليما .

قسم الجـــداول

(جـــدول رقم ١)

آل يُعْـفِر الحوالى الحميرى(١)

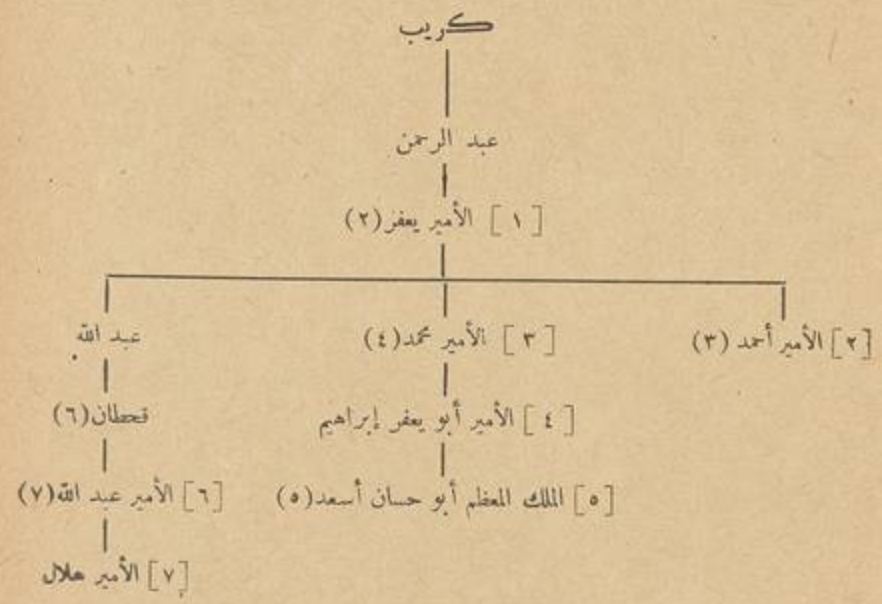

---

(١) يعفر بضم الياء وكسر الفاء ، وفى غير حمير يعفر بفتح الياء وضم الفاء مثل يشكر ، كما رواه أبو محمد الهمدانى فى باب المشتبه من الإكليل ٦٠٧ و٦٠٨ .

(٢) أول من تولى الإمارة سنة ٢١٤ (إكليل ج ٢) .

(٣) تنازل (نفسه) .

(٤) قتل سنة ٢٧٠ (نفسه) .

(٥) توفى سنة ٣٣٣ (نفسه) .

(٦) تزوج بمعاذة بنت على بن الفضل الجدنى الجيشانى .

(٧) قام بالدعوة الفاطمية ، وغزا زبيد سنة ٣٧٩ ، وتوفى سنة ٣٨٧ .

(ملحوظة) : هذا ما تحقق لدينا من نسب أمراء آل يعفر ، حينما اطلعنا على ما ورد فى الجزء الثانى من الإكليل (تحقيق القاضى حسين السياغى) من أخبار دولة بنى يعفر ، بعد أن نقلنا كلام عمارة الحكمى فى ص ٢٨ (هامش ٣) . والمعتمد هو رواية أبى محمد الهمدانى .

(الصليحيون)

بنـــو الصُّلَيْحى

(جدول رقم ٢) [بيت الأخروج ، وهو من بنى عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جُشم بن حا . . بن حيران بن نوف بن همدان]

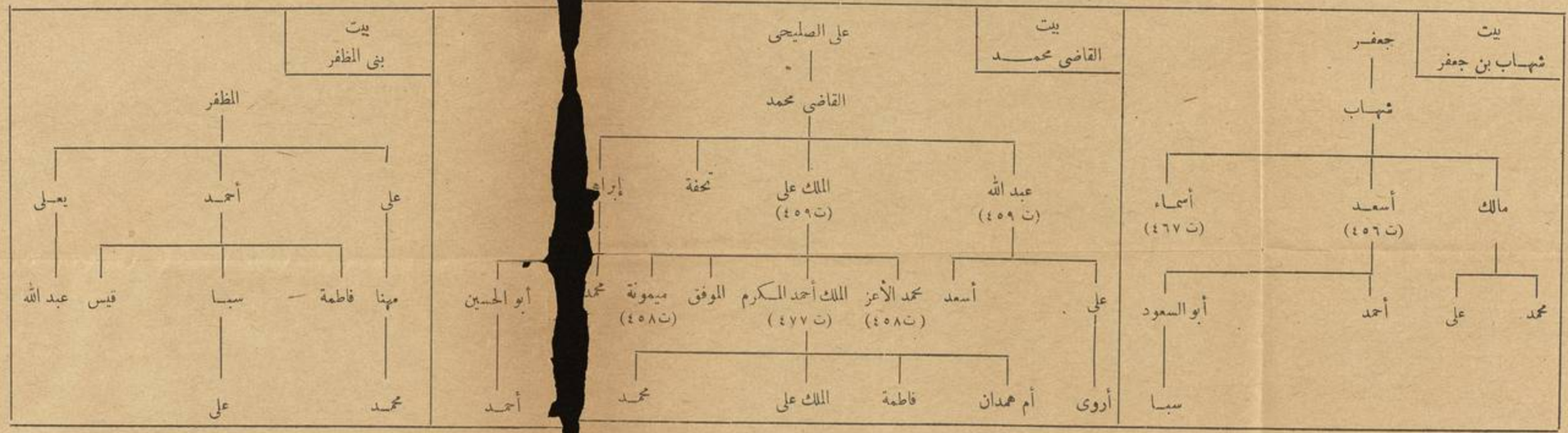

ملاحظـــات : وردت أسماء الصليحيين الآتية فى الكتاب ولم نتمكن من إلحاقهم فى الجداول

(١) السيدة الملكة الحرة أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحى .

(٢) السيدة الرداح بنت الفارع بن موسى الصليحى والدة السيدة الملكة أروى .

(٣) سويد بن زيد الصليحى والد السيدة الحرة الجمانة زوجة السلطان أبى حمير سبا بن أحمد .

(٤) على بن سويد بن زيد الصليحى .

(٥) السيدة الحرة الجمانه بنت سويد بن زيد الصليحى زوجة السلطان سبا بن أحمد الصليحى .

(٦) إسماعيل بن أبى يعفر بن عبد الله الصليحى كان واليا على صنعاء وتوفى سنة ٤٦١ .

(٧) حاشد بن كديس الصليحى عامل مسور فى عهد الملك المكرم أحمد .

(جدول رقم ٣)

الزواحيون

الشيخ سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحى الحميرى (١)

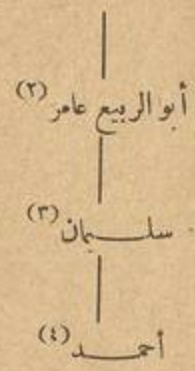

---

(١) القائم بالدعوة وهو الذى أقام على بن محمد الصليحى فى الدعوة .

(٢) أحد قواد الصليحى والمكرم الكبار ، تزوج من الرداح أم السيدة الملكة الحرة أروى بنت أحمد (ت ٤٩٢) .

(٣) أخو الملكة أروى من جهة أمه ، وهو الذى أشار على السلطان سبا أثناء النزاع بينه وبين الملكة بأن يلجأ إلى الخليفة المستنصر فى مصر ، وأغلب الظن أنه قتل فى موقعة ثلا سنة ٥١١ .

(٤) هو زوج أم همدان بنت الملكة أروى من الملك المكرم ، وقد أنجب منها عبد المستعلى .

(جدول رقم ٤)

بنو نجاح العبيد

ملوك تهامة وزبيد

(أسس نجاح دولتهم سنة ٤١٢)

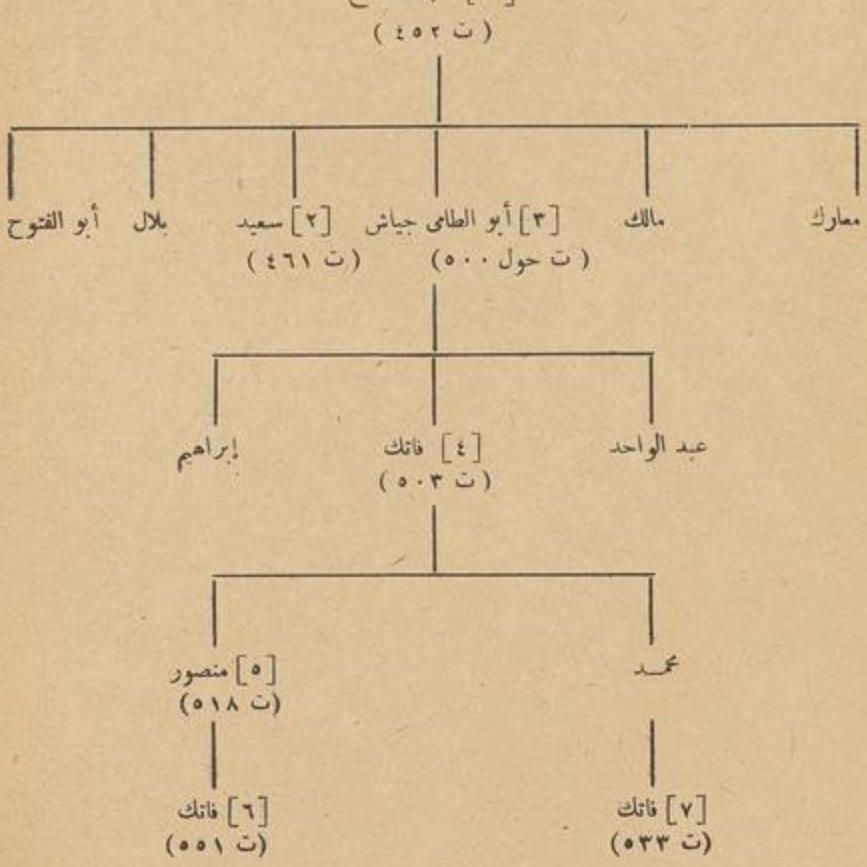

ملحوظة : وزر منصور [٥] بن فاتك بن جياش أبامنصور من الله الفاتكى من مواليهم، وقام من الله بالوزارة فى عهد فاتك [٦] بن منصور بن فاتك ، ثم قام زريق، ثم سرور الحبشى .

(رقم ٥)

آل عمران اليامى الهمدانى

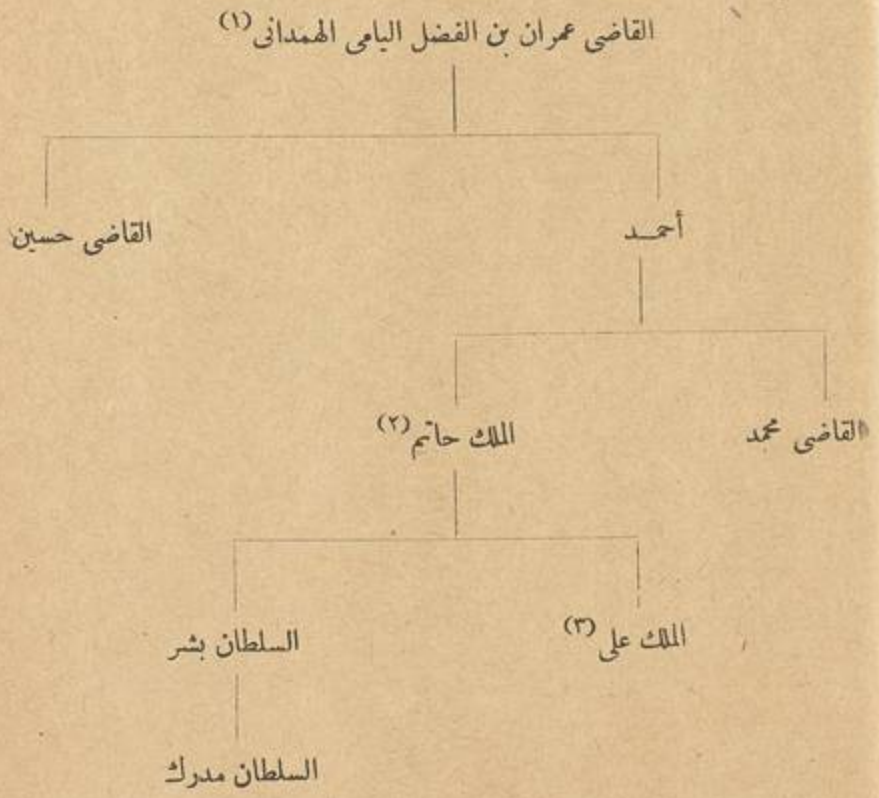

(١) قتل فى موقعة الكظائم سنة ٤٧٩ .

(٢) اختارته همدان بأمر صنعاء سنة ٥٣٣ .

(٣) أزاله عن ملكه طغتكين بن أيوب .

(جدول رقم ٧).

الفاطميون

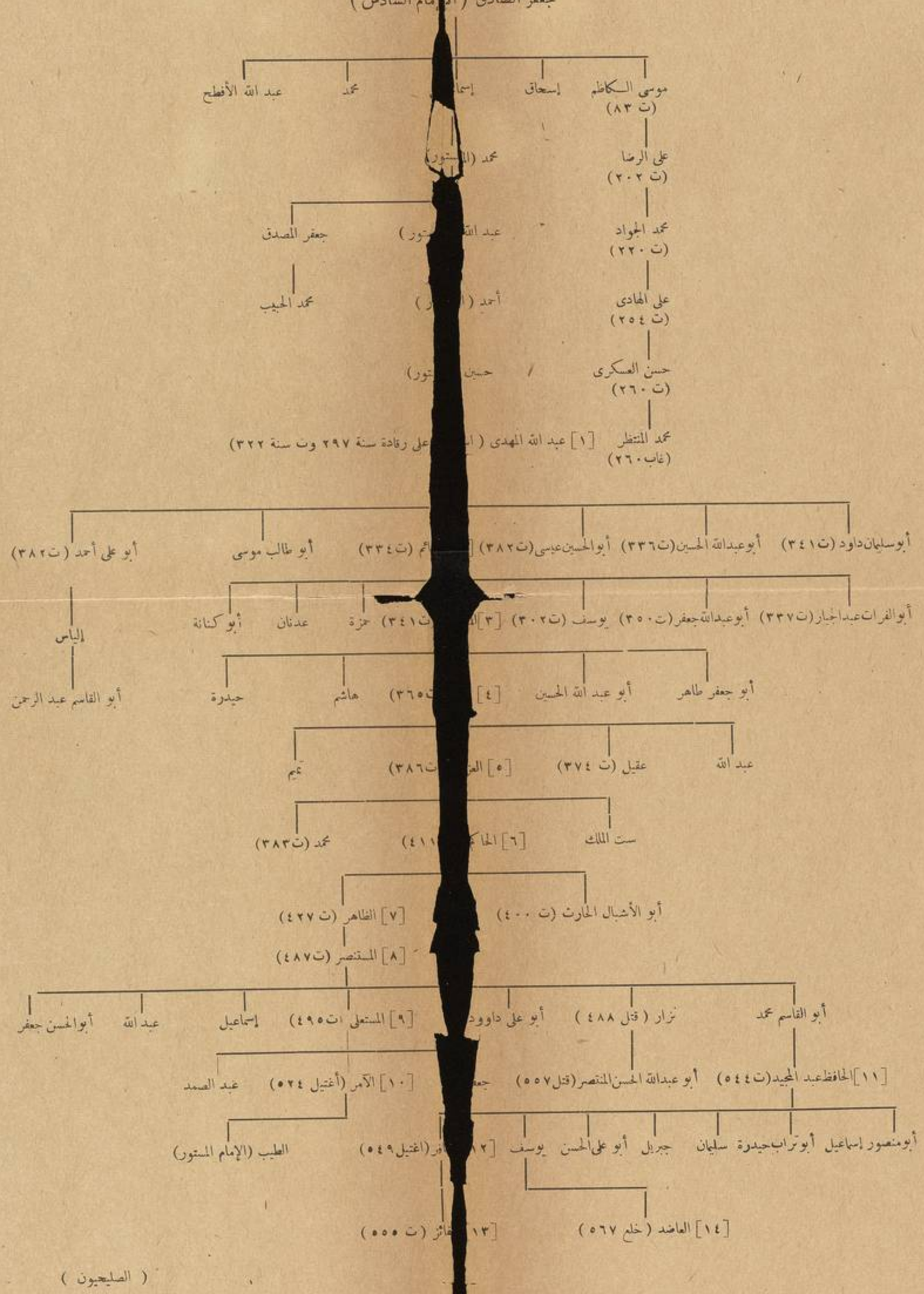

(الصليحيون)

(جدول رقم ٧)

بنو الكرم

(آل زريع وآل مسعود) اليامِيّون الهمدانيون

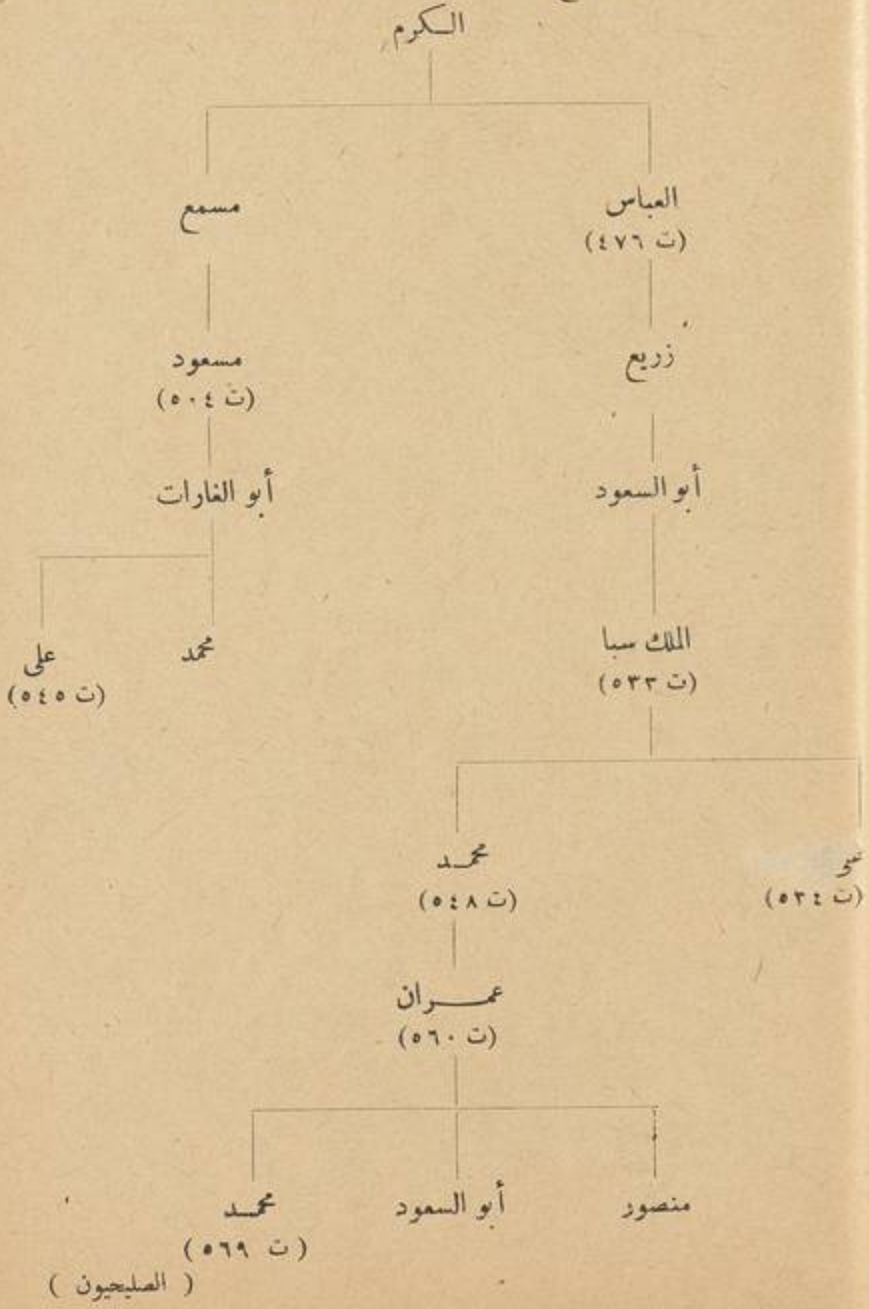

(جدول رقم ٨)

دولة بنى أيوب باليمن

(٥٦٩ — ٦٢٦)

نجم الدين أبو الشكر أيوب

(ت ٥٦٨)

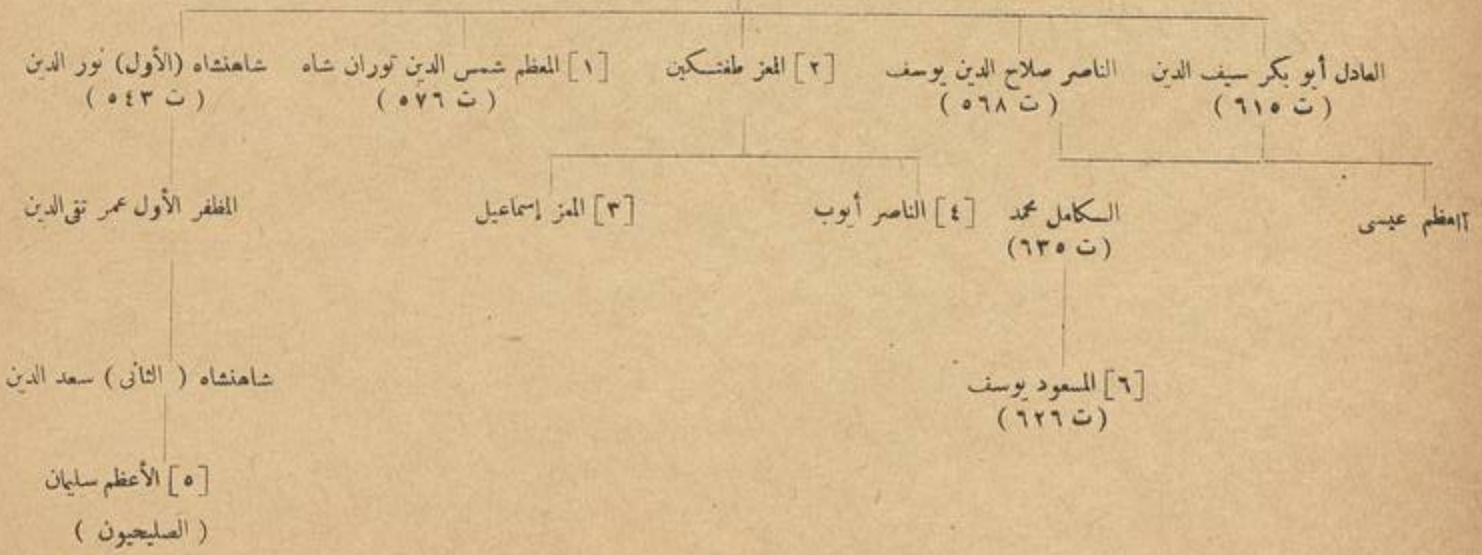

قائمة المصادر

قائمة المصـــادر

(نورد فى هذا الثبت أسماء المصادر التى اعتمدنا عليها واستقينا معلوماتنا عنها فى هذا البحث مرتبة حسب أحرف الهجاء بالنسبة للمؤلفين — المؤلف) .

الآمر بأحكام الله الخليفة الفاطمى (ت ٥٢٤) :

الهداية الآمرية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق آصف فيضى (بومبائى ١٩٣٨) .

إبراهيم بن أبى قيس الحضرمى الإمام :

ديوان الإمام إبراهيم الحضرمى المسمى بالسيف النقاد . مخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم ١٢٧٠ ومطبوع بمصر ١٣١٤ .

ابن الأثير ، على بن أحمد بن أبى الكرم (ت ٦٣٠) :

الكامل فى التاريخ ١٢ جزء (بولاق ١٢٩٠) .

أحمد بن زينى دحلان (ت ١٣٠٤) :

خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام . مخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم ٥٨ .

إخوان الصفـــا :

رسائل إخوان الصفا فى أربعة مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية . وطبعتى بمبائى والقاهرة .

الرسالة الجامعة . جزءان مخطوطان بالمكتبة المحمدية الهمدانية . الجزء الأول منها تحقيق جميل صليبا (دمشق ١٩٤٨) .

إدريس عماد الدين بن الحسن القرشى (ت ٨٧٢) :

عيون الأخبار . ٧ أجزاء فى ٧ مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية

نزهة الأفكار . جزءان فى مجلدين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

روضة الأخبار . مخطوط بمكتبة جامعة ليدن (Leyden) رقم ١٩٧٢ .

زهر المعانى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الإدريسى ، الشريف محمد بن محمد الصقلى (ت ٥٦٠ / :

نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (روما ١٨٨٣) .

الأزدى بن ظافر ، جمال الدين أبى الحسن على (ت ٦٢٣) :

أخبار الدول المنقطعة . مخطوط مصور عن المتحف البريطانى بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

إسماعيل بن عبد الرسول (القرن الحادى عشر) :
فهرست كتب الدعوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الأصبهانى ، أبو الفرج على بن الحسين (ت ٣٥٦) :
الأغانى . عشرون جزءا (بولاق ١٢٨٥) .

الأصفهانى ، أبو عبد الله محمد بن أبى الرجاء (ت٥٩٧) :
خريدة القصر وجريدة العصر . مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٤٢٥٥ آداب.

ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠) :
بدائع الزهور (بولاق ١٣١١ — ١٣١٤) .

إيفانو ، فلادمير (V. Ivanow) :
A Guide to Ismaili Literature (لندن ١٩٣٣) .
The Alleged Founder of Ismailism (بومباى ١٩٤٦) .

بدر الجمالى (ت ٤٨٧) :
المجالس المستنصرية . المخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين (القاهرة بدون تاريخ) :

أبو البركات بن بشر الحلبى (ت فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى) :
مجالس سيدنا أبى البركات. مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية.

البغدادى . أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩) :
الفرق بين الفرق (القاهرة ١٩١٠) .

بكتول (M. Pickthall) :
The Knights of Araby (لندن) .

البيرونى ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠) :
الآثار الباقية عن القرون الخالية (لندن ١٨٧٩) .

الجرافى ، القاضى عبد الله بن عبد الكريم :
المقتطف فى تاريخ اليمن (القاهرة) .

جعفر الحاجب :
سيرة جعفر الحاجب . تحقيق إيفانو ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (القاهرة ١٩٣٦) .

جعفر بن منصور اليمن (ت نحو القرن الرابع) :
الفرائض وحدود الدين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الشواهد والبيان . مخطوط بالمكتبة التيمورية بالقاهرة .
سرائر النطقاء . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
أسرار النطقاء . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تأويل الزكاة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية؛ ونشرها ستروطمان فى بومباى .

الكشف . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
المراتب والمحيط . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
العالم والغلام . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة فى معنى الاسم الأعظم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة الرضاع فى الباطن . مخطوط بالمكتبة التيمورية (عقائد ١٨٤) .

الجندى ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢) :
السلوك فى طبقات العلماء والملوك . مختصر كاى (H. C. Kay) (لندن ١٨٩٢) .

الجوذرى ، أبو على منصور العزيزى :
سيرة الأستاذ جوذر ، وبه توقيعات الأئمة الفاطميين . تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة (القاهرة ١٩٥٤) .

حاجى خليفة ، مصطفى المسمى بكاتب شلبى (١٠٦٧) :
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . النسخة العربية وترجمها إلى الألمانية فلوجل (G. Flugel) (ليبسك ولندن ١٨٣٥ ، ١٨٥٨) .

الحارثى ، محمد بن طاهر (ت ٥٨٤) :
مجموع التربيـة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
الرسالة الحاتمية فى الرد على بعض المارقين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
حدائق الألباب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية

الحامدى ، إبراهيم بن الحسين (ت ٥٥٧) :
كنز الولد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تسع وتسعون مسألة فى الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الحامدى ، حاتم بن إبراهيم (ت ٥٩٦) :
تنبيـه الغافلين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
جامع الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
خمسة عشر مجلسا . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة التذكرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تحفة القلوب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
مفاتيح الكنوز . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الشموس الظاهرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الحامدى ، على بن حاتم بن إبراهيم (ت ٦٠٥) :
روضة الحكم الصافية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

ابن حجر ، الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على العسقلانى (ت ٨٥٢) :
الإصابة فى تمييز الصحابة (مصر ١٩٠٧) .
رفع الإصر عن قضاة مصر . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥ .

الحجرى ، القاضى محمد بن أحمد :
خلاصة تاريخ اليمن قديما وحديثا (القاهرة ١٣٦٣) .

ابن حزم ، أبو محمد على بن سعيد الأندلسى (ت ٤٥٦) :
جمهرة أنساب العرب . تحقيق ليفى بروفنسال (E . Provencal) (القاهرة ١٩٤٨).

حسن إبراهيم حسن :
الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينيه بوجه خاص (القاهرة ١٩٣٢).
عبيد الله المهدى إمام الشيعة الإسماعيلية (القاهرة ١٩٤٩) .

حسن سليمان محمود :
الصليحيون وعلاقاتهم بمصر . رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٥٢ .
علاقات الفاطميين بالدول الإسلامية . رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٤٦.

الحسن بن نوح البهروجى (ت ٩٣٩) :
كتاب الأزهار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الحامدى ، محمد بن مالك بن أبى الفضائل اليمانى (أواسط القرن الخامس) :
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (القاهرة ١٩٣٩) .

ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠) :
المسالك والممالك (طبعة ليدن) .

الخزرجى ، أبو الحسن على بن الحسن (ت ٨١٢) :
تاريخ الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من أهل الإسلام .
مخطوط بمكتبة جامعة ليدن Leyden 46—59. Warn Or 302,)
Catalogus Codicum Arabicorum).
العقود اللؤلؤيه فى تاريخ الدولة الرسولية (القاهرة ١٩١١) .

الخطاب بن الحسن الحجورى (ت ٥٢٣) :
غاية المواليد .مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة النفس . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
منيرة البصائر . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة النعيم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
ديوان الخطاب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨) :
العبر وديوان المبتدأ والخبر . (القاهرة ١٢٨٤) .
العبر ، مختصر كاى (H. C. Kay) (لندن ١٨٩٢) .

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٨١) :
وفيات الأعيان ، جزءان (بولاق ١٢٩٩) .

دى خويه (De Goeje) :
Memoires sur les Carmates du Bahrain et les Fatimites
(ليدن ١٨٨٦) .

ابن الديبع ، وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الشيبانى (ت ٩٤٤) :
قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٤ تاريخ .
بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٥١٦ تاريخ .

ديبور (De Boer) :
Wigsbegeerte in den Islam (آمستردام ١٩٢١) ..

الرازى ، أحمد بن حمدان الليثى الورسنانى (ت ٣٢٣) :
كتاب الزينة فى الأحرف ومعانيها . مخطوط بالمكتبه المحمدية الهمدانية . ونسخ مصورة من مكاتب اليمن بدار الكتب المصرية .
أعلام النبوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . نشر جزء منه كراوس (Kraus) فى Raziana II Orient. V .

راشد البراوى :
حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين (القاهرة ١٩٤٦) .

رينو (Renaud) :
Les Fragmants Arabe J. A. (1945)

زامباور (Zambour):
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، جزءان . تعريب زكى محمد حسن وزميله (القاهرة ١٩٥٢) .

زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى الحسنى الصنعانى :
إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ، ومن قام باليمن الميمون من قراء الكتاب المبين وأبناء سيد الأنبياء والمرسلين (صنعاء ١٣٤٣) .

سبط بن الجوزى ، شمس الدين أبو المظفر بن قيزوغلى (ت ٦٥٤) :
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان . مخطوط مصور من الإستانة بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ .

ستروطمان (R. Strothmann) :
مقال فى Miscellany نشرته جمعية البحوث الإسلامية ببومباى .
أربعة كتب إسماعيلية . تحقيق ستروطمان (غوتنغن ١٩٤٣) .

السجستانى (السجزى) ، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد (ت ٢٣١) :
الينابيع . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
إثبات النبوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الموازين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الافتخار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
المقاليد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

سرور ، محمد جمال الدين :
النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب (القاهرة ١٩٥٠) .

السيوطى ، عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١) :
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة (القاهرة ١٣٢٧) .

شرف على بن ملا ولى :
عيون المعارف ورياض لكل متبصر عارف (بومباى ١٢٩٧) .

الصيرفى ، أمين الدين تاج الرياسة أبى القاسم على بن منجب (ت ٥٤٢) :
الإشارة إلى من نال الوزارة (القاهرة ١٩٢٤) .

ابن طباطبا ، محمد بن على المعروف بابن الطقطقى (ت فى القرن الثامن الهجرى) :
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية . تحقيق أهل ورد (Ahlwardt) (غريفزولد ١٨٥٨) .

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠) :
تاريخ الأمم والملوك . تحقيق دى خويه (De Goeje) (ليدن ١٨٧٦ — ١٩٠١) .

طه أحمد شرف :
دولة الغزارية أجداد أغا خان (القاهرة ١٩٥٠) .

الطيباوى ، عبد اللطيف :
جماعة إخوان الصفا (بيروت ١٩٣٠ — ١٩٣١) .

عباس العقـــاد :
أبو الشهداء (القاهرة ١٩٥٤) .

ابن عبد الحكيم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧) :
فتوح مصر والمغرب (ليدن ١٩٢٠) .

عبد الكريم خليفة :
إخوان الصفا (حلب ١٩٤٩) .

العرشى ، حسين بن أحمد الزيدى (القرن الرابع) :
بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فيمن تولى ملوك اليمن من ملك وإمام . تحقيق الأب أنستاس الكرملى (مصر ١٩٣٩) .

عمارة ، نجم الدين بن محمد الحكمى اليمنى (ت ٥٦٩) :
تاريخ اليمن . مختصر كاى (H. C. Kay) . (لندن ١٨٩٢) .
النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية (شالون باريس ١٨٩٩) .

عمر الدسوقى :
إخوان الصفا (القاهرة ١٩٤٧) .

عمر فروخ :
إخوان الصفا (بيروت ١٩٤٥) .

العمرى ، شهاب الدين بن أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩) :
مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار . مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ .

العينى ، بدر الدين بن محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥) :
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان . مخطوط مصور من الأستانة (ولى الدين) بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ .

غيب (Sir Hamilton Gibb) :
مقال معنون المستنصر بالله الفاطمى فى EI .

الفاسى ، تقى الدين بن محمد بن أحمد بن على (ت ٨٣٢) :
تحفة الكرام فى أخبار البلد الحرام . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٤٦ تاريخ .
شفاء الغرام . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤ .

الفاكهى ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق (القرن الثالث) :
المنتقى فى أخبار أم القرى . تحقيق وستنفلد (Wuestenfel) (ليبسك ١٨٥٩) .

فان آرندونك (C. Van Arendonk) :
De Opkomst van het Zaiditische Imamaat in Yemen (ليدن ١٩١٩) .

أبو الفدا ، إسماعيل بن على عماد الدين (ت ٧٣٢) :
المختصر فى أخبار البشر (القسطنطينية ١٢٨٦) :

فيضى ، آصف :
مقال عن القاضى النعمان فى JRAS (سنة ١٩٣٤) .

ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦) :
الإمامة والسياسة (القاهرة ١٣٢٠) .

القرشى ، على بن محمد بن الوليد الأنف (ت ٦١٢) :
ديوان سيدنا على بن محمد بن الوليد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
دامغ الباطل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

مختصر الأصول . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تاج العقائد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
مجالس النصح والبيان . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة الإيضاح والتبيين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها ستروطمان تحت عنوان أربع كتب إسماعيلية (غوتن غن ١٩٤٣) .
رسالة تحفة المرتاد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها ستروطمان تحت عنوان أربعة كتب إسماعيلية (غوتن غن ١٩٤٣) .
لب المعارف . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
لباب الفوائد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الذخيرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

القلقشندى ، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١) :
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (القاهرة ١٩١٢ — ١٩١٧) .

القمى ، الحسين بن على (القرن السادس) :
رسائل القمى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
ديوان شعر . صورة خطية من الصفحات المنتزعة من ديوانه المحفوظة بالمتحف البريطانى رقم ٤٠٠٤ .

كاى (Henry Cassels Kay) :
Yemen, its Early Mediaeval History (لندن ١٨٩٢)

الكبسى ، محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى :
اللطائف السنية فى أخبار المماليك اليمنية . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤١٦٣ تاريخ .

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤) :
البداية والنهاية (القاهرة ١٣٤٨) .

الكرمانى ، أحمد حميد الدين (ت فى القرن الخامس) :
المصابيح . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الرياض . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الأقوال الذهبية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تنبيه الهادى والمستهدى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
راحة العقل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين ومصطفى حلمى (القاهره ١٩٥٢) .

كرنكو (F. Krenkow) :
الصليحيون . مقال فى EI .

الكندى ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠) :
كتاب الولاة والقضاة . تصحيح روفن غوست (Guest) (بيروت ١٩٠٨)

لويس، برنارد (B. Lewis) :
The Origins of Ismailism (كيمبرج ١٩٤٠).

المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الشيرازى (٤٧٢) :
سيرة المؤيد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) .
المجالس المؤيدية . ثمان مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
ديوان المؤيد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) .
الأدعية والخطب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الأبتداء والأنتهاء . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
نهج الهداية للمهتدى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

المبرد ، أبو العباس (ت ٢٨٥) :
الكامل . تحقيق رائت (W. Wright) (ليبسك ١٨٧٤) .

ابن المجاور ، جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب الدمشقى (ت ٦٩٠) :
كتاب المستبصر . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٠٧٧ تاريخ . وتحقيق لوفغرين (O. Loefgren) (ليدن ١٩٥١ و ١٩٥٤) .

أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (ت ٨٧٤) :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (مصر ١٩٣٠ وما بعدها) .

محمد حسن :
قلب اليمن (بغداد ١٩٤٧) .

محمد كامل حسين :
فى أدب مصر الفاطمية (القاهرة ١٩٥٠) .

محمود قاسم :
فى النفس والعقل (القاهرة ١٩٥٤) .

يامخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (القرن العاشر) :
قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر . ثلاثة أجزاء . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ تاريخ .
تاريخ ثغر عدن . جزءان (ليدن ١٩٣١) .

المستنصر بالله (ت ٤٨٧) :
السجلات المستنصرية . مخطوط بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن . ومقال حسين الهمدانى فى BSOS (١٩٣٤) . ونشرها عبدالمنعم ماجد (القاهرة ١٩٥٤) .

المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٠٣) :
مروج الذهب ومعادن الجوهر (بولاق ١٣٨٣) .

المعهد الفرنسى العلمى بالقاهرة :
Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe الجزء السابع .

المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧) :
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ليدن ١٩٠٦) .

المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥) :
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا . تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٤٨) .
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (بولاق ١٢٧٠) .
البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب . تحقيق وستنفلد (غوتنغن ١٨٧٤) .

المنصورى ، ركن الدين بيبرس الدوادارى المصرى (ت ٧٢٥) :
زبدة الفكرة . المجلد الخامس المأخوذ بالفوتستات من مخطوطة محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس (رقم ١٥٧٢ عربى) موجود بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢٧ .

ابن ميسر ، محمد بن على بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧) :
تاريخ مصر . طبعة هنرى ماسيه (Henry Massé) (القاهرة ١٩٤٩) .

ابن النديم ، محمد بن إسحق (ت نحو ٣٨٣) :
كتاب الفهرست . تحقيق فلوغل (Fluegel) (ليبسك ١٨٧١) .

نشوان الحميرى ، أبو سعيد بن سعيد (ت ٥٧٣) :
منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . تصحيح عظيم الدين أحمد (ليدن ١٩١٦) .
الحور العين (القاهرة ١٩٤٨) .

القاضى النعمان بن محمد بن منصور التميمى المغربى (ت ٣٦٣) :
دعائم الإسلام ، فى جزءين . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشر آصف فيضى الجزء الأول من الكتاب .
الينبوع . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
مختصر الآثار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الأخبار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الاقتصار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
المنتخبة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
افتتاح الدعوة الزاهرة وابتداء الدولة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
شرح الأخبار . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الهمة فى آداب الأئمة . مخطوط بالمكتبة المحمديه الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين (القاهرة بدون تاريخ) .

مفاتيح النعمة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
أساس التأويل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تأويل الدعائم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
التوحيد . مخطوط بالمكتبة المحمديه الهمدنية .
المجالس والمسايرات . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
اختلاف أصول المذاهب . مخطوط بالمكتبه المحمدية الهمدانية.
المناقب والمثالب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

النويرى ، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣) :
نهاية الأرب . طبعة دار الكتب (مصر ١٩٢٣ وما بعدها) .

النيسابورى ، أحمد بن إبراهيم (ت فى أوائل القرن الخامس) :
إثبات الإمامة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسائل استتار الإمام . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . نشرها إيوانو (القاهرة ١٩٣٩).

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك الحميرى المعافرى (ت ٢١٨) :
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أجزاء . تحقيق وستنفلد (غوتن غن ١٨٥٨ — ١٨٦٠) .

الهمدانى ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤) :
الإكليل فى أخبار اليمن وأنساب حمير . الكتاب العاشر فى معارف همدان . تحقيق محب الدين الخطيب (القاهره ١٣٦٨).
صفة جزيرة العرب . تحقيق مولر (D. H. Mueller) (ليدن ١٨٩١) المشتبه فى كتاب الإكليل (Suedarabische Mushtabih). تحقيق لوف غرين (Leofgren) (أوبسالا ١٩٥٣) .

— الهمدانى ، حسين بن فيض الله اليعبرى :
بحث تاريخى فى رسائل إخوان الصفا (بمباى ١٩٣٥) .
مقال عن الملكة أروى الصليحية فى JRCAS XVII (١٩٣١) .
مقال عن السجلات المستنصرية فى BSOS VII (١٩٣٤) .
مقال عن النظام الفكرى الخاص بالدعوة الفاطمية فى IC (١٩٢٧) .
مقال عن مؤلفى الإسماعيلية JRAS (١٩٣٣) .
مقال عن تاريخ الدعوة وآدابها فى أواخر عهد الفاطميين فى JRAS (١٩٣٣) .
مقال عن المؤيد فى الدين الشيرازى فى EI .
كتاب الرياض . مقال فى مؤتمر دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد (١٣٥٨) .

الهمدانى ، عباس بن حسين بن فيض الله اليعبرى :
رسالة دكتوراه بجامعة لندن سنة ١٩٥١ The Sira of al-Muayyad fid-din ashs-Shirazi

الوادعى ، الذؤيب بن موسى (ت ٥٣٦) :
رسالة النفس . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الوادعى ، على بن حنظلة المحفوظى (ت ٦٢٦) :
القصيدة الموسومة بسمط الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق عباس عزاوى ، نشرها المعهد الفرنسى دمشق سنة ١٩٥٣ .
رسالة ضياء الحلوم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الواسعى ، عبد الواسع بن يحيى اليمانى :
تاريخ اليمن (القاهرة ١٩٤٧) .

يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ت ١١٠٠) :
أنباء الزمن فى أخبار اليمن . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ .
أنباء الزمن (من سنة ٢٨٠ — ٣٢٢) . تحقيق محمد عبدالله ماضى (برلين ١٩٣٦) .
ياقوت الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله (٦٢٦) :
معجم البلدان ، فى أربعة أجزاء . تحقيق وستنفلد (ليبسك ١٨٦٦ — ١٨٩٩) .

الله ونعم الوكيل فسر الداعي المكرم الاجل اده وحمد الله ورسجد امامه وحمد الله تعالى على ما
اتاح له من النظر الى ولده بقيامه في مقامه وازال عنه من الحزن على والده الاعز
كثيرا مما كان يجده وعلم انه بالمكرم قد استقام ما أناده وعاد الى صنعاء
فدخلها وامر بتقليد ولده المكرم فقرئ على منبر صنعاء في اليوم الثامن من جمادى
الاولى من السنة المقدم ذكرها وافترع في اقطاليمن فضائل المكرم وانتشارا
يطيب نشرها وزوجه ابوه الحرة التقية الزكية السيدة ابنة احمد بن محمد الصليحي وهي
ام اولاد المكرم وزوج ابنه الموفق فاطمة بنت احمد بن المظفر الصليحي وقد كان
ازمع ان يزوجها الاعز وكان الداعي الاجل الاوحد قد اصدر الاقاضي تمم
بن الفضل وجماعة معه الى الحضرة المقدسة المستنصرية بعد الذين ذهبوا
بوفاة الاعز يستاذنه في الحج وزيارة الحضرة المطهرة ويسأله اقامة الامير المكرم
عوضا عن اخيه ويستودعه في ذلك امره ولي زمانه ليعمل بما امره بقضيه فاجيب
ان راعي الاجل بجواب هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
من عبد الله ووليه معد ابي تميم الامام المستنصر بالله امير المومنين الى الامير الاجل
الاوحد امير الامراء عمدة الخلافة شرف المعالي تاج الدولة سيف الاسلام المظفر في
الدين نظام المومنين ابي الحسن علي بن محمد الصليحي نضره الله واظفره واحسن توفيقه
ومعونته سلام عليك فان امير المومنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله
ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين الائمة
المهديين وسلم تسليما اما بعد فالحمد لله المقصوص جناح المفكر دونه في ضبط
واصعاده جاعل عالم الكون وفساده سلما الى محل رضوانه ودار معاده يحمد امير
المومنين ان مهد له الامامة في خير مهاده ويسأله ان يصلي على نوئ عباده و
غيث بلاده محمد جده المقدم في شرف النبوة اشرف بحاده المصطفى الهادي صفوة

(صورة من السبع السابع من كتاب عيون الأخبار المحفوظ بمكتبتنا المحمدية الهمدانية . انظر الملحق رقم ٥ ص ٣٠٥)

على مقتضى احكامها والمملوك ينهى ان رسل داعي
الهند عنده مقيمون كانوا في هذه الفتنة قد عاد
من بلدهم بالاجوبة عن التشريف الصادر اليهم من
الحضرة قدسها الله عن يد الاجل الاوحد فاخذت
الاجوبة والزكوات من ايديهم وكان مضمون الاجوبة
السؤال في الاذن بالقيام واظهار الدعوة بالقهر
اما باللسان واما باللسان فقد سبق لهم الاذن
المملوك لرغبته في انتشار امر مولاه وعلو دعوته يسال
تشريفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والاذن لهم في القيام
اظهار الدعوة جهرا والله سبحانه يؤيدهم بتاييد وليهم
وينصرهم على عدوهم والسلام على مولانا وسيدنا
ابي تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين عليه وعلى
آبائه الطيبين الطاهرين وابنائه الاكرمين المنتجبين
افضل الصلوة والتسليم صدر غرة ذي الحجة سنة ستين
واربعمائة والحمد لله وحده وصلواته وصلواته على سيدنا

محمد النبي وعلى مولانا علي بن ابي طالب وليه ووصي
نبيه وعلى الائمة من ذريته الطاهرين وسلامه
عليهم اجمعين حسبنا الله ونعم الوكيل

من نسخة وجدها بخط الزيف المالك المنيف خط سيدنا
حسين بن ادريس بن حسن بن عبد الله بن محمد بن حاتم
بن حسين بن علي بن محمد بن علي بن احمد بن جعفر بن الحسن
بن يحيى بن ابراهيم الانف ابي سلمة بن محمد بن
ابراهيم ابن احمد بن الوليد بن المغيرة بن عمران عاصم
بن ابي عاصم ابن الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد
شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن

(صورة من مجموعة رسائل القمي المحفوظة بمكتبتنا المحمدية الهمدانية . انظر الملحق رقم ٦ ص ٣١٨)

ضميمة

بينما نحن نقترب من الانتهاء من طبع الكتاب ، وصلتنا رسالة من ولدنا الدكتور عباس الهمدانى تحوى تعليقات مفيدة . ونحن نقدم هذه التعليقات لأنها تفسر بعض الأحداث الواردة فى هذا المؤلف تفسيرا يختلف اختلافا أساسيا عن تفسيرنا إياها . وبعد وصول رسالته قررنا أن ننشر بإذن الله فى الطبعة الثانية لهذا السفر نقد الناقدين وآراء الباحثين الحرة مهما اختلفت آراؤهم عن وجهة نظرنا ، فقد تكون الأخيرة مصيبة أو مخطئة ، لأننا نرى أن لا شيء أضرّ للعلم من المجاملات ، وأن النقد البنائىّ الحرّ مفيد للتقدم العلمى .

— المؤلف

يقول فى سبب امتناع المهدى عن المسير إلى اليمن (ص ٣١ — ٤٩) :

«وفيما يختص بثورة فيروز أشعر أنها يجب أن تقرن بالحركة القرمطية، ذلك لأن حليفه على بن الفضل الجدنى أعلن جهرة تأييده لأبى سعيد الجنّابى عندما خالف منصور اليمن ، واستقل عن الدعوة . وإننى أرى أن الخلاف القرمطىّ واليمنىّ للمهدىّ كان مبنيا على أسس نشرحها فيما يلى :

« كان حسين الأهوازى داعى الدعاة للمهدى فى سَلَمْيه ، فكان مسئولا عن تعيين الدعاة فى الكوفة والبحرين ، الذين ثاروا بعد ذلك ، وعرف حزبهم بالقرامطة ، وقد طالبوا المهدى بقيادة ثورة فى الأمبراطورية العباسية ، ولكن عندما قرر المهدى الذهاب إلى اليمن ثاروا عليه .

« وعندما توفى حسين أصبح فيروز داعى الدعاة ، وكان من المعروف بين جميع الدعاة تحت زعامة فيروز أن الخلافة الفاطمية سيتم إنشاؤها فى اليمن . وبقى

هذا الاعتقاد حتى وصل المهدى إلى مصر . ولما اتضح لفيروز أن المهدى قد غير رأيه ، وأنه سيتجه إلى المغرب ، سار فيروز إلى اليمن لينظم جبهة الدعوة ضد سياسة الإمام الجديدة ، لأن معظم الدعاة البرزين العاملين كانوا قد اجتمعوا فى ذلك الوقت باليمن . وقد تخلف ابن حوشب عن تنفيذ برنامج رياسة الدعوة ، وانضم إلى جانب المهدى . فقد اضطر فيروز وعلى بن الفضل إلى الانضمام نحو المعارضة ، وقد اتحدا مع القرامطة فى الكوفة والبحرين على برنامج مشترك .

« ولم يكن سبب ثورتهم أن اتجه المهدى نحو المغرب ، ولكن على العكس من ذلك كان اتجاه الإمام المهدى نحو المغرب هو السبب فى ثورتهم . ولم يكن هذا الحادث مسألة هيّنه ، ولكن كان أمرا له خطره ، وعليه اختلف المهدى وحماة الدعوة المخلصون أشد الخلاف . فقد كان المهدى يرغب فى إنشاء خلافة وأمبراطورية ، بعيدة عن سلطان العباسيين . وكان يرغب بذلك رغبة شديدة فى تأمين وتقوية مملكته الجديدة . وكان لا يفكر فى إحداث أى تغيير اجتماعى ، وأن المجتمع سيبقى على حاله السائد تحت حكم العباسيين ، باختلاف وحيد ، هو أن الأمبراطورية الجديدة سيرأس عليها خليفة من الأسرة العلوية . وفى نظر المهدى كل ما فى الأمر كان نزاعا على الأسرة التى ستحكم فقط .

« ولكن بالنسبة إلى هيئة الدعوة من جانب آخر كان النزاع على أساس المبادىء الاجتماعية . وقد بدأت الحركة الفاطمية تهدف إلى محاربة الظلم القائم تحت حكم العباسيين . ولم يكن الدعاة يميلون إلى القيام بتجاربهم فى أماكن متعددة ، ولم يكونوا يفكرون فى الهرب ، بل كانوا يريدون البقاء حيث كانوا ، ليقوموا بما يرغبون فيه من تغييرات فى النظم الاجتماعية تحت حكم العباسيين . وكانوا يريدون إقامة الخلافة الفاطمية مقام الخلافة العباسية — خلافة ودولة جديدة تقوم بهذا الإصلاح الاجتماعى .

« وحقا فإن القرامطة وبعدهم حزب فيروز كانوا يمثلون اتجاهات الحركة الفاطمية الأصلية ، وهى الاتجاهات التى رغب عنها الإمام ، وكان ابن حوشب وفيا للمهدى دون أن يرتكز على مبادىء اجتماعية . وكان أبو عبد الله الشيعى أيضا

وفيا لإمامه لفترة طويلة من الزمن حتى خاب ظنه ، فبعد أن قام المهدى بأمره فى رقادة وسجلماسة اكتشف أبو عبد الله ما اكتشفه الدعاة ، أمثال القرامطة وفيروز وعلى بن الفضل الحميرى منذ زمن بعيد . ولا شك أن أبا عبد الله كان مصادقا سليم النية (Naive) إلى حدّما .

« وإن أساطين الدعوة العلماء، كالنسفى والسجستانى والرازى، كانوا بعيدين عن المركز الرئيسى كل البعد لكى يدركوا المناورات الخفية التى كانت تجرى فى سلمية . وفوق ذلك كان هؤلاء العلماء مفكرين ونظريين ، لم يكونوا مطلعين على حقائق الحالة السياسية التى تنطوى عليها الدعوة . فقد بقواوهم فى عزلتهم أوفياء لإمامهم . أما أبو حاتم الرازى فقد كان محافظا ، وبقى كذلك حتى بعد حدوث الانقسام ووضوح الأمر، واستمر فى ولائه للإمام . وقد ظهرت فى النسفى والسجستانى أمارات الاستقلال وعدم التحزب (non-conformism) التى ربما دفعتهما إلى معسكر القرامطة ، لو أن هؤلاء بقوا أقوياء ، ولم ينحطوا إلى أساليبهم الإرهابية ، وحافظوا على ثورتهم فى أساليب سليمة معقولة . فالمفكرون دائما يمقتون القتل ويشمئزون عنه ، ولذلك بقى كل من النسفى والسجستانى تجاه المهدى فى ولائهما المقرون بالشك . ولا أقصد بهذا التقليل من المقدرة الفكرية لهؤلاء الدعاة ، فقد كانوا عظماء فى علومهم وكتاباتهم . »

* * *

ويبين الغرض الحقيقى من زيارة قاضى قضاة اليمن لملك الحمادى للقاهرة (ص ١٧٥ — ١٧٧) قائلا :

« إن رواية الداعى حاتم بن إبراهيم الحامدى التى نقلها الداعى إدريس عن زيارة القاضى لملك للقاهرة لاتعطى صورة صحيحة عن دوافع هذه الزيارة . كلما حاولا إخفاءها بطريقة « التأويل والتفسير والباطن » — وهى تقديم القاضى لملك سبعة وعشرين سؤالا إلى الإمام المستنصر الذى خلع عليه سبعا وعشرين خلعة عند السؤال ، ورده تكريما له بعد أن انتظر خمس سنوات — وضحت حقيقة هذه الدوافع ، وفقا لدلائل قرائن الأحوال .

« وإيفاد القاضى لمك ربما أدى إلى عدة أمور نحو :

١ — أن الدعوة فى اليمن حتى هـذا الوقت لم تـكن موروثة ، ولـكنها كانت موجهة من هيئة الدعوة المركزية بمصر . ومن ثم كان المحتمل أن يطالب الملك على بن محمد الصليحى أن تستمر الدعوة بعد وفاته فى أسرته . وكان من المرجح أنه ترك هذا الأمر للقاضى لمك لتسوبته مع الخليفة الفاطمى .

٢ — والأمر الثانى هو مسألة نقل التراث الأدبى ، كما ذكرتم فى مقالـكم المعنون « تاريخ الدعوة وآدابها خلال المرحلة الأخيرة عن الخلافة الفاطمية » (JRAS, 1932) وفى مقالـكم عن « مؤلفى الدعوة ومؤلفاتهـم (JRAS, 1933) .

٣ — والأمر الثالث كان مسألة تقرير تفاصيل انتشار تجارة المرور المتزايدة بين مصر والهند خلال اليمن .

٤ — والأمر الرابع أن تـكون الاجراءات قد اتخذت فيما يختص بتعزيز الدعوة فى الهند ، وإرسال دعاة جدد إلى غجرات — الأمر الذى حدث سنة ٤٦٠ هـ بعد عودة القاضى لمك إلى اليمن مباشرة .

« ولم تـكن هـذه هى الأسباب الرئيسية لسفارة القاضى لمك إلى مصر ، ولـكنها كانت على الأكثر مجرد نتائج ضمنية لمفاوضات أطيلت مدتها . والدافع الأصلى كما أعتقد هو رغبة الملك على بن محمد الصليحى فى الذهاب إلى مصر لينقذ الخليفة من مشاكله . ولنختبر التواريخ . . .

« بين عامى ٤٥٤ و ٤٥٩ وقعت مصر فريسة لأسوأ مجاعة وأشد وباء للطاعون وأقسى تخريب فى تاريخها . وقد أجمعت مصادرنا على رسم صورة مخيفة لهذه الـكارثة . وكانت الدولة الفاطمية على شفا الإفلاس ، ولم يكن ناصر الدولة فى حال أسوأ من أحواله هذه ؛ فقد جعل يسرافه فى القتل والنهب بقاء الدولة الفاطمية أمرا مستحيلا ، وأصبح من المتوقع أن ينتهى حكمها بين آونة وأخرى .

« ومرة أخرى كانت السنوات بين عامى ٤٥٤ و ٤٥٩ هى نفسها التى أوفد

فيها القاضى لك . وكانت هى نفس سنوات المجد والقوه للدولة الصليحية فى اليمن . وبينما كانت مصر فى أشد حالات ضعفها فى عام ٤٥٤ كانت اليمن فى أوج عظمتها وجبروتها ، لأول مرة متحدة تحت حكم الصليحى . وبالتأكيد خلال مدة هذا التناقض لم يكن هناك داع لزيارة قاضى قضاة اليمن للقاهرة إلا لأن يعرض مساعدة ملك اليمن للإمام الخليفة المستنصر ، بمعنى أن يطلب الإذن لعاهله فى القدوم إلى مصر بجيش اليمن ، لكى ينقذ البلاد المصرية من المتاعب والبقاء فيها كقوة عاملة نافذة .

« وعلى الأرجح نظرا للصلات الطيبة بين دعوة اليمن بالهيئة المركزية ، ونظرا لبقاء لمك مع داعى الدعاة المؤيد ، كان الأمل كبيرا فى أن يؤدى توسط المؤيد إلى تحقيق رغبات ملك اليمن ، ولكن يبدو أن الإمام المستنصر كان معارضا لهذا ، واستمر فى تأجيل سفره .

« ولكن الصليحى قد نفد صبره ، ولكى يعزز ضغطه أرسل القاضى عمران ابن الفضل اليامى وسفراء أخر إلى الإمام المستنصر يسأله الإذن له بأداء فريضة الحج ، وزيارة مصر بعد ذلك .

« وأصرّ أيضا على احتلال مكة . ولما كان الإمام على الأرجح قد اعتبر ذلك خطوة أولى إلى التقدم نحو مصر فقد أصر بدوره على رفض السماح له بالزيارة ، وطلب منه أن يوسع ملكه من ناحية حضرموت .

« ولكن الصليحى لم يستطع انتظارا . وفى سنة ٤٥٩ تقدم نحو مكة فى طريقه إلى مصر ، دون أن يتلقى إذنا من إمامه ، وضد رغبة هذا الإمام ، ولكن لسوء الحظ قتل بأيدى آل نجاح أثناء رحلته . ولولا ذلك لوصل إلى القاهرة ، ولقام بما شاء القدر أن يقوم به بدر الجمالى بعد ذلك .

« وهكذا كان من الواجب أن تنتهى سفارة القاضى لمك فى سنة ٤٥٩ ، ولم يتحقق الغرض الرئيسى منها ، وعاد لى اليمن بعد أن حقق الأغراض الفرعية لهذه الرحلة . »

اليمن

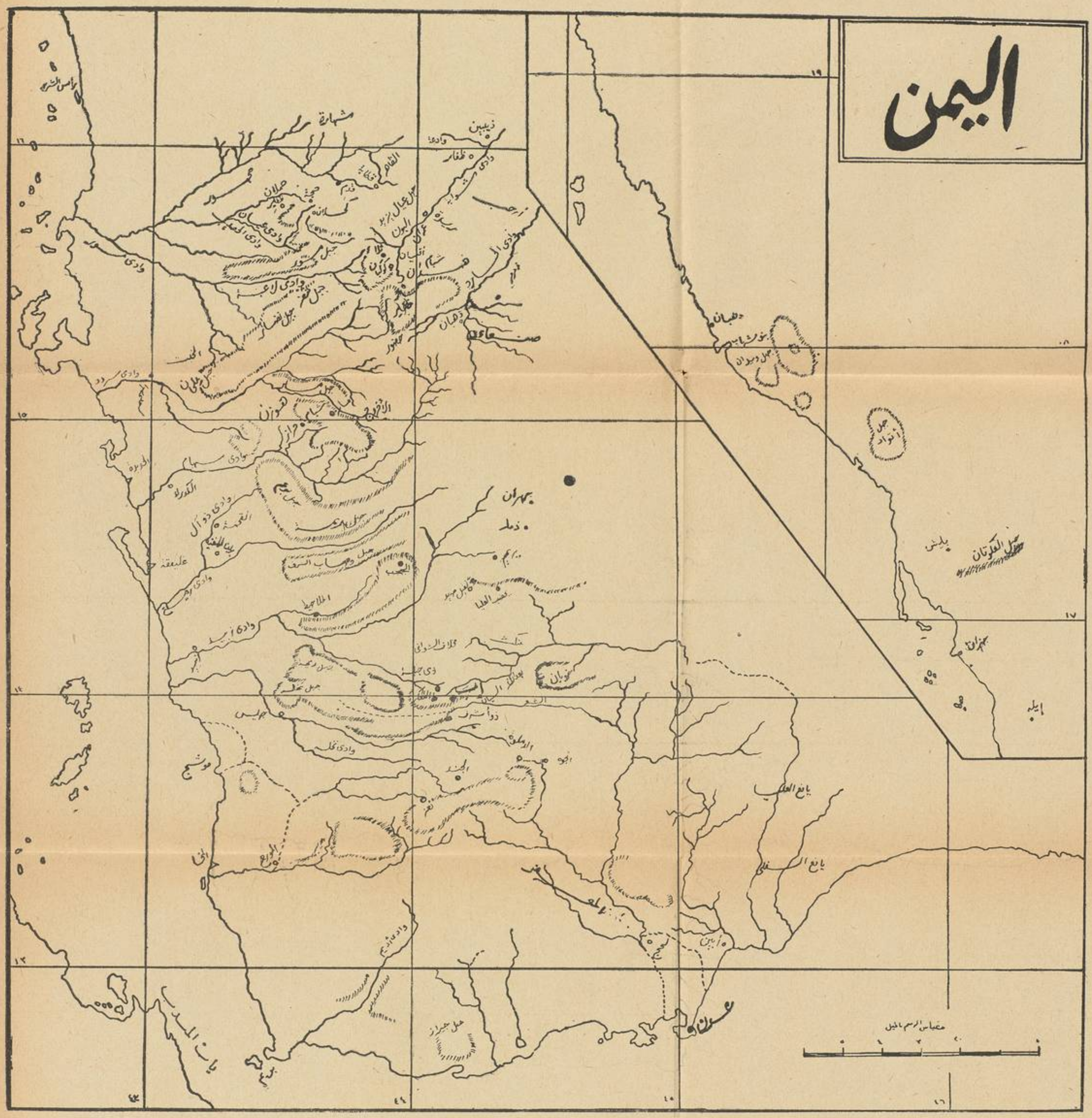
مشهرة
زيلعي
وادي
ظفار
وادي مشوه
القاهر
فوقا
قدم
حلان
حجة
كحلان
وادي عيان
جبل عيال يزيد
البون
وادي
جبل
وادي
جبل نقم
جبل نقمان
ذهبان
صنعاء
الجوف
جبل حلان
حوزان
الاخروج
وادي سهام
الكدرة
وادي ذوال
القحمة
جبل
جبل
جبل وهاب الشرف
الجب
الطاحوط
وادي زبيد
جبل
جبل
جبل

الفهـــارس

رتبها الدكتور حسن سليمان محمود

الأعـلام

(ا)

إبراهيم بن إسحاق الزبيدى ٣٨
إبراهيم بن الأشقر ١٨ ، ٢٣
إبراهيم بن الحسين الحامدى ١٩٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٣٥٣ .
إبراهيم الخليل ٣٢٤ .
إبراهيم بن أبى سلمة ٢٨٣ .
إبراهيم السباعى ٥٤ ، ٥٥ .
إبراهيم بن أبى قيس الحضرمى الإمام ٩٧ ، ٣٥١ .
إبراهيم بن محمد بن زيدان ١٦٥ .
إبراهيم بن محمد الصليحى ١٠٠ ، ١٠١ .
ابن الأثير ١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٣٥١ .
الأجل الأوحد : انظر على بن محمد الصليحى .
أحمد بن أسعد بن شهاب ١٠٠
أحمد بن الحبير الهمرى ٢٧٤ .
أحمد بن الحسن ٢٠١ .
أحمد بن الحسين الصليحى ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٣٣٠ .
أحمد بن سعيد الجزلى ٢٠٠ .
أحمد بن سليمان الشريف ٢٣٨ .
أحمد بن سليمان بن عامر الزواحى ١٤٧ .
أحمد بن شريح البغدادى ٢٥٦ .
أحمد بن عبد الله بن خليع ٣٢ .
أحمد بن على النهامى ١٣٢ .
أحمد بن على الصليحى (المكرم) ٦٦ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ — ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٩ .
أحمد بن على الغسانى الأسوانى ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ .
أحمد بن عمران بن الفضل الياى ١٥٣ .
أحمد بن الفضل ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .
أحمد بن قاسم بن دلى ٢٦٨ .
أحمد بن المبارك بن الوليد القرشى ٢٩٥ .
أحمد بن محمد بن قاسم الصليحى ١٤٢ ، ٢١٩ .
أحمد أبو القاسم بن المستنصر . أنظر المستعلى
أحمد بن الإمام عبد الله المنصور بن حمزة ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
أحمد المظفر الصليحى ٧٩ .
أحمد بن منصور بن المفضل ٢٤١ .
أحمد ، مولاى (بالم نات) ٢٢٥ .
أحمد النيسابورى ٢٥٧ .
أحمد بن يعقوب ٢٧٢ .
إدريس عماد الدين ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٤ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٥٣ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٥١ ، ٣٦٩

أرسطاطاليس ٢٧٣ .
ألب أرسلان ٩٣ .
أرندونك ٤٢ .
أروى بنت أحمد، الملكة الحرة ٢ ، ٢٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ — ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
أروى بنت على بن عبد الله، الأميرة الصليحية ٢٠٩ ، ٢٤١ .
الأزدى بن ظافر ٦٧ ، ٣٥١ .
الأزهرى ١٣٣ .
إسحاق بن إبراهيم أبو الحسين ٢٨ .
أسامة بن زيد ١٢١ .
إسحاق بن طريف ٣٤ .
إسحاق بن مرزوق ٢٠٠ .
أسعد بن شهاب ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ .
أسعد بن عبد الصمد بن محمد الحوالى ١٧٣ .
أسعد بن عبد الله الصليحى ١١٩ ، ١٢٨ .
أسعد بن عراف ١٥١ .
أسعد بن أبى الفتوح الحميرى ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧١ .
أسعد بن أبى يعفر الحوالى ٣٧ ، ٤٧ .
إسكندر الأفروديسى ٢٦٩ .
أسماء بنت شهاب ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٧٥ .
إسماعيل بن إبراهيم ٢٢٢ .
إسماعيل بن جعفر الصادق ٢٥٥ ، ٢٦٤ .
إسماعيل بن طغتكين ٢٨٤ .
إسماعيل بن عبد الرسول ٤ ، ٥ ، ٢٥٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٥٢ .
إسماعيل بن عبدالله بن عمر الصحالى ٣٣٠ .
إسماعيل أبو الفدا ١٨٥ .
إسماعيل بن أبى يعفر الصليحى ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .
الأشتر النخعى : انظر مالك الأشتر وإبراهيم الأشتر
الأصبهانى ٢٥ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٩٥ .
آصف فيضى ٢٥٣ ، ٢٦٦ .
الاعز : انظر محمد الأعز الصليحى .
الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ .
الآمر بالله بن المستعلى ٤٠ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٥١ .
إياد بن نزار ١٨ .
ابن إياس ٩٣ ، ٣٥٢ .
إيفانو ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣٥٢ .

(ب)

با لم نات : انظر أحمد مولاى .
بدر الجمالى ١٧٨ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٦٦ ، ٣٥٢ ، ٣٧١ .

البراء الهمدانى ١٩ ، ٢٠ .
برغش ١٨٥ .
أبو البركات بن بشر الحلبى ٢٦٧، ٣٥٢ .
أبو البركات بن أبى العشيرة ١٧٥ ١٧٧ .
أبو البركات بن الوليد الحميرى ١٦٢ .
البساسيرى أبو الحارث ٨٤ .
بسر (بشر) بن أرطاة ١٩ ، ٢٢ .
بشر بن حاتم الهمدانى ٢٣٩ .
أبو بكر الصديق ١٥ ، ١٢١ .
أبو بكر بن على بن رسول ٢٩٤ .
بلال بن نجاح ١١٩ ، ١٣١ .
بلقيس ١٤٣ ، ١٠٦ .
البيرونى ٢٢٣ ، ٣٥٢ .

(ت)

تا رمل ٢٢٥ .
التبعى : انظر حسين بن مغيره التبعى .
تحفه بنت محمد الصليحى ١٠٣ .
تراجان ٢٢٨ .
أبو تمام ٢٨٩ .
توران شاه ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٨ .

(ج)

الجرافى، القاضى عبد الله ٨٢، ٢٨٥، ٣٥٢.
الجرجرائى . على بن أحمد ٢١٣ .
ابن جعفر (شريف مكة) ٩١ .
جعفر بن إبراهيم المناخى ٣٦ .
جعفر بن أحمد بن عباس ٥٩ ، ٦٠ .
جعفر الحاجب ٣٩ ، ٤١ ، ٣٥٢ .
جعفر بن سليمان بن على الهاشمى ٢٨ ،
جعفر الشاورى ٧٨ .
جعفر الصادق ٢٥٥ ، ٢٦٤ .
جعفر العيانى ٧٨ .
جعفر بن الإمام المنصور الشريف ٨٢ .
جعفر بن منصور اليمن ١٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٠ ، ٢٧٢ ، ٣٥٢ .
جميل صليبا ٢٥٨ .
الجنابى ، أبو طاهر ٥٠ ، ٢٢٢ .
الجندى ، أبو عبد الله بهاء الدين ٦ ، ٧ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٩٠ ، ٣٥٢ .
ابن جهور ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ١٠٥ .
جوذر ٥٢ .
جوهر المعظمى ٢٣٩ .
جوهر الصقلى ٢٥٦ .
جوهر المستنصرى ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .
جياش بن نجاح ٧ ، ٩٤ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٤ .
ابن الجوزى ، سبط ٦٤ ، ٦٧ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ٣٥٢ .

(ح)

حاتم بن إبراهيم الحامدى ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٥٢ ، ٣٩٦ .
حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامى الهمدانى ١٣٧ ، ٢٠٦ ، ٢٣٩ ، ٢٧٠ .
حاتم بن سبا بن يوسف اليعبرى ٢٨٢ ،
حاتم بن على بن حاتم ٣٣٠ .
حاتم بن الغشم المغلسى ١٦١ ، ٢٣٩ .
حارثة بن قدامة السعدى ٢٢ .
أبو حاشد ٨١ .
حاشد بن كديس الصليحى ١٢٨ .
الحافظ : انظر ابن حجر .
الحافظ عبد المجيد : انظر عبد المجيد بن محمد ابن المستنصر .
الحاكم بأمر الله ٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ،

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ،
٣٠١ ، ٣٢٤ .
ابن حجر الحافظ العسقلانى ١٧٩، ٢٥٣، ٣٥٣.
الحجرى ، القاضى محمد ١١ ، ٦٤ ، ١٨ ،
١٠٢ ، ١٥٢ ، ٣٥٤ .
حريث بن شرحبيل ١٩٤ .
ابن حزم ١٨ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٥٤ .
حسام الدولة المستنصرى ٣١٧ .
الحسام لؤلؤ ٢٩٠ .
حسن إبراهيم حسن ٥٠ ، ١٧٨، ٣٥٤.
الحسن أبو محمد بن يعقوب الهمدانى ١٢ ،
٢٢ ، ٤٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ١٩٤
الحسن بن أبى الحفاظ الحجورى ٢٠١ ،
٢٠٢
الحسن بن حوبث : انظر الحسن بن
منصور اليمن .
حسن سليمان محمود ١٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٤.
الحسن بن عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ١٨٤.
الحسن بن عمر السنحانى ١١٥ ، ٣١٢ ،
٣١٦ .
الحسن بن على بن أبى طالب ٢٥٥، ٢٧٩ ،
٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ .
الحسن بن على بن رسول ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
٢٩٤ .
الحسن الفرغانى ٢٥٨ .
حسن بن محمد ، ابن النساخ ٢٨٦ .
الحسن بن محمد بن أبى عقامة ٩٨ ، ١٠٧،
١١٢ .
الحسن بن محمد المهدى ٢٧٢ .
الحسن بن منصور اليمن ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢،
٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦١ .
الحسن بن نوح البهروجى ٧٤ ، ١٧٦ ،
٢٧٩ ، ٣٥٤ .
الحسين بن مهلهل ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ .
الحسين بن أحمد ، الإمام ٢٩ ، ٣٣ .
الحسين بن إسماعيل الأصبهانى ١٥٧، ١٥٨.
الحسين بن سلامة ٦٢ ، ٦٣ .
الحسين بن على بن أبى طالب ٢٢ ، ٢٣ ،
٢٩ ، ٣١ ، ٧٧ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
٢٠٩ ، ٣٢٤ .
حسين بن فيض الله اليعبرى الهمدانى ٥، ٩ ،
١١ ، ١٧٥ ، ١٧٨، ٢٥٢ ، ٣٥٣ ،
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ .
٢٨٠ ، ٢٩٢ .
الحسين بن على القمى ٦ ، ٨٦ ، ١٠٣ ،
١١٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٠٨ ، ٣٥٧ .
الحسين بن عمران بن الفضل اليامى ١٥٣ ،
٢٠٨ .
الحسين بن عمران السنحانى ١٢٠ ، ١٢٣.
الحسين بن القاسم ١٢٧ .
حسين بن مغيرة التبعى ٨٥ ، ١٢٨ ، ٣١٣
حسين بن منصور الحلاج ٢٤٩
سالم بن شيبان ٢٢٣
الحلوانى ٣٨ ، ٣٩ .
حماس بن القبيب الهمدانى ٢٣٩
ابن حمدان ناصر الدولة ٢١٨ .
حمزه سبط حميد الدين ٢٢٢
حمزة الدرزى ٢٥٩ .
حمزة بن هاشم الحسى ١١٧ ، ٣١٢
الحوالى ٣٥ ، ٤٨ ، ٣١٥ .
ابن حوقل ٢٢٣
ابن حيدرة ، الشريف ١٨٣

(خ)

خالد بن أبى البركات ١٦٢ .
خكين الضيف ٢٨٥
خديجة بنت خويلد ٢٥٥
ابن خرداذبة ٢٩٢، ٣٥٤.
الخزرجى ٧ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٣٥ ،
١٤٢، ١٦٥، ٢١٩، ٢٩٤، ٣٥٤.
الخضرى ١٢١

الخطاب بن الحسن الحجورى ٣٨ ، ١٤٤ ، ١٩٠ ، ١٩٣ — ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٥٤ .
ابن خلدون ١ ، ٧ ، ٣٥٤ .
خلف بن أبى الطاهر ١٥١ ، ١٥٢
ابن خلكان ٧ : ، ٢٥٣ ، ٣٥٥ .
ابن خليع ٣٣
حنفر بن سبا الأصغر ٣٠ ، ٣٦
خوج بن ملك ٢٢٤ ، ٢٢٦
الموفق بن الخياط ١٧٢ ، ١٧٣

(د)

داود ١٤٦
داود بن ناصر ٢٢٣
درع بن يشكر ١٦
الدعام ١٢٧ .
ابن الديبع الشيبانى ٧ ، ١٤ ، ١٠٢ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ٣٥٥ .
ديبور ٢٥٨ ، ٣٥٥ .
دى خويه ٢٢٣ ، ٢٥٧ .

(ذ)

الذؤيب بن موسى الوادعى ٤ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩٨ .
ذو يزن ٢٥ .

(ر)

الرازى ، أبو حاتم أحمد بن حمدان ٢ ، ١٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٣٦٩
الرازى ، محمد بن زكريا ٢٥٢ ، ٢٥٩ .
الرداح بنت الفارع ١٤٣ .
ابن رحيم : انظر هارون بن محمد بن رحيم .
ابن رسلان ١٨٤ .
الرشيد ، الخليفة العباسى ٦٤
رضوان الوزير ١٨٥ .
روب نات : انظر مولاى نور الدين .

(ز)

زاهد على ٢٥٦ .
زريع بن العباس ١٦٤ ، ١٩١ .
زريع بن أبى الفتح ١٥٨ .
زياد بن كعب ١٧ .
زيد بن على ، الإمام ٢ ، ٢٨ .
زينب بنت على بن أبى طالب ١٣٣ .
ابن زينون أبو سعد منصور ٢١٣ .
ابن زيبى دحلان ٨٩ ، ٣٥١ .

(س)

سبا بن أحمد بن شهيد بن محمد ٣٣٠ .
سبا بن أحمد الصليحى ١٠٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ٢٣٩ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٣٠ .
سبا بن أبى السعود الزريعى ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٩ ، ١٩١ .
ابن سبا عبد الله الصنعانى ١٥ ، ١٦ .
سبا بن يوسف اليعبرى ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ .
السباعى ١٧٥ .
ستروطمان ٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٣ ، ٢٥٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٥٥ .
سجاع بن أبى العسكر ٣١٧ .
السجستانى ، أبو يعقوب ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٩ ،

السخطى ١٢٨ ، ٣١٥ .
سدهراج جيسنغ ٢٢٥ .
سعد الله (أحد رسل المستنصر للصليحى) ١٥٥ .
أبى السعود بن أسعد بن شهاب ١٠٠ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ، ٣١٥ .
أبو السعود بن زريع ١٦٤ .
سعيد الأحول : انظر سعيد بن نجاح .
أبو سعيد الجنابى ٤٥ ، ٥٠ ، ٢٦٧
سعيد بن سعد بن عبادة ٢١ .
سعيد بن قيس الهمدانى ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ .
سعيد بن نجاح ٨٥ ، ١٠١ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ٣١٠
أم سعيد ٢٢ .
أبو سفيان ٣٨ ، ٣٩ .
سليمان الأبوبى ٢٨٦ .
سليمان بن الحسن الحجورى ١٨٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٦٦ .
سليمان بن صرد ٢٣ .
سليمان بن عامر بن سليمان الزواحى ١٤٣ ، ١٥٧ ، ٢٣٧ .
سليمان بن داود ١٤٦ .
سليمان بن عبد الله الزواحى ٧٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ .
سليمان بن مسلم بن الزرع ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ .
سنقر ٢٨٥ .
سودان بن أبى رومان ١٦ .
سويد بن زيد الصليحى ١٥٩ .
السيد الحميرى ٢٥ .
ذو السيفين : انظر أحمد بن على الصليحى (المكرم) .
السيوطى ١٦ ، ١٨٥ ، ٢٥١ ، ٣٥٦ .

(ش)

الشاورى : انظر عبد الله بن عباس المشاورى
شرف على بن ملاولى ١٧٦ ، ٣٥٦ .
شكر الحسنى ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ .
شهاب بن عقيل ٣٧ .
شهريار بن حسن ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢
شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله المنصور ابن حمزة : انظر أحمد بن الإمام عبد الله المنصور .
شمس المعالى على بن سبا : انظر على بن سبا الشيرازى (رسول المستنصر إلى الصليحى) ١٥٥ .
الشيرازى ، هبة الله بن موسى : انظر المؤيد فى الدين .

(ص)

صارم الدين صاحب البسامة ٨٢ .
صاعد بن حميد ١٦٩ .
صلاح الدين بن أيوب ٢٤١ ، ٢٤٢ .
الصليحى : انظر على بن محمد الصليحى .
الصيرفى ، ابن منجب ٢١٣ ، ٣٥٦ .

(ط)

ابن طرف ٢٨٣ ، ٨٤ .
طغتكين ١٢٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٨
ابن أبى الطفيل ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ .
طه شرف ١٨٠ ، ٣٥٦ .
طوق بن ناسك ٢٢٧
الطوق الهمدانى ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
الطيب بن الآمر ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
الطياوى ٢٥٨ ، ٣٥٦ .
أبو عبد الله الطيب (رسول سبا إلى المستنصر) ١٥٧ .

(ظ)

الظاهر لدين الله ٤ ، ٣٢ ، ٥٨ ، ٦٠ .

(ع)

عائشة بنت أبي بكر ١٧٤ ، ١٩٠
عامر بن سليمان الزواحي ٧٩ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ٢٦٦ ، ٢١٢ ، ٣١٥ .
عباس بن حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري ١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٣٦٧ .
عباس عزاوي ٢٩٥ .
العباس (عم النبي) ص ١٥ .
ابن العباس الداعي : انظر عبد الله بن العباس الشاوري
عباس العقاد ٣٣ ، ٣٥٦ .
عباس بن الكرم ٧٩ ، ١٠٦ .
عبد الأعلى بن عبد المجيد ٣٠٥ .
عبد الرحمن بن عويس ١٦ .
عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي ٢٨ .
ابن عبد الحكيم ١٥ ، ٣٥٦ ،
عبد الأعلى بن عبد القادر ٢٢٤ .
عبد الكريم خليفه ٢٥٨ ، ٣٥٦ .
عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ١٤٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ .
عبد النعم ماجد ٦ .
عبد المستعلي بن أحمد بن سليمان الزواحي ١٤٧
عبد النبي بن علي بن مهدي ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٣٧٧ .
العبد بن نجاح : انظر سعيد الأحول .
أبو عبد الله الشيعي ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٣٦٨
عبد الله الداعي جد إدريس عماد الدين ٤ .
عبد الله بن الحسين الإمام المهدي الفاطمي ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ .
عبد الله العربي ٢٢٥ .
عبد الله المنصور بن حمزة ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .
عبد الله بن ربيعة ٢١ .
عبد الله بن زياد ١٨ ، ٢٣ .
عبد الله بن عبد الله أبي منصور بن أبي الفتح ٢٨٥ .
عبد الله بن عباس ١٧٤ ، ١٩٠ .
عبد الله بن عباس الشاوري ٢١ ، ٤٩ — ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ .
عبد الله بن علي العلوي ٢٢٣ .
عبد الله بن علي ١٧٥ ، ١٧٧ .
عبد الله بن عمر ١٧٥ ، ١٧٧ .
عبد الله بن محمد الصليحي ٨٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٦٢ .
عبد الله بن معمر ١٢٨ .
عبد الله بن قحطان ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٧ .
عبد الله بن المصوع ١٦٢ .
عبد الله بن محمد بن بشر ٥٦ ، ٥٩ .
عبد الله بن يعلى الصليحي ١٠٧ ، ١٥٤ ، ١٦٧ .
عبد الواحد بن بشارة ٣٠٥ .
عبد الواحد بن نجاح ١٦٤ .
عثمان بن عفان ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ .
ابن العرجي ٥٥ .
العرشي ٧٤ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ٣٥٦ .
عز الدين عثمان بن الزنجبيلي ٢٤٢ .
عز الدين محمد بن الإمام عبد الله المنصور بن حمزة ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
العزيزي ١٨٤ .

العزيز بالله ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٣٢٤ .
العسقلانى : انظر بن حجر .
عقيل بن أبى طالب ٣٠ .
ابن أبى العلاء ٣٥ ، ٣٦ .
على بن إبريهيم بن نجيب الدولة ١٦٨ ، ١٧٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ .
على بن أحمد المكرم ٢١٤ ، ٢١٦ .
على بن حاتم بن إبراهيم الحامدى ٣٥٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٥٣ .
على بن حاتم اليامى ١٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ .
على بن الحسين بن جعفر الأنف القرشى العبشمى ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٨
على بن حنظلة ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
على بن زيد بن إبراهيم ٢٤٠ .
على بن عبد الله بن محمد الصليحى ١٧١ ، ١٧٤ ، ٢٠٩ .
على بن سبا بن أحمد الصليحى ، شمس المعالى ١٤٧ ، ١٦٣
على بن سليمان الزواحى ١٧١ .
على بن سويد الصليحى ١٢٨ .
على بن محمد الصليحى ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ — ١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٧٠
على بن أبى طالب ٤ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٤ ، ٧٧ ، ٢٠٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٨٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣١٩ .
أبو على بن الفضل ٢٦٩ .
على بن الفضل الجيشانى الجدنى الحنفرى ٢٨ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٢٤٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
على بن قتيبة ٢٥٦ .
على بن القم ١٥١ .
على بن مالك بن شهاب الصليحى ١٣٢ .
على بن محمد الوليد الأنف القرشى العبشمى ٢٤٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٨ ، ٣٥٧ .
على بن مهدى ٣٦ ، ٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
على المؤيد ١٠ .
على بن يحيى بن حمزة بن وهاس ٢٠٠ .
عمارة ٣ ، ٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٥٧ .
عمار بن ياسر ١٣ ، ١٦ .
عمران بن محمد الزريعى ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤١
عمران بن الفضل اليامى ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ .
عمر الدسوقى ١١ ، ٢٥٨ ، ٣٥٧ .
عمران بن مسلم بن الزمر ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ .
عمر بن على بن رسول ٢٩٤ ، ٢٩٧ .
عمر بن الخطاب ١٥ .
عمر فروخ ٢٥٨ ، ٣٥٧ .
عمر بن الحصين ٢١ .
عمر بن عبد العزيز ٢٤ .

عمر بن المرجل الحنفى ٦٥ .
عمرو بن أبى أراكة ٢١ ، ٢٢ .
عمرو بن عامر ٢٨٢ .
عمرو بن عرفطه الجنبى ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ .
عمرو بن يحيى الهيثمى ٦٧ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٣٤ .
عمرو بن العاص ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٨٨ .
عنتر بن غشم ٩٦ ، ٣٢٦ .
عيسى بن العادل الأيوبى ٢٩٤ .
عيسى بن موسى ١٣٣ .
عيسى النوشرى ٤٠ .
العينى ٣٨ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٨٥ ، ٣٥٧

(غ)

أبو الغارات بن مسعود ١٦٤ .
غانم بن يحيى بن حمزة الشريف ٢٤٠ ، ٢٤١
الغزالى ٢٦٠ ، ٢٩٠ .
الغفارى أبو ذر ١٣ .
غوتيه ٢٥٣ .
غوست ٢٥٣ .
غولد تصير ٢٨٨ ، ٢٩٠ .
غويدى ٨٤ .
غيب ٣٥٧ .
أبو الغيث بن سامر ١٧١ .

(ف)

الفائك بن جياش ١٥١ .
فاطمة بنت أحمد المكرم ١٧٤ ، ١٦٣ .
فاطمة الزهراء ٢٦ ، ٢٥٥ ، ٣٠٩ .
الفارابى ٢٦١ .
الفاسى ٩١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ٣٥٧ .
الفاكهى ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ٣٥٧ .
الفائز الفاطمى ١٨٧ .
فتح بن مفتاح ١٦٧ .
فتوح الشامى ٩٧ .
أبو الفتوح بن نجاح ١١٩ .
أبو الفتوح بن الوليد الحميرى ١٦٢ .
الفخرى ٢٤ .
ابن الفرات ١٨٥ ، ١٨٩ .
فرج السحرتى ٦٦ .
فرج البيشى ٩٩ ، ١٠٠ .
ابن الفضل : انظر على بن الفضل .
ابن فليت ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .
فيروز داعى الدعاة ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨

(ق)

القاسم بن جعفر الرنسى ٨٢ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ٣١٤ ، ٣١٥ .
القاسم بن عبد العزيز ١٧٦ .
أبو القاسم . انظر منصور اليمن .
أبو القاسم بن أبى النور ٣١٧ .
قاسم بن يحيى الشريف ٢٤١ .
القاضى الرشيد : انظر أبو الحسن الغسانى
القائم العباسى ٨٤ ، ٩٤ .
القائم بن المهدى الفاطمى ٥٢ ، ٢٥٦ ، ٣٢٤ .
ابن قتيبة ٢٢ ، ٣٥٧ .
القلقشندى ٣٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٣٥٨ .
القمى (ابن القم) : انظر الحسين بن على القمى
قونس ١٨٤
قيس بن أحمد الصليحى ١٥٢ ، ١٥٤

(ك)

كاكا أكيلا ٢٢٥
كاكا أكيلى ٢٢٥
الكامل الأيوبى ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤
كاى ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،

١٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،
١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ،
١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ،
٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٣٢١ ، ٣٥٨
الكبسى ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٩٢ ،
١٤١ ، ٣٥٨ .
ابن كثير ٤ ، ١٣ ، ٣٥٨ .
كتامة بن بشر ١٦
ابن كدينه ٢١٣
كراوس ٢٥١ ، ٢٥٩
الكرمانى ، أحمد حميد الدين ٢٤٥ ، ٢٥٢
٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٥٨ .
كرانوفا ٢٥٨ .
الكلالى ، أبو اسماعيل ١٢٨ ، ٣١٣
الكندى ١٦ ، ١١٠ ، ٢٥٣
كونس ٢٧٠

(ل)

لمك بن مالك ٧٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ،
١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢١٦ ،
٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ،
٢٦٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠
لويس برنارد ٣٧ ، ٣٥٩ .

(م)

مارغليوس ٢٦٢
مالك الأشتر النخعى ١٨ ، ١٩
مالك بن شهاب الصليحى ١١٣ ، ١١٨ ،
١٢٣
مالك بن نجاح ١٣١
المأمون البطائحى ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
٢٣٠
المأمون العباسى ٢٨
المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الشيرازى
١١١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ،
٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،
٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٣٥٩ ، ٣٧١
المبرد ١٨ ، ٣٥٩ .
مبارك بن منقذ سيف الدولة ٢٤٢
المتنى ٦٦
المتوكل الخليفة العباسى ٢٨
ابن المحاور ٢٨ ، ٢٥٩ .
محب الدين الخطيب ١٩ ، ٢٠ ، ٦٤
أبو المحاسن ٩٢ ، ٣٥٩ .
المحسن بن الحسن ٢٣٧ ، ٢٤٠
المحسن بن أبى الفضل بن محمد ٣١٩
ابن محفوظ ٢٤
محمد بن إبراهيم بن عمر ٢٨٩
محمد بن إبراهيم الصليحى ١٢٨
محمد بن أحمد الأحورى ٢٨٤
محمد بن أحمد المسكى بسعيد الخير (أبو على
الحكيم) ٣١
القاضى محمد ، والد على الصليحى ٦٤ ، ٦٥
محمد بن أحمد بن العباس الشاورى ٥٦ ، ٦٠
محمد بن أحمد بن على الصليحى ١٤٧ ، ١٤٩ ،
١٥٦ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧
محمد بن أحمد بن عمران اليامى ١٧١ ، ١٧٤ ،
٢٠٩
محمد بن الأزدى ١٧٣
محمد بن إسماعيل الإمام المستور ٢٥٥ ،
٣٢٢
محمد بن أبى بكر ١٥
محمد بن جعفر ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٠ .
محمد جمال سرور ٨٨ .
محمد الحبيب والد عبيد الله ٣٨ .
محمد الحجرى : انظر الحجرى القاضى محمد .
محمد حسن ١٤٦ .
محمد بن حسن (رسول الصليحى إلى المستنصر)
١٧٥ ، ١٧٧ .

محمد بن أبي حذيفه ١٦ .
محمد بن أبي زياد ٢٨ ، ١٦٦ .
محمد بن سبا الزيعى ٢١٩ ، ٢٤١ .
أبو محمد مروز (من قواد الخليفة) ٢٠٠ .
محمد بن طاهر الحارثى ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٥٣ .
محمد بن عبد الله بن العباس ٣٨ .
محمد بن أبي العرب ١٦٩ .
محمد العفيف الوزير ٢٨٧ .
محمد بن على (رسول الصليحى إلى المستنصر) ٣٠٥ ، ٣٣٠ .
محمد بن على بن أبي زيد ٢٧٢ .
محمد الأعز بن على الصليحى ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ .
محمد على الهمدانى اليعبرى ٢
محمد بن عبد الله (النبى) ١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٩ ، ٧٧ .
محمد بن على اليامى ١٢٠ .
محمد بن عليه ١٢٢ .
محمد بن غفارى ١٥٢ .
محمد كامل حسين ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ٣٠ ، ١٨٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٥٩ .
ماضى ، محمد عبد الله ٢٥ ، ٣٧ ، ٥٥ .
الحمادى ، الفقيه محمد بن مالك ٧ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٣٥٤ .
محمد بن مالك بن شهاب الصليحى ١٣٢ .
محمد مصطفى حلمى ٢٦٠ .
محمد بن منصور بن المفضل ٢٨٦ .
محمد بن مهنا الصليحى ١٥٢ .
محمد بن يعفر ٣٤ .
محمد أبو الخير بن يوسف ٣٠١ .
محمود الغزنوى ٢٢٤ ، ٢٢٩ .
المختار ١٨ ، ٢٣ .
بالمخرمة : ٧٤ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٣٥٩ .
مدافع بن الحسن الجنبى ١١٥ ، ١٢٠ ، ٣١٢ ، ٣١٦ .
مدرك بن بشر بن حاتم اليامى ٢٩١ ، ٢٩٣ .
ابن مدين ١٨٤ .
مرجان ٦٥ .
مرزبان بن إسحاق ٢٢٥ ، ٢٢٧ .
مروان بن الحكم ٢٣ .
المستعلى بن المستنصر الخليفة الفاطمى ٤ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢١٧ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ .
المستنصر بالله الخليفة الفاطمى : ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٥٩ .
المسعود بن الكامل الأيوبى ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
مسعود بن الكرم الهمدانى ١٦٤

المسعود ٢٤
مسلم بن الزرر ١٦٧
مشرفة ١٧٩
المشمرح فارس ذى رعين ٢١
مصطفى السقا ١١.
مصعب بن الزبير بن العوام ١٣٣
الملك المظفر : انظر على بن محمد الصليحى
المظفر بن حاج ٣٧
المظفر بن زياد ١ ٣
معاذة بنت على بن الفضل ٤٨
معاوية بن أبى سفيان ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ،
١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .
معد بن أبى تميم : انظر الخليفة
المستنصر .
أبو العلاء المعرى ٢٦٢
المعز لدين الله الخليفة الفاطمى ٥ ، ٥٣ ، ٥٥
٥٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،
٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
٣٢٤
معز الدين الغزنوى ٢٢٤
معن بن حاتم ٢٣٩
المفضل بن أبى البركات الحميرى ١٥٤ ،
١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦
مفضل بن الزريع ١٦٩
مفلح الماتكى ٢٠٠.
المقداد ١٣
المقريزى ١٦ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،
٢٢٠ ، ٣٥٩ .
المكتفى العباسى ٣٩
المكرم : انظر أحمد بن على الصليحى
ابن أبى الملاحف ٣٨
الملكة السيدة الحرة : انظر أروى بنت أحمد
من الة العانسكى ١٧٠ ، ٢٠٠.
المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد السباعى
٥٥ ، ٥٦
منصور بن فاتك ١٦٣
المنصور الفاطمى ٤ ، ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦
منصور بن محمد اليامى ١٢٠ ، ٣١٣ .
منصور بن المفضل بن أبى بركات الحميرى
١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٠٩ ، ٢٤ ، ٢٤١
منصور بن المفلح ٢٠٠
منصور اليمن ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٢ ، ١٤ ،
٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .
٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،
٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤ ، ٤١ .
٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ،
٥٩ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
المنصورى ٣٨ ، ٣٣ ، ٣٦٠ .
المهدى الفاطمى : انظر عبد الله بن الحسين
مهدى بن على ٢٣٩
مهنا بن على المظفر بن الصليحى ١٠١
موسى بن أبى حذيفة ٣١٢
موسى بن على بن رسون ٢٩٤
الموفق بن على بن محمد الصليحى ١٠٠ .
٢٣ ، ٣٠٢
مواهب بن حديد المعزى ١٦٥
ابن ميسر ١٧٣ ، ٣٦٠ .
ميمونة بنت على الصليحى ٢١٦

(ن)

الناصر بن أحمد المستضىء العباسى ٢٤١
ناصر الدولة بن حمدان ٩٧ ، ٣٧٠
الناصر أبو الفتح الديلمى ٨٢ ، ٨٣ ،
٢٣٦
الناصر بن طغتكين ٢٨٥ ، ٢٨٦
نجاح العبد ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
٨٦ ، ٢١٨

نجم بن بشارة ١٣٨
ابن نجيب الدولة : انظر على بن إبراهيم
نجيب بن عفير ٩٦ ، ٣٠٥
ابن النديم ٢٥١، ٣٦٠.
ابن النساخ : انظر حسن بن محمد
النسفى ، الشيخ محمد بن أحمد ٢٤٥ ،
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،
٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٣٦٩
نسلان ١٨٤
نشوان الحميرى ١٢ ، ١٧ ، ٣٧ ، ٤٢ ،
٤٨ ، ٧٨ ، ٣٦٠ .
نظام الملك ٢٥١
النعمان ، القاضى ٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ،
٤٠ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٢٢٣ ،
٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ،
٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٩١ ، ٣٦٠ .
نعيم الشاعر الهلالى ١٥٥
نفيس ٦٥
النوشرى : انظر عيسى النوشرى
النويرى ١٨ ، ١٨٥ ، ٢١٧ ، ٣٦١ .
نور الدين مولاى ، روب نات ٢٢٥

(هـ)

هارون بن محمد بن رحيم ٥٦ ، ٦٠، ٦١
هارون بن محمد بن قيس ٢٥٢ ، ٣٠١
الهادى ، الإمام يحيى بن الحسن الرسى
٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨
ابن هانىء ٢٥٦
ابن هبالة ١٣٨
هزار الملوك ١٨٥
ابن هشام ، صاحب السيرة ١٣ ، ١٠٥ ،
٣٦١ .
هشام بن القبيب الهمدانى ٢٣٩
أم همدان بنت أحمد المكرم الصليحى ١٤٧
ابن هند : انظر معاوية بن أبى سفيان
الهيثم، ابن أخى منصور اليمن ٣٨ ، ٢٢٣

(و)

وهب بن منبه ٢٤٠

(ى)

اليازورى ، أبو محمد على بن عبد الرحمن
١٧٩ ، ٢٠٣
أبو بكر اليافعى ١٦٦
ياقوت ٢٦٢ ، ٢٨٥ ، ٣٦٢ .
يحيى بن إبراهيم الصحارى ٨١
يحيى بن أحمد بن الحسين الهارونى الديلمى
٢٣٧
يحيى بن أبى حاشد ٨٢
يحيى بن الحسين صاحب الأنباء ٧ ، ٣٦ ،
٤٢ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٦٢ .
يحيى بن حمزة بن وهاس ١٥٢ ، ١٥٣ ،
٢٣٧
يحيى حميد الدين، الإمام المتوكل على الله ٢٥١
يحيى بن لمك ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٠ ،
٢٦٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨
يزيد بن عيسى الوائلى ١٦٧
يزيد بن معاوية ٢٣
يعفر بن عبد الرحيم الحوالى ٢٨
يعفر بن السكرندى ١٢٨
يعقوب النبى ٣٢٤
يوسف بن أحمد بن الأشج ٥٧ ، ٦٠
يوسف بن حدين الضمرى ٣٠٦
يوسف بن زائد السنحانى ٣١٢
يوسف بن محمد ٩٦ ، ٣٠٥
يوسف بن موسى بن أبى الطفيل : انظر
ابن أبى الطفيل
يوسف النبى ٢٥٦

القبـــائل

(ا)

أد ١٣٣ .
الأزد ١٦ ، ١٣٣ .
الأشعريون ١٩ .
بنو أصبح ٦٣ .
بنو الأصلوح : انظر بنو الصليحى .
بنو أمية ٢٣ .
بنو أيوب ٢٨٧ ، ٢٩٢ .

(ب)

بكيل ٦٣ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ٣١٣ .

(ث)

ثقيف ١٨

(ج)

بنو جبير ١٢٧ .
جشم ١٩١ .
جنب ١٢٣ ، ١٣٠ ، ٢٧٦ ، ٣١٦ .
جهينة ١٦ .

(ح)

بنو حاتم الهمدانيون : ١٢ ، ١٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ .
بنو الحارث ١٢٨
حاشد ١٧ ، ١٢٧ ، ١٧٤ ، ١٩٤ .
حجور ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .
بنو حسن ٩٠ .
حرث ٨٤ .
حمير ٢٨ ، ٣٥ ، ١١٦ ، ١٣٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٧٣ ، ٣١٢ .

(خ)

خولان ٢٥ ، ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ ، ٣١٢ .

(ذ)

ذواوات ٨٤ .

(ر)

ربيعة ١٦ .
آل رسول ٢٤ ، ٢٩ .
ذو رعين ٢١ ، ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ، ٣١٥ .

(س)

سبأ (سبا) ٨٤ ، ٢٢٨ .
بنو سليمان الأشراف ٢٤٠ .
سنحان ١٦٣ ، ١٧٠ ، ٣١٦ .
سهرت ٨٤ .

(ش)

شاكر ١٧ .
بنو شهاب ٧٨ ، ٨١ ، ٢٧٥ .
بنو شيبة ٩١ ، ٢٢١ .

(ص)

صحر ٨٤ .
بنو صعب ١٢٨ .
بنو الصليحى ١٤٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢٤٠ .

(ط)

بنو الطيب الحسنيون ٩١ .

(ع)

بنو عبد الواحد ٦٣ .
عبس ٣١١ .
بنو عجيل ٧٥ .
بنو العرجى ٣٤ ، ٥٤ .
بنو عشب ٥٥ .
عك ١٥ ، ١٩ .
عنس ٨٢ ، ٩٤، ١١٣ ، ١٢٧، ١٦٣ ، ٢٧٦ ، ٣١١ ، ٣١٥ .

(غ)

غافق ١٥ .
بنو غسان ١٢١ .

(ف)

بنو فطيمة ٢٥ .

(ق)

بنو القاسم العيانى ٢٤٠ .
قحطان ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٧٤ .
قدم ٥٦ ، ٦٠ .
قريش ١٣٣ .
بنو قليد ٧٤ ، ٧٩ .

(ك)

كتامة ٣٩ .
بنو الكرندى ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٢ .
كندة ١٧ ، ١٩ ، ٧٨ .
ذو كلاع ٢٥ .
كهلان ٧٨ ، ١٧٤ .

(ل)

لخم ١٦ ، ١٧ .

(م)

بنو مالك ١٨ .
بنو معن ٦٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٦٤ .
بنو موسى ٣٢ .
المعافر ٨٥ ، ٢٨ .
مذحج ١٨ ، ١٩ ، ٣٦ ، ١٢٨ .
بنو محرز ٢٧١ .
بنو معين ٢٢٧ .
بنو مهدى ٢٤٢ .

(ن)

بنو نجاح أو النجاحيون ١٧٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ .
النخع ١٨ .
نهد ١٢٣ .
نهم ١٧ .

(هـ)

بنو الهادى ٢٤٠ .
بنو هبرة (آل هبرة) ٢٧٤ .
بنو الهجرى ٧٩ .
همدان ٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٨، ٨٢ ، ٨٩ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠، ١٣٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤، ١٩٠ ، ٢١٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤، ٢٧٥ ، ٢٧٧، ٢٨٢ ، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٣١٢ ، ٣١٦ .

(و)

بنو وائل ٦٢ .

(ى)

يام ١٧ ، ١٢٣ ، ١٩٠ ، ١٩١، ٢٧٤ .
يحصب ١٧ ، ٣٧ ، ١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٨٤، ٣١١، ٣١٥ .
اليعابر أو بنو يعبر و ، ١٩٥ ، ٢٧٦ .
يعرب ١٣٣ .
اليعافر أو بنو يعفر ١٢ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٦ .

الأماكن والبلدان

إسكندرية ١٦ .
أسوان ٢١٨ .
آسيا الصغرى ٢٢٨ .
أسيوط ١٦ .
إب ٣٦ ، ٢٤١ .
أبين ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٣ ، ٨٦ .
الأحساء ١٣٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ٢٦٢ .
أحور ٨٦ .
الأخروج ١٩٤ .
أرحب ١٧ ، ١١٧ ، ١٢٧ .
أشيح . ١٠٧ ، ١٣٠ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ٢٤٠ .
إفريقية ٢٢٣ .
أم الدهيم ١٢٩ .

(ب)

باب المصرع ٢٢ .
باريس ١٩٥ .
بتاح ٧٩ .
البحرين ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ٢٦٢ .
بخارى ٢٥١ .
برع ٦٣ .
البصرة ١٦ ، ٢٢ .
بعدان ٣٦ ، ٦٣ ، ٨٥ .
بغداد ٢٩ ، ٣٧ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٧٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
بلاد الجزيرة ٢٢٩ .
بلاد ما وراء النهر ٢٢٨ .
بلوخستان ٢٢٣ .
بنت ٢٢٧ .
البنجاب ٢٢٣ .
بيت ردم ٢٧٥ .
بيت ريب ٣٤ .
بيت عناد ٧٩ .
بئر العزب ٢٩٠ .
البيض ، مخاليف ٣٥ .
بينون ١٢٨ .

(ت)

التركستان ٢٥٢ .
تعز ٨٨ ، ١٦٢ ١٦٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٩٤ .
التعكر ٤٨ ، ٨٨ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣١١ ، ٣١٣ .
تهامة ٤٤ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٠٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ،
تهامة الشام ٢٤٠ .
التهايم ٦٢ .
التومار ٤٨ .

(ث)

الثلاث ٤٣ .
ثلا ٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٩٠ .

(ج)

الجالد ١١٧ .
ذى جبلة ٨٨ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ .
الجريب ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .
الجمل ١٨ .
جبل الجميمة ٣٤ .
جنابة ٤٥ .
الجند ٢١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ،
١٠٧ ، ١١٣ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ،
١٧١ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٨٤ .
الجوحب ٢٧٥ .
الجوف ٢٨٥ .
الجوفين ٢٣٧ .

(ح)

حب ٦٣ ، ٨٥ ، ١٣٥ ، ٢٣٩ ،
حجاز ٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٨٨ ،
٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ١٣٢ ،
٢٢١ ، ٢٣٢ .
حراز ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ،
٧٨ ، ٨٩ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،
١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
١٣٠ ، ١٧٥ ، ٢٥٠ ، ٢٧٠ ،
٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ .
الحرف ٤٣ .
حضرموت ٣ ، ٦٣ ، ١١٤ ، ٢٣٢ .
حضور ٧٩ ، ٨١ ، ١١٥ .
الحطيب ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .
الحلى ٩٣ .
الحمراء ١٢٨ .
حضة ٢٧٦ .
حملان ١٢٨ .
حيس ٦٥ .

(خ)

خدد ١٠٧ ، ١٣٠ ، ٢٠٤ .
خراسان ٢٥١ .
الخضراء ٦٣ ، ١٦٤ .
خنوة ١٦٦ .

(د)

دار شحار ٨٨ .
الدكن ٢٢٤ ، ٣٢٥ ، ٢٢٦ .
دلال ٣٦ .
دمشق ٢٥٨ ، ٢٩٤ .
الدملوة ٨٥ ، ٢٣٩ .
دهلك ٨٦ ، ١٢٣ .
دهن كام ٢٢٥ .
دهوان ٦٣ .

(ذ)

ذخار ٣٥ .
ذمار ٢٨٤ ، ٢٨٧ .
ذمرمر ٣٣٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ .
ذى أشرق ١١٩ ، ٢٤١ .
ذيبان ١٢٧ .
ذى سفال ١١٩ ، ١٦٢ .
ذى عدينة ٢٣٩ .

(ر)

رداع ٨٢ .
الرس ٢٥ .
الرى ٢٥١ ، ٢٧٢ .

(ز)

زبار ٨٠ .
الزرائب ٨٣ .
زبيد ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٥٧ ، ٦٢ ،
٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ ،
١٠١ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ،

١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،
١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٠٠ ،
٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ،
٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ .

(س)

الساعد ١٣٢ ، ١٣٣ ، ٢٠٠ .
السبخة ٦٥ ، ٢٩٠ .
سحار ١٩٩ .
السحول ٤٧ ، ٦٣ ، ٨٥ .
السراة ٦٥ .
سرو يافع ٣٤ ، ٤١ .
سلبة ١٣١ .
سمارة : انظر تقيل صيد .
السمدان ٦٢ .
السند ٣٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٢ ،
٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٩٢ .
سورية ١٧٨ .
السيان ٢٠٦ .
سيلان ٢٢٤ .

(ش)

شاطح ٦٣ .
شاكر ١٣١ .
الشام ٢٣ ، ٢٤ ، ١٣٤ ، ١٧٤ ،
١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
٢٦٢ ، ٢٧٢ .
شبام ١٧ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٧ ،
٥٨ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ،
٢٧٥ .
الشحر ٦٣ ، ١٣٤ .
الشرف ١٥١ .
شعاف ٢٧٥ .
الشعر ٦٣ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
٣١٧ .
شهارة ٢٤٠ .
الشواق ٨٥ ، ١٢٨ .

(ص)

صبر ١٦٨ ، ٢٤١ .
صيهاب ٢٨٤ .
صعدة ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ .
صعفان ٧٤ ، ٧٥ .
صفين ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ .
صقلية ٢٢٨ ، ٢٢٩ .
صنعاء ٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٤ ،
٤٦ ، ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٨١ ،
٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ،
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠١ ،
١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٣٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ،
١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ،
٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ،
٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ،
٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ،
٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
٣١٥ ، ٣١٦ .
صوف ٨١ .
الصومال ٢٢٧ .
صيد ٣١٦ .
الصين ٢٢٩ .

(ط)

طبرستان ٢٥١ .
طبرية ١٣٠ .

(ظ)

الظاهر ٢٣٧ ، ٣٢٤ .
الظرف ١٥١ .
ظفار ٢٢٧ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .
الظلمة ٤٥ .
الظهرة ٢٧٥ .

(ع)

عبرى -سهام ٧٥ ، ٧٨ .
عبرى دعاس ٨٠ ، ٨١ .
عبر محرم ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٤ .
عتر ١٤٠ .
عراس ٧١ .
العراق ١٨ ، ١٠٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ .
العرقة ٢٠٠ .
العروس ٢٨٤ .
عدن ٣ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٦٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٦٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٨٤ .
عدن أبين ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ .
عدن لاعة ٣١ ، ٣٢ .
جبل بنى عشب ٥٥ .
عصر ٢٩١ ، ٢٩٣ .
عكاد ٨٤ .
العكوتان ٨٤ .
عمان ٢٧ ، ٥٥ ، ١٤٨ ، ١٨١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ .
العنبرة ٢٣٦ ، ٢٣٨ .
عين الوردة ٢٣ .

(غ)

غجرات (البنجاب) ٢٢٣ .
غجرات (غرب الهند) ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
غلافقة ٣٢ .
الغمد ٦٣ ، ١٢١ ، ٣١٠ .

(ف)

فارس ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٢١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ .
فرنسا ٢٢٩ .

(ق)

القادسية ٣٢ .
القاهرة ٢ ، ١١ ، ١٦ ، ١٤٢ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ .
قتاب ٢٠٥ .
قتر ٦٥ .
قطابه ٥٥ ، ٥٦
قوارير ١٥١ .
القيروان ٢٦١ .
قيضان ١٦٣ ، ٢٠٩ ، ٢٤٠ .

(ك)

كحلان ٣٥ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ .
كرار ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ١١٩ ، ٢٧٦
كرمان ٢٦٦ ، ٣٧٢ .
الكظائم ١٣٨ ، ١٥١ .
الكعبة ٣٠ .
كمبيلت ٢٢٥ .
كوكبان ٣٥ ، ٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .
الكوفة ١٦ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٢ .

(ل)

لاعة ١٢٨ .
لحج ٢٥ ، ٣٥ ، ٦٣ ، ٢٨٤ .
لهاب ٨٢ ، ٨٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٧٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
اللومى : ١٢٨ .
لؤلؤة ٢٧٤ .

(م)

مابه ١٣١ .
ما وراء النهر ٢٢٨ .
مثوه ٩٥ .
مجيح ٧٤ ، ١١٩ ، ٢٧٦ .
مخاليف البيض : انظر البيض
المخلاف : انظر مخلاف جعفر
مخلاف جعفر ٣٦ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ١١٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ٢٨٤ .
مخلاف الجند ٦٢ .
مخلاف بني طريفة ٣٢ .
مخلاف يربوع ٦٣ .
المدينة المنورة ١٣ ، ١٤ ، ٢٢٨
المذيخرة ٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٨ .
مسار ٦٣ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٩٦ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٤٢ ، ٣١١ .
مسور ٣٤، ٣٥، ٤٥، ٥٤، ١٢٨، ٣١١ .
مصر ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
المغرب ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٠
المقامقة ٧٤ .
مقر ١٥١ .
مكة ٢٢ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٧٥، ٢٢٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ .
ملتان ٢٢٣ ، ٢٢٤
الملوى ١١٧ ، ١١٨ .
منكث ٣٧
المنجل ٢٤ .
المهجم ٧٦ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٦٢ ، ٢٣٤ .
المهدية ٥٣ ، ٢٦١ .
الموصل ٢٢٨ ، ٢٩٠ .
مدين ٢٧٢ .

(ن)

نجد ١٣٤ .
نجد الجاح ٨٢ .
نجران ١٣ ، ٧١، ٢٣٧ ، ٢٥٠، ٢٧٠ .
نقيل ٤٧ .
نقيل صيد ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٠٦ .
نهر الخازن ٢٣ .
نقيل العجيب ٣٢ .

(هـ)

الهجر ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٣٢ .
الهرابة ٣٢ .
هران ١١٣، ١١٥، ١١٧، ٣١١، ٣١٢ .
الهند ٢ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٨١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٣١٨ .

(و)

وادعه ١٧ .
وادى عين ٢٤٠ .
وادى نخلة ٦٣ .
وحاظة ٦٣ .
وصاب ٦٣ ، ١٥١ .

(ى)

بلاد يافع ٣٣ .
يثرب ١٣٤ .
يزد ٢٧٢ .
يرم ٢٠٦ .
يفوز ٦٣ .
اليمامه ٢٧ ، ٣٨ .
اليونان ٢٤٧ .

تصويب

نعتذر عن وقوع أخطاء كثيرة عند طبع الكتاب وهذا تصحيح المهم منها :

ص	س	اقرأ	ص	س	اقرأ
ح	٢١	(ت ١٧٠)	٣٢	١٠	سمعته
ح	٢٢	(ت ٢٤٦)	٣٣	١٥	يقبضون
٢	٢٥	للأئمة	٢٨	٢٢	— ١٢٠
٤	١٠	الكتاب الأخير هو	٣٩	٢	فإنها
٥	١٤	يزيد تقديرنا	٣٩	٢٢	جعفر
٧	١٦	كان فيما يظهر	٤٠	٢	المستجيبين
٩	١٤	نخصُّ	٤١	٢١	المؤرخون ابن الفضل بأنه أحل
١٤	٧	علىٌّ	٤٢	١	بما جاء من
١٥	١٧	استقرُّوا	٤٢	٥	نبيٌّ
١٧	١٢	بالقنا فوارسُها	٤٢	١٤	فى نسبتهم
١٧	١٧	نِهْم	٤٢	١٨	De Opkomst
١٨	١	يحبون	٤٣	١٩	ابن الفضل به
١٨	١١	سنَّة	٤٦	٢٠	فقصده
٢٢	٢١	وثقيف	٤٨	١٣	وثلاث وثلاثين مئة
٢٣	٢٢	إكليل ١٠/٦٦	٤٨	١٨	و وجه
٢٤	٣	لمقتله	٥٢	١٢	تقديره
٢٥	٥	من	٥٣	١٩	أبا
٢٦	١٢	الناس	٥٤	١٦	يدعى
٢٦	٣	نجاح	٥٨	٢	والظاهر
٢٨	٩	اشتبكتا	٥٨	٢٠	السلطان
٣٢	٣	٣٩١	٦١	١١	كان

ص	س	اقرأ
٦٢	٢٣	جمال الدين
٦٣	٦	العَمَد
٦٣	٢٠	الخضراء
٦٤	٢٤	يسكنه
٦٧	٢٠	يحيى
٧٣	٢٦	وتحت
٧٣	٢٧	المعانى
٧٤	٩	الله من
٧٨	١٣	سوء
٧٨	١٤	ابن عباس
٧٩	٢٠	اليعابر
٧٩	٢١	قريبة
٨٠	١٨	بالصلوات
٨٢	١٢	المنصور
٨٢	١٩	المنصور
٨٢	٢٤	الصليحى
٨٣	٢	لنفاد
٨٣	٩–١١	هذه المرة وفى مناسبات أخرى سياسة هوادة أو تردد ، بل قصد منها تسكين الثارات لأن فى تسكينها لليمن ولليمنيين خيرا .
٨٤	٦	يد
٨٤	٢٠	زبيد
٨٥	٢٠	بنى العباس

ص	س	اقرأ
٨٦	٧	دار الدعوة
٨٨	٨	محمد
٩٠	١٩	وانفرد
٩٣	٢٦	خطب
٩٤	٥	دانوا
٩٥	٨	العمد
٩٥	٢١	ناله الأسف
٩٦	٥	شُمُّ
١٠٠	٣	ساقه
١٠٠	٤	ابن أسعد
١٠٩	٩	قبيح
١١٩	١	وافاهم جماعة من قبائل
١٢٥	١	بالثناء
١٢٥	١٧	قاسم
١٢٨	٥	سعيدا
١٢٨	١٠	عامر بن سليمان
١٢٨	١٦	فيها
١٣٠	٢٦	البحث
١٣٧	٢٤	الصليحيين
١٥٧	٢٢	مخلاف
١٥٨	١٦	أمرى
١٦٠	٢	وألفيتُم
١٦٠	١٧	يفض

ص	س	اقرأ
١٦٥	٢٦	وأنفته
١٧٠	٤	بقليل
١٧٤	٢	أساء
١٧٥	١٤	بالحج
١٧٨	١٥	وضع أمور
١٨٠	١	إلى الملك المكرم
١٨١	١٢	توفى
١٨١	١٥	بشاقب
١٨٤	١٠	وأقامه
١٨٩	٢٢	امرأة
١٧٩	٢٤	الكذب
١٩١	٦	وابن عم أمير المؤمنين
١٩٣	١٢	قبل
١٩٨	١٧	موف بما عاهد
١٩٩	٢	والجبت
٢٠١	١٨	يأتى
٢٠٢	٥	كآبة
٢٠٢	٧	بقوّة
٢٠٣	١٤	بمضجعه
٢٠٣	٢٣	رواية
٢٠٦	٩	الصحيحين
٢٠٨	٨	فقبلتهُ
٢١٠	١٠	حياةُ
٢٢١	٢١	كلفوهم
٢٢٢	١٢	نصرتها
٢٢٣	١	الدولة
٢٢٣	١١	جَلَم بن شيبان
٢٢٤	١	داود
٢٢٤	٦	الفاطمية
٢٢٤	١١	نجرات
٢٢٥	٨	نجرات
٢٢٥	١٧	لمك
٢٢٦	١٦	سنة إحدى وستين
٢٢٨	١٧	نخص
٢٢٨	٢٠	سبقت
٢٢٩	٣	لأنه
٢٣٠	١٣	تمنح الصليحيين
٢٣٤	٢	إلى حكم اليمن
٢٣٩	٨	للقيام بأمر صنعاء
٢٤٠	٢٧	إلى
٢٤١	٢	زوجته
٢٤٣	٥	لازدحام
٢٤٤	٢٠	الشيخ أبو يعقوب
٢٤٥	٤	المتضادة
٢٤٦	١٨	فطهرهم
٢٥٠	٢٣	ونظرا

ص	س	اقرأ
٢٥٢	١٨	وبيان الشهادة
٢٥٣	١٦	السجستانى
٢٥٥	١١	وفضائل
٢٥٦	٢٤	لإصدار الديوان
٢٥٦	٢٥	مخطوطات
٢٥٧	١٧	(De Goeje)
٢٥٩	٢٧	JRAS
٢٦٠	٦	وقصّر
٢٦٢	١	٤٧٢
٢٦٣	٢	لمك
٢٦٤	١٥	المبدأ والمعاد
٢٨٥	١٧	جميعا
٢٨٦	٢	إحدى عشرة
٢٨٩	٣	وز بدة
٢٨٩	٧	أنه
٣٠١	٦	صلى الله عليه
٣٠٥	٢١	الماضين
٣٢٦	١١	سبع
٣٢٦	٢٩	واستطته
٣٢٧	٢١	بينها
٣٢٨	٢١	اثنان
٣٢٨	٢٢	اثنان
٣٣٥	٢	وهم من بنى عبيد
٣٤٣	١	جدول رقم ٦

محتويات الكتاب

تصدير بقلم الأستاذ مصطفى السقا ..... ج

الإهداء ..... ك

رموز واصطلاحات ..... م

مقدمة المؤلف ١

الباب الأول : حركة الشيعة فى اليمن قبل ظهور منصور اليمن ١٢

الباب الثانى : الدولة الفاطمية الأولى فى عهد منصور اليمن ٢٧

الباب الثالث : الدعاة بعد منصور اليمن حتى ظهور الصليحى ٤٩

الباب الرابع : عهد الملك على بن محمد الصليحى ٦٢

الباب الخامس : عهد الملك المكرم أحمد الصليحى ١١٣

الباب السادس : عهد السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية ... ١٤٢

الباب السابع : العلاقات بين الدولتين الفاطمية والصليحية مظاهرها وآثارها ٢١٢

الباب الثامن : أسباب ومظاهر سقوط الدولة الصليحية ٢٣٢

الباب التاسع : آداب الدعوة الفاطمية وتحولها إلى اليمن ٢٤٣

الباب العاشر : دعوة اليمن ونشاطها العلمى من أواخر عهد الملكة الحرة
إلى ظهور دولة آل رسول ٢٦٨

قسم الملاحق ٢٦٨

قسم الجداول ٣٣١

قائمة المصادر ٣٤٩

ضميمة : تعليقات الدكتور عباس الهمدانى ٣٦٧

اليمن : مصور تقريبي رسمه الدكتور حسن سليمان محمود ٣٧٣
الفهارس رتبها الدكتور حسن سليمان محمود ٣٧٥
الأعلام ٣٧٧
القبائل ٣٩٠
الأماكن والبلدان ٣٩٢
تصويب ٣٩٧
محتويات الكتاب ٤٠١

893.717
H1753

0984136

A. R. BULLOCK,
ISLAMIC BOOKS
62 KELBURNE RD., OXFORD, U.K.

OCT 9 1962

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58876227
893.717 H1753 Sulaylyun wa-al-har